الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جـــامعـــة غــــردايـــة

كليّة الآداب واللغـات

قسم اللغة والأدب العربي

مخبر التراث الثقافي واللغوي و الأدبي

بالجنوب الجزائري

التوجيه اللغوي للمتشابه اللفظي في القرآن الكريم

دُرَّة التنزيل وغُرَّة التأويل للإسكافي نموذجا

أطروحة دكتوراه الطور الثالث (ل م د) في اللغة والأدب العربي تخصص دراسات لغوية وأدبية

إعداد الطالبة:

دهان سليمة

إشراف الأستاذ الدكتور:

بن سعد محمد السعيد

السنة الجامعية: 1439-1440هـ/2018-2019م

قال تعالى:

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر:23]

إهـــــــداء

- إلى من غرسا فيّ روح العلم والمثابرة والاخلاص والديّ الكريمين حفظهما الله وأطال في عمريهما.
- إلى قرتي عينيّ رميصاء شيماء ورفيدة عفيفة.
- إلى من كانوا ولا يزالون سندي وعُدتي في الحياة ومن تقاسمتهم رحما واحدة.
- إلى أسود المقاومة ....الذين علمونا معنى الرجولة والشجاعة .
- إلى العلماء و الرجال القابعين في سجون الظلم نسأل الله لهم فرجا ونصرا قريبا.
- إلى خنساوات فلسطين المرابطات في المسجد الأقصى نسأل الله لهم التثبيت والنصر القريب.
- إلى كل من ذكرهم قلبي ونسيهم قلمي أهدي هذا العمل

- سليـمة...

شكر وعرفان

أحمدُ الله حمدا كثيرا مباركا فيه على منّه وتوفيقه لي في إتمام هذا البحث.

- ويطيب لي أن أتوجه بعميق الشكر ووافر الامتنان للمشرف الأستاذ الدكتور محمد السعيد بن سعد الذي تعجز كلماتي عن وصف ما بذله معي في رفد الأطروحة بتوجيهاته السديدة ،ووقفاته الصادقة حتى استوت على عودها ،فأسأل الله العلي القدير أن يُجزل له ثواب العلماء العاملين المخلصين.

- والشكر موصول للأساتذة قسم اللغة والأدب العربي بجامعة غارداية الذين أمدونا بالنصائح والتوجيهات القيّمة

- كما أتقدم بالشكر الجزيل لكل من مد لي يد المساعدة من قريب أو بعيد .

- سليمـــــة

ملخص :

وسمنا بحثنا "التوجيه اللغوي للمتشابه اللفظي في القرآن الكريم، درة التنزيل وغرّة التأويل للإسكافي نموذجا ؛قمنا فيه برصد الظواهر اللغوية المنبثقة من خلال توجيه الآيات المتشابهات في كتاب "الدرّة ،عن طريق استقرائها وتحليلها وتصنيفها ،ثم استخلاص الظاهرة اللغوية والتعليق عليها ،وقد تعلقت هذه الدراسة بخمس مستويات : المعجم، الصوت، الصرف،النحو،البلاغة.

الكلمات المفتاحية: المتشابه اللفظي،التوجيه اللغوي، درة التنزيل وغرّة التأويل،الإسكافي

Résumé :

On mettre un titre de notre thèse :l'orientation linguistique de similaire verbale dans le coran « **Dorat Atanzil wa Gorat ATaawil de Eliskafi** »come modèle, nous avons surveillé les phénomènes linguistique émergent en dirigeant les versets similaires du livre de " **Dorat**" ,à travers l'extrapolation ,l'analyse et la classification ,puis l'extraction du phénomène du langage du commentaire ; cette étude a été reliée à cinq niveaux: lexique, son, échange ,grammaire ,rhétorique.

Mots clés: similaire verbale , l'orientation linguistique , Dorat Atanzil wa Gorat ATaawil, liskafi .

Abstract :

Our research is named " THE LINGUISTIC ORIENTATION OF THE VERBAL SIMILARITY IN THE HOLLY KORAN", we took as a sample the "ISKAFI"s famouse book"DORAT ATANZIL", through which we have observed the linguistic phenomena emerged through orientating the similar verses in this book via inducting, analyzing and classifying them.Then, summarizing the linguistic phenomenon and commenting on it.This research concerns five levels(grades) :the dictionary, the voice,the conjugation, the grammar and the rhetoric.

THE KEY WORDS: verbal similarity , linguistic similarity, Dorat Atanzil wa Gorat ATaawil, liskafi .

مُقَدِّمــــــــة

الحمد لله الذي القائل في محكم التنزيل: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾[الرحمن:1،4]، والصّلاة والسّلام على المبعوث رحمة للعالمين ، ،وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما كثيرا .

أدهش القرآن الكريم منذ نزوله أساطين البيان وأرباب البلاغة واللغة ،فانكبوا عليه حفظا وتدبّرا وتحليلا، كلٌّ يُدلي بدَلوه ،فلم تنضب نفائِسه منذ نزل ، ولم تنقضِ عجائبه ونفائسه منذ أزل ،وقد تباينت الوسائل والمناهج ،واتحدت الغايات والمدارك لتفسير هذا النص المعجز ؛ وسلك العلماء طرقا شتى في ذلك، فمنهم من ركّز على موضوعاته، ومنهم من ركّز على ألفاظه، ومنهم من ركّز على أسباب نزوله ،أو على ترتيبه ،أو على ترتيبه وإشاراته؛ ما أدى إلى تنوّع التفاسير: فظهرت أنواعا منها: الناسخ والمنسوخ ،الصوفي ، العددي، إعراب القرآن ، مشكل القرآن ،التفسير الإشاري ...الخ ،ومن بين من اعتنى بهذا العلم الجليل الخطيب الإسكافي (**ت420هـ**) في كتابه "**دُرّة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز**" موضوع بحثنا هذا الذي وسمناه : "**التّوجيه اللغوي للمتشابه اللفظي في القرآن الكريم ،درة التنزيل و غرّة التأويل للإسكافي نموذجا**"، وتحاول هاته الدراسة الإجابة عن الإشكالية الأساسية التالية:

-كيف وجّه الإسكافي المتشابه اللفظي في كتابه الدرة؟

وتنبثق من هاته الإشكالية إشكاليات فرعية هي:

- ما هو المنهج المعتمد في توجيه المتشابهات اللفظية في كتاب "الدرة"؟

- ما القرائن التي اعتمدها الإسكافي في بيانه الفرق بين تلك المتشابهات؟

- – هل يمكن إدراج كتاب الدُرّة ضمن التفاسير المتخصصة؟

– اعتمد المفسرون لكتاب الله تعالى طرقا ووسائل شتى في تفسيرهم ،كالسيّاق، أسباب النزول، على تفسير القرآن بالقرآن ، على المأثور ...الخ.

– يعود سبب اختيار هذا الموضوع لأسباب عدة منها:

- **أولا**: لأن فهم مُراد الله ،وتدبر كتابه يُعد من أغلى المكاسب وأشرف الغايات، ولكوننا معنيين بتدبره وفهمه وتتبع متشابهه، للأمن من الوقوع في الغلط واللبس.
- **ثانيا**: لاستمرار في عمل كنّا قد بدأناه في مرحلتي الليسانس والماستر ، فتناولنا في مرحلة الليسانس موضوع :"أثر السياق في دلالة المتشابه اللفظي في كتاب الدرة للإسكافي" ،وتناولنا في مرحلة الماستر موضوع: "التوجيه البلاغي للمتشابه اللفظي في كتاب البرهان في متشابه القرآن للكرماني ،واسترعى انتباهنا من خلال ذلك الكم الهائل من النفائس اللغوية المبثوثة في هذه الكتب المتخصصة ، وخاصة عند الإسكافي المنظر الأول لهذا العلم ،فأردنا التعرف على مختلف الطرق والأدوات اللغوية الموظفة في كتاب "الدرة".
- **ثالثا**: لتناغم الموضوع مع تخصصنا، لأنه يوّسع مداركنا ومكتسباتنا ،فقد تخصصنا سابقا في اللغة الدراسات القرآنية في مرحلة الليسانس ،ثم في علوم اللغة في مرحلة الماستر، فاخترنا لذلك موضوعا يربط جانب التفسير باللغة من جميع نواحيها .
- وتكمن أهمية الموضوع كونه تفسيرا لغويا مُهمّا ،لا يستغني عنه طالب لغة ودين ،هذا من جهة

ومن خلال تعاملنا مع هذا الموضوع لاحظنا قلة المؤلفات التي تناولت علم توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم ،وخاصة التي تربط بينها وبين الدرس اللغوي، فحاولنا الجمع بين الحُسنيين .

- قسمنا البحث إلى مقدمة ،ثم تمهيد وسمناه ب: تفسير القرآن وأنواعه ،ثم أربعة فصول:
- عنونّا الفصل الأول: التوجيه اللغوي ،المتشابه اللفظي ،الإسكافي وكتابه، وهو يُمثّلُ الجزء النظري من البحث ،وقد اقتصرنا في هذا الفصل على أهم المضامين تفاديا للإطناب على حساب الفصول التطبيقية .
- ثم تناولنا بعده الجزء التطبيقي الذي قسمناه إلى أربعة فصول حسبما ألفيناه في كتاب "الدرة" ،واخترنا ترتيب فصوله بحسب المستويات اللغوية التي تبدأ بالمعجم والصوت معنون ب:
- التوجيه المعجمي والصوتي للمتشابه اللفظي في كتاب الدُرّة، ثم خصصنا الفصل الموالي (الجانب البنائي) عنونّاه :
- التوجيه الصرفي للمتشابه اللفظي في كتاب الدُرّة ،ثم الفصل الموالي (الجانب التركيبي) موسوم ب:، التوجيه النحوي للمتشابه اللفظي في كتاب الدُرّة ثم البلاغة، ثم خصّصنا الفصل الأخير للجانب الدلالي، وسمناه ب:
- التوجيه البلاغي للمتشابه اللفظي في كتاب الدُرّة، ثم خاتمة تضُم أبرز النتائج وآفاق البحث.
- اعتمد البحث أساسا المنهج الأسلوبي ،الذي رأينا أنه يساعد في التحليل والتعرف على المستويات اللغوية الموظفة في التوجيه إضافة إلى قرائن الاستقراء والتحليل والوصف، وقد نستعين أحيانا بالمقارنة .

- تنوعت مرجعية البحث إلى التفاسير اللغوية :كتفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور الذي وجدناه يتعرض كثيرا لتوجيه المتشابهات اللفظية ، كذلك تفسير الكشاف للزمخشري الذي أعاننا في كثير من القضايا النحوية والبلاغية ،وغيرها ،إضافة للكتب المؤلفة في توجيه المتشابه اللفظي وعلى رأسها كتاب :أسرار التكرار للكرماني الذي يُعد الشارح الأول لكتاب الإسكافي والمختصر له ،ثم كتاب ملاك التأويل للغرناطي الذي استفاد كثيرا من كتاب الدُرّة وأضاف وتوسع فيه وغيرها من المؤلفات، إضافة لكتب اللغة كالمعاجم وكتب البلاغة والنحو.

- بالنسبة للدراسات السابقة المتعلقة بالموضوع فهي نادرة—على حد علمنا– إن استثنينا المراجع التي تطرقت لجزئية منه فقط ،وهي: درة التنزيل للإسكافي تحقيق مصطفى آيدين ،وكتاب المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة بلاغية لصاحبه مشهور مشاهرة ، والذي ألهمنا منهجية تقسيم أجزاء البحث ،إضافة لبعض الرسائل الجامعية كرسالة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية لصالح بن عبد الله الشتري ،وهي رسالة دكتوراه ،ورسالة بعنوان المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه لمحمد بن راشد البركة ،ورسالة دكتوراه بعنوان :التفكير اللغوي عند الخطيب الإسكافي لصاحبه سلمان بن سعود البلوي ،فكل هاته المراجع تطرقت لموضوع الدراسة من جزئية بسيطة منه فقط ، ولم نجد دراسات تناولت كتاب "الدرة" خاصة إلا رسالة التحقيق لمصطفى آيدين.

- وكغيره من البحوث فإن بحثنا هذا اعترضته بعض المعوقات أهمها: أنّ موضوع المتشابه اللفظي متشعب الأطراف ،ومتناثر المادة ،غني بالتحليلات ،وأحيانا عسير الفهم في بعض جزئياته، فاعترضتنا بدءا طريقة ضبط جزئياته وحصرها وتبويبها ،فأردنا تناول كل الآيات المتشابهات

بالدراسة حسب ما هو متضمن في كتاب "الدرة" ، يعني من سورة البقرة إلى سورة الناس فصعُب علينا الأمر، فوُجهنا لطريقة الانتقاء تفاديا للتطويل ،بأن نختار عيّنة من كل نوع ثم نُعمم الحُكم وهذا ما فعلناه في بعض المتشابهات ، ولكن بعضها الآخر قد قُمنا بذكره كليّا كمباحث الصوت والمشترك اللفظي، وذلك لقلة هذا النوع من التّوجيه عند الإسكافي، أو لأهميته كمبحث الترادف،ومن جهة أخرى إنّ تناول المتشابهات اللفظية وفهمها وتحليل طريقة توجيهها وتصنيفها يحتاج لوقت كبير وتأمل واسع ،خاصة مع وجود أكثر من مائتي شاهد في كتاب الدرة ،وموازاة مع ضغط المدة المقررة للبحث ،فهذا جعلنا في حيرة دفعتنا كما قلنا لطريقة الانتقاء والاختصار أحيانا أخرى.

- وفي الختام نحمد الله عزّ وجل أن وفقنا إلى الوصول إلى هذا المقام، والشكر موصول للمشرف الأستاذ الدكتور محمد السعيد بن سعد الذي رافقني طيلة البحث بتوجيهاته القيّمة، وصبر واحتسبَ من أجل تصويب جزئيات البحث ،والشكر موصول للأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الذين تفضلوا بقراءة هذا البحث مناقشته، وإلى كل من مدَّ لنا يدَ العون من قريب أو بعيد نسأل الله أن يجازيهم عندنا خير الجزاء.
- ونسأل الله التوفيق والسداد ،والحمد لله الهادي والموفق للعباد.

دهان سليمة

متليلي ،ولاية غارداية يوم: الجمعة 26 رمضان 1440هـ الموافق لـ 31 ماي 2019م.

تمهيـــــــد

التفسير أقسامه وأنواعه

لقد حظي القرآن الكريم منذ نزوله بالتفاف الصحابة رضوان الله عليهم ،ثم العلماء حوله لفهم نصوصه وتفسيرها ،ومن ثمة العمل بها دستورا ضمن لهم السعادة في الدارين ،والمراد بالتفسير:« العلم الذي يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الافرادية والتركيبية ومعانيها التركيبية»[1] وقد تنوعت مناهج المفسرين في فهمهم لكتاب الله تعالى وإبرازه في سورة ميسرة للمسلمين ؛وورد في الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ التفسير أربعة أقسام: حلال وحرام لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تفسره العرب بألسنتها ،وتفسير تفسره العلماء ،وتفسير لا يعلمه إلا الله ، فأما الذي تعرفه العرب بألسنتها فهو ما يرجع إلى ألسنتهم من اللغة والاعراب والشعر ،وأما ما لا يعذر أحد بجهله فهو ما تبادر للأذهان معرفة معناه من النصوص المتضمنة شرائع الأحكام ودلائل التوحيد ،وكل لفظ أفاد معنى واحدا جليا يعلم المراد منه ، وأما ما لا يعلمه إلا الله فهو ما يجري مجرى الغيب كالآيات الخاصة بالساعة والروح والحروف المقطعة ،وأما ما يعلمه العلماء ويرجع الى اجتهادهم فهو الذي يغلب عليه إطلاق التأويل ،وذلك باستنباط الأحكام وبيان المجمل وتخصيص المجمل ،وكل لفظ احتمل معنيين فصاعدا ،وهو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه ، بذلك تنوعت التفاسير فظهر بدءا التفسير المأثور ويسمى التفسير بالرواية وهو: «ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة بيانا لمراد الله تعالى من كتابه » ،وهذا النوع من التفسير هو أعلى أنواع التفاسير ،ومن التفاسير في هذا النوع: تفسير ابن كثير ،وتفسير الطبري ، ثم ظهر التفسير بالرأي وهو تفسير بالاجتهاد ،ويسمى التفسير بالدراية وينقسم إلى محمود ومذموم ،فإن كان موافقا ومستندا لما يجب الاستناد اليه بعيدا عن الجهالة فالتفسير به محمود وان كان غير ذلك كان مذموما ،ومن التفاسير المحمودة: تفسير البيضاوي، البحر المحيط للأندلسي ،والتفسير الفقهي :وهو الذي غلب عليه الجانب الفقهي وذكر الأحكام الفقهية ومنه: تفسير القرطبي جامع الأحكام ،وأحكام القرآن لابن العربي ،والتفسير اللغوي: وهو "الذي يُعنى ببيان معاني القرآن من مصادر متعددة كالقرآن والسنة وأسباب النزول وغيرها وفقا لما ورد في لغة العرب وهذا قيد يخرج ما عداه

---

[1]- أبو البقاء الكفوي ،**الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية** ،مؤسسة الرسالة،لبنان،1998،ط2 ،ص:260(مادة تفسير).

من أنواع البيان السابقة ،ومنه : مجاز القرآن لابن عبيدة، الأشباه والنظائر للسبكي ،معاني للقرآن للزجاج ، غريب القرآن لابن قتيبة وغيرها ،وهناك أنواع أخرى للتفسير باعتبار ما غلب عليه :كالتفسير التاريخي والأدبي، والنحوي، والاجتماعي، ومن التفاسير المعاصرة: التفسير التحليلي، والمقارن، والعلمي ،والموضوعي: وهو تفسير باعتبار الموضوع ،يجمع فيه المفسر الآيات المتناسبة مع موضوع ما ،و فهو علم يبحث في قضايا القرآن المتحدة المعنى[1] .

من خلال تعرفنا على مفهوم التفسير ،وأقسامه ،وأنواعه ، فهل يمكن إدراج مدونتنا " **دُرّة التنزيل وغُرّة التأويل للإسكافي**" من أنواع التفاسير؟

وإلى أي نوع منها ينتمي؟ هذا ما تحاول هذه الدراسة اثباته .

[1] – ينظر: محمد عبد العظيم الزرقاني ،**مناهل العرفان في علوم القرآن** ،مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د ب)،1943،ط3،ج 2،ص:11،10، ومساعد بن سليمان الطيّار ،**التفسير اللغوي للقرآن الكريم** ،دار ابن الجوزي، الرياض،2002،ط1 ،ص:38،39، و ناصر عبد الغفور، ملتقى أهل التفسير ، تاريخ النشر:2019/6/4،على الساعة: 15:32.

الفصل الأول:

التوجيه اللغوي

المتشابه اللفظي

الإسكافي وكتابه "الدُرّة"

يتناول هذا الفصل المفاهيم النظرية المختلفة لمفردات العنوان ؛حيث سنُعرّف بمصطلحي [التوجيه] و[المتشابه اللفظي في القرآن] ،ثم سنتعرّض [لترجمة الإسكافي وكتابه الدرة] وفق ثلاثة مباحث: يحوي المبحث الأول عرضا للمفاهيم المعجمية والاصلاحية لمصطلح(التوجيه)،ويتضمن المبحث الثاني عرضا لمفهوم المتشابه اللفظي في القرآن، أما المبحث الثالث فخصص لترجمة الإسكافي وكتابه "درة التنزيل وغرة التأويل" مدوَّنة البحث.

المبحث الأول: تعريف التوجيه

سنعرض في هذا المبحث مختلف المعاني المعجمية والاصطلاحية لمصطلح [التوجيه]

المطلب الأول: تعريف التوجيه لغة

نعرض بعض المعاني المعجمية التي يدل عليها مصطلح [التوجيه] من خلال بعض أمهات المعاجم .

- يُعد أول من استخدم مصطلح (التوجيه) مع (المتشابه اللفظي) حسب صاحب رسالة "توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم" هو الكرماني• من خلال عنوان كتابه "البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان"، ثم الغرناطي• في كتابه "ملاك التأويل القاطع لذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل"، وكلاهما علم بارز في هذا العلم لأنهما من أوائل من صنفوا في[1] .

و فيما يلي عرض لمعاني لفظ (توجيه) في بعض أمهات المعاجم:

- قال الفراهيدي(ت170هـ): « الوّجْهُ: مُستَقبَلُ كل شيء، والجهَةُ: النَّحو ،يُقال: أخذتُ جهة كذا أي نحوهُ ،توجهوا إليك يعني ولوا وجوهم إليك»[2].

• هو محمود بن حمزة بن نصر الكرماني النحوي تاج القراء وأحد العلماء الفهماء النبلاء، صاحب التصانيف والفضل، كان عجبا في دقة الفهم وحسن الاستنباط، لم يفارق وطنه ولا رحل، وكان في حدود الخمسمائة وتوفي بعدها ،ينظر ياقوت الحموي، **معجم الأدباء** ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت، 1993، ط1 ،ج6 ،ص:2686.

•هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي محدث ومؤرخ ،(ت708هـ) ،ينظر: خير الدين الزركلي ،**الأعلام** ،دار العلم للملايين ،بيروت، ط15 ،2002، ج1،ص:86.

[1]- محمد رجائي الجبالي ،**توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين أحمد الغرناطي وفاضل السامرائي** ،رسالة دكتوراه ،جامعة ملايا، كوالالمبور، 2012،ص:28.

[2]- الخليل بن أحمد الفراهيدي ،**كتاب العين** ،تح عبد الحميد هنداوي ،دار الكتب العلمية ،بيروت، 2003،ط1، ج4،ص:349،350.(مادة وجه).

-وقال الجوهري(ت 393هـ): « الوجه معروف، والجمع وجوه...وشيء موجه إذا جعل على جهة واحدة لا يختلف...ووجهته في حاجة، ووجهت وجهي لله سبحانه، وتوجهت نحوك وإليك...وأوجهه الله، أي صيره وجيها ،

وإليك...وأوجهه الله، أي صيره وجيها»[1].

- يقول ابن منظور(ت711هـ): « وقد وَجَه وَجَاهَة وأَوجَهَه: جعل له وجْها عند الناس،ووجه الشيء حقيقته والمقصود منه ،منه قولهم وجه الكلام أو الوجه من الكلام أي السبيل المقصود به، قال تعالى: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا** ﴾ ؛أي اتبع الدين القيم، وأراد فأقيموا وجوهكم، والجمع: أوجه ووجوه.....ووجوه البلد أشرافه، ووجوه القوم سادتهم...ويقال خرج القوم فوجهوا للناس الطريق توجيها إذا وطئوه وسلكوه حتى استبان أثر الطريق لمن يسلكه...ووجَّه النخلة، غرسها فأمالها قبل الشمال...والتوجيه هو الحرف التي بين التأسيس وبين القافية، فلذلك سميت الحركة قبل الروي المقيد توجيها إعلاما أن للروي **وجهين مختلفين** وذلك أنه إذا كان مقيدا فله وجه يتقدمه وإذا كان مطلقا فله وجه يتأخر عنه فجرى مجرى الثوب الموجَّه ونحوه ،قال وهذا أمثل عندي من قول من قال إنما **سمي توجيها ؛لأنه يجوز فيه وجوه من اختلاف الحركات**»[2].

- و من خلال هذا العرض يمكن القول أن مفهوم لفظة (التوجيه) لغويا هي: **بيان الوجوه التي يتجه إليها أمر ما ،هذا الأمر يحتمل في ذاته وُجوها من المعاني تختلف باختلاف الوجهة التي يسلكها الأمر.و لما ننتخب أحدها ونجعله على جهة واحدة فقد وّجهناه.**

---

[1] - إسماعيل بن حماد الجوهري ،**الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية** ،تح أحمد عبد الغفور عطار ،دار العلم للملايين ،بيروت ،1979،ط2، ج6 ،ص:2254،2255(مادة وجه).

[2]- ابن منظور ،**لسان العرب** ،دار صادر ،بيروت ،(د ت) ،(د ط)، ج13،ص:556،560(مادة وجه).

المطلب الثاني: تعريف[التوجيه] اصطلاحا:

- يُعرف الشريف الجرجاني (ت 816هـ) هذا المصطلح بمعنيين[1]:

1- إيراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين.

2- إيراد الكلام على وجه يندفع به كلام الخصم ،وقيل عبارة عن وجه ينافي كلام الخصم.

- و في ضوء هذه التعريفات نستنتج أن المعنى الأول الذي ذكره الجرجاني قد يكون مقبولا إذا حورناه وقلنا: التوجيه اصطلاحا هو إيراد الكلام محتملا أوجه مختلفة ،ولكن يبقى التعريف الثاني أقرب لمعنى "التوجيه" ؛ ويُرد ذلك لأسباب تأليف كتب توجيه المتشابه اللفظي في القرآن حسب إقرار مؤلفيها وذلك لردع الطاعنين والخصوم والمشككين في كتاب الله والملحدين ،ومثالها ما جاء في مقدمة كتاب "الدرة" للإسكافي قوله: «تدعوني دواع قوية يبعثها نظر وروِّية في الآيات المتكررة ...لطعن الجاحدين رداً ولمسلك الملحدين سدًّا»[2].

- ويرُد الكفوي (ت 1094) معنى "التوجيه" حسب البلاغيين إلى معنيين[3].

1- التوجيه هو أن يبهم المتكلم المعنيين بحيث لا يرشح أحدهما على الآخر بقرينة.

2- والتوجيه عند المتأخرين هو أن يؤلف المتكلم مفردات بعض الكلام أو جملياته ويوجهها إلى أسماء

متلائمات صفاتها اصطلاحا من أسماء أعلام أو قواعد علوم أو غير ذلك مما يتشعب له من الفنون توجيها مطابقا لمعنى اللفظ الثاني من غير اشراك حقيقي.

لعل التعريف الثاني يوافق ما يقوم به المعتنيين بتوجيه المتشابه اللفظي في القرآن نوعا ما ؛حيث أنهم يوجهون الآيات المتشابهة التي تحتمل عدة معان ودلالات إلى معنى أو قاعدة معينة حسب معطيات معينة.

- ويورد صاحب رسالة **"توجيه مشكل القراءات العشرية القرشية لغة و تفسيرا و إعرابا** " تعريفا للتوجيه بقوله: «و حقيقة التوجيه – في العلوم– هي أنه إذا وقعت صعوبة بفهم كلام ما، من قرآن أو

---

[1] –الشريف الجرجاني ،**معجم التعريفات** ،تح محمد صديق المنشاوي ،دار الفضيلة ،القاهرة،(د ت) ،(د ط)،ص:62(مادة توجيه).

[2] – الخطيب الإسكافي ،**درة التنزيل وغرَّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز**، اعتنى به خليل مأمون شيحا ،دار المعرفة ،بيروت،ط2،2012،ص:5.

[3] – أبو البقاء الكفوي ،**الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية** ،مصدر سابق ،ص:301(مادة التوجيه)

حديث أو أثر أو شعر أو غير ذلك يقف الشارح عند ذلك الكلام قد يفهم على غير الوجه الصحيح، أولا يفهم أصلا أو يفهم مع انقداح في النفس يوجب استغرابه، يقف عند ذلك الشارح، و ييسر تلك الصعوبة، ويحل كل غموض »[1].

– وقد اعتمد صاحب رسالة "**توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين أحمد الغرناطي وفاضل السامرائي**" تعريفا استقاه من التعريف السابق للحربي فقال: «أن التوجيه هو البحث في أسرار التشابه اللفظي في القرآن والوقوف على وجوه معانيه في منازله المختلفة».[2]

وهذا التعريف منطقي وشامل لأنه جمع بين التعريفات السابقة وأسقطها على المتشابه اللفظي في القرآن. ويمكن القول أن التوجيه اجمالا هو:" بيان المقصود من إيراد الآيات المتشابهة وبيان وجه الاستشهاد بها".

والمقصود بالتوجيه اللغوي :"بيان المقصود من إيراد الآيات المتشابهة، وبيان وجه الاستشهاد بها لغويا ،أي اعتمادا على لغة العرب وأساليبهم من :نحو ،وبلاغة ،وصرف...الخ.

– ومن خلال تصفح المؤلفات الأوائل التي عُنيت بتوجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم (كالدرّة ،البرهان ،ملاك التأويل..) لاحظنا أنها تعتمد عدة توجيهات: لغوية (نحوية ،صرفية ،بلاغية ،صوتية ،معجمية) – وهذا هو محور الدراسة– ،وغير لغوية(أسباب النزول ،اختلاف القراءات ،تفسير القرآن بالقرآن ،تفسير القرآن بالحديث ،ترتيب بحسب الموضع في المصحف...الخ).

---

[1]– عبد العزيز بن علي الحربي، **توجيه مشكل القراءات العشرية القرشية لغة و تفسيرا و إعرابا**، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 1996، ص:62.

[2]– محمد رجائي الجبالي ،**توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم** ،مصدر سابق ،ص:42.

المبحث الثاني: مفهوم المتشابه اللفظي

سنعرضُ في هذا المبحث بعض المفاهيم المعجمية والاصطلاحية للمتشابه اللفظي من خلال بعض المعاجم ،ثم نورد أنواعه وسبب نشأته وحركية التأليف فيه ونختم بفائدته وأنواعه كما يلي:

المطلب الأول: تعريف المتشابه اللفظي وأنواعه

1- تعريف المتشابه اللفظي لغة:

- المتشابه في اللغة: اسم فاعل مشتق من التشابه، و التشابه مصدر تَشَابَهَ يتشَابهُ من باب التفاعل بمعنى: التماثل ،والتشاكل والالتباس ،وهو مأخوذ من مادة (شبه) ،و قد ذهب أكثر اللغويين والمفسرين على عدم الفرق بين "المتشابه" و "المشتبه".

- قال الجوهري(ت393هـ): « شِبهُ و شَبَهُ لغتان بمعنى ،يقال هذا شِبهُهُ أي شَبِيهُهُ ،وبينهما شَبَهٌ بالتحريك ،والجمع مَشَابِهُ على غير قياس»[1]

- و قال ابن فارس(ت395هـ): «الشين و الباء و الهاء أصل واحد، يدل على تشابه الشيء و تشاكله لونا ووصفا والمتَشَبِّهاتُ من الأمور: المشكلات، واشتبه الأمران إذا أشكلا »[2] .

- و أضاف ابن عاشور(ت1395هـ) في تفسير الآية في قوله تعالى:﴿**وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ**﴾ [الأنعام:142]: «والتشابه والاشتباه: مترادفان، كالتساوي و الاستواء و هما مشتقان من الشبه، والجمع بينهما في الآية،، للتفنن، كراهية إعادة اللفظ، ولأن اسم التفاعل من التشابه أسعد بالوقف لما فيه من مد الصوت، بخلاف "مشتبه" و هذا من بديع الفصاحة ،والتشابه التماثل في حالة مع الاختلاف في غيرها من الأحوال ... »[3].

- وجاء في المصباح المنير: «واشتبهت الأمور وتشابهت: التبست فلم تتميز و لم تظهر و تشابهت الآيات: تساوت أيضا، .... فالمشابهة: المشاركة في معنى من المعاني، و الاشتباه الالتباس»[4].

- وورد في المعجم الوسيط: « المتشابه :النص القرآني يحتمل عدة معان»[1].

---

[1]- الجوهري ،**الصحاح** ، مصدر سابق ،ج6 ،ص:2236(مادة شبه)

[2]- ابن فارس ،**معجم مقاييس اللغة** ،تح عبد السلام محمد هارون ،دار الفكر،(د ب) ،1979،ج3،ص:243(مادة شبه).

[3]- الطاهر بن عاشور ،**التحرير و التنوير**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، (د ط) ،ج7،ص: 402.

[4] – الفيومي ،**المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، تح عبد العظيم الشناوي ، دار المعارف، القاهرة ، (د ت)، ط2، ص:115.

- وفي القرآن الكريم نجد نوعين من التشابه:

1- تشابه من جهة اللفظ ،وهوما اصطلح على تسميته بالمتشابه اللفظي"- وهو محل الدراسة-

2- تشابه من جهة المعنى ،وهذا النوع هو ما اصطلح على تسميته المتشابه المعنوي وهو قسيم المحكم.

- وكثيرا ما يخلط المتخصصون –حسب صاحب كتاب المتشابه اللفظي في القرآن الكريم – بين المتشابه اللفظي وبين المتشابه الذي هو قسيم المحكم ،فإنَّ المضاف إليه (اللفظي) ما وُضع إلا للتمييز بينه وبين ما يقابل المحكم ،فهما علمان مستقلان من مباحث علوم القرآن ،وقد أشكل تفسير المتشابه الذي يقابل المحكم ،وخفيت دلالته ،على حين يمكن إدراك الحكم الكامنة وراء المتشابه اللفظي ،ويمكن تتبع دلالته وتوجيه معناه[2]

- ولم تخل كتب التفسير ولا المعاجم من تعريف هذا النوع من المتشابه (قسيم المحكم)،وأدلى كل مفسر ولغوي بدلوه في هذا واختلفت المفاهيم والتفسيرات ،وننتخب منها مفهوما لابن منظور بقوله : « وفي التنزيل:﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**﴾ **آل** عمران:7] ،قيل معناه يشبه بعضها بعضا، واختلف المفسرون في تفسير " **مُتَشَابِهَاتٌ** " فعن ابن عباس :المتشابهات ألم ،ألر وما اشتبه على اليهود من هذه ونحوها ، وروى الضحاك أنه قال المحكمات مالم ينسخ والمتشابهات ما قد نسخ ،وقال غيره المتشابهات هي الآيات التي نزلت في ذكر القيامة والبعث ،وقال المفسرون في تفسير قوله تعالى:﴿ **وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا**﴾ [البقرة:25]يشبه بعضه بعضا في الصورة ويختلف في الطعم.. »[3] .

- وأضاف الزركشي(ت794هـ) مفهوما مختلفا للمتشابه بقوله: «..وكذلك سياق معاني القرآن العزيز قد تتقارب المعاني ويتقدم الخطاب بعضه على بعض ويتأخر بعضه عن بعض لحكمة الله في ترتيب الخطاب والوجود ،فتشتبك المعاني وتشكل إلا على أولي الألباب ،فيقال في هذا الفن متشابه بعضه ببعض ،وأما

---

[1]- مجمع اللغة العربية ،**المعجم الوسيط** ، مكتبة الشروق الدولية ،مصر ،2004 ،ط4،ص:471 ،(مادة متشابه).

[2]- مشهور مشاهر ة ،**المتشابه اللفظي في القرآن الكريم** دراسة نقدية بلاغية ،عالم الكتب الحديث ،الأردن ،2010 ،ط1،ص:9.

[3] – ابن منظور ،**لسان العرب** ،مصدر سابق ،ج13،ص:504(مادة شبه).

المتشابه في القرآن العزيز فهو يشابه بعضه ببعض في الحق والصدق والإعجاز والبشارة والنذارة وكل ما جاء به وأنه من عند الله سبحانه»[1].

– وعرض الزرقاني(ت 1948م) مختلف مفاهيم المحكم والمتشابه عند المفسرين منتخبا منها تعريف الرازي بقوله: « المحكم ما كانت دلالته راجحة وهو النص والظاهر ،أما المتشابه فما كانت دلالته غير راجحة وهو المجمل والمؤول والمشكل »[2].

– نخلص من خلال بعد هذا العرض لمادة [شبه] في كتب اللغة إلى أن هذا اللفظ يخص معنيين أساسيين:

أولا: التماثل والتساوي.

ثانيا: الالتباس والخلط وعدم الوضوح بسبب التشابه.

وهما معنيان متكاملان حيث أن التشابه في القرآن الكريم يتضمن التماثل بين موضوعاته وألفاظه ،وهذا التماثل يحدث نوعا من الالتباس والتداخل بداية ،ثم لما يوجه تفهم الحكمة والقصد من وراء هذا التماثل.

– تعريف المتشابه اللفظي اصطلاحا:

إنَّ المتتبع لكتب التفسير والمعاجم يلاحظ استفاضتها في تعريف المحكم والمتشابه في القرآن كما أسلفنا ذلك وإغفالها بالمقابل تعريف المتشابه اللفظي إلا قليلا – المؤلفات التي عنيت بتوجيه المتشابه اللفظي خاصة – وسنعرض بعض من هذه المفاهيم مبتدئين بالإسكافي (ت420هـ) الذي يُعد عرَّف المتشابه اللفظي بحكم كونه المنظر الأول لعلم توجيه المتشابه اللفظي وذلك بقوله في مقدمة كتابه الدرة: «...تدعوني دواع قوية يبعثها نظر وروِّية في الآيات المتكررة بالكلمات المتفقة والمختلفة وحروفها المتشابهة المتعلقة والمنحرفة تطلبا لعلامات ترفع لبس إشكالها وتخص الكلمة بآياتها دون إشكالها...»[3] .

---

[1]– بدر الدين الزركشي ،**البرهان في علوم القرآن** ،تح أبي الفضل الدمياطي ،دار الحديث ،القاهرة ،(د ط) ،2006 ،ص:371.

[2]– محمد عبد العظيم الزرقاني ،**مناهل العرفان في علوم القرآن** ،تح فوَّاز أحمد زمرلي ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،1995،ط1، ج2،ص:216،217.

[3]– الإسكافي، **الدرة**، ص:5.

– ثم تلاه الكرماني مستفيضا في مقدمة كتابه البرهان: «...فإنَّ هذا الكتاب أذكر فيه الآيات المتشابهات التي

تكررت في القرآن وألفاظها متفقة ،ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان ،أو تقديم أو تأخير ،أو إبدال حرف مكان حرف ،أو غير ذلك مما يوجب اختلافا بين الآيتين أو الآيات التي تكررت من غير زيادة و نقصان...»[1].

– ووافق الغرناطي(ت 708 هـ) ما ذهب إليه الكرماني في مقدمة كتابه ملاك التأويل بقوله في معرض سرده لدواعي تأليفه: « ..من مغفلات مصنفي أئمتنا توجيه ما تكرر من آياته لفظا أو اختلف بتقديم أو تأخير وبعض زيادة في التعبير»[2].

– من العلماء الذين تعرضوا لتعريف المتشابه اللفظي كذلك: ابن المنادي(ت636هـ)؛ حيث عرفه في معرض حديثه عن "علة المستزيدين لحفظ القرآن بحفظ المتشابه" ،وبعدما أشار للأنواع المرجوة منافعها في تقوية الحفظ والمجربة منافعها أضاف قائلا: « ... ولم يبق إلا النوع الذي استحدثه فريق من القراء، و لقبوه " المتشابه" و إنما حملهم على وصفهم إياه للمقرأة ردا من سوء الحفظ، وحداهم كون القرآن ذا القصص، وتقديم و تأخير كثير ترداد أنبائه و مواعظه، و تكرار أخبار من سلف من الأنبياء و المهلكين الأشقياء يأتي بعضه بكلام متساوي الأبنية و المعاني على تفريق ذلك في أي القرآن و سوره، قد يجيء حرف من غير هذا الضرب، فيأتي بالواو مرة، و بالفاء مرة، و آخر يأتي بالإدغام تارة، و بالتبيان تارة، و أسماء متماثلة فاستحبوا أن يجمعوا من حروف متشابه القرآن ما إذا حفظ منع من الغلط ،لما وصفنا من قبل ،وقد سبقوا إلى هذه التسمية في غير هذا المعنى»[3]

– لقد أفرد الزركشي (ت 794هـ) لعلم المتشابه بابا في كتابه "البرهان" وعرفه بأنه: « إيراد القصة الواحدة في صور شتى و فواصل مختلفة ،ويكثر في إيراد القصص والأنباء وحكمته التصرف في الكلام وإتيانه على ضروب ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك مبتدأ به متكررا وأكثر أحكامه تثبت من وجهين فلهذا جاء باعتبارين»[4]

[1]– محمود بن حمزة الكرماني ،**أسرار التكرار في القرآن** ،تح عبد القادر أحمد عطا ،دار بوسلامة ،تونس ،1983،ط1،ص:17.

[2]– ابن الزبير الغرناطي ،**ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل** ،تعليق عبد الغني محمد علي الفاسي ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،(د ت) ،(د ط) ،ص:8.

[3] – ابن المنادي، **متشابه القرآن العظيم** ،تح عبد الله بن محمد الغنيمان ،مكتبة لينة ،مصر ،1993، (د ط) ،ص:59.

[4]– الزركشي ،**البرهان في علوم القرآن** ،مصدر سابق ،ص:87.

- وأضاف السيوطي(ت 911هـ) على تعريف الزركشي مفصّلا: «القصد به إيراد القصة الواحدة في سور شتى وفواصل مختلفة بأن يأتي في موضع واحد مقدما وفي آخر مؤخرا كقوله تعالى:﴿ **وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ**﴾[البقرة:58] ،وفي الأعراف:﴿**وَقُولُواحِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا**﴾ [الأعراف:161]

أو في موضع بالزيادة وفي آخر بدونها وفي البقرة:﴿ **وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ** ﴾ [البقرة:193] ،وفي الأنفال :

﴿**وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**﴾ [الأنفال:39] ،أو في موضع معرفا وفي آخر منكرا ؛أو مفردا وفي آخر جمعا ؛أو بحرف وفي آخر بحرف آخر ،أو مدغما وفي آخر مفككا وهذا النوع يتداخل مع نوع المناسبات»[1]

- و قد اعتمد الكفوي تعريف السيوطي نفسه وأدرجه في كتابه في معرض تعريفه للمتشابه والمحكم [2]

و المراد من القصة ليس المعنى المشهور للقصة القرآنية، كقصة موسى عليه السلام بل المراد بالقصة هو: الأمر و الموضوع مطلقا، سواء ورد أثناء قصة قرآنية أو غيرها، والدليل على ذلك أن الأمثلة التي ذكروها منها ما يوجد في هذا القصص القرآني.

- لقد استدرك المتأخرون التعريفات السابقة وأضافوا فيها وفصّلوا لما لاحظوا اقتصار تعريفات المتقدمين على جزء أو أجزا فقط من المتشابه اللفظي ،فحاولوا وضع تعريفات شاملة ؛فجاءت هذه التعريفات متشابهة تمتاز عن بعضها بشيء من التفصيل والتصنيف ،نختار منها ثلاثة تعريفات :

1- يقول صاحب رسالة "المتشابه اللفظي في القرآن":« المراد به الآيات التي تكررت في القرآن في القصة الواحدة من قصص القرآن أو موضوعاته في ألفاظ متشابهة ؛وصور متعددة ؛وفواصل شتى ؛وأساليب متنوعة تقديما وتأخيرا ؛وذكرا وحذفا ؛وتعريفا وتنكيرا ؛وإفرادا وجمعا ؛وإيجازا وإطنابا ؛وإبدال حرف بحرف آخر ،أو كلمة بكلمة أخرى ؛ونحو ذلك مع اتفاق المعنى العام لغرض بلاغي ،أو لمعنى دقيق يراد تقريره»[3].

---

[1]- جلال الدين السيوطي ،**الإتقان في علوم القرآن** ،تح مركز الدراسات القرآنية ،وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد ،السعودية،(د ط) ،ج5 ،2004 ،ص: 1866 (بتصرف).

[2] - ينظر: الكفوي ،**معجم الكليات** ،مصدر سابق ،ص:845.

[3]- صالح الشثري ،**المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية** ،رسالة دكتوراه ،إشراف محمد محمد أبو موسى ،جامعة أم القرى ،كلية اللغة العربية ،قسم الدراسات العليا ،السعودية ،2001،ص:8.

2- ويضيف صاحب كتاب "المتشابه اللفظي في القرآن الكريم" مصنفا أنواع المتشابه اللفظي المذكورة سابقا حسب نوعها اللغوي: «أنَّ كل لبس أو إشكال معتبر يكون مرده إلى المفردة القرآنية سواء أكانت تلك المفردة فعلا أو اسما أو حرفا مما يحسن السكوت عليه أو لا يحسن ،وسواء أكان معادا مكررا أم غير معاد – وإن كان المعاد أكثر- آية أو جزء إنما هو من المتشابه اللفظي»[1].

3- استخلص الجبالي تعريفا موجزا استقاه من تعريفات من سبقوه ولعله يكون أشمل: «المتشابه اللفظي هو تكرار اللفظ في الآية أو في السورة أو في سور شتى دون تكرار المعنى ،وقد يتطابق المتشابه اللفظي في المبنى لكنه يختلف في المعنى والغرض»[2].

من خلال استقرائنا لكل التعريفات المذكورة سابقا لاحظنا أنها تتفق وتختلف في عدة نقاط نوجزها في هذا الجدول:

اتفـاق		اختـلاف	
تكرار مجمل	تكرار مفرد	المعنى	الغرض
آية ،آيات ،سورة سور	**حرف ،كلمة ،كلمات ،جزء**	**العـام**	**البلاغي ،الحكمة**

الجدول يوضح عدد المفردات التي تكررت في تعريف المتشابه اللفظي في القرآن

[1]- مشهور مشاهرة ،**المتشابه اللفظي في القرآن الكريم** ،مصدر سابق ،ص:8.

[2] – محمد رجائي الجبالي ،**توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين** ،مصدر سابق ،ص:48.

مما سبق يمكن القول بأن المقصود بالتوجيه اللغوي للمتشابه اللفظي في القرآن الكريم :**هو بيان المقصود من إيراد الآيات المتشابهة في القرآن الكريم التي تتطابق في الشكل وتختلف في المعنى والحكمة ؛اعتمادا على مستواها النحوي أو الصرفي أو البلاغي ....الخ.**

3- أنواع المتشابه اللفظي في القرآن :

حاول العلماء الأوائل وضع أنواع للمتشابه اللفظي ،وقسموها حسب ورودها في القرآن الكريم ،ويُعد ابن المنادي (ت 636هـ) من أوائل المهتمين بوضع أقساما لهذا العلم وتبويبها في كتابه "متشابه القرآن" ،وقد أشار إلى أنه استوحى هذا التقسيم من تأليف أحد المتقدمين من أهل القراءة ،ولكن لم يعرف واضعه ،وقد أضاف إليه ما وصله كذلك من المعتنيين الأوائل ،فقال: « رأيتُ أن أخلط بعض كتبهم ببعض ،واستل منها لبابها ،فأقسمه تسعة أقسام مزدوجة وغير مزدوجة ،ذاك أبواب لم نحذف منها شيئا سوى نقلها من أماكنها» و قد قسم المتشابه اللفظي في كتابه إلى قسمين:

القسم الأول: وسماه الأبوابي ، وذكر تحت هذا النوع تسعة أقسام ،و أوصل أبواب هذا النوع من المتشابه إلى خمسين بابا، والمتفرعة عشرين بابا فأكثر ، ،ومثال هذه الأبواب:

- متشابه إعراب حروف القرآن
- متشابه غريب حروف القرآن ومعانيه
- متشابه تأويل القرآن
- متشابه خطوط المصاحف الأول
- متشابه حروف القرآن المجموعة للإذكار من النسيان

القسم الثاني: وسماه النوع السوري، فقد ذكر فيه الآيات التي تغاير فيها أبنية الكلام و القصص وترتيبها في التقديم والتأخير والايجاز والتأكيد ،وقسمها إلى ستة وأربعين قسما ومثالها قوله :سياق ما في سورة البقرة من ذلك...الخ[1].

و عُنيَّ أيضا بذكر أنواع هذا اللون من المتشابه بعض العلماء الذين صنفوا في علوم القرآن، فلقد قسمه ابن الجوزي(ت 597هـ) في كتابه "المدهش" في باب" عيون المتشابه"، إلى ثلاثة أقسام :

1- فصل في الحروف المبدلات.

---

[1]- ابن المنادي، **متشابه القرآن العظيم** ،مصدر سابق ،ص:59،63 ،وص:158،162(بتصرف).

2- فصل في الحروف الزوائد والنواقص.

3- فصل في المقدم والمؤخر[1]

ثم تناول هذا الموضوع الزركشي وبيّن ما يتعلق به في خمسة عشر فصلا، وجعل الفصل الأول منها: " المتشابه باعتبار الأفراد" والفصل الأخير "ما جاء على ثلاثة وعشرين حرفا" وقسّم الفصل الأول إلى ثمانية أقسام[1]:

الأول: أن يكون في موضع على نظم، و في آخر على عكسه وهو يشبه رد العجز على الصدر ووقع في القرآن منه كثير، كقول تعالى:﴿ **قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى** ﴾[البقرة: 120]، [الأنعام:71]، وقوله عز وجل:﴿**قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ** ﴾ [آل عمران: 72].

الثاني: ما يشتبه بالزيادة والنقصان، ومثاله في سورة [البقرة:38]: ﴿ **فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ** ﴾ وفي[طه: 123]:﴿ **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ** ﴾.

الثالث: التقديم والتأخير، وهو قريب من الأول، و منه في [البقرة: 129]: ﴿**يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ** ﴾ مؤخر، وما سواه:﴿ **وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ.** ....﴾ [الجمعة: 2].

الرابع: بالتعريف والتنكير، ومنه في سورة [البقرة: 126] قوله تعالى:﴿ **هَذَا بَلَدًا آمِنًا**﴾ في سورة [إبراهيم:35]، قوله تعالى:﴿ **هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا** ﴾.

الخامس: بالجمع و الإفراد، كقوله تعالى في سورة [البقرة: 80]: ﴿ **لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً** ﴾ وفي [آل عمران: 24]: ﴿**لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ**﴾.

السادس: بإبدال حرف بحرف غيره، كقوله تعالى في سورة [البقرة: 58]: ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا** ...﴾ بالفاء ،و في سورة [الأعراف:161] :﴿ **وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا** ﴾ بالواو.

السابع: بإبدال كلمة بأخرى، ومنه قوله تعالى في سورة [البقرة: 170]: ﴿ **مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا** ﴾، وفي سورة [لقمان:21]: ﴿**مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا**﴾.

[1]- ابن الجوزي ،**المدهش** ،تح مروان قباني ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،2005،ط2،ص:18،22.

الثامن: بالإدغام و تركه، و منه قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ** ﴾ [النساء: 115].و في سورة [الحشر: 4]: ﴿ **وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ** ﴾[1].

و هذه الأنواع الثمانية التي ذكرها الزركشي من مجمل الأنواع التي اشتملت عليها الكتب المؤلفة في توجيه الآيات المتكررة و المشتبهة في كتاب الله العزيز.

- أما الفصل الثاني وهو ما جاء على حرفين ،ويقسم إلى أربعة عشر نوعا ويمكن تلخيصها مع بعض الشواهد في الجدول التالي:

النـوع	الشاهـد	الموضـع(السورة)
حرفين	**"لعلكم تتفكرون"**	**موضعين في سورة البقرة**
ثلاثة أحرف	**أولم يسيروا في الأرض**	**الروم ،فاطر ،غافر**
أربعة أحرف	**ملك السموات والأرض وما بينهما**	**المائدة(موضعين)،ص ،الزخرف**
خمسة أحرف	**حكيم عليم**	**الأنفال(موضعين)،الحج ،النور ،سبأ**
ستة أحرف	**إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون**	**الأنعام ،النحل ،النمل ،العنكبوت ،الروم، الزمر**
سبعة أحرف	**لعلهم يتذكرون**	**البقرة ،إبراهيم ،القصص(3) ،الزمر ،الدخان**
ثمانية أحرف	**النفع قبل الضر**	**الأنعام ،الأعراف ،يونس ،الرعد ،الأنبياء ،الفرقان ،الشعراء ،سبأ**
تسعة أحرف	**مَن في السموات والأرض**	**آل عمران ،الرعد ،الاسراء ،مريم ،الأنبياء ،النور ،النمل ،الروم ،الرحمان**
عشرة أحرف	**أنْ لاَّ**	**الأعراف(2)،التوبة ،هود(2) ،الحج ،يس ،الدخان ،الممتحنة ،القلم**
أحد عشر حرفا	**جنات عدن**	**التوبة ،الرعد ،النحل ،الكهف ،مريم ،طه ،فاطر ،ص ،غافر**

[1]- الزركشي ،**البرهان في علوم القرآن** ،مصدر سابق ،ص:109،87(بتصرف)

		،الصف ،البينة
خمسة عشر حرفا	السماء والأرض	البقرة،الأعراف،يونس،الأنبياء(2)،الحج،النمل(2)،الروم،سبأ، فاطر،ص،الدخان،الذاريات،الحديد،
ثمانية عشر حرفا	أك ،تك ،يك ،تك	النساء،الأنفال،التوبة،هود(2)،النحل(2)،مريم(3)،لقمان،غافر (4)،المدثر(2)،القيامة
عشرين حرفا	إن في ذلك لآية	البقرة ،آل عمران ،هود ،الحجر ،النحل(5)،الشعراء(8) ،النمل ،العنكبوت ،سبأ
ثلاثة وعشرون حرفا	نزّل ،نزل	البقرة،آلعمران،النساء(2)،الأنعام،الأعراف(2)،الحجر،النحل،الاسراء،الفرقان(3)،الشعراء،العنكبوت،الصافات،الزمر،الزخرف (2)،محمد(2)،الحديد،الملك

الجدول يلخص القسم الثاني من أقسام المتشابه اللفظي حسب الزركشي.

المطلب الثاني: نشأته ،حركية التأليف فيه ،فائدته وأغراضه

1- نشأة علم المتشابه اللفظي:

في سبب نشأة هذا العلم يقول "ابن المنادي"- بعد ذكره الأمور التي تكون سببا في تقوية حفظ الحافظ-: «ولم يبق إلا النوع الذي استحدثه فريق من القراء، و لقبوه" المتشابه" و إنما حملهم على وصفهم إياه للمقرأة ردا من سوء الحفظ، وحداهم كون القرآن ذا القصص، وتقديم و تأخير كثير ترداد أنبائه و مواعظه، و تكرار أخبار من سلف من الأنبياء و المهلكين الأشقياء يأتي بعضه بكلام متساوي الأبنية و المعاني على تفريق ذلك في أي القرآن و سوره، قد يجيء حرف من غير هذا الضرب، فيأتي بالواو مرة، و بالفاء مرة، و آخر يأتي بالإدغام تارة، و بالتبيان تارة، و أسماء متماثلة فاستحبوا أن يجمعوا من حروف متشابه القرآن ما إذا حفظ منع من الغلط »[1].

- نستنتج أن السبب الرئيس في نشأة هذا العلم و الاهتمام به هو تسيير إتقان حفظ ألفاظ القرآن من خلال جمع الآيات المتشابهات و لإعانة القراء و الحفّاظ من الوقوع في الغلط.

---

[1]- ابن المنادي ،**متشابه القرآن العظيم** ،مصدر سابق،ص:59.

أما بالنسبة لنشأته فإن القول على سبيل الجزم و القطع ببداية محددة لهذا الفن ليس بأمر هين، لعدم وجود أخبار قاطعة بذلك، لكن هذا النوع من المتشابه تدرج كالتالي:

- ذكر ابن المنادي روايات تدل على الاهتمام بالمتشابه اللفظي منذ عصر الصحابة ، منها: رواية من حديث القاسم بن عبد الرحمان عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم: «اسم الله الأعظم – الذي إذا دعي به أجاب– في ثلاث سور من القرآن: في البقرة ،وآل عمران ،وطه» ،قال القاسم: طلبت هذا الاسم فوجدته في آية الكرسي﴿... **الْحَيُّ الْقَيُّومُ**... ﴾[البقرة:255]،وفي فاتحة آل عمران: ﴿... **الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾[آل عمران:2]، وفي طه:﴿ **وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ**... ﴾[طه:111].

ومنها رواية من حديث علقمة بن قيس والأسود بن يزيد عن ابن مسعود إني لأعلم آيتين من كتاب الله لا يقرأهما عبد عند ذنب يصيبه ،ثم يستغفر منه إلا غفر له ،فقيل :أي آيتين هما؟ فلم يخبرهم ،قال علقمة والأسود ففتحنا المصحف ،فإذا الآية الأولى في سورة النساء:﴿ **وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا** ﴾[النساء:110] ،والآية الآخرة في آل عمران: ﴿ ...**وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (135) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ**...﴾[آل عمران:135،136] ،فأخبرنا بهما ابن مسعود فقال هاتان" .

- ومنها رواية من حديث عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال:" لم يسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلا عن ثلاث عشرة مسألة ...ثم ذكر الرواية بطولها"[1]

- ونشأ محدودا ميسرا يتداوله القراء، تيسيرا لحفظ ألفاظ القرآن المتشابهة و صيانة لها من الغلط، ثم بدأ فيه التأليف بما وضعه بعض القراء لإرشاد الذين يحفظون كتاب الله؛ حيث إنّ أول من أفرد المتشابهات بالتأليف حسب" ابن المنادي" هو "موسى الفرّاء" إمام أهل الكوفة في القرآن، وقد ألف "خلف بن هشام" كتابا سماه "متشابه القرآن" كذلك ، ثم ناوله أبو إسحاق إبراهيم بن عبدان المقرئ المعروف" بالخباز" كتابا ذكر أنه أخذه عن بعض مشايخ القراء المتقدمين ،و يرى أنه أقرب إلى كتاب "خلف بن

---

1 – ينظر: ابن المنادي ،**متشابه القرآن العظيم**،ص:63،64 ،وعبد القيوم بن عبد الغفور السندي ،**منظومتان في متشابه القرآن ،هداية المرتاب للإمام السخاوي وكفاية القارئ للإمام الحارثي التثوي** ،مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ،العدد 32،الجزء 17 ،1425هـ،ص:427،428 (بتصرف).

هشام" ثم دفع إليه "أبو موسى الزرقي" كتابا قد اشتراه من بعض قراء مصر بمصر ،وكل هؤلاء صورة تصنيفهم لذلك واحد إلا أنّ "خلفا وصاحب بن عبدان" أكثرهم أبوابا[1].

– تعرض "الزركشي" كذلك للأوائل المصنفين في المتشابهات بقوله:" وصنف فيه جماعة ونظمه السخاوي وصنف في توجيهه "الكرماني كتاب البرهان" و"الرازي كتاب درة التأويل" و"أبو جعفر بن الزبير" هو أبسطها في مجلدين[2]

– ولكن "السيوطي" يرى بأن "الكسائي" هو أول من ألف في هذا بقوله:« أفرده بالتصنيف خلق أولهم فيما أحسب "الكسائي" ونظمه "السخاوي" وألف في توجيهه "الكرماني" كتابه "البرهان في متشابه القرآن" ،وأحسن منه "درة التنزيل وغرة التأويل لأبي عبد الله الرازي" ،وأحسن من هذا "ملاك التأويل لأبي جعفر بن الزبير" وللقاضي "بدر الدين بن جماعة" في ذلك كتاب لطيف سماه" كشف المعاني عن متشابه المثاني" وفي كتابي "أسرار التنزيل المسمى قطف الأزهار في كشف الأسرار من ذلك الجم الغفير»[3].

نلاحظ اختلاف العلماء بين الكسائي والفرّاء والسخاوي في أولية التأليف ،ولكن منهجية التأليف اختلفت فكانت في البداية عبارة عن جمع وحصر للمتشابهات فقط، ثم انتهجت طريقة أخرى في تصنيف الآيات المتشابهة تعد تطورا كبيرا لهذا الفن وتعتمد على حصر المتشابهات على أساس كل سورة بحسب ورودها في المصحف ،وقد وظف "ابن المنادي" هذه الطريقة ،فقال: «نذكر ما في النوع السوري من تغاير في أبنية الكلام والقصص و ترتيبها في التقديم و التأخير، و الإيجاز، و التأكيد... »[4].

– ثم تطور التأليف فيه؛ حيث بدأ العلماء بذكر مواضع التشابه مع توجيهها و بيان أسرار تكرارها و تشابهها، والحكمة في اختصاص كل آية بما جاء فيها مختلفا عن الآية المشابهة لها، و من هنا انتقل هذا العلم إلى مرحلة من أجلّ مراحل العلم، و هي مرحلة توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم ،و بيان أسراره العلمية، وما فيه من وجوه الإعجاز. والتأليف في توجيه المتشابه اللفظي أخذ طريقتين:

إحداهما : توجيه مدرج في ثنايا كتب التفسير و علوم القرآن و الإعراب و غير ذلك ؛حيث يذكره المؤلف عند مناسبته، و لا يفرده بالبحث.

---

[1]– ابن المنادي ،**متشابه القرآن العظيم**، ،ص:61،62(بتصرف).

[2]– الزركشي ،**البرهان في علوم القرآن** ،مصدر سابق ،ص:87.

[3]– السيوطي، **الاتقان في علوم القرآن** ، ج5 ،مصدر سابق ،ص:1865.

[4]– ابن المنادي ،**متشابه القرآن العظيم** ،مصدر سابق،ص:161.

ثانيهما: توجيه مفرد بالتأليف، مستقل في كتب خاصة به، و الذين سلكوا هذا النوع من التأليف في متشابه القرآن اتخذوا محورا خاصا من حيث كيفية تناوله، ومن حيث معالجته.

2- حركية التأليف في المتشابه اللفظي:

هناك نوعان من التأليف في علم متشابه القرآن الكريم[1]، و هما:

أ- جمع الآيات المتشابهات لفظا.

ب- توجيه الآيات المتشابهات لفظا.

أولا: الكتب التي جمعت الآيات المتشابهات لفظا، و ذلك بإحصاء الآيات المتشابهة في القرآن لغرض محدد و قريب، و هو إعانة حافظ القرآن على تذكر الفروق بين الآيات المتشابهة[2]، ومن أبرز المؤلفات نذكر:

- كتاب نافع بن عبد الرحمان، و هو أحد القراء السبعة (ت169هـ).
- متشابه القرآن لأبي الحسن علي بن حمزة الكسائي، و هو أحد القراء السبعة (ت 189هـ).
- كتب محمود بن الحسن.
- كتاب خلف بن هشام الأزدي، و هو أحد القراء العشرة (ت 229هـ).
- كتاب القطيعي.
- كتاب حمزة بن حبيب الزيات (ت158هـ).
- كتاب علي بن القاسم الرشيدي.
- كتاب جعفر بن حرب المعتزلي (ت 236هـ).
- كتاب مقاتل بن سليمان البلخي (ت 117هـ).
- كتاب أبي علي الجبائي (ت303هـ).
- كتاب أبي هذيل العلاف.
- متشابه القرآن العظيم، تأليف أبي حسين أحمد بن جعفر بن أبي داود المنادي (ت 336هـ)، إذ يعتبر كتابه مرحلة أساسية في تحديد هذا العلم و تقعيده.

---

[1]- ينظر: سامي بن عبد العزيز العجلان، **الوحدة السياقية للسورة في الدراسات القرآنية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين دراسة بلاغية في التراث العربي**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية ،2009،ط1،ص:424و ابن النديم ،**الفهرست** ،دار احياء التراث بيروت،(د ط)،(د ت)،ص:55.

- مجالس ابن الجوزي في المتشابه من الآيات القرآنية.

- هداية المرتاب و غاية الحفاظ و الطلاب في معرفة متشابهات كلام رب الأرباب تأليف شيخ القراء – نور الدين علي بن عبد الله السخاوي الشافعي (ت 643هـ) (منظومة) و قد قام بشرحها الأستاذ – القارئ محمد نجيب الشهير بالآلا، و سماه"كشف الحجاب عن هداية المرتاب".

- بغية المريد في حفظ القرآن المجيد؛ تأليف السيد عمر السمهودي المدني.

- متشابه القرآن على حروف المعجم لمحمد بن أحمد بن أبي بكر الخزرجي القرطي (ت 671هـ).

- التبيان في متشابهات القرآن، تأليف جلال الدين السيوطي (ت 915هـ).

-المشكل و المتشابه من آيات القرآن (منظومة).

- إرشاد الرحمان لأسباب النزول والنسخ و المتشابه و تجويد القرآن للعلامة عطية بن الأجهوري الشافعي (ت 1194هـ).

- منظومة في متشابهات القرآن، للعلامة محمد الخضري الدمياطي (ت 1287هـ).

- كنز المتشابهات، تأليف محمد محبوب.

- متشابه التنزيل (منظومة).

- تيسير الوهاب المنان على توضيح متشابه القرآن، تأليف محمد بن أنبوجا التيثي،و هو شرح محمد أحمد الأسود الشنقيطي.

- مثاني الآيات المتشابهات الكاملات، تأليف عبد الرزاق بن أحمد الشاحذي اليماني جعله مؤلفه لحفاظ كتاب الله عز و جل، و رتبه على ترتيب السور.

- سلسلة ضبط المتشابهات في القرآن الكريم، جمع و ترتيب محمد بن عبد الله الصغير.

- التوضيح و البيان في تكرار و تشابه أي القرآن، تأليف عبد الغفور عبد الكريم

ثانيا: توجيه الآيات المتشابهة في القرآن بتمييز ما بينها من فروق و تعليل هذه الفروق من خلال السياق الخاص بكل آية ؛لغرض الكشف عن الإيجاز البلاغي للقرآن الكريم.

و أهم المؤلفات[1]:

1- درة التنزيل و غرة التأويل لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب (ت420هـ).

---

[1] – ينظر: الإسكافي، **درة التنزيل وغرة التأويل** ،تح مصطفى آيدين، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى ،كلية الدعوة وأصول الدين ،قسم الكتاب والسنة، السعودية ،2001،ص:79 ،و عبد القيوم بن عبد الغفور السندي ،**منظومتان في متشابه القرآن** ،مصدر سابق،ص: 429،432.

2- البرهان في متشابه القرآن الإمام محمود بن حمزة الكرماني (ت 505هـ).

3- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد و التعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل لابن الزبير الغرناطي (ت 708هـ).

4- كشف المعاني في المتشابه من المثاني، تأليف شيخ الاسلام بدر الدين بن جماعة (ت 733هـ)

5- قطف الأزهار في كشف الأسرار للإمام جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)

6- فتح الرحمان بكشف ما يلتبس في القرآن، تأليف شيخ الإسلام أبي زكرياء الأنصاري(ت 926هـ).

- كما اهتم كثير من المعاصرين بهذا الجانب من جمع وحصر وترتيب الآيات المتشابهات، و ألفوا فيها مؤلفات جيدة ،ومنم:[1]

1-إتحاف أهل العرفان بالمفردات من آي القرآن،لمحمد نور أحمد أبو الخير ميرداد .

2-الإيقاظ لتذكير الحفاظ بالآيات المتشابهة بالألفاظ لأبي محمد جمال بن عبد الرحمان إسماعيل .

3- تنبيه الحفاظ للآيات المتشابهة الألفاظ، تأليف محمد بن العزيز المسند(رسالة صغيرة الحجم)

4- التوضيح و البيان في تكرار و تشابه آي القرآن تأليف عبد الغفور بن عبد الكريم عبيد البنجابي.

5- دليل الآيات متشابه الألفاظ في كتاب الله العزيز، تأليف سراج صالح ملائكة .

6- دليل الحيران في الكشف عن القرآن، للحاج صالح ناظم.

7- سبيل التثبت و اليقين لحفاظ آيات الذكر الحكيم،لعبد الحميد رسمي صفي الدين.

8- فتح الرحمان لطالب آيات القرآن، لفيض الله الحسيني المقدسي.

3- أهميته وأغراضه:

ترجع أهمية[2] هذا العلم إلى تأصيل الدراسات القرآنية و العلمية، إذ إن علم المتشابه اللفظي في القرآن قسم قائم بذاته ؛و هو من الأنواع التي اشتمل عليه القرآن في بيان أنه وحي، كما أنه يظهر إعجاز

---

[1]- عبد القيوم بن عبد الغفور السندي ،**منظومتان في متشابه القرآن**،مرجع سابق،ص:**432،429**.

[2]- ينظر: فهد بن شتوي، **دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام دراسة نظرية تطبيقية**، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 2005م، ص:131 ،و تهاني بنت سالم، **أثر دلالة السياق في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني دراسة نظرية تطبيقية على آيات قصص نوح و هود و صالح و شعيب عليهم السلام**، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، الرياض، السعودية، 2007، ص:34، و ص : 88،76 ،ومشهور مشاهرة **المتشابه اللفظي في القرآن الكريم** ،مرجع سابق،ص:11،9.

القرآن ببلاغته النافذة التي عجز عنها أرباب البلاغة دالا بذلك على صدق نبوة نبينا محمد صلى الله عيه و سلم القائل:« ما من الأنبياء نبيّ إلا أُعطي ما مثله آمن عليه البشر و إنّما كان الذي أوتيتُ وحيًا أوحاهُ الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة»[1] ، كما ترجع أهميته أيضا إلى أهمية نشأته، حيث إنه أنشئ حفاظا على القرآن الكريم من أن يقع اللحن في كلماته، و تيسيرا لحفظة كتاب الله عز وجل.

كما أنه ضرب من التفسير لكلام الله، فهو بهذا يكتسب أهميته كما يكتسب التفسير أهميته ؛كما تتجلى أهميته في صعوبة مأخذه و بيان ذلك أنه يكون للمتشابه في أحايين نظر خاص في تطبيق قواعد العلم؛ لأن المتشابه يحتم على دارسه النظر في الشيء و عكسه في المعاني المتفقة لا المتضادة، و هذا مكمن الصعوبة، و مثال ذلك: من أنواع المتشابه: التشابه بالتقديم و التأخير، و باب التقديم باب مهم في دراسة المتشابه اللفظي وذلك من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: هو أن الدارس للمتشابه اللفظي سيقابله سؤال ملح: وهو لماذا هذا الاختلاف الظاهر في تقديم بعض الألفاظ على بعض، ثم يعكس هذا الترتيب في موضع آخر، والآيات موضوعها واحد؟.

الوجه الثاني: أن الناظر في المتشابه لابد أن يبين سر التقديم في الشيء، و سر التقديم في عكسه وهذا أصعب من أن يكون النظر واحدا.

الثالث: أن علم المتشابه و توجيهه يقرر قول عبد القاهر الجرجاني في أنواع المتشابه اللفظي: « و قد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال أنه قدم للعناية و لأن ذكره أهم من غير أن يذكر، من أين كانت تلك العناية؟ وبم كان أهم؟ فإنه يظهر بدراسة المتشابه تمام الصواب ؛ذلك لأنه لو اكتفى أن يقول: إنه قدم في هذا الموضع للأهمية، ثم قال في الموضع الآخر، إنه قدم للأهمية، و الموضعان متعاكسان و الموضوع واحد، لكان هذا تناقضا ما لم يبين وجه التقديم في هذا ووجهه في هذا »[2].

و من أعظم فوائد هذا العلم أنه يدل على صدق نبوة نبينا محمد صلى الله عليه و سلم ، و ذلك حين تتجلى الصور البلاغية البديعة و المعاني السامية العظيمة، مطوية في ثنايا المتشابه اللفظي.

[1]- البخاري،**الجامع الصحيح**،(كتاب فضائل القرآن ،باب كيفية نزول الوحي) ،اعتنى به محمد زهير بن ناصر الناصر، مجلد3 ،دار طوق النجاة ،بيروت ،2001 ،ط1 ،ص:182.(وسنده: حدثنا عبد الله بن يوسف ،حدثنا الليث ،حدثنا سعيد المقبري ،عن أبيه ،عن أبي هريرة ،عن النبي صلى الله عليه وسلم).

[2]عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت ، ط1، 2004، ص: 111.

– إن من فوائد علم المتشابه هو أنه يرد على أهل الزيغ و الضلال الذين يشككون في القرآن ويزعمون أنَّ المتشابه ما هو إلا تكرار و يغني بعضه عن بعض، فعلم المتشابه يرد عليهم بعكس ما يقولون و ذلك بإظهاره عظمة القرآن، و بلاغته في متشابهه، و ما يظهره من وجه الحكمة في كل موضع.

– كما أنَّ المتشابه ضرب من التكرار، وفي هذا التكرار مثبت للنبي صلى الله عليه وسلم ،قال تعالى:﴿**وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [هود: 120].

– إن في معرفة المتشابه وصولا إلى مقصد القرآن وهو حصول العظة و الاعتبار ذلك أن المتشابه اللفظي فن من فنون القصص القرآني، كما قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [يوسف: 111].

– المتشابه اللفظي يعتبر بابا من أبواب التأمل في آيات الله، كما أنه يملأ النفس إيمانا بعظمة الله و قدرته حين يقف الإنسان في تفسير هذا النوع من الآيات على دقائق الأسلوب البياني للقرآن، و دراسته تعين على التفقه في كتاب الله.

– إن الدارس لعلم المتشابه يلاحظ حسن و بلاغة اختيار ألفاظ القرآن و التي من خلالها يتجلى وجه الإعجاز من هذا الاختيار، و بذلك يتعرف على أن أسلوب القرآن الكريم له طابع خاص يسلكه في اختيار ألفاظه و تراكيبه، لذا فإن هذا العلم أساس هذه الدراسات اللفظية في القرآن الكريم.

– إن علم المتشابه اللفظي يكشف لنا أن الآيات المتشابهات في القرآن مترابطة الأجزاء و الجمل مع تنويع الأسلوب في الاستعمالات القرآنية من تكرار، و إيجاز، و إطناب، و تقديم و تأخير، و حذف و زيادة، و تعريف و تنكير في قضية واحدة و موضوع واحد.

– إن علم المتشابه اللفظي يساعد حفاظ القرآن الكريم على ضبط حفظهم بأداء كل لفظ في موطنه، دونما التباس بالمتشابه معه.

- وتعدد أغراض[1] المتشابه اللفظي في القرآن الكريم حسب السياق والغرض الكلي للآيات والسور أو السياق القرآني ككل وقد جمعها دكتور محمد رجائي الجبالي في:

-التقرير والتأكيد.

- التعظيم والتهويل.

- التهديد والوعيد.

- الأمن من النسيان والسهو.

- التعجب والتنبيه.

- استمالة المخاطب والتودد إليه.

- بيان الحال.

- التلذذ بذكر المكرر.

- الانكار والتوبيخ والتقريع.

- دفع الوهم.

- الابتهال والتضرع.

نلاحظ أن هذه الأغراض البلاغية هي جزء يسير من أغراض المتشابه اللفظي العامة في القرآن الكريم ،وهي نفسها قد تختلف من متدبر للآخر ،كل يفهم هذا الغرض على حدى ،لذلك اختلفت توجيهات العلماء كل حسب فهمه لمراد الله تعالى من هذا المتشابه وذاك لعمري هو عين الاعجاز بحق.

[1] محمد رجائي الجبالي ،**توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين** ،مصدر سابق ،ص:159،161(بتصرف)

المبحث الثاني: ترجمة للإسكافي وتعريفا بكتابه (دُرّة التنزيل وغُرّة التأويل)

يتضمن هذا المبحث ترجمة لصاحب المدونة الإسكافي و تعريفا لكتابه "الدرة" من خلال مطلبين ،حيث سيُخصص المبحث الأول لترجمة الإسكافي ،والثاني للتعريف بكتابه "درة التنزيل وغرة التأويل.

المطلب الأول: الإسكافي (اسمه ،نشأته ،مكانته العلمية ومؤلفاته)

1- اسمه ونشأته:

تضمنت مختلف كتب التراجم والسير[1] تعريفات موجزة ومتشابهة للإسكافي ؛فهو محمد بن عبد الله المكنى بأبي عبد الله ،الملقب بالخطيب الأصبهاني ،نسبة لأصبهان• موطنه الأصلي ،الرازي نسبة للرَّي• وهي المدينة التي تولى فيها الخطابة ، فعُرف بالخطيب بسبب ذلك ،وسُميَّ كذلك خطيب القلعة الفخرية• ،ولم يرد ذكر لآبائه ولا أولاده ، فلم يعرف أصله أهو عربي أم فارسي، كما جُهلت سنة ولادته، ونشأته ،وقد قيل أن سبب ذلك هو عدم تقربه من الحكام وإيثاره العزلة، وانشغاله بعلمه وبتحصيل رزقه ،

---

[1] – ينظر: ياقوت الحموي ،**معجم الأدباء إرشاد الأريب الى معرفة الأديب** ،تح إحسان عباس ،دار الغرب الاسلامي، لبنان،1993 ،ط1، ج6 ص:2549،و جلال الدين السيوطي ،**بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** ،تح محمد أبو الفضل ابراهيم ،مطبعة عيسى البابي وشركاه، مصر، 1964،ط4 ،ج1،ص:149،150،و عمر رضا كحالة ،**معجم المؤلفين** ،دار احياء التراث العرب ،بيروت،(د ت) ،(د ط)ج10،ص:211 ،و عادل نويهض ،**معجم المفسرين** ،مؤسسة نويهض الثقافية ،بيروت،1988،ط1، ج2 ،ص:558،و خير الدين الزركلي ،**الأعلام** ،دار العلم للملايين ،بيروت،2002، ط15 ،ج6 ،ص:227.

• أصبَهان: منهم من يفتح الهمزة وهم الأكثر وكسرها آخرون، وهي مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، وأصفهان من أكبر مدن إيران ،تقع في الجزء الأوسط الغربي من إيران ،تعرف أيضا باسم أصبهان ،يرجع تاريخها للعصور القديمة ولا يعرف الكثير عن تاريخها قبل الفتح الاسلامي لبلاد فارس، وأصبهان: اسم للإقليم بأسره ،وكانت مدينتها أولا جيًّا ثم صارت اليهودية، وهي من نواحي الجبل في آخر الإقليم الرابع ، ينظر: ياقوت الحموي ،**معجم البلدان**،،دار صادر ،بيروت،(د ت)، (د ط) ،ج1،ص:206،**والموسوعة العالمية** ،مؤسس أعمال الموسوعة ،السعودية،1999 ،ط2 ،ج1 ،ص:249(بتصرف).

• **الري**: مدينة تاريخية تقع في إيران بالقرب من طهران ، يذكر أن زرادشت قد خرج منها ،وقد استولى عليها الفرس ،ثم الاسكندر ،ثم السلوقيون ،فُتحت الري في عهد الخليفة عمر بن الخطاب تحت قيادة نعيم بن مقرن ،**ينظر**: ياقوت الحموي، **معجم البلدان** ،مصدر سابق، ج6،ص:238 ، **والموسوعة العالمية** ،مصدر سابق، ج11 ،ص:433(بتصرف).

• **القلعة الفخرية** :ورد ذكرها في مقدمة كتاب "الدرة" : «...أملاها أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب رحمه الله في القلعة الفخرية... »،ينظر: الإسكافي، **الدرّة** ، ص:5 ،ويظن محقق كتاب الدرة أنها فخراباذ التي ذكرها الحموي في كتابه، ينظر : الإسكافي، **الدرة**،مصدر سابق، ص:29،30، وفَخْرَابَاذْ: كان فخر الدولة بن ركن الدولة بن بويه الديلمي قد استأنف عمارة قلعة الري القديمة ،وأحكم بناءها ،وعظّم قصورها وخزائنها ،وصّنها وشحنها بالأسلحة والذخائر ،وسماها فخراباذ ،وهي مشرفة على البساتين والمياه الجارية ،أنزه شيء يكون، وأظنها قلعة طبرك ،والله أعلم، وفخراباذ أيضا ن قرى نيسابور، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان** ،مصدر سابق، ج4،ص:238.

بالرغم من صحبته للصاحب بن عباد(ت 385هـ)• الذي اتصل به الكثير من العلماء والأدباء وكان مصدر الشهرة كلها في عصره ،كان إسكافا• ثم أديبا وكاتبا وشاعرا ولغويا ، فعُرف بالخطيب بسبب ذلك والجدير بالذكر أن المصنفين الذين تعرضوا لترجمة الخطيب الإسكافي والذين جاءوا من بعد ياقوت الحموي لم يضيفوا جديدا على ما ذكره ياقوت ؛بل إن بعضهم نقل نص ما ذكره ياقوت مع التصرف القليل عنه مثل: "الصفدي" في "الوافي بالوفيات" و "السيوطي" في "بغية الوعاء" و الأمر كذلك في المعاجم الحديثة مثل: "هدية العارفين" "لإسماعيل البغدادي" و "كشف الظنون" "لحاجي خليفة" (ت 1067هـ) و "معجم المؤلفين" "لعمر رضا كحالة" و "الأعلام" "لخير الدين الزركلي" (ت 1076هـ) .

– ورد ذكر تلميذ من تلاميذ الإسكافي في مقدمة كتاب الدرة ،وهو الذي أملى عليه الإسكافي كتابه "الدرة" ؛حيث تبدأ مقدمة كتاب "الدرة" ب: قال إبراهيم بن علي بن محمد المعروف بابن أبي الفرج الأردستاني[1] ،كما انفرد محقق كتاب المجالس بذكر تلميذين من تلاميذ الإسكافي وهم:

– إبراهيم بن علي بن محمد الأردستاني الذي روى عنه كتابه "درة التنزيل" ،والذي ذكرنا سابقا.

– و عبد الرحمان بن محمد بن زنجلة (ت حوالي 403هـ) مؤلف كتاب "حجة القراءات"[2]

– و ذكر أصحاب كتب التراجم الذين ترجموا للخطيب أنه توفي بالتحديد سنة عشرين و أربعمائة من الهجرة النبوية (420هـ) و هذا هو المشهور المتداول ،وقيل(421هـ).

– بالنسبة لمذهب الإسكافي في العقيدة حسب محقق كتابه "درة التنزيل" فرجّح أنه كان سُني المذهب بحسب ما ورد في كتابه "درة التنزيل وغرة التأويل" إذ لم ينفِ الصفات ولم يؤولها بالمجاز ولم يغالِ في أحكام التكفير بالذنب ،ومن خلال بحثنا لم نره يخوض في مسائل الخلاف الفقهية والعقيدية.

•**الصاحب بن عباد**: إسماعيل بن عباد بن العباس بن عباد ، الوزير الملقب بالصاحب ، أبو القاسم من أهل الطالقان: وهي ولاية بين قزوين وأبهر، والصاحب مع شهرته بالعلوم وأخذه من كل فن منها بالنصيب الوافر ،وما أوتيه من الفصاحة وحسن السياسة، ولد سنة 326هـ، ووزر لمؤيد الدولة أبي منصور بويه بن ركن الدولة ، وأخيه فخر الدولة ثماني عشرة سنة ،مات سنة 385هـ، ينظر: ياقوت الحموي ،**معجم الأدباء**،مصدر سابق،ج2 ،ص:385(بتصرف).

•**الإسكاف**: الصانع أيا كان وخَص بعضهم النجار، والإسكاف عند العرب كل صانع غير من يعمل الخفاف ، **ينظر**: ابن منظور ،**لسان العرب**، ج9،ص:157(مادة سكف).

[1] الإسكافي، **الدّرة** ، ص:5.

[2] – الإسكافي ،**كتاب المجالس** ،تح غانم قدوري ،دار عمار ،عمان ،2002 ، ط1 ،ص:11.

– والذين ترجمُوا له لم يثبتوا انتسابه الى أحد المذاهب الفقهية ؛و موضوع كتاب "درة التنزيل" بعيد عن المسائل الفقهية فيصعُب من خلاله تحديد المذهب الفقهي للخطيب الإسكافي بدقة [1].

2– مكانته العلمية ومؤلفاته:

بالرغم من الغموض الذي غطى مختلف جوانب حياة الإسكافي إلا أن ما وصل من مؤلفاته كان كافيا ليدلل على علو مكانته العلمية كما يوجد من معاصريه من امتدحه ،و كثيرا ممَّن نقلوا عنه متأخرا امتدحوا علمه فقد وصفه "ياقوت الحموي" بالأديب اللغوي وصاحب التصانيف الحسنة.

– كما أن غزارة مؤلفات الإسكافي وتنوع مادتها من: علوم القرآن إلى النحو والمعجم والسياسة والأدب وغيرها لدليل واضح على المكانة العلمية المرموقة التي حَظي بها الإسكافي ، فكفاه منزلة أن يكون من أوائل المؤلفين الذين ألفوا في علم توجيه الآيات المتشابهة لفظا في القرآن الكريم ،ومن السبَّاقين للتأليف في السياسة والتاريخ الإسلامي ،وكذلك من السبَّاقين للتأليف في الكتب الموسوعية بتأليفه "كتاب المجالس" ورغم ذلك ،ومازالت معظم مؤلفاته مغمورة وغير محققة ومنها ما هو مختلف في نسبتها إليه، بسبب عدم شهرته كما أوردنا سابقا ،ولقد مَنَّ الله على الخطيب بالعلم الواسع حتى نال إعجاب العلماء المعاصرين له "كالصاحب ابن عباد" (ت 385هـ) حيث أشاد بمكانته العلمية فقال: «فاز بالعلم من أهل أصبهان ثلاثة: حائك وحلاَّج وإسكاف ،فالحائك أبو علي المرزوقي ،والحلاَّج أبو منصور بن ماشدة ،والإسكاف أبو عبد الله الخطيب»[2] ،وهذا الكلام يبرز القيمة العلمية الكبيرة التي وصل إليها الإسكافي في بلده.

و بالنسبة لأثاره العلمية فان له مؤلفات عديدة و متنوعة بعضها في اللغة و الأدب وبعضها في التفسير علوم القرآن ،وأخرى في التاريخ الإسلامي وغيرها ،وتجدُر الإشارة إلى أن بعض مؤلفاته لم تذكرها كتب التراجم التي تعرضت لترجمته ؛"ككتاب المجالس" ،و"خلق الإنسان" ،وبعضها اختلف في نسبتها إليه

[1] – الإسكافي ،**درة التنزيل وغرة التأويل** .، تح مصطفى آيدين ،مصدر سابق، ص: 32.

[2] – ياقوت الحموي ،**معجم الأدباء** ،مصدر سابق، ج6 ،ص:2549.

وهي[1]:

1- نقد الشعر.

2- درة التنزيل و غرة التأويل في الآيات المتشابهات (مدونتنا).

3- الغرة (يتضمن شيئا من غلط أهل الأدب) .

4- شواهد كتاب سيبويه(وهو شرح لأبيات كتاب سيبويه).

5- شرح الحماسة.

6- كتاب غلط كتاب العين.

7- كتاب معاني القرآن.

8- مختصر كتاب العين وهو معجم لغوي يختصر كتاب "العين" "للخليل بن أحمد" ،كُتب سنة 383هـ مرتب على نفس ترتيب الخليل ،كل حرف مقسم إلى أبواب على غرار تقسيم الخليل كباب المضاعف ،الثلاثي الصحيح[2] .

9- لطف التدبير في سياسة الملوك: وفيه مجموعة من الأخبار تأخذ طابع النصح والارشاد وسمة التوثيق التاريخي لواقع عصور مختلفة ،فقد عرض فيه حقائق تاريخية تكشف الكثير من جوانب الحياة السياسية للمجتمع الإسلامي في عصر المؤلف، وخلال القرون الأربعة الأولى من التاريخ الإسلامي ،يضُم أخبارا

[1] - ينظر: ياقوت الحموي ،**معجم الأدباء** مصدر سابق، ج6 ،ص:2549،و جلال الدين السيوطي ،**بغية الوعاة** ،مصدر سابق، ج1 ،ص:149،150،و عمر رضا كحالة ،**معجم المؤلفين** ،مصدر سابق، ج10 ،ص:211 ،و عادل نويهض ،**معجم المفسرين** ،مصدر سابق، ج2 ،ص:558 ،و خير الدين الزركلي ،**الأعلام**، ،مصدر سابق، ج6 ،ص:227.،الإسكافي،**مبادئ اللغة** ،تح عبد المجيد دياب 1 ،دار الفضيلة ،القاهرة ، 2014، ط1 ،ص:7،8 وص:13،14 ،الإسكافي ،**درة التنزيل** ، تح مصطفى آيدين، مصدر سابق،ص:38،43،الإسكافي، **كتاب المجالس** ،مصدر سابق ،ص:12،14 ،الإسكافي ،**كتاب لطف التدبير** ،تح أحمد عبد الباقي ، دار الكتب العلمية ،لبنان ،1979 ، ط2 ،ص:15 ،علي حداد، **مخطوطة لطف التدبير للخطيب الإسكافي**، مجلة التراث العلمي العربي ،جامعة بغداد ،العدد الأول ،2015،ص:37.

[2]– الإسكافي ،**مختصر كتاب العين**، تح هادي حسن حمودي ،المطابع الذهبية ،سلطنة عمان ، 1998، ط1 ، ج1 ،ص:52 وص:57(بتصرف).

مبوبة إلى اثنين وثلاثين بابا ،ينتظم كل منها قصصا يتفق مغزاها وعنوان الباب منها: ما يحتاج الملوك إلى معرفته من لطف التدبير ،الحروب وتدبيرها ،فنون السياسة[1]

10- مبادئ اللغة :وهو معجم لغوي يبحث في أساسيات اللغة ومفرداتها ،وهو مأخوذ من كتاب "العين" "للخليل" ،و"نوادر ابن العربي" ، و"حروف أبي عمر الشيباني" ،و"مصنف أبي عبيد" ،و"جمهرة ابن دريد"[2].

11- شرح شواهد مبادئ اللغة[3].

12- كتاب المجالس: وهو عبارة عن موسوعة شملت التفسير والحديث والنحو والشعر والأمثال والحكم ،و يتألف من خمس وثلاثين مجلسا ، وكل مجلس يضم خمس قضايا: تفسير آية مما اشتبه فهمه ،شرح حديث مما أشكل فهمه ،بيان مسألة نحوية ،توضيح بيت شعري من أبيات المعاني ،كشف مناسبة وبيان معناها ،وأضاف للمجالس الخمسة الأخيرة فقرة سادسة جعلها بعنوان "ألفاظ من ضوال الحكم" أورد فيها آيات قرآنية وأحاديث وأشعارا وأمثالا وأقوالا[4] .

13- كتاب الحروف المقطعة ،وهذا الكتاب ذكره الإسكافي في مقدمة كتابه "درة التنزيل " بقوله:« ثم اعلموا أنّ الأحسن والأولى أن تكون المسألة الأولى من هذا الكتاب مسألة من الحروف المقطعة ،لأن الأسئلة عليها متفرعة مفرعة ،ولكني قد أفردتُ لها كتابا مفردا ،جردتُ لحرف إشكالها مبردا ،والأسئلة عليها تربو على المائة ،فأردتُ أن تكون مميزة عن أخواتها ... »[5]، و قد ذكر محقق كتاب المجالس شيئا عنه فقال : «كتاب الحروف المقطعة ذكره في "درة التنزيل" بما يفهم أنه كتاب مستقل ،ولكنه ذكر في كتابه المجالس أنه باب من أبواب خطبة كتابه (معاني القرآن) ،وأنه سمى ذلك الباب باسم المعجزة النحوية»[6].

---

[1] – ينظر: الإسكافي، **لطف التدبير** ،مصدر سابق،ص:10 ،و علي حداد، **مخطوطة لطف التدبير للخطيب الإسكافي**، مصدر سابق،ص:38.

[2] – الإسكافي ،**مبادئ اللغة** ،مصدر سابق،ص:7،8.

[3] – نفسه ،ص:1.

[4]– الإسكافي ،**كتاب المجالس** ، مصدر سابق،ص:17.

[5]– الإسكافي ،**الدرة** ،ص: 5،(لم يذكر في النسخة المحققة).

[6] – الإسكافي ،**كتاب المجالس** ،مصدر سابق ،ص:12.

14- كتاب خلق الانسان ؛وهو معجم لغوي متخصص يبحث في مواضيع مستقلة تخص خلق الإنسان ؛مقسم إلى أبواب من ذلك: باب تدرج الإنسان في سنه ، باب الشعر ،باب الوجه...[1]

15- كتاب جامع التفسير . وقد أشار الإسكافي لهذا المؤلف في كتابه "الدرة" كثيرا ومثال ذلك قوله في تفسير سورة الكافرون:«...التي ذكرنا في جامع التفسير»[2].

المطلب الثاني: التعريف بكتاب "درة التنزيل وغرة التأويل"(نسبة صحة الكتاب لصاحبه، دلالة العنوان ،دواعي التأليف ،موضوعه ،منهجه ،مصادره وقيمته)

سنتعرف من خلال هذا المطلب على كتاب درة التنزيل وغرة التأويل لصاحبه الإسكافي (وهي المدونة محل البحث)، من خلال: نسبة صحته لصاحبه ،دلالة عنوانه ،دواعي تأليفه ،موضوعه ،منهجه مصادره ،قيمته

1- نسبة صحة الكتاب: ورد في مقدمة الكتاب التي أملاها الإسكافي قوله:« وسميته درة التنزيل وغرة التأويل»[3]، وفي هذا التصريح دليل واضح حسب محقق الكتاب على صحة نسبة الكتاب لصاحبه، لأن هذا الاسم هو الذي ذكر في جميع الكتب التي ترجمت للخطيب بلا استثناء ،وسار ذكره عليه واشتهر به ،وكذلك في النسخ الخطية المنسوبة إليه بخلاف النسخ التي نسبت لغيره والتي جاء العنوان فيها مختلفا ليدل على التصرف [4]

2- دلالة العنوان:

سمى الإسكافي كتابه "درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز " وهو عنوان يوحي بالاعتزاز والافتخار والتلميح بالأسبقية ، يتألف هذا العنوان من عدة وحدات :درّة التنزيل ،الغرة ،التأويل ، الآيات المتشابهات ،كتاب الله العزيز ،سنحاول استجلاء معنى الشق الأول من العنوان

[1] - الإسكافي ،**كتاب خلق الإنسان** ،تح خضر عواد العكل ، دار عمار ،عمان ،دار الجيل ،بيروت ،1991 ، ط1 ،ص:18.

[2]- الإسكافي ،**الدرة** ، ص: 373.

[3]- نفسه ،ص: 6.

[4] الإسكافي ،**درة التنزيل** ،تح مصطفى آيدين ، مصدر سابق ،ص: 88.

(الدرّة ،الغرّة ،التأويل)، أما الشق الثاني من العنوان فقد تعرضنا له ضمن المبحث الأول(البيان ،الآيات المتشابهات لفظا) لنخلص في الأخير للمعنى الإجمالي للعنوان.

ورد في كتاب العين للخليل أن الدُّرَّة معناها: «العظام من اللؤلؤ وجمعها الدُّرُّ»[1]، أما الغُرَّة فهي: « أول كل شيء»[2] .

- يأتي التأويل بثلاثة معان[3]:

1- إما تفسير ما في نص ما من غموض ؛بحيث يبدو واضحا ذا دلالة يدركها الناس.

2- إعطاء معنى معين لنص ما ؛كما هي الحال في استنباط المغزى من قصة أو قصيدة رمزية مثلا.

3- إعطاء معنى أو دلالة لحدث أو قول لا تُدوَّن فيه هذه الدلالة لأول وهلة ،ويستعمل عادة في التأويلات السياسية.

- نلاحظ أنَّ المعنى الأول أقرب لمعنى توجيه الآيات المتشابهات: لأنها تحمل شيئا من الغموض بسبب هذا التشابه كما أسلفنا الذكر، وتفسير هذا الغموض وتوجيهه هو التأويل ؛ولعل هذا هو مراد الإسكافي بهذا اللفظ.

- يُعضد هذا المعنى ما جاء به الزرقاني بقوله : «أن التأويل مرادف للتفسير في أشهر معانيه اللغوية ،و في اصطلاح المفسرين هو مرادفا للتفسير ،أو مخالفا له، وقيل التفسير بيان اللفظ عن طريق الرواية والتأويل بيان اللفظ عن طريق بيان اللفظ وعن طريق الدراية»[4].

- بتركيب مفردات العنوان في شقه الأول يتضح جليا أن موضوع الكتاب هو توجيه وبيان الآيات المتشابهة لفظا في التنزيل الحكيم.

وأهدافه البحث عن أسرارها والتنقيب عن كنوزها الدفينة لاستجلاء الحكمة منها ،وتوجيه ما فيها من إشكال وتماثل ،فقد شبه الإسكافي القرآن الكريم بالدُّر واللؤلؤ العظيم، وأنه سينقب عن هذه الكنوز

---

[1] الفراهيدي ،**كتاب العين** ،مصدر سابق ،ج 2،ص:19.

[2] - ابن منظور ،**لسان العرب** ،مصدر سابق،ج5،ص:14.

[3] - مجدي وهبة ،كامل المهندس ،**معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب** ،مكتبة لبنان،بيروت،1984، ط2 ،ص:86.

[4] - الزرقاني ،**مناهل العرفان** ،مصدر سابق ، ج2 ،ص:7،8.

ويحاول فهم معانيها ومغزاها .من هذا نؤول إلى أنّ الإسكافي كان له السبق في هذا العلم باعترافه ضمنا بذلك من خلال عنوان كتابه.

3- دواعي تأليف الكتاب :

حسب ما جاء في مقدمة الكتاب[1] فإن الإسكافي يرجع سبب تأليف كتابه لعدة أسباب منها:

- رفع اللبس والإشكال عن الآيات المتشابه وبيان أسرار الاختلاف بينها .
- عدم تناول كتب المتقدمين لهذا الموضوع من قبل.
- الرد على الطاعنين والجاحدين والملحدين والمشككين في كتاب الله.

4- موضوع الكتاب:

من خلال المقدمة وعنوان الكتاب كذلك يظهر أنَّ موضوع الكتاب هو توجيه الآيات المتشابهة لفظا والتي سماها الإسكافي(الآيات المتكررة بالكلمات المتفقة والمختلفة وحروفها المتشابهة المتعلقة والمنحرفة) ،والتي تتفق في بعض ألفاظها وتفترق في بعضها الآخر لسبب ما ،والتي يرد فيها سؤال أو يقع فيها إشكال ،أو يحتمل أن تكون محل نظر بسبب تقديم أو تأخير أو حذف أو ذكر....الخ ، ومن خلال هذا الإشكال يبدأ عمل الإسكافي في توجيه دلالاته بمختلف الأدوات اللغوية وغير اللغوية ،و سنحاول استجلاء بعض هذه التوجيهات اللغوية وتصنيفها والبحث في دلالاتها من خلال الدراسة التطبيقية.

5- منهج الكتاب:

- صنف الإسكافي كتابه وفق ترتيب السور والآيات في المصحف الشريف، مبتدئا من سورة البقرة ثم آل عمران وهكذا إلى غاية سورة الناس ، فيُورد اسم السورة وعدد الآيات المتشابهة فيها مثل: سورة البقرة ثلاث وعشرين آية (متشابهة) ،وقد لا يورد عدد الآيات المتشابهة ، ثم يتبع كل ما تكرر واشتبه من الآيات في تلك السور مع غيرها من الآيات في السور الأخرى ،وقد بلغ عدد الآيات المتشابهة والموجهة في كتاب الدرة أربعا وسبعين ومائتين آية.

[1] – الإسكافي ،**الدرّة** ،ص:5(بتصرف).

- يبتدئ توجيه كل آية بذكر الشاهد (الآيات المتشابهة في كل السور)، ثم يشير لموضع التشابه ،ولآراء المفسرين أحيانا إذا كان في المسألة خلاف.

- وضع الإسكافي كل متشابه على هيئة مسائل ثم يقوم بتوجيهها تدريجيا ،وأثناء التوجيه يطرح المشكلة أولا (موضع التشابه) ،ثم يشرح الألفاظ معجميا إن تطلب ذلك، ويورد الشاهد النحوي أو الصرفي أو غيره بالتفصيل وبالتدريج ليصل في الأخير لطرح حكمه معتمدا منهج التعليل والمقارنة ،وهذا أسلوب علمي تربوي ناجع يتدرج بالمتلقي ليصل به في الأخير للاقتناع بالحكم.

- يُوّجه الإسكافي الآيات المتشابهة بعدة طرق :حسب سياقها ،وحسب الترتيب القرآني الذي ورد في المصحف الشريف ،وحسب أسباب النزول ،تعدد القراءات...الخ.

- يعتمد الإسكافي في توجيهه كثيرا على النظر في السياق العام للسورة (المعنى الكلي للسورة) ،ثم يربط الآيات المتشابهة بما قبلها وما بعدها(السياق القبلي والبعدي) ، وكذا إن كان في السورة تفصيل أم اجمال ليصل لسر الاختلاف والحكمة من ذلك .

- يعرضُ الآراء النحوية للمدرستين الكوفية والبصرية ،ثم يُرجِّح آراء البصرية بالدليل والحجة ،ومثالها في توجيهه للآية السادسة من سورة البقرة قال: «...وهذا مذهب سيبويه ؛لأنه لا يجوز عنده، ولا عند البصريين وكثير من الكوفيين: إنّ زيدا وعمرو قائمان، والفراء يجيز هذا على شريطة أن يكون الاسم الأول المنصوب بأن لا إعراب فيه، نحو: إنّ هذا وزيد قائمان ،وهذه من كبار المسائل ذوات الشعب، ويتعلق بالخلاف بين البصريين والكوفيين في أن لها عملين النصب والرفع على مذهب البصريين ،وأن لها عملا واحدا عند الكوفيين وهو النصب ، إلا أن المذهب الصحيح ما ذهب إليه سيبويه... » [1]

- يُصحح ويُخطئ أئمة النحو بالدليل والحجة أحيانا ،وبدون حجة أحيانا أخرى ويبدي رأيه في الأخير ،ومثال ذلك توجيه للآية الأولى من سورة الأنعام،[2]، ومثاله كذلك تخطيئ أبو سعيد السيرافي عندما جعل جملة "ما الكلم في العربية" موضع الفاعل للفعل "يعلم" ،وهذا ما يأباه مذهبه البصري ؛الذي يرى بأن الفاعل لا يكون جملة بخلاف الكوفيين[3] .

[1] – الإسكافي، **الدرة** ، ص:16،17.

[2]– نفسه ،ص:77.

[3] نفسه ،ص:13.

- إذا وجه آية معينة ثم تناول آية أخرى تضمنت نفس التوجيه السابق يشير إلى أنه قد وجه في السابق ويشير للشاهد المشترك بين الآيتين، ويعيد نفس الشرح لذلك الشاهد في الآية الثانية ويضيف إليه أمثلة وشروحا أخرى مع ربطه بسياق الآية التي ورد فيها.

- يستدرك الإسكافي الكثير من الآيات المتشابهة والتي يغفل عن ذكرها في الموضع الأول فيذكرها في الموضع الثاني الذي يشبهه وينبه عن ذلك ،ومثال ذلك قوله في توجيه الآية الثالثة عشر من سورة النساء لما استدركها أثناء توجيه الآية السابعة من سورة المائدة : «...وكان حقها أن تذكر في موضعها لكني لم تحضرني هناك فذكرتها مع أخواتها وإن كان ذكرها مقدما في القرآن»[1] .

- يستدرك كذلك ما غفل عنه حين يُسئل عنه ،فيضيفه في أخر السورة كما فعل مع الآية الثامنة والخمسين من سورة هود ،وينبه عن ذلك مثلا بقوله: «قد تأخرت عن مكانها من السورة لأنها سئل عنها بعدما أمليت ما تقدم منها فذكرناها في آخرها لئلا تغير تراجم المسائل وترتيب الآي»[2]

- تتكرر في بداية كل مسألة قول الإسكافي:" للسائل أن يسأل فيقول" ، وفي الاجابة يقول: "الجواب أن يقال" ،وهذا منهج علمي مشوق يسهل الفهم والتدبر ،كما أنه يختم بعبارات تحث على الفهم والتدبر الدقيق ، كقوله: "وهو من دقيق الاعراب"[3]كما يختم كل توجيه بقوله" فهذا الكلام في هذه الآي والسلام ، أو "والله أعلم"

- اهتمام الإسكافي بتوجيه القراءات القرآنية نادر ،فيورد اختلاف القراءات أحيانا أثناء التوجيه ويذكر أصحابها دون توجيه.

- أثناء التوجيه وعندما لا يجد في سورة متشابها يقول: «ليس فيها شيء من ذلك» كما فعل في سورة الجن والمزمل

،وأحيانا فيقول ما فيها قد مر في سورة قبلها، كما فعل في سورة التحريم ، فقال: «ما فيها قد مرَّ في سورة الأنبياء»[4]

- استشهاد الإسكافي بالحديث الشريف قليل (اعتمد على ثلاثة أحاديث شريفة فقط)،كما أنه لا يورد سند الحديث ولا درجة صحته.

---

[1]- نفسه ،ص:74.

[2] – نفسه ،ص:168.

[3] – نفسه ،ص:285.

[4]- نفسه ،ص:347 وص:339.

- استشهاد الإسكافي بالشعر قليل لا يتجاوز عشرين شاهدا ،ويوظفه لاستدلال وأكثره من الشعر الجاهلي ،هو يحرص هنا على تأكيد صلة الأسلوب القرآني بأساليب العرب.

- لم يتناول الإسكافي الحروف المقطعة أوائل السور أثناء توجيهه، ولم يعدّها من المتشابهات ،و لعل ذلك راجع إلى أنه بالفعل قد ألف كتابا خاصا بالحروف المقطعة في القرآن كما أوردنا سابقا ،أو ممكن يدل على ميله للمذهب من رأى عدم الخوض في تفسيرها لأن المفسرين قد اختلفوا إلى مذهبين في تفسير هذه الحروف حسب الزركشي[1]:

- مذهب رأى أنَّ تفسيرها علم مستور استأثر الله به.

- ومذهب رأى أنَّ المراد منها معلوم وذكروا فيه ما يزيد على عشرين وجها.

- ينسب كل الآراء والتفاسير لأصحابها دون تصرف ،فيذكر أسمائهم ، وتفاسيرهم ،ثم يعقب عليها ويخطئها بقوله: « وهذا الذي ذهب إليه لا وجه له»[2] ثم يعرض توجيهه في الأخير ،وقد يعرض بعض التفاسير دون ذكر أصحابها ،ويكتفي بقول: « وقد سأل عن ذلك بعض أهل النظر ،فأجاب.. »[3]، أو يكتفي ب«قيل» [4]،أو قول: «هذا ما أجاب به أولو النظر ،وأولوا المعرفة بكلام العرب» [5]

- لما يوّجه آية معينة ويبين الحكم يُعمّمه على كل القرآن إن تناول تلك الجزئية ،ومثاله قوله في توجيهه للآية الخامسة من سورة الأنعام:«...وكل موضع في القرآن يكون بعد هاتين بالواو وبالفاء ،فاعتبره بما بينته لك»[6].

- يعتمد الإسكافي في توجيهه على المناسبة اللفظية ،فيوجه كثيرا من المتشابهات على أساسها ،وسماها "التوفة بين الألفاظ ،ومثالها في توجيهه للآية الأولى من سورة الحجر وهي الآيتان 34،35 من سورة الحجر ،ذكر أن السر في ورود لفظة "اللعنة" معرفة بالألف واللام يعود إلى أن الآيات التي قبلها وردت بالتعريف لكل جنس ،فمناسبة لذلك وردت هاته اللفظة معرفة كذلك بالألف والام ،وبالمقابل وردت لفظة "لعنتي معرفة بالإضافة لأنه ورد قبلها كذلك تعريف بالإضافة "بيدي"[7].

---

[1] - الزركشي ،**البرهان في علوم القرآن** ،مصدر سابق ، ج2،ص:123.

[2] - نفسه ،ص:316.

[3] - نفسه ، ص:316.

[4] - نفسه ، ص:357.

[5] - نفسه ، ص:285.

[6] - نفسه ،ص:83.

[7] - الإسكافي ،**الدرة** ،،ص:179.

4 مصادره :

إن المتأمل في كتاب الدرة يخلص أن أكثر مصدر اعتمد عليه الإسكافي هو تفسير القرآن بالقرآن الكريم ، وقد اعتمد على بعض التفاسير ، وليس في كتاب "الدرة" تصريح مباشر بأسماء التفاسير ولكنه يورد أسماء المفسرين كابن عباس وقتادة والسدي والحسن ومحمد بن كعب بن سليم (ت108هـ) ، إضافة للحديث الشريف والآثار والشعر كما أسلفنا سابقا ؛و بالمقابل في الجانب اللغوي يُصرح بعناوين المصادر وأصحابها كـ"الكتاب لسيبويه" الذي كان مصدره الأول في النحو ،وكتاب "العين للخليل بن أحمد" ، و"المقتضب للمبرد" ،و"معاني القرآن للزجاج" ،و"معاني القرآن للفّراء" ، كما يُشير أثناء التوجيه لمؤلفاته الأخرى ككتابه "الجامع في التفسير".

والملاحظ كذلك أنَّ الإسكافي يعتمد كثيرا على نفسه وابداعه في توجيه الآيات وهذا يدل ذكاء وتوقد ذهن وبصيرة حباه الله بها.

5- قيمتـه:

- يُعد كتاب "الدرة" المصدر الأول لكل المؤلفات التي عنيت بتوجيه المتشابه اللفظي ، ولقد أقرَّ بذلك الكثير ممن ألفوا في هذا ،فكان المنهل للمؤلفين الأربعة الذين صنفوا في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن من بعده: فالكرماني قد لمح بفضله في مقدمة كتابه "البرهان والمسمى "أسرار التكرار" "بقوله: «وقد قال أبو مسلم• في تفسيره عن أبي عبدالله الخطيب في تفسيره كلمات معدودات منها ، وأنا أحكي لك كلامه فيها إذا بلغت إليها»[1]،والمتأمل لكتابه "البرهان "يراه يدلل كثيرا بكلام الإسكافي ويرجع إليه في أكثر من مناسبة وكثيرا ما يورد اسم الخطيب في توجيهاته بقوله «قال الخطيب»[2] أو «والخطيب ذهب إلى »[3] "الخطيب أطنب في هذه الآيات ،ومحصول كلامه..."[4].

• هو أبو مسلم محمد بن عبد الله نحوي وأديب من أصبهان، صنف في التفسير توفي سنة409هـ،ينظر:السيوطي ، **بغية الوعاة** ، مصدر سابق ، ج1 ،ص:655.

[1] - الكرماني ،**أسرار التكرار في القرآن** ،مصدر سابق ،ص:19.

[2]- نفسه ،ص:**87**

[3] نفسه ،ص:26

[4]- نفسه ،ص:42

كما شهد له صاحب كتاب "ملاك التأويل" بالفضل والسبق وصرّح بذلك في مقدمة كتابه بقوله: « ...إلى أن ورد عليَّ كتاب لبعض المعتنين من جلة المشارقة سماه درة التنزيل وغرة التأويل قرع به مغلق هذا الباب وأتى في هذا المقصد بصفو من التوجيهات لباب ،وعرَّف أنه باب لم يوجف عنه أحد قبله بخيل ولا ركاب ..

...وصدق رحمه الله وأحسن فيما سلك وسنَّ»[1]

– كما سار على نهجه في التوجيه ابن جماعة (ت 733ه) في كتابه "كشف المعاني في المتشابه من المثاني" ،ولكن بشيء من الإيجاز وإن لم يصرح باسمه.

– كما نقل أبو زكريا الأنصاري(**ت926ه)** الكثير من توجيهات الإسكافي حرفيا وإن لم يشر إليه في كتابه "فتح الرحمان" .

– و لقد عقد السيوطي(**ت911ه)** مفاضلة بين المؤلفات الثلاثة (الغرة ،البرهان ،الملاك) في كتابه "الإتقان" بقوله: «.. وألّف في توجيهه الكرماني كتابه "البرهان في متشابه القرآن" وأحسن منه "درة التنزيل وغرة التأويل" لأبي عبد الله الرازي ،وأحسن من هذا "ملاك التأويل " لأبي جعفر بن الزبير»[2] .

– و حديثا يُعد كتاب "الدرة" من أبرز وأول المؤلفات في الدراسات القرآنية والمعتمدة في علم توجيه المتشابهات اللفظية في القرآن ،وقد اعتمد عليه أغلب من تعرض لهذا الموضوع من قريب أو بعيد ،وبلغت شهرته الآفاق .كما أنه منجم لغوي ثري .

– إذا فقد تم التعرف من خلال هذا الفصل على مفهوم المصطلحات التالية والتي تُمثلُ الكلمات المفتاحية للبحث: التّوجيه اللغوي، المتشابه اللفظي، الإسكافي وكتابه الدُرّة، فقد توصلنا إلى مفهوم عام لمصطلح التّوجيه اللغوي للآيات المتشابهات في القرآن الكريم، وذكرنا بأنّه: بيان المقصود من إيراد الآيات المتشابهة ، وبيان وجه الاستشهاد بها لغويا، أي اعتمادا على لغة العرب وأساليبها في الكلام من: نحو ،بلاغة، صرف...الخ، وتوصلنا إلى مفهوم عام لعلم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وهو أحد علوم القرآن بأنه: تكرار اللفظ في الآية أو السورة، أو في سور شتى، دون تكرار للمعنى، وقد يتطابق المتشابه اللفظي في المبنى ويختلف في المعنى والغرض ،وخرجنا بمفهوم عام للتعريفين السابقين من أنّ المقصود بتّوجيه اللغوي للمتشابه اللفظي في القرآن الكريم :بيان المقصود من إيراد الآيات المتشابهة في القرن الكريم

[1] – الغرناطي ،**ملاك التأويل** ،مصدر سابق ،ص:8.

[2] – السيوطي ،**الإتقان في علوم القرآن** ، مصدر سابق ، ج3 ،ص:339.

التي تتطابق في الشكل وتختلف في المعنى والحكمة ،اعتمادا على مستواها النحوي ،أو الصرفي، أو البلاغي...الخ .

ثم ذكرنا أنواع المتشابه اللفظي ولاحظنا الاختلاف في تصنيفها من عالم للآخر ،ثم ذكرنا نشأته وفائدته ،وحركية التأليف فيه .

وفي المبحث الثاني تعرفنا على صاحب المدونة الخطيب الإسكافي من خلال نشأته ،مكانته العلمية ومؤلفاته، ثم عرّفنا مُدونة البحث "دُرّة التنزيل" من خلال دلالة عنوان الكتاب ،نسبته لصاحبه، دواعي تأليفه، موضوعه ومنهجه .

الفصل الثاني:

التوجيـــــه المعجمــــــي والصــــــوتــــــــــــي للمتشابــــــه اللفظي في كتـــــاب الدُّرّة

يتناول هذا الفصل الدراسة التطبيقية للمتشابه اللفظي في كتاب "الدرة" على مستوى المقاربة الإفرادية للمفردات من خلال ثلاثة مستويات: الترادف ،المشترك اللفظي ، الصوت ؛حيث سنتلمّسُ أهم الجوانب اللغوية والجمالية لتوجيه الآيات المتشابهات عند الإسكافي ،انطلاقا من استخراجها ،ثم تصنيفها وتحليلها ،ثم استخلاص الحكم ،وقد قسّمنا هذا الفصل إلى مبحثين ،خصصنا المبحث الأول لجانب الترادف والمشترك اللفظي بحكم قربهما من بعض ،وخصصنا المبحث الثاني للجانب الصوتي.

المبحث الأول: الترادف والمشترك اللفظي

كما أسلفنا الذكر سنعرض ضمن هذا المبحث جانبين من الجوانب اللغوية :الترادف والمشترك اللفظي ؛حيث خصصنا المطلب الأول للترادف ؛حيث سنعرض فيه الآيات المتشابهات لفظا التي تضمنت ترادفا فيما بينها ،ثم نعرض طريقة توجيهها من طرف الإسكافي ،و موازاة مع ذلك نعرض توجيهات بعض المعتنيين بتوجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وبعض المفسرين ؛لنستطيع الحكم في الأخير ، وكذلك سنفعل مع المشترك اللفظي الذي خصصنا المطلب الثاني له .

المطلب الأول: الترادف

_ الترادف من الظواهر اللغوية التي تدل على ثراء اللغة ،وهو مشتق من الجذر اللغوي(ر د ف) ،والترادف هو:« الاتحاد في المفهوم لا الاتحاد في الذات كالإنسان والبشر وحق المترادفين صحة حلول كل منهما محل الآخر»[1] ،والترادف في اللغة يشمل الأسماء والأفعال والصفات والحروف، وقد شغلت قضية الترادف في القرآن الكريم كثيرا من المفسرين واللغويين والباحثين بين مؤيد لها ومعارض ،فالمبرد وثعلب وابن فارس والفارسي والعسكري ينكرون وجود الترادف التام وحجتهم في ذلك أن التعبير عن المعنى الواحد بالألفاظ الكثيرة عبث ينأى الواضع الحكيم عنه ، وبالمقابل وجد فريق آخر من العلماء يؤكد وجود الترادف التام ويحتج هؤلاء بقولهم لو كان لكل لفظة معنى خاص غير معنى مرادفها لما أمكن أن يعبر عن الشيء بغير عباراته ،ومن أصحاب هذا الرأي الفخر الرازي والتاج السبكي والفيروزأبادي وابن خالويه وغيرهم[2] .

---

1 – أبو البقاء الكفوي ،**الكليات**، مصدر سابق،ص:34،35.

2 – علي اليمني دردير ،**أسرار الترادف في القرآن الكريم** ،دار حنظل ،مصر ،1985، (د ط) ،ص:11،13.

- إنَّ عدم الاتفاق على مصطلح دقيق للترادف هو الذي أدى إلى انقسام العلماء بين مؤيد ومنكر له ،فكانت حجج المنكرين تقوم على التفريق بين الألفاظ والتمييز بين الأسماء والصفات والقول بعلل التسمية ومنطق العقل ويعزون ما روى من المترادفات إلى الخطأ في الفهم عن العرب واخلاف اللغات والمجاز ،فحين يلتمس المثبتون حججهم من الواقع اللغوي والسماع عن العرب وعلل التسمية نفسها وصعوبة الكشف عنها واختلاف اللغات بين القبائل والمجاز والفوائد التي تجنى من الترادف[1]

- إنَّ وجود الترادف التام لا يستقيم مع لغة القرآن التي تقتضي دقة الاحكام في بيانه ،أن يستخدم المترادفات استخداما معجزا يكشف الدقة في دلالة ألفاظه وظلال معانيه وجرس أصواته وبلاغة تعبيره[2].

- وسنعرض فيما يلي المتشابهات اللفظية التي وردت في سياق الترادف، أو وردت مترادفة في الآية و التي وجد فيها الإسكافي معان مختلفة ونتأمل كيف استخرج ما فيها من فروق:

1- بين الرّب و الرحمان:

الشاهد قوله تعالى:﴿ **وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ**﴾[الشعراء:5] ،وقوله تعالى:﴿ **مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ** ﴾[الأنبياء:2].

- فسّر الإسكافي الفرق بين اللفظتين بقوله:" الرّب هو القائم بمصالح الخلق من ابتداء التربية إلى آخر العمر والرحمان هو المنعم عليهم في الدنيا بما خلق فيها والمعرّض للنعيم الدائم بعدها، وإتيانهم بالذكر من عنده وهو القرآن مما يصلحهم فوق ما تصلحهم الأغذية المخلوقة لهم ،فذكر أن الرب الذي أصلح بأنواع ما خلق أجسادهم أصلح بما صرفهم عليه من طاعة الله أديانهم فهو ما يقتضيه الوصف بالرّب والوصف بالرحمان ،ثم فسر سبب اختصاص سورة الشعراء بلفظة (الرحمان) بورود ذكر الأمم اللذين أرسل إليهم الأنبياء ،وأراد بالرحمة هنا امهالهم ليقلعوا عن تمردهم ويتوبوا لربهم ،فلما لم تفعل عوقبت .
- واختصت سورة الأنبياء بذكر(الرّب) لأنه عدَّ اصلاح أديانهم من جملة اصلاح أبدانهم ،والّرب القائم بما يصلح العبد والدين أبلغ في اصلاحه مما يحصله من طعامه ،ولآنه افتتح هذه السورة بقوله :

---

[1]- محمد نور الدين المنجّد ،**الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق** ،دار الفكر ،دمشق ،1997،ط1،ص:126،127(بتصرف).

[2] - علي اليمني دردير ،**أسرار الترادف في القرآن الكريم** ، مصدر سابق، ص:18(بتصرف).

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾[الأنبياء:1] ،ولا يغفلون إلا إذا كانوا في رغد من عيشهم ولا سبيل إلا بمظاهرة النعمة من الله وفعله هذا بهم يقتضي وصفه ب(ربهم)[1]

– وأورد الراغب الأصفهاني مفهوما معضدا لما ذهب إليه الإسكافي ومضيفا: الرب في الأصل التربية وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام ،ولا يُقال الرّب مطلقا إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات المتولي لمصالح العباد. ، أمَّا الرحمة فمن الله إنعام وإفضال ومن الآدميين رقة وتعطف ،والرحمة منطوية على معنيين الرقة والاحسان ،فركز تعالى في طبائع الناس الرقة وتفرد بالإحسان فصار كما أن لفظ الرحم من الرحمة ،ولا يطلق الرحمان إلا على الله من حيث معناه لا يصح إلا له ،إذ هو الذي وسع كل شيء رحمة ،وقيل إن الله الرحمان معناه المحسن في الدنيا على المؤمنين والكافرين[2].

– واستفاض الشيخ النابلسي• في شرح لفظة الرحمان فذكر أنّ هذه اللفظة ذُكرت في القرآن خمسا وأربعين مرة ،واقترن اسمها بالرحيم ست مرات ولم يقترن بغيره ،والرحمان لغة صفة مشبهة أبلغ من الرحيم الرحمان اسم يختص بالله عز وجل ولا يجوز اطلاقه على غيره ،وهو المتصف بالرحمة العامة لكل عباده يرزقهم ويهديهم سبلهم ويمهلهم في ما استخلفهم ،ويسترعيهم في أرضه ويستأمنهم في ملكه ليبلوهم أيهم أحسن عملا[3]. أما الرّب فمشتق من التربية فالله سبحانه مُربٍ ومُدبر لخلقه والمربي له صفتان أساسيتان: أنه مُمد وأنه يرعى الذي يَمدنا بما نحتاجه ويهدينا إلى صراطه المستقيم ،رب العالمين خلقنا وأمدنا ووجهنا ،فالإنسان في نعم ثلاث: نعمة الايجاد ،ونعمة الامداد ،ونعمة الهدى والرشاد[4].

---

[1] – الإسكافي ،**الدرة** ،ص:228،229(بتصرف).

[2] – الراغب الأصفهاني ،**مفردات ألفاظ القرآن** ،تح صفوان عدنان الداوودي ،دار القلم ،الدار الشامية ، دمشق ،2009 ،ط4 ،ص:336 347،348(بتصرف).

• محمد راتب النابلسي داعية وعالم سوري متحصل على عدة شهادات منها الدكتوراه في التربية والدكتوراه الفخرية ،له عدة مؤلفات منها: تفسير النابلسي للقرآن ،موسوعة أسماء الله الحسنى وغيرها ، ينظر: موسوعة النابلسي السيرة الذاتية للنابلسي بتاريخ: 2018/8/8).

[3] – محمد راتب النابلسي ،**برنامج أسماء الله الحسنى** ،قناة الرسالة الفضائية ،الحلقة 175 ،بتاريخ: 2019/8/18 ،الساعة: 20:15(you tube) .

[4] – النابلسي، **موسوعة النابلسي للعلوم الاسلامية** ،المحاضرة رقم 12 بتاريخ 2018/1/12 (www.nabulsi.com)

الحاصل أنّ هناك اتفاق بين المفسرين في أنّ لفظة "الرّب" تشمل كل ما يخص نشأة الموجودات وما تحتاجه من نعم ومصالح ،أما لفظة "الرحمان" فهي لفظة أعم وتتضمن معنى الاحسان، الهداية ،الخلق...الخ.

2- بين الله والرّب:

الشاهد قوله تعالى: ﴿... **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ**﴾ **[**الأنعام:112**]** ،وقال جل شأنه في نفس السورة :﴿... **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ** ﴾ **[**الأنعام:137**]**.

- ذكر الإسكافي أنَّ كلمة (ربك) وردت بعد اخبار الله عزّ وجل لنبيه بأنه كان للأنبياء قبله أذى من الانس والجن ولوشاء مَن ربَّاك وقام بمصالحك لألجأ قومكَ إلى موافقتك وترك مخالفتك ،وإن كان من يقوم بربابتك يحجزهم عن مضرتك وأن يظفروا بمرادهم من عداوتك ،أما لفظ الجلالة (الله) فورد بعد قوله أنهم أقاموا لله شركاء ولو شاء الله أي ولو شاء من نعمته عليهم توجب التأله ألا يعبدوا سواه ما تمكنوا من فعله ،فهذا موضع لم يلق به إلا الاسم الذي يفيد معنى فيه حجة عليهم دون غيره من الأسماء[1] .

وقد ذهب الزجاجي (ت340هـ)في اشتقاق لفظ الجلالة (الله)إلى أربعة أقوال[2]:

1- من (الإله) وحذفت الهمزة تخفيفا فاجتمعت لامان فأدغمت الأولى في الثانية فقيل (الله) ،ف(ألَه) فاله (فِعال) بمعنى مفعول كأنه مألوه أي معبود مستحق للعبادة ،والتأله التعبد ،والمصدر أَلِهتُ: الألوهة.

2- أصله حسب الخليل (إلِهَ) و(لاَهَ)من الوله والتحير ،وقد أبدلت الواو همزة لانكسارها فقيل (ألَهَ) ثم أدخلت عليه الألف واللام وحذفت الهمزة فقيل (الله) ،والمعنى الوله والتحير من العباد إليه.

3- مذهب سيبويه (لاهِ) على وزن (فَعَلْ) ثم دخلت عليه الألف واللام فقيل (الله).

4- مذهب أبي عثمان المازني ليس أصله (إله) ولا (ولاه) ولا (لاه) وإنما هو اسم هكذا موضوع لله عز وجل.

---

[1] - الإسكافي، **الدرّة** ،ص:93(بتصرف).

[2] - الزجاجي ،**اشتقاق أسماء الله** ،تح عبد الحسين المبارك ،مؤسسة الرسالة، سوريا ،1986، ط2،ص:30،23(بتصرف).

– أما لفظة (الرّب) فمعناها المصلح للشيء ،يقال رَبَبْتُ الشيء :اربُهُ ربًّا وربابة إذا أصلحته وقمتُ عليه وربُّ الشيء مالكه ،فالله عز وجل مالك العباد ومصلحهم ومصلح شؤونهم.

– والإله يتضمن غاية العبد ومصيره ومنتهاه ،وما خلق له وما فيه صلاحه ،وكماله وهو عبادة الله ،و"الرّب" يتضمن خلق العبد مبتدأه ،وهو أنه يربه ويتولاه مع أنّ الثاني (الرّب) يدخل في الأول دخول الربوبية في الإلاهية ،والربوبية تستلزم

الألوهية أيضا ،والاسم "الرحمن" يتضمن كمال الوصفين "الإله والرب"[1]

وقد سبقت إشارة الإسكافي لنفس معنى (الرّب) حين فرّقه عن (الرحمان) بأنه القائم بمصالح الخلق من ابتداء التربية إلى آخر العمر ،ومعنى "الله" تضمن توحيده بالعبادة .

3– بين الفكر العقل:

الشاهد قوله تعالى:﴿ **وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[الرعد:3].وقوله تعالى:﴿ **وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾ [الرعد:4].

– يردُّ الإسكافي الفرق بين اللفظين بقوله:« إنّ "التفكر" هو المؤدي إلى معرفة الشيء والعلم بالآيات التي تدل على وحدانية الله تعالى ،فإذا استعمل على وجهه عُقل ما جعلت هذه الأشياء أمارة له ودلالة عليه فبُدئ في الأول بما يحتاج إليه من التفكر والتدبر المفضيين بصاحبهما إلى إدراك المطلوب، وخصّ للآخر بما يستقر عليه آخر التفكر من سكون النفس إلى عرفان ما دلت الآيات عليه »[2] .

– و أشار لنفس المعنى الكرماني وبشيء من الاختصار بقوله :«لأن التفكر في الآيات يعقل ما جعلت الآيات دليلا عليه ،فهو الأول المؤدي إلى الثاني»[3] .

---

[1]– شرف علوي بن عبد القادر السقاف، **الدرر السّنيّة الموسوعة العقدية** ،2019/3/26، سا:20:30،(www.dorar.net)

[2] – الإسكافي، **الدرّة**، مصدر سابق،ص:177.

[3] – الكرماني ،**أسرار التكرار في القرآن** ،مصدر سابق ،ص:114.

- وأشار العسكري (ت 395هـ)في معرض تفريقه بين معنى التفكر والتدبر ،أنّ التفكر تصرف القلب بالنظر في الدلائل[1].

مما سبق نلاحظ أنّ العلاقة بين لفظتي "التفكر" و"العقل" متكاملتين ،وبينهما عموم وخصوص ،فكل عقل فكر وليس كل فكر عقل ،لأن العقل أعم من الفكر .

4- بين العقل والعلم:

سنورد ضمن هذا التشابه شاهدين:

أولا: قوله تعالى:﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾[البقرة:170] ،**وقوله تعالى**:﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ** ﴾ [المائدة:104].

يردُّ الإسكافي هذا التشابه بقوله:« لرتبة (يعلمون) رتبة ليست ل(يعقلون) ،ف (يعلمُ) معناها يُدرك الشيء على ما هو به مع سكون إليه ،وقوله(يعقلُ) معناه يحصره بإدراك له عما لا يدركه ؛ولذلك جاز أن تقول يعلم الله كذا ،ولا يجوز أن تقول يعقل الله كذا ؛ لأنّ العقل يشد ،والعاقل الذي يحبسُ نفسه عما تدعو إليه الشهوات ولا شهوة لله تعالى فيحتبسُ عنها ،فلذلك لا يُقال لله عاقل ، فيُقال عقلَ فلان الشيء ،وهو يعقله بمعنى: حصره بإدراكه له عما لا يُدركه و يفيده تمييزه له عن غيره مما لا يدركه، وهذا لا يصح في حق الله تعالى ،فرتبة (يعلمون) زائدة على رتبة (يعقلون) ،والمعنى في سورة المائدة أنّ الكفار ادّعوا رتبة العلم بصحة ما كان آبائهم عليه ،لأنهم قالوا: "**حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا** " ،ولفظة " **حَسْبُنَا** " تستعمل فيما يكفي في بابه ويغني عن غيره ،فالمدرك للشيء إذا أدركه على ما هو به وسكنت إليه نفسه فذاك حسبه ،فاستعمل لفظة " **يَعْلَمُونَ** " ونفى عنهم النهاية لأنهم ادعوها ،فكأنهم قالوا: معنا علم تسكن نفوسنا إليه مما وجدنا عليه آباءنا من الدين ،فنفى ما ادعوه بعينه هو والعلم، والموضع

[1] - العسكري، **الفروق اللغوية** ، تح محمد إبراهيم سليم ،دار العلم والثقافة ،القاهرة ،1997 ،(د ط) ، ص: 75.

من سورة البقرة لم تتضمن ادعائهم تناهيهم في معرفة ما اتبعوا فيه آبائهم ،فلم يدعوا أنّ ما ألفوه عند آبائهم كان كافيهم وحسبهم ،فاكتفى بنفي أدنى منازل العلم »[1].

و يرى الراغب الأصفهاني (ت 425هـ) بأنَّ معنى العقل هو القوة المتهيئة لقبول العلم ،ويُقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل[2].

– أمَّا العلم فهو إدراك الشيء بحقيقته وذلك بضربان :إدراك ذات الشيء ،والثاني الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له ،أو نفي شيء هو منفي عنه.

– ويرى العسكري(**395هـ**) أن العلم هو:« اعتقاد الشيء على ما هوبه على سبيل الثقة»، والعقل هو:« العلم الذي يزجر عن القبائح ،وكل من كان زاجره أقوى كان أعقل ،وقال بعضهم العقل يمنع صاحبه عن الوقوع في القبيح ،وهو من قولك عقل البعيرَ إذا شده فمنعه من أن يثور ،ولهذا لا يوصف الله تعالى به ،وقال بعضهم العقل الحفظ ،وقيل العقل يُفيد معنى الحصر والحبس»[3]

نلاحظ أنّ هناك توافق كبير في التفريق بين اللفظتين بين الإسكافي والعسكري، وأنّ العلم أعم من العقل.

ثانيا: قوله تعالى:﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**﴾[العنكبوت:**63**] ،وقال كذلك في سورة لقمان:﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**[لقمان:**25**]

– وجه الإسكافي هذين الشاهدين بأن الآية الأولى نبهت على البعث والإحياء بعد الموت فناسبها تذييلها بقوله (لا يعقلون)أي لا يفهمون عن هذا الفعل مثله(أي لا يفهمون أن من نزّل المطر وأحيا به الأرض قادر كذلك على إحياء الموتى) وفي مثل هذا يقال عقلت كلامه إذا استدركت وفهمت ،ومن

[1] – الإسكافي ،**الدرّة**، مصدر سابق،ص:313،312(بتصرف).

[2] – الراغب الأصفهاني ،**مفردات ألفاظ القرآن** ،مصدر سابق ،ص:58،57(مادة عقل و علم) .

[3] – أبو هلال العسكري، **الفروق اللغوية** ،مصدر سابق ،ص:81 و88،87.

تنبه على الشيء وعلمه وأدركه و شعر به ،وإذا صحب كل ذاك العلم إلا أنه علم على وصف .أما الآية الثانية فذيلت بقوله (لا يعلمون) ،لأن الكفار يعلمون بأن الله وحده خالق السموات والأرض وأقروا بذلك ،ورغم ذلك فهم يثبتون معه آلهة أخرى فكأنهم لا يعلمون، لأنهم عبدوا الأصنام العبادة التي تحق لمن خلق السموات والأرض بإقرارهم فكأنهم لم يعلموا ما أقروا به وثبت معلوما لهم[1].

– فحملت لفظة "يعقلون" معنى الفهم واستدراك شيء من شيء والادراك ،والشعور بالشيء .أما لفظة "يعلمون" فحملت معنى من يقر بشيء ويعمل بضده فهو غير عالم به.

– وقد فرّق العسكري بين اللفظتين بقوله: أن العقل هو العلم الأول الذي يزجر عن القبائح ،وكل من كان زاجره أقوى كان أعقل ،وقال بعضهم العقل يمنع صاحبه عن الوقوع في القبيح وهو من قولك عقل البعير إذا شده فمنعه من أن يثور ولهذا لا يوصف الله به ،وقال بعضهم العقل الحفظ ،وقيل العقل يفيد معنى الحصر والحبس.

من خلال الشاهدين السابقين نستخلص أنّ العقل جزء من العلم ،والعلم هو ادراك الشيء على حقيقته والثقة بذلك ،أما العقل فهو حبس النفس عما لا تدركه.

5- – بين الفقه والعقل:

الشاهد قوله تعالى في سورة الحشر:﴿**لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ** ﴾[الحشر:13]. وقوله عز وجل في نفس السورة:﴿... **تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ**﴾[الحشر:14].

يُذللُ الإسكافي الفرق بين اللفظتين (يفقه) و(يعقل) أثناء تفسيره للشاهد بقوله :« ﴿ **لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ**﴾ أي: خوفهم منكم أشد من خوفهم من الله لأنهم يعلمون ظاهرا ولا يعرفون ما استتر عنهم منه ،والفقيه من يستدرك من الكلام ظاهره الجلي وغامضه الخفي بسرعة فطنته وجودة قريحته ،فلما رهبوا النبي ما لم يرهبوا الله صاروا كمن يعرف ما يشهده ويجهل ما يغيب عنه ،ولو فقهوا لعلموا أن لما ظهر من الرسول صلى الله عليه وسلم باطنا وخفي عنهم ما أمر الله تعالى فكذلك وصفهم بأنهم قوم

[1] – الإسكافي، **الدرّة**،ص:247(بتصرف).

لا يفقهون ،وقيل لا يفقهون أي لا يستدركون عظمة الله ويشاهدون جلالة المؤمنين بالنبي ولا يعلمون أن ذلك بالله ،وقيل لا يفقهون معنى المرسِل والرسول معنى المرسَل وعظمته فيتقون الله.

أما معنى (لا يعقلون) ،فإنه جاء بعد ﴿ ...**بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى**... ﴾

ومعناه لا يجمعهم الحق على طريقة واحدة بل هم أتباع أهوائهم فهم مختلفون باختلاف آرائهم ولو عقلوا الرشد من الغي لاجتمعوا على الحق ،فاختلافهم لأنهم لا يعقلون ما يدعوا إلى طاعة الله...فالحق سبيل واحد مستقيم والباطل سبل كثيرة تحمل عليها أهواء متشعبة فختمت كل آية بما تقتضيه»[1]

– إذا فمعنى كلمة (فقيه) هو الذي يستدرك من الكلام ظاهره وخفيه بسرعة فطنته ، وهو كذلك الذي لا يستدرك ويدرك عظمة الله تعالى، وهو كذلك الذي لا يفرق بين المرسِل (الله عز وجل) والمرسَل النبي صلى الله عليه وسلم) ،فيعطي لكل منزلته وقدره.

– أما المقصود بكلمة (العقل) هو اتباع الحق والبُعد عن اتباع الأهواء واختلاف الآراء ،والعاقل هو الذي يستطيع التفريق بين الحق والباطل.

– وأشار الراغب الأصفهاني لمعنى (الفقه) بقوله: «الفقه هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد فهو أخص من العلم»[2] وهذا هو عَين ما أشار إليه الإسكافي بأنه استدراك الكلام الخفي من الظاهر. كما أشار كذلك لمعنى (عقل) بقوله:« العقل يُقال للقوة المتهيئة لقبول العلم ،ويُقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل»[3].

إذن فهذا معنى عام ويتقاطع مع ما ذهب إليه الإسكافي إذا قلنا بأن العقل هو تلك القدرة الذهنية التي تؤهله للتفريق بين الحق والباطل ويهتدي به لله فيعبده ويتقيه .

---

[1]– الإسكافي ،**الدرة** ، ص:330،331.

[2] – الراغب الأصفهاني ،**مفردات ألفاظ القرآن** ،مصدر سابق ،ص:642(مادة فقه).

[3] – نفسه ،ص:577.

6- بين العلم والرؤية:

الشاهد قوله تعالى:﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾[الروم:37] ،وقوله تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [الزمر:52]، فحصل الاختلاف بين : "**أَوَلَمْ يَرَوْا**" ،و" **أَوَلَمْ يَعْلَمُوا**".

ذكر الإسكافي أنّ الآية الأولى وردت عقب قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ**﴾[الروم:36]، والمعنى: إذا أنعمنا عليهم نعمة ترى عليهم ،وتملأ مسارحهم ومراحهم ،وتعمر أفنيتهم وآنيتهم ملكهم الفرح واستولى عليهم البطر ،وإن أصابتهم عقوبة على ما قدموا من معصية ،ونالتهم شديدة من جدب وقحط يصفر لها الإناء ويفرغ منهما الفناء حتى لا ترى لهم ثاغية• و لا راغية• لم يعتبروا ،ولم يقلعوا عما أتوا من جر عليهم تلك الشديدة ،وفعلوا فعل من ييأس من أن يأتيه الله بعد ذلك بنعمة إن تدارك سيئة بتوبة ،فكان الأليق بهذا المكان : ألم يروا أموال من بسط الله له الرزق فيعلموا أنه يوسع لمن يشاء ويضيّق على من يشاء ،وكلتا الحالتين مرئيتان عندهم مشاهدة لديهم ،فإن من بسط له الرزق رُؤي ماله ،ولم يخف على المشاهد حاله ،ومن انقلب أمره وانقطع خيره أدركت العين منه خلاف ما كان قبل ،فلما جاءت هذه الآية بعد ذكر النعمة إذا وُهبت وحال الإنسان فيها إذا سُلبت والنعمة مرئية لاق بهذا المكان: "**أَوَلَمْ يَرَوْا**".

والآية الثانية وردت بعد قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ...** ﴾ [الزمر:49،52]،والضر: سوء الحال من مرض في النفس ،ونقص في المال ،وقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا** ﴾،أي: إذا أعطيناه بعد العلة صحة وبعد القلة ثروة ادعى أنه أوتي ما أوتي بعلمه ،وأنه جلب العافية لنفسه بظنه ،وأنه لم تعاوده الصحة من قبل ربه ،ويقول فيما يحسن من حاله: إني افتقرتُ قبل لأني قصرتُ ،والآن علمتُ كيف التأتي للاكتساب واستعادة الغنى بعد الافتقار ،والأصل أن تلك النعمة من الله وهي فتنة له أي: تشديد

• **الثاغية**: الثغاء :من أصوات الغنم ،والفعل ثغا يثغو، ينظر: الفراهيدي، **العين** ،مصدر سابق،ج1 ،ص:202(مادة ثغا/ ثغو).

• **الراغية**: رغا البعير والناقة ،يرغو رغاء ،ينظر: الفراهيدي، **العين** ،مصدر سابق،ج2،ص:134(مادة رغا/ رغو).

في التكليف عليه ،لأنه مطالب بمعرفتها التي ذهب عنها وعن حكمها ،وغفل عن شكر واهبها، وألهاه الانغماس في لذتها عن حمد من تفضل بها ،وأكثر الناس يعلم بموجبها وكأنه لا يعلمه ،فهذا معنى: ولكن أكثر الناس لا يعلمون، ثم قال: **"قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ"** ،أي: قد كفر مثل كفرهم من كان من قبلهم فلما نزل عذاب الله بهم لم يملكوا دفعه بعلمهم ولا بمالهم ،ولكن أصابتهم عقوبات ما ساء من أعمالهم ،والظالمون في عصرك يا محمد سيصيبهم عقوبة ما عملوا ،ثم قال: أولم يعلموا أن الله يوسع على الفقير حتى يستغني ويفتح له أبواب الرزق حتى يثرى ،وأنه يضيق على من يشاء ،ويسقم من شاء ،ويصح من شاء ،فقابل ما ادعوه من العلم لما قال كافرهم :" **إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ"** فرد عليهم بأن قال: هلا علمتم ما هو واضح من أحوالكم فتعلموا أن الخصب والجدب ليسا بأيديكم ،وكذلك المرض والشفاء ليسا إليكم وإنما ذلك مما تعلمونه من بسط الله الرزق إذا أرسل السماء عليكم مدرارا وما تتألمون منه إذا ضن السحاب بقطره وابتلى أحدكم بفقره ،لذلك ناسب هذا المكان قوله: **"أَوَلَمْ يَعْلَمُوا"**[1]

فلأن بسط الرزق مما يشاهد ويُرى وكذلك قبضه تضمنت الآية الأولى تنبيها وحثا على مشاهدة ذلك للاعتبار ،ولذلك استهلت بقوله "أولم يروا" ،وتضمنت الآية الثانية ردا على من يدعي ضنا منه أن ما أصابه من نعم كان بسببه كذلك ما أصابه من سوء ،فناسبتها "أولم يعلموا".

7- التناوب بين (العلم) و(الفقه) و(الإيمان):

يتضمن هذا التشابه شاهدين: الأول يفرق بين (العلم ،الفقه ،الايمان)، والثاني يفرق بين لفظتي(العلم والفقه)

أولا: قوله تعالى في سورة الأنعام:﴿... **قَدْ فَصَّلْنَا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ [الأنعام:97] ،وقوله تعالى في نفس السورة: ﴿... **قَدْ فَصَّلْنَا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ**﴾ [الأنعام:14] ،**وقوله عز من قائل في نفس السورة:** ﴿... **إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنعام:99].

- يوَّجه الإسكافي سبب هذا التشابه وختام كل آية بلفظة مخصوصة حسب معناها الذي اكتسبته من السياق القبلي لها فمعنى اللفظة الأولى (يعلمون) ورد بعد التنبيه بآيات دلّت على العلم بالله ووحدانيته ،ولا تصح غير هذه اللفظة بمقارنة(يعقلون ،يفقهون ،يشعرون) ،أما لفظة (يفقهون)فوردت بعد قوله

[1] - الإسكافي ،**الدرّة** ،ص:254،256(بتصرف).

تعالى:﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ...** ﴾ [الأنعام:98] ،فأخبر سبحانه وتعالى عن ابتدائية خلق الإنسان وإنشائه وتنقله من حال لحال ،ومن العدم إلى الوجود ومن الموت الى الحياة ،فكذلك سينقل من الموت الى الحياة ومن القبر الى المحشر فنطقت تلك الاحوال لمن يفهمها ويفطن لها ويستدل بمشاهدها على مغيبها وأن الموت بعثا وحشرا وثوابا وعقابا وهذا مما يفطن له الذين (يفقهون) ،أما لفظة (يؤمنون) فوردت بعد عدِّ الله تعالى نعمه على خلقه وما وسعه من رزقه من ضروب النعم فان هذا مستدعيا للإيمان به وشكر نعمته وطاعته ،وأتت الآيات معرضة لمن آمن بالله فلذلك قال (يؤمنون)،فسياق الآيات كان هو الفيصل في التفريق بين هذه الألفاظ المتشابهة[1].

– وقد وافق الكرماني الإسكافي في هذا التوجيه وأشار إليه بقوله:« لأن من أحاط علما بما في الآية الأولى صار عالما لأنه أشرف العلوم فختم الآية بقوله (يعلمون) ،والآية الثانية مشتملة على ما يستدعي تأملا وتدبرا ،والفقه علم يحصل بالتدبر والتأمل والتفكر ،ولهذا لا يوصف به الله سبحانه وتعالى ،فختم الآية بقوله (يفقهون) ،ومن أقرَّ بما في الآية الثالثة صار مؤمنا حقا ،فختم الآية بقوله (يؤمنون) حكاه أبو مسلم عن الخطيب»[2].

– وقد أشار البيضاوي (ت 691هـ) إلى بعض من توجيه الإسكافي بقوله:« ذكر مع ذكر النجوم (يعلمون) لأن أمرها ظاهر، ومع ذكر تخليق بني آدم (يفقهون) لأن إنشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر...

وفي قوله تعالى:﴿... **إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنعام:99]:لآيات دالة على وجود القادر الحكيم وتوحيده ،فإن حدوث الأجناس المختلفة من أصل واحد ونقلها من حال إلى حال لا يكون إلا بإحداث قادر يعلم تفاصيلها »[3].

– وفرّق العسكري بين الفقه والعلم بقوله: العلم اعتقاد الشيء على ما هو به على سبيل الثقة ،والفقه هو العلم بمقتضى الكلام على تأمله ،ولهذا لا يقال إنّ الله يفقه لأنه لا يوصف بالتأمل، وتقول لمن

---

[1] – نفسه ،ص:92،91(بتصرف).

[2] – الكرماني، **أسرار التكرار** ،مصدر سابق ،ص:72.

[3] – ناصر الدين البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي** ،تقديم محمد عبد الرحمان المرعشلي، دار إحياء التراث، بيروت ،(د ت)، (د ط) ،ج2،ص:175،174(بتصرف).

تخاطبه تفقه ما أقوله أي تأمله لتعرفه ،ولا يستعمل إلا على معنى الكلام ،وسُمي علم الشرع فقها لأنه مبني على معرفة كلام الله تعالى وكلام رسوله [1].

ثانيا: قوله تعالى:﴿**هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[المنافقون:**7،8**].فالتشابه كان بين: يفقهون ويعلمون

- يفرّق الإسكافي بين لفظة "يفقهون" ،"يعلمون" بربط كل آية تتضمنهما بسياقها السابق ،فلفظة (يفقهون)جاءت بعد قوله تعالى:﴿ **هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ**... ﴾[المنافقون:**7**]

فقد كان المشركون يأمرون بحبس النفقات عن المسلمين ظنا منهم أنهم سيضرونهم بذلك ،ولم يفطنوا أنهم بذلك يضرون أنفسهم لأن الله لا يحبس من قدر من أرزاقهم إذا حبسوا انفاقهم ،فهم بذلك لا يفقهون ولا يفطنون ،فظنوا بحبس الانفاق أنهم سيضرون المؤمنين بذلك فتصرفوا بالظاهر فقط لأنهم لو أمعنوا النظر ودققوا لفطنوا بأن الله الذي لا تنفذ خزائنه ما كان ليرضى ذلك ،أما اللفظة الثانية (يعلمون) فقد وردت بعد قوله تعالى:﴿... **لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ**... ﴾[المنافقون:**8**] وذلك لغياب فكرة أن الغلبة والقوة والعزة من عند الله فقط ولعباده الأتقياء ،وأن الذلة والهوان للمخالفين لأوامره عن أذهان المشركين ،فقد تصرفوا بما يعرفوه وألفوه من أن العزة تتولد من القوة والغلبة فقط والذلة لمن لا يملكون ذلك وغابت عن ذهنهم هذه الفكرة لذلك ذيلت هذه الآية ب(لا يعلمون) [2].

- إذن فنستنتج أن بين اللفظتين معنى عام هو العلم ،واختصت لفظة (الفقه) بمعنى إضافي يتعلق بزيادة التأمل والفطنة ،وهو حسب الراغب الأصفهاني (**ت425هـ**) : الفقه هو التوصل الى علم غائب بعلم

---

[1] - العسكري، **الفروق اللغوية** ،مصدر سابق،ص:81،وص:87،88(بتصرف).

[2] - الإسكافي، **الدرة** ،ص:335.

شاهد ،وهو أخص من العلم والفقه بأحكام الشريعة ،وفقِه أي: فهِم أما لفظة (العلم) فتعني: الاعتقاد الجازم المطابق للواقع ،وهو كذلك ادراك الشيء على ما هو به ،وهو الوصول معنى الشيء[1].

شده فمنعه من أن يثور ولهذا لا يوصف الله به ،وقال بعضهم العقل الحفظ ،وقيل العقل يفيد معنى الحصر والحبس

مما سبق نستخلص أنّ العارف بآيات الله الظاهرة الدالة على وحدانية الله تعالى يُسمى عالما ،وهو أشرف العلوم، والمتأمل المتدبر في دقائق المخلوقات بفطنة يسمى فقيها ، والمعدد لنعم الله عليه الشاكر لها يسمى مؤمنا فالألفاظ الثلاثة متكاملة لأنّ الفقه جزء من العلم وكلاهما يؤديان للإيمان.

8– بين يؤمنون ،يوقنون ،يعقلون:

الشاهد قوله تعالى:﴿ **إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾[الجاثية:**3،5**].

يوجّه الإسكافي الآية الأولى طبقا للسياق القبلي حيث ربط الآية المتشابهة "لآيات للمؤمنين" بحملها على ما تقدم من آيات والتي من ضمنها: اتساق النجوم وانتظامها ودلالتها على الخالق ،وكون هذه الآيات أداة الإيمان وقد خص بها المؤمنون رغم أنها خلقت لهم ولغيرهم إذا فقط تدبروها وانتفعوا بها.

أما الآية الثانية" لآيات للقوم يوقنون" فوردت بعد توارد الآيات الدالة على عجائب خلق الحيوان من أعضائه و حواسه التي لا يدرك بها المحسوسات ومواده التي هي قوام الحياة والروح ولا يدرك هذه الآيات إلا ذو العقل الكبير والمتفكر فينتقل بذلك من الظن إلى العلم واليقين ،واليقين علم يحصل بعد تشكك فلذلك لا يوصف الله تعالى به .

أما الآية الثالثة (لآيات لقوم يعقلون) فقد أشار الإسكافي إلى أنه قد وجه آيات وردت فيها هذه اللفظة* ، ومعناها يفطنون بمعلوم لمعلوم آخر ،فيعقلون إحياء الأرض بالمطر والعظام وهي رميم ،وفي هذا

[1] – الراغب الأصفهاني ،**مفردات ألفاظ القرآن** ،مصدر سابق ،ص:642.(مادة فقه).

الموضع يقال فيه عقل من كذا كذا أي استدركه بالعلم بعد أن لم يكن مستدركا له ،فكأنه في معنى يفطنون ويدرون ويشعرون ،كما أن أصل الوصف بالعقل موضوع لحالة ثابتة ومعرفة طارئة[1].

- والحاصل من التفريق بين المفردات الثلاث أن الأولى (يؤمنون) جاءت بمعنى التدبر والانتفاع بآيات الله الكونية ومن لم يتدبر ولم ينتفع بها فهو ليس مؤمن ،أما اللفظة الثانية (يوقنون) فمعناها العقل الكبير والتفكر والانتقال من الظن لليقين ، أما المفردة الثالثة (يعقلون) فمعناها يفطنون أمر من أمر آخر ويستدركونه.

9- بين وجدنا وألفينا:

والشاهد قوله تعالى:﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾[البقرة:170]،وقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا...** ﴾[لقمان:21]

- يقول الإسكافي: «ألفينا يقصد بها بعض الوجوه التي يستعمل عليها وجدنا ،لأنه يقال "وجدتُ الشي فلا يحتاج إلى مفعول ثان إذا وجدته عن عدم ،ولوجدان الضالة تقول: وجدتُ الضالة وتقول وجدتُ زيدا عاقلا ،فيكون الوجود متعلقا بالخبر الذي هو المفعول الثاني فلابد له في هذا الوجه منه ولا يكتفي بالمفعول الأول.

أما قولهم ألفيتُ فإنها مخصوصة بهذا الوجه من وجوه وجدتُ ،لا يقال ألفيتُ درهما بمعنى وجدتُ درهما ولا ألفيت الضالة بمعنى وجدتها ،وإنّما يُقال ألفيتُ زيدا عاقلا ،وألفيته على الهدى وعلى الضلالة، فكان الموضع الأول استعمال اللفظ الأخص أولى وتأخير اللفظ المشترك إلى المكان الثاني أولى»[2]

- نلاحظ أنَّ الإسكافي يرى أنّ هناك فرقا كبير بين اللفظ "ألفى"، و"وجد" ،حيث أن الثانية أعم من الأولى،

---

[1] - الإسكافي ،**الدرّة** ،ص:298،299(بتصرف).

[2] -نفسه ،ص:310،312(بتصرف).

وتتعدد معانيها بين الحصول على الشيء وهنا تتعدى إلى مفعول واحد ،وبين الادراك والمعرفة (أفعال اليقين) وهنا تتقاطع مع "ألفى" وتتعدى إلى مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، ولله در الإسكافي حين يضيف قاعدة أخرى وهو أن استعما اللفظ الأخص والذي استعمل بداية في سورة البقرة أولى وتأخير اللفظ المشترك الى المكان الثاني أسلم .

- وقد وافق الغرناطي الإسكافي في أن لفظ(وجد) لفظ مشترك يطلق على معنى العلم بالشيء وبمعنى العثور على الشيء ،وخالفه حين رأى بأن الفعل (ألفى) هو بمعنى (وجد) في قولنا وجدت الضالة فيتعدى إلى واحد، ولا يُقال (ألفَى) بمعنى (وَجَد) وذلك بمعنى عَلِمَ مُتعديا إلى اِثنين، و ما يقع منتصبا بعد مفعوله في مثل قولهم ألفيتُ زيدا عالما ينتصب على الحال بدليل أنه لا يوجد إلا نكرة، وأضاف بأن (ألفى) أكثر حروفا من (وجد) فناسب لفظ (ألفى) طول آية البقرة وناسب لفظ (وجد) إيجاز آية لقمان[1].

10- بين رُدِدْتُ ورُجِّعتُ:

الشاهد قوله تعالى:﴿... **قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا** ﴾ [الكهف:35،36].وقال جلَّ شأنه في سورة فصلت:﴿ **وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى**... ﴾ [فصلت:49].

- يفرق الإسكافي بين الكلمتين بأنَّ الآية الأولى خصت بلفظة(رُددتُ) لأنه تقدمها وصف الجنتين وما حوتاه والتقدير فيها أنها لن تدومان له، والرد عن الشيء يتضمن معنى الكراهة للمردود ،تقول قصد فلان فلانا فردّ عنه ،وقصد فلانا فرجع عنه ،فلما اختصت الآية الأولى بنقل عن جنته وهو خلاف محبته وظف اللفظ الذي يدل على الكراهية ،أما الآية الثانية فلم يتقدمها ما في الأولى وليس في (رجع) ما في (رد) من كراهة وهوان يلحقان المردود ولا يلحقان المرجوع فافترقا لذلك[2].

- إذن فالفرق بين الفعل (ردَّ) وبين (رجع) يكمن في أن الأول يتضمن معنى الكراهة والهوان بخلاف الثاني.

---

[1] - الغرناطي ،**ملاك التأويل** ،مصدر سابق،ص:56،57(بتصرف).

[2] - الإسكافي، **الدرة** ،ص:197(بتصرف).

- وللغرناطي رأي آخر استقاه من تفسير ابن عطية(ت546هـ) للآية الثانية ومضمونه أن الآيتين نزلتا في انكار البعث ،والأولى خاصة بالكافر فقط ،أما الثانية فنزلت في الوليد بن المغيرة وقيل في عتبة بن ربيعة وهي صالحة لاتصاف الكافر والمؤمن بها ،لأنه قال قبلها ﴿ **لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ**... ﴾ **[**فصلت:49**]** ،ولفظ(ردّ) يتضمن معنى القهر والتعنيف بينما لفظ (رجع) لا يحتمل ذلك وأكثر ما يرد الفعل (ردّ) مع الكافر[1]، إذا فزاد الغرناطي للفظة (ردّ) معنى القهر والتعنيف وهو قريب من تفسير الإسكافي له.

11- بين احمِل واسلُك:

الشاهد قوله تعالى:﴿... **فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ**... ﴾**[**المؤمنون:27**]** وقوله تعالى :﴿ **حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ**... ﴾**[**هود:40**]**

ويرد الإسكافي هذا التشابه بأن لفظة "احمل" تتضمن تهيئة ما يستبقى من الحيوان ومن المؤمنين ،وقد تضمنت الآية في سورة هود ثلاث أوامر :احمل بمعنى التهيؤ للركوب ،اركب ،انزل ، فلما بنيت سورة هود على التفصيل جاءت الألفاظ كذلك مفصلة خمس وعشرون آية في قصة نوح عليه السلام ،أما لفظة (اسلك) فتضمنت معنى "احمل" و"اركب" و"اعبر" ،وقد مثل لذلك بقوله :سمي الطريق مسلكا ،وسلكه ينابيع في الأرض أي أجراه ،وسلك الطريق نفذ فيه ،وقد وردت هذه اللفظة مجملة وحملت المعاني الثلاث للأن سورة المؤمنون بنيت على الاختصار وجاءت قصة نوح فيها في ثماني آيات فقط مقارنة بالأولى[2].

- وقيل في معنى قوله تعالى:﴿... **اسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ**... ﴾ :أدخل في السفينة من كل أمة زوجين ،واثنين فيها اطناب ،تأكيدا وزيادة في التوضيح[3].

---

[1] - ينظر: ابن عطية ،**المحرر الوجيز** مصدر سابق،ج3،ص:22 ،و الغرناطي ،**ملاك التأويل** ،مصدر سابق ،ص:318،319 (بتصرف).

[2] - الإسكافي ،**الدرة** ،ص:219،220(بتصرف).

[3] - عائشة حسين فريد، **من بلاغة سورة المؤمنون** ،دار قباء ،القاهرة،2000،(د ط)،ص:100.

12- بين أرسل وأبعث:

- الشاهد قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ**﴾[الأعراف:111]، قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ**﴾[الشعراء:36].

يوجه الإسكافي هذا التشابه بجعله بدء اللفظتان (أرسلَ /بعث) نظيرتان ،وقال أنهما تستعملان إحداهما مكان الأخرى ،وقد ورد : بعث الرسول وأرسله معا، ولكن تختص اللفظة (أرسل) بمالا تختص به (ابعث) ،لأن البعث لا يتضمن ترتيبا أي مقامات بين المتخاطبين ، وبالمقابل فإن (أرسل) أصله تنفيذ من فوق إلى أسفل، ثم ربط الإسكافي هذا التفصيل بسياق السورتين ،فذكر أن الآية الأولى حكاية قول العامة للملأ المؤدين كلام فرعون إليهم فلما تعالى عليهم ولم يخاطبهم بنفسه كان قولهم في جواب ما استأمرهم فيه واستشارهم في فعله على الترتيب الذي رتب لهم في الخطاب ،فكانت الحكاية باللفظ الذي يفخم به المخاطَب لما فخم في تحميله ملأه أن يؤدوا كلامه الى من دونهم ،ويكمن سر اختصاص الآية الثانية بلفظة(ابعث) في كونها تناولت ما تولاه فرعون بنفسه من مخاطبة قومه بإسقاط الحجاب بينهم وتسوية قدرهم بقدره لقوله تعالى:﴿ **قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ**﴾[الشعراء:34].فكان الموضع مخالفا للموضع الأول في مقتضى الحال والتفخيم ،فخص اللفظ(ابعث) الذي ليس فيه تعظيم وتفخيم بما يناسبه[1]

- لقد وجّه الكرماني هذا التشابه بنفس توجيه الإسكافي أي اعتمد على المقام للفصل بين المفردتين ،فقال :« أن الإرسال يفيد معنى البعث ويتضمن نوعا من العلو لأنه يكون من فوق ،فخص هذه السورة (الأعراف) لما التبس ليعلم أن المخاطب به فرعون دون غيره»[2].

- أما الغرناطي فقد اعتمد على ترتيب المصحف والحقيقة والمجاز في الفصل بين اللفظتين ، فقال:« إن أرسل أخص في باب الإرسال من البعث إذ لا يقال أرسل إلا فيما كان توجيها فيه معنى الانتقال حقيقة أو مجازا أما بعث فإنه يقع بمعنى الإرسال وبمعنى الإحياء ومنه البعث الأخروي..،فلما كان الإرسال أخص وقع الإخبار به أولا ثم وقع بالبعث تنويعا للعبارة وعلى الترتيب في موضع اللفظ في القرآن»[3].

[1] - الإسكافي ،**الدرة** ،ص:125،126(بتصرف).

[2]- الكرماني ،**أسرار التكرار** ،مصدر سابق،ص:89(بتصرف).

[3] - الغرناطي ،**ملاك التأويل** ،مصدر سابق ،ص: ،216 (بتصرف).

- أما ابن عطية فقد ذكر نفس توجيه الإسكافي بشيء من الايجاز مع اختلاف في نوع المخاطِب والمخاطَب وجعله نوعا من التفنن في الكلام ،وجعل صاحب تفسير التحرير والتنوير هاتان اللفظتان مترادفتان[1] .

- وقد فرّق العسكري بين اللفظتين بشكل عام فقال:" يجوز أن يبعث الرجل إلى الآخر لحاجة تخصه دونك ودون المبعوث إليه كالصبي تبعثه إلى المكتب فتقول بعثته ولا تقول أرسلته لأن الإرسال ر يكون إلا برسالة وما يجري مجراها[2]

- الحاصل من كل هاته التوجيهات أن الفيصل في التفريق بين هاتين اللفظتين هو المخاطب ،فإن كان الأمر صادر من الأعلى إلى الأسفل فتناسبه لفظة "أرسل" وإن كان العكس ناسبه "ابعث" ، ويكمن الاختلاف بين السورتين في نوعية المخاطِب ،فقال الإسكافي أن سورة الأعراف تضمنت حكاية العامة للملأ المؤدين كلام فرعون ، والملأ أعلى مرتبة من العامة ،وفرعون أعلى منهم مرتبة فناسب الخطاب لفظة "أرسل" ،أما سورة الشعراء فإن المخاطِب هو فرعون والخطاب كان للأدون فناسبته لفظة "ابعث" ،ولفظة أرسل" تختص بمعنى التفخيم والتعظيم والانتقال الحقيقي والمجازي ،أما لفظة "ابعث" فتحتمل معان أخرى وهي من المشتركات اللفظية.

13- بين الطامّة والصَاخّة:

من المعلوم أنَّ الطامّة والصَّاخة من أسماء يوم القيامة ،فهل يا ترى نجد بينهما فرقا في المعنى بينها وخاصة إذا وردتا في نفس السياق ؟ ،سنورد رأي الإسكافي في هذا الشأن لنتأكد ،والشاهد قوله تعالى في سورة النازعات: ﴿**فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى...**﴾[النازعات:34]وقوله تعالى في سورة عبس:﴿ **فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ**﴾[عبس:33].

يرى الإسكافي أَنَّ الطامّة تستعمل في الشديدة التي تُنسي عندها الشدائد فتطمُّ على ما تقدمها أي: تستره وتغطيه ، ومنه يقال طمَّ البئر إذا كبسها والطمُّ الكبسُ• ،والقيامة الطامة الكبرى لأنها تنسي شدتها ما تقدمها من شدائد الدنيا ،واستعملت الطامة الكبرى في هذه السورة(النازعات) لأنه ذكر قبلها

---

[1] ينظر: ابن عطية ،**كشف المعاني** ،ص:186،187، والطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير** ،ج19،ص:124.

[2]- أبو هلال العسكري، **الفروق اللغوية** ،مصدر سابق ،ص: 268 .

• **الكَبْسُ**: طمُّك حفرة بتراب ،كبسَ يكبسُ كبساً ،واسم التراب الكِبسُ والكِبسُ ما يسُد الهواء مسدا ،ينظر: الفراهيدي ،**العين** ،مصدر سابق ،ص:7.

ما أتى به فرعون من الطامة الكبرى حين قال:﴿ **فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى** ﴾[النازعات:24]فهذه الكبائر كالشديدة فناسب اقترانها الطامة الكبرى.

- أَمَّا الصاخّة فهي صيحة تطعن الآذان فتصمها ،يقال صخَّ الغراب بمنقاره في دبر البعير أي طعن ،فالصَّاخة صيحة شديدة ولشدة صوتها تُحيي لها الناس كالصيحة الشديدة التي ينتبه لها النوَّام ،فلما تقدم في هذه السورة من حال الإنسان ما نطق به قال: ﴿ **ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ**﴾[عبس:22،21].

فكان النشور بالصَّاخة التي تطعن الآذان فيقضي الله عندها احياء الموتى[1].

- وذكر ابن فارس أنّ الطمّ يدل على التغطية الشيء بالشيء حتى يسويه به ،ومن ذلك قولهم طمّ البئر بالتراب :ملأها وسواها، ومن ذلك قولهم: طمّ الأمر :إذا علا وغلب، ولذلك سُميّت القيامة الطامّة[2].

والصاخّة حسب الأصفهاني هي شدة الصوت ذي النطق ،وهي الآية السابقة(سورة عبس)، عبارة عن القيامة – وذكر ابن عاشور في تفسيره لهذا الشاهد أنّ الطامة هي الحادثة ،أو الوقعة التي تطِمُّ أي: تعلو وتغلب بمعنى تفوق أمثالها من نوعها ،مأخوذ من طمّ الماء ،إذا غمر الأشياء ،وهذا الوصف يؤذن بالشدة والهول إذ لا يقال مثله إلا في الأمور المهولة ،ثم بولغ في تشخيص هولها بأن وُصفت بالكبرى، والمراد بالطامة الكبرى القيامة ،وقد وُصفت بأوصاف عديدة في القرآن مثل :الصّاخة والقارعة والراجفة ،ووُصفت بالكبرى.

والصّاخة :صيحة شديدة من صيحات الإنسان تصخُّ الأسماع أي: تُصِمها ،يُقالُ :صخّ ،يصخُّ قاصرا ومتعديا ، وقد اختلف علماء اللغة في اشتقاقها ، فالصاخّة صارت في القرآن علما بالغلبة على حادثة يوم القيامة وانتهاء العالم ،وتصل صيحات منها أصوات تزلزل الأرض واصطدام بعض الكواكب بالأرض مثلا [3].

[1]- الإسكافي، **الدُّرة** ،ص: 360،359(بتصرف).

[2] – ابن فارس، **مقاييس اللغة**، مصدر سابق،ج3،ص:406(مادة طمّ).

[3] – الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير** ،مصدر سابق، ج30،ص:90 ،وص:135(بتصرف).

من خلال ما سبق نلاحظ تقاربا في المعنى بين لفظتي "الطامّة" و"الصاخّة" كونهما وصفان ليوم القيامة ،ويُوحيان بالشدة والفزع والهول ،وتدُلان على نهاية الحياة الدنيا، وتختلفان حيث أنّ الطامّة تدُل على الشدّة التي تُنسي في سابقتها ،والصاخّة تدل على الصوت الشديد الذي يصُمُّ الآذان.

14 – بين اللهو واللعب:

– الشاهد• قوله تعالى:﴿ **وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**﴾[الأنعام:70]،وقوله تعالى: ﴿ **قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**....﴾[الأعراف:50،51]،وقال كذلك:﴿**وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ**... ﴾[العنكبوت:64]،وقال في سورة الحديد: ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ**.... ﴾[الحديد:20].

– يمكن استخلاص أهم نقاط التشابه والاختلاف بين لفظتي (اللعب) و(اللهو) حسب ما أورد الإسكافي[1] من خلال الجدول التالي:

• تضمن هذا الشاهد كذلك توجيها بلاغيا ذُكر في محله (التقديم والتأخير).

[1] – الإسكافي، **الدرة** ،ص:87،90(بتصرف).

	اللعب	اللهو
المعنى العام	- كل الأفعال التي تبطل في الآجال وإن سرت في العاجل. - فعل في طاعة الجهل تتعجل منه مسرة وتبطل في الآخر	الهوى ،الطرب ،المرأة(بلغة اليمن ،وسُمّيت كذلك لكثرة ما يقع ذلك بها) ،مخالطة النساء ،الترويح عن النفس، المكاثرة والمفاخرة بالأموال والأولاد
المعنى الخاص	- العبث عند سماع القرآن والاستهزاء به واتخاذ حروفه مجرى أفعال يستروح إليها. - اقتداء الكفار بأفعال بآبائهم وعدم الانتفاع بهم.	الانشغال عن تدبر آيات القرآن باستحلاء الدنيا والانشغال بملذاتها.
رتبته	الأول	الثاني
زمنه	الصبا	ما بعد الصبا
الوقت الذي يقصره	أقل	أكثر
زمن حلاوته	قصير	قصير وبحسب ميل النفس
أفعال الكفار	أقل أفعالهم	أكثر أفعالهم

الجدول يوضح المعاني المختلفة بين لفظتي (اللعب) و (اللهو) التي استخلصها الإسكافي من خلال توجيه الشاهد

- وأورد العسكري فروقا أخرى بين اللفظتين بقوله: «اللعب عمل للّذة لا يُراعى فيه داعي الحكمة ،كعمل الصبي لأنه لا يعرف الحكيم ولا الحكمة وإنما يعمل للّذة ...ولا لهو إلا لعب وقد يكون لعب ليس بلهو ،لأن اللعب يكون للتأديب كاللعب بالشطرنج وغيره ولا يقال لذلك لهوا وإنما اللهو لعب لا يعقب نفعا ،وسُمي لهوًا لأنه يشغل عما يعني من قولهم ألهَاني الشيء أي شغلني»[1].

[1]- العسكري ،**الفروق اللغوية** ،مصدر سابق،ص:254.

كما فرّق الكفوي بين اللفظتين ،فذكر أنّ اللهو: صرف الهم بما لا يحسن أن يصرف، واللعب :طلب الفرح بما يحسن أن يطلب به ،وقيل اللهو: الاستمتاع بلذات الدنيا ،واللعب :العبث، وقيل اللهو: الميل عن الجد إلى الهزل واللعب :ترك ما ينفع بما لا ينفع ،وقيل اللهو: الاعراض عن الحق ،واللعب: الاقبال على البال، واللهو: كل باطل ألهى عن الخير وعمّا يعني[1].

وقيل اللعب :ضد الجد ،ويُقال لكل من يعمل عملا لا يجلب له نفعا إنما أنت لاعب ،اللهو: هو الاشتغال بشيء ذي فائدة قليلة صارفا عمّا يجب توجيه الجهد والعمل له ،كالاشتغال بما يجلب به العامل متاعا ضئيلا لنفسه من متاعات الحياة الدنيا ويصرفه عمّا يرتفع به درجات في جنات النعيم ،أو يصرفه عن دخول الجنة ،ويجعله من أصحاب النار[2]

وذكر الطاهر بن عاشور أنّ اللعب عمل أو قول في خفة وسرعة وطيش ،ليست له غاية مفيدة بل غايته إراحة البال وتقصير الوقت، واستجلاب العقول في حالة ضعفها :كعقل الصغير والمتعب ،وأكثره أعمال الصبيان ،هو مشتق من اللعاب ،وهو ريق الصبي السائل ،وضد اللعب الجد ،واللهو ما يشتغل به الإنسان مما ترتاح إليه نفسه ،ولا يتعب في الاشتغال به عقله ،فلا يطلق إلا على ما فيه استمتاع ولذة وملائمة للشهوة، وبين اللهو واللعب عموم خصوص، فهما يجتمعان في العمل الذي فيه ملائمة ويقارنه شيء من الخفة والطيش :كالطرب واللهو ،وينفرد اللعب في لعب الصبيان ،وينفرد اللهو في نحو الميسر والصيد[3] .

نلاحظ من خلال ما سبق أنّ معاني اللفظتين تجتمعان في عدة نقاط منها: كل عمل لا يجدي ولا ينفع عاجلا، تستحليهما النفس وترتاح له، لذتهما قصيرة ،كل ما يشغل عن العمل ليوم الحساب.

أمّا نقاط الاختلاف بينهما وإن كانت قليلة فمنها: أن اللعب مرتبط بمرحلة الطفولة لأنه يكثر فيها لعب الصبيان ،اللهو مرتبط بما بعد تلك المرحلة ،وأنّ مدة الانشغال باللهو أكثر منها باللعب كما ذكر الإسكافي، لأن مدة اللهو ترتبط بمرحلة الشباب وما بعدها ،اختلاف وسائل اللعب عن وسائل اللهو للاختلاف المرحلة العمرية .

---

[1] – أبو البقاء الكفوي، **الكليات**، مصدر سابق ،ص: 778،وص:799.

[2]– عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني، **معارج التفكر ودقائق التدبر** ،دار القلم، دمشق،2014 ،ط2 ،ص:284،285(بتصرف).

[3]– الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، مصدر سابق، ج7،ص:194(بتصرف).

أمّا في القرآن فيمكن القول أنّ كل ما يشغل عن الاستعداد للآخرة وعن التدبر في القرآن وفي آيات الله الكونية يعد من باب اللهو واللعب.

15- بين بلوغ الأشد وبلوغ الأشد و الاستواء:

الشاهد قوله تعالى:﴿ **وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ **[**يوسف:22**]**،وقوله تعالى:﴿ **وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ **[**القصص:14**]**

يقول الإسكافي أن الآية الأولى نزلت في سيدنا يوسف عليه السلام أما الثانية فنزلت في سيدنا موسى عليه السلام، وقد خصت الآية الأولى بلفظة (بلغ أشده) لأن الله عز وجل أوحى إليه وهو في الجب بعد أن طُرح فيه ،وأوحى إليه من قبل بالرؤيا التي قصها على أبيه ،أما الآية الثانية فخصت بزيادة لفظة (استوى) لأن سيدنا موسى عليه السلام أوحي إليه بعد بلوغه الأربعين ،بعد أن ذهب إلى مدين واستأجره شعيب عليه السلام ومضت سنوات إجارته وسار بأهله ،ثم فصل القول في معنى (بلغ أشده) و(استوى) والفرق بين (بلغ أشده) و(بلغ أشده واستوى) بأن بلوغ الأشد مختلف فيه فقيل هو بلوغ الثلاثين ،وقيل خمسا وعشرين ،وقيل العشرين. لأنه يقال إن الصبي يثغر لسبع ويبلغ لسبع بعدها ويناهى طوله سبع بعدها...وايتاؤه الحكم والعلم يكون بعد البلوغ ،ويجوز كون البلوغ سُمي الأشد لأن الغلام إذا بلغ شدت أعماله وكتبت حسناته وسيئاته .أما (بلغ أشده واستوى)معناها أدرك واستوت لحيته ،وقيل الاستواء بلوغ الأربعين وقيل كمال الجسم وتمام طوله وعرضه وخروجه عن جملة الأحداث[1].

إذن فزيادة لفظة (استوى) بين الآيتين أفادت زيادة معنى الزيادة في العمر ،ولأن الزيادة في المبنى زيادة في المعنى.

- قد وافق الكرماني الإسكافي في التفريق بين اللفظتين[2]

[1] - الإسكافي ،**الدرّة** ،مصدر سابق ،171،172(بتصرف).

[2] - الكرماني، **أسرار التكرار** ،مصدر سابق،ص:111.

وقد فصّل ابن عطية القول في لفظة "الأشد" والاختلاف في معناها وقدرها ،فذكر أنّ "الأشد" جمع شدة كنعمة وأنعم حسب سيبويه ،وقيل "الأشد" جمع شد، وقيل :"الأشد" اسم مفرد وليس جمع ،واختلف في قدره من السنين، فقيل هو بلوغ الحلم وهو نحو خمسة عشرة عاما ،وقيل ثمانية عشر عاما ،وقال السدي عشرون ،وقيل خمسة وعشرون ،وقيل ثلاثون ،وقال مجاهد وابن عباس: ثلاثة وثلاثون ،وقالت فرقة عظيمة: ستة وثلاثون ،وقال مجاهد وقتادة "الاستواء" أربعن سنة، وقال مكي: ستون سنة وهو ضعيف، ثم عقي ابن عطية برأيه ،فذكر أنّ الأشد معناه شدة البدن واستحكام أسره وقوته، والاستواء معناه تكامل عقله وحزمه ،وهو عند الجمهور مع الأربعين[1].

يظهر الفرق بين اللفظتين من خلال ما سبق ومن خلال قصتي يوسف وموسى عليهما السلام ،فنخلص إلى أنّ معنى الأشد وفقا لعدد السنوات أقل من معنى الاستواء، وذلك أنّ يوسف عليه السلام ألقي في الجب في ذات السن (البلوغ)،ولم يبلغ الأربعين بعد وأوحي إليه وهو بذات السن ،أما معنى الاستواء فهو سن الأربعين على أكثر الأقوال ،فهو أكبر من سن الأشد ومضاف إليه كمال العقل ونضوجه على اعتبار أن الزيادة في المبنى زيادة في المعنى .

16- بين الإحسان والاصلاح:

الشاهد قوله تعالى:﴿ **وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾[النساء:**128]** ،وقوله تعالى في نفس السورة:﴿ **وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾[النساء:**129]**.

- المراد بالإحسان في الآية الأولى ترك الزوجة مهرها أو بعض أيامها وإن كان ذلك جُبلت على الشح في ذلك إن خافت اعراضا أو ملالا من الزوج ،أو هو مخاطبة الأزواج بمجانبة القبيح وإثارة الحسنى في المعاملة. ولما كان العدل بين النساء غير مستطاع اقتضى ذلك الميل للاحداهن وترك الأخرى معلقة فاقتضى الحال حث الأزواج على اصلاح الخطأ بالتوبة واستئناف ما يقدرون عليه من التسوية وسعة

[1] - ابن عطية ،**المحرر الوجيز** ،مصدر سابق، ج4،ص:280(بتصرف).

النفقة وحسن العشرة في ،لذلك وردت لفظة (الاصطلاح) في الآية الثانية خلافا للأولى[1] ،إذا فمعنى (الإحسان) عند الإسكافي هو مجانبة القبيح وإثارة الحسنى في المعاملة بإيثار الصلح والتنازل عن الحق أو بعضه .أما لفظة (الصلح) فقد فسره الإسكافي بضده وهو اصلاح ما أفسده الزوج بعدم التسوية والعدل

- وقد عرَّف الأصفهاني الاحسان بمعنيين:

1- الانعام على الغير .

2- الاحسان في الفعل وذلك إذا عمل عملا حسنا.

وهو عنده أعلى من العدل .

- أما الإصلاح فهو ضد الفساد وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال [2].

- وقد ذهب أبو السعود (ت **982هـ**) لنفس توجيه الإسكافي حين رأى بأنّ (الإحسان) هو الصبر ومراعاة لحقوق الصحبة والتنازل عن الحقوق ،أما (الاصلاح) فهو متعلق بإصلاح ما كان مفسدا من الأمور(عدم التسوية)[3].

17- بين الاقتداء والاهتداء:

- الشاهد قوله تعالى: ﴿**بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ**﴾[الزخرف:22] ،وقال عز وجل في نفس السورة:﴿ **وكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ**﴾[الزخرف:23] .فالتشابه كان بين "مهتدون"و"مقتدون"

يفرق الإسكافي بين اللفظتين بأن الأولى" مهتدون" وردت في سياق محاجة الكفار للرسول صلى الله عليه وسلم فقال الله عنهم ﴿ **أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ**﴾[الزخرف:21] أي كتابا قبل القرآن فيه حجة تعضد دعواهم فهم به متعلقون به ،ثم أعرض عن ذلك وقال لا حجة لهم ولكنهم قالوا ﴿**بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا..** ﴾ الآية ،أي ملة وطريقة في الدين مقصودة ونحن في اتباع آثارهم

---

[1] - الإسكافي ،**الدّرة** ،ص:60،59(بتصرف).

[2] - الراغب الأصفهاني ،**مفردات ألفاظ القرآن** ،مصدر سابق ،ص: 236 (مادة حسن) ،وص:489(مادة صلح).

[3] - أبي السعود ،**تفسير أبي السعود** ،مصدر سابق ،ج1،ص:792،793(بتصرف).

على هداية ،فادعوا الاهتداء بسلوكهم سبيل آبائهم ،أما اللفظة الثانية "مقتدون" فتخص كل الأمم الكافرة بأنبيائها حيث قال ذوو النعم والأموال من أهلها قريبا من قول الكفار في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وكان أقصى ما احتجوا به أن قالوا إنا وجدنا آبائنا على أمة أي ملة فاقتدينا بهم ،ولم يؤكد الخبر عنهم بدعواهم الاهتداء كما أكده عمن كان في عصر النبي من يدعيه لبطلان قول الجميع وزوال الماضين عن احتجاجهم وثبات هؤلاء في حجاجهم[1].

– لقد وافق الغرناطي الإسكافي في توجيهه ولكن بشيء من التفصيل فجعل مناسبة الآية الأولى حين عرض الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن على الكفار وسماه هدى (بذلك سمي في القرآن) ،رد عليه الكفار بنفس السياق بقولهم أنهم أصلا مهتدون وأنهم وجدوا آبائهم على دين وما وجدوهم عليه هدى فهم مهتدون كهديهم، أما الآية الثانية فعامة في كل الكفار فلما عرض عليهم الدين قالوا بأنهم مقتدون فهو اتباع مجرد عن ادعاء كونه هدى أو غير هدى فهو اعتراف بتقليد واتباع تعظيما لفعل آبائهم من غير ادعاء شبهة[2]

– وكذلك كان لابن جماعة نفس التوجيه ،فذكر أنّ الآية الأولى ادعاء قريش أنهم وآبائهم على هدى ،أما الآية الثانية فإنها تخصُّ الأم السالفة ولم يدعوا الاهتداء بل متبعين آبائهم[3].

18– بين الفسق والكفر:

الشاهد قوله تعالى:﴿... **فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [يونس:32،33] ،وقوله تعالى:﴿...**وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ**﴾ [غافر: 5،6]

– ذكر الإسكافي الفرق بين لفظتي " الفسق" و"الكفر" من خلال تفسيره لسياق كل سورة ، الآية الأولى خصت قوما اعترفوا مسبقا وأقروا بأن الله هو المنعم والمتفضل عليهم والذي يدبر أمورهم ،كما ذكر الله تعالى بقوله :﴿... **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**﴾ [الزمر:3] ،فباينوا بإثبات الصانع وما زعموه من معرفة الخالق من أنكره وجحد بآياته وفسقوا بأن عبدوا

[1]– الإسكافي، **الدرّة** ،ص:296،297(بتصرف).

[2]– الغرناطي ،**ملاك التأويل** ،مصدر سابق ،ص: ،440 (بتصرف).

[3] – ابن جماعة ،**كشف المعاني** ،مصدر سابق،ص:333،334(بتصرف).

غيره ولم يثبتوا نبوة رسوله، فهؤلاء الذين أقروا للصانع فعله وانكروا النبوة وعبدوا آلهة غيره كان ذلك فسقا لخروجهم عن اقرارهم ،والفسق فسقان:

– أحدهما هو الكفر وتسميته كذلك لما فعلوه من قبل(الاعتراف بربوبية وانكار النبوة وعبادة غيره).

– ثانيها فسق وليس بالكفر وهو المقصود بقوله تعالى:﴿ ... **وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [النور:4] .

– أما المقصود باللفظة الثانية (الكفر) فهم الذين كفروا بمجادلتهم في الله فشبههم بمن مضوا.

– وقد أشار الراغب الأصفهاني للفرق بين اللفظتين ولكنه لم يفرق بينهما بدقة فمرة جعل الفسق أعم من الكفر لما كان بصدد شرح لفظة (الفسق) ،ومرة أخرى جعل الكفر أعم من الفسق لما شرح معنى (الكفر) فقال في الفسق:« فسقَ فلان خرج عن حجر الشرع ،وذلك من قولهم فسق الرطب إذا خرج عن قشره ،وهو أعم من الكفر ،والفسق يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير ،وأكثر ما يقال الفاسق لمن التزم حكم الشرع وأقرَّ به ثم أحل جميع أحكامه أو ببعضه ،وإذا قيل للكافر الأصلي فاسق فلأنه أخل بحكم ما ألزمه العقل واقتضته الفطرة ».

– أما في الكفر فقال: «الكفر لغة ستر الشيء ...وأعظم الكفر جحود الوحدانية أو الشريعة أو النبوة، قال تعالى: ﴿ ... **وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [النور:55]،عني بالكافر الساتر للحق فلذلك جعله فاسقا ومعلوم أن الكفر المطلق هو أعم من الفسق ،ومعناه من جحد حق الله فقد فسق عن أمر ربه بظلمه»[1].

وذكر أبو البقاء الكفوي (**ت 1094هـ**) بأنّ الفسق هو الترك لأمر الله والعصيان ،والخروج عن طريق الحق والفجور ،وهو في القرآن على وجوه بمعنى: الكفر ،المعصية، الكذب ،الإثم...الخ ،وكله راجع في اللغة للخروج من قولهم: فسقت الرطبة عن القشر ،والفاسق أعم من الكافر.

والكفر :التغطية ،ومنه سمي الكافر لأنه يستر نعم الله ،والكفر عدم الايمان ،ويقال: كفر المنعم والنعمة ،والكفر :تغطية نعم الله بالجحود ،وهو في الدين أكثر ،والكفر قد يحصل بالقول تارة وبالفعل أخرى

[1] – الراغب الأصفهاني ،**مفردات ألفاظ القرآن** ،مصدر سابق ،ص: 637،636 (مادة فسق).و ص:714،715 ،(مادة كفر)(بتصرف).

،ويؤدي للمعصية التي توجب الخروج من الايمان ،ولا توجب الاتصاف بالكفر بل بالفسق والفجور :كالقتل العمد والعدوان ،وشرب الخمر....[1]

نلاحظ تضاربا في تفريق الكفوي بين الكفر والفسق ،فمرة يقول أن الفاسق أعم من الكافر ،ومرة يعدّ الفسق جزء من الكفر.

– وقد فرّق السامرائي بين اللفظتين موافقا في ذلك توجيه الإسكافي ،فذكر أنّ الفسق هو الخروج عن الطاعة ،وفسقت البيضة: خرجت من قشرها ،والذي يخرج عن الطاعة وإن قليلا يسمى فاسقا ،وأيضا الكافر يسمى فاسقا ،وليس الفاسق كافرا ،وقد يصل إلى الكفر وقد لا يصل ،وكل كافر فاسق وليس كل فاسق كافر ،والكفر الخروج عن الملة نهائيا .

ويمكن الخروج بنتيجة من خلال ما سبق في أنّ الفسق قد يكون جزء من الكفر كما ذكر الإسكافي لما يخرج عن بعض أوامر ونواهي الله تعالى ،وليس كل فاسق كافرا ،لأنّ الفسق قد يطلق على تصرفات المؤمنين التي تخالف الشرع ،وبالمقابل يطلق الكفر على الخروج نهائيا من الدين.

19– بين الظلم والكفر:

الشاهد قوله تعالى: ﴿**فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾[مريم:37] ،وقوله تعالى: ﴿ **فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ**﴾[الزخرف:65].

يوجه الإسكافي الفرق بين اللفظتين ربطا بالسياق القبلي دائما وبرده سياق الآيتين لنفس المصدر وهو قصة سيدنا عيسى عليه السلام وتوعد الله تعالى من أثبت له ولدا ،والكفر حسبه أعظم من الظلم وإن كان كل كافر ظالما لنفسه ،فلما قالوا في عيسى عليه السلام إنه ابن الله كفروا بذلك وظلموا أنفسهم فوصفهم الله تعالى بلفظ يتضمن أكبر الذنوب وهو الكفر ،فسورة مريم فيها شيء من التفصيل ،أما سورة الزخرف فتضمن اجمالا فناسبها الوصف الذي يدل على ذلك ،حيث وصفوا بالوصف الذي يدل على حرمانهم أنفسهم من الثواب وأوجبوا على أنفسهم العذاب الأليم ،فبذلك ظلموها بالكفر حين

[1] – أبو البقاء الكفوي، **الكليات** ،مصدر سابق،ص:692،693،وص:764(بتصرف).

دعوا لله الولد ،فلفظة "الكفر" حسب توجيهه عامة وتتضمن أكبر الذنوب والتي من ضمنها الشرك ، ومنها ظلم النفس بحرمانها الثواب جزاء توحيد الله[1].

- وقد أشار الإسكافي في توجيهه للآيات سابقة الفرق بين اللفظتين ربطا بسياقها ،فجعل كل مجادل لله كافر ،وكل مبدل لحكم الله كافر ،وكل خارج عن حكم الله في القصاص ظالما[2].

وقد وّجه الكرماني هذا الشاهد بنفس توجيه الإسكافي ،أمّا ابن جماعة فأشار لنفس التوجيه كذلك وبإيجاز فذكر أنّ آية مريم تقدمها وصف الكفار باتخاذ الولد ،وهو كفر صريح فناسب وصفهم الكفر، ولم يرد مثل ذلك في الزخرف فوصفهم بالظلم لاختلافهم[3].

فحصل الفرق بين اللفظتين من خلال مضمون كل آية، فاعتبر نسب الولد لله –تنزه عن ذلك- كفرا ،واعتبر كل خروج عمّا أمر الله به ظلم لصاحبه ،لأنه يحرم نفسه خيرا كثيرا ،إذا فالظلم جزء من الكفر ،ويمكن القول أنّ كل كافر ظالم لنفسه .

20- بين (الكفر)،(الظلم) ،(الفسق):

الشاهد قوله تعالى في سورة المائدة:﴿... **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [المائدة:44] ،وقال عز وجل في نفس السورة:﴿... **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[المائدة:45]،وقال جل من قائل في نفس السورة كذلك:﴿... **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[المائدة:47].

يكمنُ سر الاختلاف بين الآيات الثلاث حسب الإسكافي في أنّ الآية الأولى خُتمت بلفظة (الكافرون) لأنّ اليهود كانوا يبيعون حكم الله بثمن قليل يرتشونه ،فيبدلون حكم الله باليسير الذي يأخذونه فهم يكفرون بذلك ،أما الآية الثانية فختمت بلفظة (الظالمون) لأنّ اليهود خرجوا عن حكم الله كذلك في القصاص بين عباده في قتل النفس وقطع أعضائها ،فهم مع كفرهم الذي تقدم ظالمون ،وكل كافر ظالم لنفسه إلا أنه قد يكون كافر غير ظالم لغيره ،فتضمنت هذه الآية معنى إضافيا على صفة الكفر وهي ظلم العباد بخروجهم في القصاص عن حكم الله ،أما الآية الثالثة فختمت بلفظة (الفاسقون) لأنّ

---

[1]- الإسكافي ،**الدرّة** ،ص:201 (بتصرف) .

[2] - الإسكافي، **الدرة**، ،ص:152.

[3] - ينظر: الكرماني ،**أسرار التكرار** ،ص: 136،137،و ابن جماعة ،**كشف المعاني**،ص:247،248.

النصارى لم يحكموا ويعملوا بما أمرهم الله به في الإنجيل فوصفوا بالفاسقين لذلك لخروجهم عن طاعة الله[1].

- فقد اعتبر الإسكافي أن تبديل حكم الله والتصرف فيه باليسير من المال يعتبر كفرا، والخروج عن حكم الله في القصاص يسمى فسقا ،و كل خروج عن حكم الله يعتبر كذلك فسقا، وكل كافر يعتبر ظالما لنفسه لأنه حرمها كل الخير في الإيمان بالله تعالى، وكذلك كل خروج في القصاص يعتبر ظلما للعباد ،لأنّ في تطبيق القصاص حياة للمجتمعات .

- وقد خالف الكرماني الإسكافي في توجيه هذه الآيات على أقوال منها :

- الكافر والفاسق والظالم كلها بمعنى واحد وهو الكفر، عبر عنه بألفاظ مختلفة لزيادة الفائدة واجتناب التكرار.

- كلّ من لم يحكم بما أنزل الله إنكارا له فهو كافر ،ومن لم يحكم بالحق مع اعتقاده حقا وحكم بضده فهو ظالم ،ومن لم يحكم بالحق جهلا وحكم بضده فهو فاسق.

- مَن لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر بنعمة الله ،ظالم في حكمه ،فاسق في فعله[2].

- وأشار البيضاوي(**691هـ**) الى أن هذه الألفاظ الثلاث وردت بهذا الترتيب (الكفر ،الظلم ،الفسق) وذلك لأنهم لم يحكموا بما أنزل الله لإنكارهم وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم الخروج عنه[3].

- وذكر ابن جماعة (**ت733هـ**) أنه زادهم في الثانية الظلم لعدم اعطائهم القصاص لصاحبه ،وفي الثالثة الفسق لتعديهم حكم الله تعالى ،والمراد بالثالثة أنّ من ترك حكم الله تعالى عمدا مع اعتقاد الايمان به فهو فاسق[4].

- بجمع كل المعاني السابقة للألفاظ الثلاث (الكفر والظلم والفسق) نجد:

الكفر :هو انكار حكم الله و التبديل له باليسير من المال.

الظلم: الخروج عن حكم الله في القصاص و عدم تطبيقه فيه ظلم للعباد وحكم بخلاف ما أمر الله.

الفسق: كل خروج عن حكم الله يُعد فسقا ،وكل من لم يحكم بالحق جهلا منه وحكم بضده فهو فاسق ،وكلّ ترك لحكم الله مع الاعتقاد بصدقه هو كذلك من الفسق.

---

[1]- الإسكافي ،**الدرّة** ،ص:72،74(بتصرف).

[2] - الكرماني، **أسرار التكرار في القرآن** ،مصدر سابق ،ص:63،64(بتصرف).

[3] - البيضاوي ،**أنوار التنزيل** ،مصدر سابق ، ج2،ص:128(بتصرف).

[4] - ابن جماعة ، **كشف المعاني**، مصدر سابق ،ص:150.

فالألفاظ الثلاث يربطها رابط واحد أو معنى عام وهو معصية الله بعدم تطبيق شرعه ،واكتسبت كل منها معنى اضافيا ميزها عن البقية كما رأينا.

21- بين الإمر والنُّكُر:

الشاهد قوله تعالى في سورة الكهف:﴿... **لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا**﴾[الكهف:71] ،وقوله تعالى في نفس السورة: ﴿... **لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا**﴾[الكهف:74].

يرى الإسكافي أن النُّكر أعظم من الإمر ؛لأنّ الإمر هو الداهية وقيل العجب ،والنُّكر ما تنكره العقول ولا تعرفه ولا تجوّزه ،ويدلل برواية قتادة بأنّ النكر أعظم من الإمر ،لأن الإمر إن حُمل على الداهية فهي التي تدهى الانسان مما لم يخشه فيحترز من وقوعه والعجب قد يكون غير منكر ،والنّكر لا يستعمل إلا في المذموم الذي يخرج عن المعروف في العقل والدين ،فاختص الأمر بالإمر لأن خرق السفينة التي لم يغرق فيها أحد أهون من قتل الغلام الذي هللك ،وقيل الإمر أعظم من النكر لأن تغريق من في السفينة أنكر من قتل نفس واحدة وليس كذلك لأن الغرق لم يقع والقتل حصل[1] .

- وافق الغرناطي الإسكافي تماما في توجيهه ،واستدل بنفس أدلته ،وكذلك وافقه الكرماني وأضاف موضحا بأن الإمر العجب والمعجب ،والعجب يستعمل في الخير والشر بخلاف النُّكر لأن ما ينكره العقل فهو شر وخرق السفينة لم يكن معه غرق فكان أسهل من قتل الغلام وإهلاكه فصار لكل واحد معنى يخصه.[2]

- أما العسكري فقد أضاف معنى جديد للفظة (الإمر) أثناء تفريقه بين العجب والإمر فقال: «الإمر العجب الظاهر المكشوف والشاهد أن أصل الكلمة الظهور ومنه قيل للعلامة الأمارة لظهورها ،والإمرة والإمارة ظاهر الحال».[3]

فمعنى النّكر أعم من الإمر، ويدل على كل مذموم تنكره العقول، يشتركان في معنى العجب من الأمور.

---

[1] - الاسكافي، **الدرة**، ص:198،199(بتصرف)

[2] - ينظر: الغرناطي ،**ملاك التأويل** ،مصدر سابق، ص: 322.و الكرماني ،**أسرار التكرار** ،مصدر سابق ،ص:133،134.

[3] - أبو هلال العسكري، **الفروق اللغوية** ،مصدر سابق ،ص:258.

22- بين "رحمة منّا" و "رحمة من عندنا":

- الشاهد• قوله تعالى: ﴿**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ**﴾[الأنبياء:83،84]، قوله تعالى: ﴿ **وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (41) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ** ﴾[ص:41،43]. الخبر في كلتا السورتين واحد وهو عن سيدنا أيوب عليه السلام ،فلماذا اختلفت الآيتان بين "رحمة من عندنا" و "رحمة منّا"

- يوجه الإسكافي هذا التشابه بقوله" ...لما شكا أيوب عليه السلام ما لحقه من ضر وسوء الحال بالمرض الذي طالت مدته ،حتى تآكل جسمه وتساقط لحمه ،ثم بالفقر الذي ناله واجتاح ماله ،وكان الله هو الذي ابتلاه بجميع ذلك ،وأحدث فيه المرض الذي أضعفه ....ليعوضه على صبره الثواب العظيم ... فكأنه لما قال : "**مَسَّنِيَ الضُّرُّ**" قال: مسّني من عندك يا رب ما تعلم وأنت الأكرم الأرحم ،فقال:" **وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا**" ،أي: كما كان الضر من عندنا كان كشفه والرحمة مكانه من عندنا، ومعنى :من عندنا ،أي: من حيث لا تناله قدر العباد ،وكل مكان اختص بقدرة الله وحده يطلق عليه عند الله.....،وأما في سورة ص لما ذكر شكاية أيوب عليه السلام لله وما لحقه من أذى الشيطان بوسوسته إليه ،ليضيق صدره وينقص حمده ...فهان عليه المرض الذي ينقص الأبدان في جنب ما يؤثر في الأديان ويخلّ بالطاعات ،ويشغل من الزمان بمدافعة الوسواس ،فلما كان هذا له أهم ،وخاف من جهته الضرر الأشد أعانه الله برحمة منه مضافة إليه مختصة بإرادته ،إذ كانت أفعال الله تعالى منها ما يختص به ويضيفها إلى نفسه ،ومنها ما يأمر به بعض ملائكته وإن أخبر أنه من فعله ومختص به،...فلما كانت شكوى أيوب عليه السلام فيما أخبر الله تعالى به في سورة ص أعظم ،والبلوى به أكبر ،أخبر أنه رحمه رحمة وأنعم عليه نعمة لا يجري أمثالها على أيدي خلقه بل هي مما يختص بفعله ،،لا يوليه مقربا من ملائكته [1]

فالملاحظ أنّ الإسكافي فرّق بين "رحمة من عندنا" و"رحمة منّا" من خلال قاعدة أنّ : كل مكان اختص بقدرة الله وحده يطلق عليه "عند الله" ،فلما كان الضر من عنده ،قابله بالرحمة من عنده، وكل ما يختص

- • تضمن هذا الشاهد توجيها بلاغيا ذكر في بابه(اختلاف الفواصل لاختلاف الأغراض).

[1] - الإسكافي ،**الدرة**،ص:210،211(بتصرف).

الله تعالى بفعله بنفسه توظف فيه لفظة "منّا" فلمّا تضرّع أيوب عليه السلام لربه رفع البلاء عنه بعدما استحكم الداء إضافة لتضييق الشيطان عليه ،فخاف من ضياع دينه بعدم قدرته على الحمد والشكر ،هنا استدعى السياق أن يمنّ الله تعالى على عبده في هذا الموقف العجيب بمنّة لا تمنّ إلاّ على من نال هاته المرتبة وينسبها لنفسه.

خالف الكرماني توجيه الإسكافي لهذا الشاهد فقال:"...لأنّه هنا بالغ في التضرع بقوله:" **وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**" ،فبالغ سبحانه في الإجابة وقال: "**رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا**" ،لأنّ (عند) حيث جاء دلّ على :أنّ الله سبحانه تولى ذلك من غير واسطة ،وفي (ص) لما بدأ القصة بقوله: (**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا**) **[**ص: 41**]** ،ختم بقوله (منّا) ليكون آخر الآية متناسبا مع الأول[1].

– أمّا الغرناطي فبنى توجيهه على حسب المقام ،ففي الآية الأولى لما تلطف سيدنا أيوب عليه السلام في الدعاء وقال : "**مَسَّنِيَ الضُّرُّ**" ولم يفصح بعظيم ما أصابه ودون استعماله للواسطة قوبل بالجواب "**فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ** " وناسبته "**رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا**" ،ولما استعمل الواسطة فقال:" **مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ**" فذكر الشيطان وأنه السبب في ذلك الامتحان كان الجواب: "**ارْكُضْ بِرِجْلِكَ** " فاغتسل وذلك يذهب عنك ما مسّك ،فناسبها "**رَحْمَةً مِنَّا**"[2].

– وكان للسامرائي تفسير مخالف ،فعنده "رحمة منّا عامة" و"رحمة من عندنا" خاصة، ففي سورة الأنبياء لما خصت بقول أيوب عليه السلام "**وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** "فخصه تعالى برحمة خاصة بقوله:" **فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ**" بالتصريح، وخصة بقوله: ولما "**رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا**" ،فكان المقام مقام ثناء ،وأمّا سورة ص فلم تتضمن كل ذلك ،فناسبها "**رَحْمَةً مِنَّا**"[3].

23– بين الأخسرين والأسفلين:

–الشاهد قوله تعالى:﴿ **وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ** ﴾[الأنبياء:70**]** ،وقوله تعالى: ﴿ **فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ** ﴾ **[**الصافات:98**]**، الخبر في الآيتين يعود على سيدنا إبراهيم عليه السلام ،ولكن اختلفت الفاصلتان: " **الْأَخْسَرِينَ**" ،و " **الْأَسْفَلِينَ**".

– يوجه الإسكافي هذا التشابه بعد شرحه لمعنى الكيد :بأنه السعي في مضرة يورد على غفلة، في الآية الأولى إخبار عن كيدين ،وانتصار أحدهما على الآخر ،فكان فيها منتصر وخاسر ،كيد إبراهيم

1– الكرماني ،**أسرار التكرار** ،مصدر سابق ،ص: 143(بتصرف).

2 – الغرناطي ،**ملاك التأويل** ،ص:351،350(بتصرف).

3 – السامرائي ،**برنامج لمسات بيانية** ،قناة الشارقة الفضائية ،يوم: 2018/12/12.

عليه السلام لما حطم الأصنام :﴿**لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ**﴾[الأنبياء:57]،فكادهم عليه السلام ولم يكيدوه ،فخسرت تجارتهم وعادت عليهم مكايدتهم ،لأنه كسّر أصنامهم ،ولم يبلغوا من احراقه مرادهم ،فذكر" **الْأَخْسَرِينَ**" لأنهم خسروا فيما عاملهم به وعاملوه من المكايدة.

أما الآية الثانية فتضمنت مقابلة بين العالي والسافل ؛حيث لما بنى الكفار لسيدنا إبراهيم عليه السلام بناء عاليا ورفعوه فوقه ليرموه في النار إلى أسفل ﴿**قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ**﴾ [الصافات:97]،عادوا هم الأسفلين ،لأنهم أهلكوا في الدنيا وسَفَلَ أمرهم في الآخرة وهم يظنون أنهم هم العالين ،وعلا أمر إبراهيم عليه السلام لما نجاه الله منهم.[1]

– وقد وافق الكرماني وابن جماعة والغرناطي توجيه الإسكافي ،وأضاف الغرناطي أنّ الصفتان الخسران والسفالة غاية حالة الكفر، ومن كان في الأسفلين فقد خسر خسرانا مبينا، فلا تضاد بين الصفتين سوى أنّ السفول لاحق في ذات المسفل ،والخسران حقيقة في الخارج عنه ،فالسفول أبلغ ،فقدم ما هو لاحق خارجي وأخّر ما لا يتعدى ذات المتصف تكملة وتتمة ،إذ هو أبلغ ،ومراعاة للترتيب [2].

– وقال ابن عرفة(ت 803هـ) نقلا عن "صاحب البرهان": « لما تقدمها: ﴿**قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا...** ﴾ وهو أمر حسي يقتضي العلو والارتفاع ،قابله بنقيضه حسا ،فقال: ﴿**فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ** ﴾ ،بخلاف قوله تعالى: ﴿ **وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ** ﴾ ،فإنّ الكيد أمر معنوي ،فقابله بالمعنوي»[3].

24- بين "يكون" و"يجعل":

الشاهد قوله تعالى: ﴿... **كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا...** ﴾ [الحديد:20]،وقوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا...** ﴾ [الزمر:21].

وجّه الإسكافي هذا التشابه بحسب نوع المسند إليه ،فالأفعال في سورة الزمر كلها مسندة لله تعالى وهي: أنزل ،سلك، يُخرجُ ،لذلك وجب توظيف "يجعلُ" هنا ،أما الأفعال في سورة الحديد فام تسند لله تعالى

[1] – الإسكافي ،**الدرّة** ،مصدر سابق، ص:95،96(بتصرف).

[2]– ينظر: الكرماني ،**أسرار التكرار** ،ص:256،ابن جماعة ،**كشف المعاني في متشابه المثاني** ،تح عبد الجواد خلف ،دار الوفاء ،مصر،1990،ط1، ص:142 ، والغرناطي ،**ملاك التأويل** ،ص:350(بتصرف).

[3]– ابن عرفة، **تفسير ابن عرفة**، تح جلال الأسيوطي ،دار الكتب العلمية،بيروت،2008،ط1،ج3،ص:366،365(بتصرف).

،وإنما قال: "**كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا**" ،فلم يصلح إلا "يكون"[1].

- وقد وافق الكرماني والسامرائي وابن جماعة والغرناطي هذا التوجيه ،وأضاف الغرناطي أنّ آية الزمر افتتحت واختتمت بالتنبيه للاعتبار لذلك ناسبها نسبة الفعل لله تعالى، أما آية الحديد فوردت مثلا للدنيا وغرورها وسرعة تقلبها فناسبه اسناد الفعل لما هو معلوم في العادة [2].

الحاصل أنه لا فرق بين المفسرين في أنّ "جعل " تنسب لله تعالى ،و"كان" تنسب لغيره ،وهذا هو لب الاختلاف بينهما.

- كانت هذه معظم المتشابهات اللفظية التي وردت مع مرادفاتها ، وقد بلغت أربعا وعشرين شاهدا ويمكن أن نوجز أهم ما وجدناه كمايلي:

1- تأكدنا من خلال هذا استقراء كتاب الدرة ،وتفحص جانب الترادف منه أنّ الخطيب الإسكافي يؤيد الفريق المنكر لوجود الترادف التام في القرآن الكريم ؛حيث لاحظنا كيف استخرج الفروق اللغوية بين كل المتشابهات التي وردت في سياق الترادف.

2- في حقل أسماء الله الحسنى :وجدنا فيه شاهدين ،وهما: بين الرب والرحمان، بين الله والرب .

3- في حقل الفكر ومرادفاته : وجدنا ستة شواهد ،وهي :
بين الفكر والعقل ، بين العقل والعلم ، بين الفقه العقل ، بين العلم والرؤية ، بين العلم والفقه والايمان، بين الايمان واليقين والعقل.

4- في حقل الكفر ومرادفاته: وجدنا خمسة شواهد ،وهي:

بين الفسق والكفر، بين الظلم والكفر، بين الظلم والكفر والفسق، بين الإمر والنكر، بين الخاسر والأسفل.

---

[1] - الإسكافي ،**الدرّة**، ص: 325،326(بتصرف).

[2]- ينظر: الكرماني ،**أسرار التكرار** ،ص: 185،و السامرائي، **على طريق التفسير البياني** ،كلية الآداب والعلوم، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة الشارقة ،2002 ،(د ط) ،ج1،ص:279،وابن جماعة ،**كشف المعاني**،ص:353،والغرناطي،**ملاك التأويل**، ص:426.

5- في حقول مختلفة :وجدنا إحدى عشر شاهدا، وهي:

بين الطامة والصاخّة، بين وجد وألفى ،بين ردّ ورجع ، بين اللهو واللعب، بين حمل وسلك ، بين أرسل وبعث، بين الأشد والاستواء، بين الاحسان والاصلاح ،بين الاقتداء والاهتداء، بين يكون ويجعل، بين منّا و عندنا.

وقد لاحظنا أنّ الإسكافي يؤكد حين يوجّه أي شاهد من الشواهد المذكورة أنها تختلف عن بعض ،وأنها ليس بذات المعنى، ثم يبحث عن معنى كل واحدة من خلال سياقها الذي وظفت فيه ودلالة كل منها ليصل لموضع الاختلاف في الأخير.

المطلب الثاني: المشترك اللفظي

المشترك اللفظي من أهم الظواهر اللغوية ،وقد عرَّفه سيبويه في "باب اللفظ للمعاني" بقوله: «...فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين نحو جلس وذهب، واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو ذهب وانطلق ،واتفاق اللفظين والمعنى مختلف نحو قولك وجدتُ عليه من المؤْجِدة ووجدتُ الضالة إذا أردت وِجدانَ الضالة وأشباه هذا كثير»[1].

فالنوع الثالث الذي ذكره سيبويه هو ما اصطلح عليه ب"المشترك اللفظي"

- وسُمي هذا المصطلح قديما بالوجوه والنظائر ،وقيل إن أول من ألف فيه مقاتل بن سليمان• ،وقد عقد الزركشي في كتابه "البرهان" بابا سماه " في جمع الوجوه والنظائر" وجعله النوع الرابع من أنواع علوم القرآن ،وعرفه بقوله:«الوجوه اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظة "أمة"، والنظائر كالألفاظ المتواطئة...،وقد جعلها بعضهم من أنواع معجزات القرآن حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجها أو أكثر أو أقل ولا يوجد ذل في كلام البشر»[2]

وسنتناول في هذا المطلب نماذجا من الآيات المتشابهة لفظا التي وجهها الإسكافي توجيها يندرج ضمن المشترك اللفظي :

1- البلـــــــد:

والشاهد قوله تعالى في سورة البلد:﴿**لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ**﴾**[البلد: 1،2]**

- يقول الإسكافي :«(البلد) الأول قُصد به وصف لم يحصل في الثاني وهو مكة لأن معناه أقسم بالبلد المحرم الذي جُبلت على تعظيمه قلوب العرب فلا يحل فيه لأحد ما حلَّ للنبي صلى الله عليه وسلم ،فصار المعنى أقسم (بالبلد) المحرم تعظيما له وهو مع أنه محرم على غيرك محلل لك اكراما لمنزلتك (فالبلد) الأول محرم والثاني محلل ،وكان النبي صلى الله عليه وسلم أحل له قتل من رأى قتله حين أذن له قتال المشركين فأمر بقتل ابن خطل صبرا وهو متعلق بأستار الكعبة ،ولم يحل لأحد من قبله ولا من بعده

---

[1]- سيبويه ،**الكتاب** ، تح عبد السلام محمد هارون ،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،1988،ط3،مصدر سابق ،ص:24.

• هو مقاتل بن سليمان بن بير الأزدي بالولاء ،البلخي ،أبو الحسن مفسر ومتكلم ،أصله من بلخ (ت150هـ)،ينظر: عادل نويهض ،**معجم المفسرين** ،مصدر سابق،ص:682.

[2] – الزركشي ،**البرهان في علوم القرآن** ،مصدر سابق،ص:102.

فكان ذكر (البلد) في الأول تعظيما له وافي الثاني تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم حين أبيح له ما حظر عن غيره »[1]

نلاحظ ان المعنى الاجمالي (للبلد) في الآية هو مكة المكرمة ،بينما المعنى الخاص هو أن (البلد) الأول هو مكة المحرمة على كل الناس تعظيما لها ،أما (البلد الثاني) فهو مكة المحللة للرسول فقط صلى الله عليه وسلم ،فبهذا حصل الاختلاف بين اللفظتين.

ولم يذكر الكرماني وابن جماعة هذا الشاهد ضمن المتشابهات اللفظية ،أمّا الغرناطي فقد وافق الإسكافي وعدّ هذا الشاهد من المشتركات اللفظية ،وأنه أعلى وجوه البلاغة وفصاحة الكلام ،لأن الكلام إذا تباين بجهة ما لم يستثقل فيه إعادة الظاهر إذ هو بمثابة ما الثاني فيه غير الأول[2] .

ولم يُدرج الطاهر بن عاشور هذا اللفظ ضمن المشتركات اللفظية كذلك ،وجعل تكريره إظهار في مقام إضمار قُصد به تجديد التعجيب وتأكيد فتح البلد العزيز عليه والشديد على المشركين أن يخرج من حوزتهم[3].

2- القمــــر:

والشاهد قوله تعالى:﴿ **فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ**﴾[القيامة:7،9]

يقول الإسكافي:« برق البصر: تلألأ ولمع لهول ما شاهد وهذا يلحق العيون عند شدة الأمر ،و(القمر) يجوز أنَّ المراد به بياض العين وخسوفه غيبته والبياض الذي فوق الحدقة يغيب إذا انقلبت العين حتى يتعلق البياض الذي تحت السواد. ﴿ **وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ** ﴾المعنى جمعا في سلب الضياء وفقد النور فعلى هذا لا يكون القمر مكررا إذا أريد بالثاني غير الأول ،ولا يكون معيبا إذا أريد به الأول أيضا لأنه أخبر عنه بغير الخبر الأول ،والأشياء التي ليس حيالها أمثالها يجوز أن يقام ظاهرها مقام مضمرها كقول عدي بن زيد[4]:

---

[1] - الإسكافي ،الدرة ،ص:367(بتصرف).

[2] – الغرناطي، **ملاك التأويل**، مصدر سابق،ص:507(بتصرف).

[3] – الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، مصدر سابق، ج30 ،ص:349.

[4]– هو عدي بن زيد العبادي ،شاعر جاهلي نصراني ،من قبيلة تميم، ينظر: **ديوان عدي بن زيد العبادي** ،تح محمد جبّار المعيبد، وزارة الثقافة والإرشاد ،بغداد،1965،(د ط)،ص:10 (والبيت من بحر الخفيف).

لا أرى الموتَ يسبقُ الموتَ شيئا نغَّص الموتُ ذا الغني والفقيرا

فهذا في كلام واحد في البيت والأول في كلامين وهو أحسن ومثله قوله تعالى:﴿**وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**﴾ [آل عمران:109]».[1]

– والشاهد في البيت الشعري أنّ تكرار لفظ الموت في عجز البيت أوسع في التهويل من تكراره في قوله في صدر البيت " يسبقُ الموتَ" و يعود السبب إلى إعادة الظاهر موضع المضمر لما أراد تعظيم الموت وتهويل أمره ،والكلام في جملتان فحسن ما لا يحسن في الجملة الواحدة[2]

– وبناء على ما سبق (البيت الشعري) فقد اختلف معنى كلمة (القمر) في الآية الأولى والذي أُريد به بياض العين الذي يغيب لشدة هول يوم القيامة ،عن معنى كلمة (القمر)في الآية الثانية والذي أُريد به الجرم السماوي المعروف والذي سيغيب نوره يوم القيامة مثله مثل الشمس التي سيغيب ضيائها أيضا ،والجامع بين اللفظتين هو غياب النور.

– وقد وافق الكرماني الإسكافي بقوله:«...لأن الأول عبارة عن بياض العين بدليل قوله: ﴿**فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ**﴾ [القيامة:7] وفيه قول ثان وهو قول الجمهور: إنهما بمعنى واحد ،وجاز تكراره لأنه أخبر عنه بغير الخبر الأول»[3] .

– وقد اختلف معنى كلمة (قمر) بين المعاجم ،فالقمر عند ابن منظور :«هو الذي في السماء ، والقمر :بعد ثلاث إلى آخر الشهر يسمى قمرا لبياضه ، وقَمِر الرجلُ يَقْمَرُ قَمَراً حار بصره في الثلج فلم يبصر»[4] .

وجاء في المعجم الوسيط: «قَمِرَ فلان : أرق في القمر فلم ينم وبهر نور القمر عينيه فحار ولم يبصر»[5].

– ولعل الإسكافي جمع بين معنى القمر وهو الجرم السماوي المعروف الشديد والذي سيذهب نوره يوم القيامة وبين تأثر العين بأهوال يوم القيامة فيذهب نورها مثله ،لذلك كانت اللفظة الأولى تعني ذهاب

[1] – الإسكافي ،**الدرّة** ،ص:350(بتصرف).

[2] – الغرناطي، **ملاك التأويل**، مصدر سابق،ص:507(بتصرف).

[3] – الكرماني ، **أسرار التكرار** ،مصدر سابق،ص:211.

[4] – ابن منظور ،**لسان العرب** ،مصدر سابق ، ج5،ص:114،113.

[5] – **المعجم الوسيط** ،مجمع اللغة العربية ،مكتبة الشروق الدولية ،مصر ،2004 ، ط4،ص:758.

نور العين ،والثانية ذهاب نور القمر والسبب واحد وهو أهوال يوم القيامة ، وهذا فرق دقيق بين اللفظتين.

– وقريبا من هذا المعنى ذهب السامرائي حين ذكر أنّ معنى: برق البصر: دهش فلم يبصر ،وقيل تحيَّر فلم يطرف، وبرق البصر أي ضعف ،وذكر البصر مع ذكر الشمس والقمر له سببه ومناسبته ،فإنَّ البصر يعمل مع وجود الشمس والقمر أي مع النور ،فإذا لم يكن ثمة نور فلا يعمل شيئا كما قال تعالى: ﴿... **ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ** ﴾ [البقرة:17] ،وبرق البصر ولم يقل عميَّ أو نحو ذلك فإن المراد تعطيله مع وجوده كما فعل بالشمس والقمر فإنه لم يزلهما ويذهبهما وإنَّما عطلهما فهو تناسب لطيف [1].

3– الميـــــزان:

والشاهد قوله تعالى:﴿**وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ**﴾[الرحمان:7–9].

– يرى الإسكافي أن لكل من كلمة (الميزان) المكررة معنى مخالف للأخرى (فالميزان الأول) المقصود به وضع البنية المعتدلة للإنسان حيث خلق من أمشاج وتأليفات مختلفات على اعتدال من حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة ،والمعنى رفع السماء ووضع بنية الاعتدال ،أما (الميزان الثاني) فالمقصود به الأحكام التي حكم فيها على اعتدال وقدر في الطباع كراهة ما خرج منها على اعتداء كقتل نفسين بنفس ،أما (الميزان الثالث) فالقصود به آلة التعديل وهي التي يقع بها الأخذ والاعطاء فتتبين بها مقادير الحقوق[2].

– فبيَّن الإسكافي الفروق بين لفظة (الميزان) المكررة ثلاث مرات ،ف(الميزان) الأول هو بنية الاعتدال في خلق الإنسان ،و(الميزان) الثاني هو الحكم بالعدل ،و(الميزان) الثالث هو الآلة المعروفة ،والرابط بين الألفاظ الثلاث هو العدل ،فالله عز وجل خلق الإنسان في هيئة معتدلة وقوية ليحقق العدالة في معاملته مع غيره ،واعطاه الوسيلة التي تساعده في تحقيق العدالة ،وبهذا اختلفت معاني اللفظة في كل حالة وتكاملت مع بعضها.

– وقد وافق الكرماني الإسكافي في أن لكلمة (الميزان) معاني مختلفة ولكنه اختلف معه في معانيها حيث يرى أن الميزان الأول هو ميزان الدنيا ،والثاني هو ميزان الآخرة ،والثالث هو ميزان العقل ،ووافق

---

[1] – فاضل صالح السامرائي ، **لمسات بيانية** ،دار عمار ،عمان ،2003 ، ط3،ص:209(بتصرف).

[2] – الإسكافي ،**الدرّة**، ص: 318،319(بتصرف).

الإسكافي في أن سبب التصريح بهذه اللفظة وعدم اضمارها لأن معنى كل واحدة مختلف عن الأخرى ،أنها نزلت متفرقة فاقتضى الاظهار ،وقد وافق الأنصاري الكرماني في نفس الرأي[1] .

– وجعل الغرناطي لفظ "الميزان" بمعنى واحد وهو التأكيد على الاستقامة بالعدل ،و الاستقامة في الكيل مشعرة بذلك أيضا ،وفي ذلك إعلام للعباد بما به قوام أحوالهم بالعدل ،وقد تكرر لفظ "الميزان" جريا على عادة العرب فيما لها به اعتناء وتهمم [2]، فاقترب هذا التوجيه من توجيه الإسكافي في جامع العدل الذي يربط بين الألفاظ الثلاث.

– وقد صرّح الطاهر بن عاشور بأنّ لفظ "الميزان" هنا تسمح بإرادة المعنيين على طريقة المشترك في معنييه (ألة الوزن المعروفة والعدل)[3] .

4– النّـــاس:

الشاهد قوله تعالى :﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ** ﴾[الناس:1،6]

تضمنت سورة الناس تكرار لفظة (الناس) خمس مرات ،ويرى الإسكافي أنَّ هذا لا يُعد تكرارا لأن معنى كل واحدة منهم يختلف عن الآخر مع اتحاد الجنس، والدليل اختلاف صفات وأسماء الله المسندة لهذه اللفظة في كل مرة بين (الرب) و(الملك) و(الله) ،وتم هذا الاسناد حسب معنى كل منها ،فلفظة الناس في هذه السورة تضمنت الأحوال المختلفة لنمو الانسان من الصغر الى الكبر ،فبدئ ب(الرّب) وهو القائم بالإصلاح والتدبير والذي يربي الانسان منذ ميلاده وهذه أولى أحواله ،ثم ينعم عليه بالعقل الذي يثبت عليه ملكه له فيعلم أنه مملوك فجيء بالوصف الثاني (الملك) وهذا ثاني أحواله ،ثم كان التكليف بالعبادات بعد ذلك التي هي حق الله تعالى على من عرَّفه نفسه أنه عبد مملوك وعرَّفه أنه خالقه وتلزمه طاعته ليلزم التذلل لمن له أكبر الإنعام والفضل عليه ، وكأنه قال :قل أعوذ برب الأجنة والأطفال الذين رباهم وقت الانشاء والتربية وبمن بلغ حدا عرفوه فيه بالملك وأنفسهم بالعبودية ،ثم إله المكلفين المعرضين لأكبر النعم وهم الذين بلغوا ،فتناسب ترتيب الصفات مع الأحوال المختلفة لنشأة الناس من الصغر إلى البلوغ والرشد. أما المراد بلفظة (الناس) الرابعة فهم

[1] – ينظر: الكرماني ،**أسرار التكرار** ،ص:198،

[2] – الغرناطي، **ملاك التأويل**، مصدر سابق،ص:461(بتصرف).

[3] – الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، مصدر سابق، ج27،ص:239(بتصرف).

الأبرار والأخرى الأشرار ،والتقدير الذي يوسوس في صدور الأخيار من الجن وأشرار الناس، و بهذا صار لكل لفظة صفة غير الصفة المعنية للأخرى وإن كان الجنس قد يجمع هذا كله ،و إن شئنا جمع كل المعاني الخمسة للفظة (الناس) فهي على الترتيب:

الأطفال ،الشباب ،الكبار ،الأخيار ،الأشرار ويوحدهم معنى الجنس الواحد (البشرية)[1]

– و قد ذهب الكرماني والأنصاري(ت926هـ) والألوسي (ت لنفس توجيه الإسكافي فقال على اختلاف الأقوال بين من يرى في هذا التكرار تبجيلا لهم ،وقيل كرر لانفصال كل آية من الأخرى ،وقيل المراد بالأول الأطفال ومعنى الربوبية يدل عليه ،وبالثاني الشبان ولفظ الملك المنبئ عن السياسة يدل عليه ،وبالثالث الشيوخ ولفظ إله المنبئ عن العبادة يدل عليه وبالرابع الصالحون والأبرار، والشيطان يولع بإغوائهم ،وبالخامس المفسدون والأشرار وعطفه على المتعوذ منهم يدل على ذلك[2] .

فتكررت لفظة" الناس" خمس مرات ودلت على معان مختلفة في كل مرة وإن كان الرابط والمعنى العام يربط بينهم إلى: الأطفال ،ثم الشباب ،ثم الشيوخ ،ثم الأبرار والأشرار.

– أمّا الغرناطي والطاهر بن عاشور ففسرا سبب التكرار في لفظة "الناس" يعود إلى أنّ قوله تعالى: "**مَلِكِ النَّاسِ**" عطف بيان من قوله تعالى: "**بِرَبِّ النَّاسِ**" وكذلك باقي الآيات ،و فسّر الغرناطي سبب عدم إضافة الضمير للفظ "ملك" عوض تكرار لفظة "الناس" بأن التبعية في عطف البيان لمتبوعه لا تحسن فيه إضافته إلى الضمير لأن ذلك يؤدي إلى تعريف الاسمين بضمير الأول الذي عليه حملهما[3]

– وذكر السامرائي أنّ السورة تضمنت تدرجا في مجموعة الناس من القلة إلى الكثرة ،ذلك أنّ ناس الملك أكثر من ناس المربي ،فإنه قد يكون لجماعة من المربين ملك واحد ،وناس الإله أكثر من ناس الملك ،لأن ناس الإله هم كل الناس بخلاف ناس الملك ،فقد تدرج في ذكر الصفات من الكثرة إلى القلة ،وتدرج في ذكر ناسهم كذلك[4].

– واعتبر ابن باديس الآيات الثلاث الأولى بلاغة في الترتيب تظهر استعراض أطوار الوجود الإنساني:

---

[1]– الإسكافي ،**الدرّة**، ص: 374،375(بتصرف).

[2] – ينظر: الكرماني ،**أسرار التكرار** ،مصدر سابق ،ص:198(بتصرف) ،و الأنصاري ،**فتح الرحمان بكشف ما يلتبس في القرآن** ،تح محمد علي الصابوني ،مكتبة رحاب ،الجزائر ،1988،ط2 ، ص: 544 .

[3]– ينظر:الغرناطي، **ملاك التأويل**، مصدر سابق،ص:519،و الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، مصدر سابق، ج30،ص:633(بتصرف).

[4] – السامرائي، **على طريق التفسير البياني**، مصدر سابق، ج1 ،ص:286(بتصرف).

- فالأول :طور التربية والإعداد ،وهما من مظاهر الربوبية.

- الثاني: طور القوة والتدبير وهما من مظاهر الملك.

- الثالث: طور الكمال والقيام بوظائف العبودية ، وهو من مظاهر الألوهية.

وبرر اختيار لفظ "الناس" من بين الألفاظ المشاركة له في الدلالة كالبشر والبرية لأنه ينوس ويضطرب وينساق ،وهي صفات يلزمها التوجه ويسهل التوجيه فلا غنى لصاحبها عن توفيق الله .

و جوّز حمل كلمة "الناس" على معنى أخص مما يتناوله عموم الجنس ،وهو الأماثل الأخيار ،مهم الجامعون لمعاني الإنسانية الفاضلة وهذا المعنى تعرفه العرب ،لأنهم كثيرا ما يطلقون اسم الجنس على الفرد ،أو الأفراد الكاملين في حقيقته ،وإن كان هذا من المجاز في كلامهم ،ونكتة الإعادة والإظهار للفظ "الناس" توضيح المعنى ،وإلفات النفس إليه وإيقاظ شعورها به ،والتسجيل على الناس بأنّ لهم ربهم ومالكهم وإلههم[1]

5 – قـــــدَّر:

الشاهد قوله تعالى :﴿ **إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ**﴾[المدثر:18-20].

الشاهد تكرار لفظة (قدّر) ثلاث مرات ،فهل يعد هذا تكرارا فعلا أم لا؟ يوجه الإسكافي كل لفظة توجيها يختلف عن الأخرى ،فحمّل كل لفظة مدلولات جديدة وخاصة تختلف عن الأخرى وأكد في النهاية عن أن هذا لا يعد تكرارا، فقال أن هذه الآيات نزلت في الوليد بن المغيرة• ومناسبتها أن قريش استعانت بداهيتها بأن يقدّر ما أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن ،فكان التفكير والتخمين أولا في ما يقوله في القرآن ،ثم الثانية تخمينه بينه وبين نفسه إن قلنا شاعر كذبتنا العرب إن عرضت ما أتى به على الشعر ولم يكن إياه ، فكان يقصد تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم بضرب من الاحتيال يمكن تجويزه على العقلاء فلذلك كان تقديرا مستحقا للعقوبة من الله وهي كالقتل اهلاكا فهذا معنى "فقتل كيف قدر"، أي هلك هلاك المقتول كيف قدر ،أي هو تقديره ونظره غير طالب لحق بل مثبت باطل فهذا معنى الثانية ،أما اللفظة الثالثة ففكر كذلك في الكهانة ورد محاورا نفسه وليس ما

---

[1] – عبد الحميد بن باديس، **تفسير ابن باديس**، مؤسسة المعارف ،والمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر،1991،(د ط)،ص:494،496(بتصرف).

• الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ،أبو عبد شمس من قضاة العرب في الجاهلية ومن زعماء قريش ومن زنادقها ،أدرك الإسلام وهو شيخ هرم فعاداه وقاوم دعوته ،هلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر سنة 530هـ ودفن دفن بالحجون وهو والد سيف الله خالد بن الوليد ،ينظر: الزركلي ،**الأعلام** ،ج8،مصدر سابق ،ص:122.

أتى به من كلام الكهنة إن ادعينا عليه ذلك كذبتنا العرب إذا رأوا هذا الكلام مخالفا لكلام الكهنة ،فهو في تقديره له كلام الكهنة مستحق من العقوبة بما هو كالقتل اهلاكا له[1].

- فحملت اللفظة الأولى معنى التخمين في التكذيب العام ،والثانية معنى التخمين في الشعر ،والثالثة معنى التخمين في الكهانة ،وبذلك اختلفت كل لفظة عن الأخرى.

- و قد وافق ابن جماعة توجيه الإسكافي تماما ،وكذلك الغرناطي ،وذهب الكرماني إلى معاني لفظة "قدّر" مختلفة كذلك ولكنه اختلف عن الإسكافي في أنّ "قدّر" الأولى تعني ما كان يفكر فيه(الوليد بن مغيرة) في القول في محمد صلى الله عليه وسلم ،والثانية القول في القرآن[2].

يمكن الخروج بمحصلة وهي أنّ المشتركات اللفظية في كتاب "الدرة" (قليلة خمسة متشابهات)، والإسكافي يؤكد في كل مرة تكررت فيها هاته المشتركات على أن هذا لا يُعد تكرارا لأن كل منها تحمل معنى مخالف لسابقتها، وسنوجز ما تم توجيهه في هذا المطلب فيمايلي:

-**أولا**: المشترك الأول كان لفظة البلد ، التي تضمنت معنا عاما وهو مكة المكرمة ،ثم تفرعت إلى معنيين مختلفين: 1- معنى مكة المحرمة على كل الناس تعظيما لها.

2- معنى مكة المحللة للرسول صلى الله عليه وسلم فقط تشريفا له.

-**ثانيا**: المشترك الثاني كان لفظة القمر ، التي تضمنت معنا عاما وهو شدة اللمعان والضوء الذي ينتج من هول يوم القيام ،ثم تفرعت إلى معنيين مختلفين:

- 1- بياض العين
- 2- الجرم السماوي المعروف

-**ثالثا**: المشترك الثالث كان لفظة الميزان ،و التي تضمنت معنا عاما وهو العدل ،وتفرع ثلاثة معان مختلفة ،وهي:

1- بنية الاعتدال في خلق الإنسان.

1- الإسكافي ،**الدرّة**، ص: 348،349(بتصرف).

2- ينظر: ابن جماعة، **كشف المعاني** ،ص: 368 ،والغرناطي ،ملاك التأويل، ص:492،793، الكرماني ،**أسرار التكرار** ،ص:210(بتصرف).

2- الحكم بالعدل.

3- الألة المعروفة

-**رابعا**: المشترك الرابع كان لفظة الناس ، التي تضمنت معنا عاما وهو البشرية ،ثم تفرّع إلى خمسة معان مختلفة ،وهي:

1- الأجنة والأطفال.

2- الشباب

3- الكبار

4- الأخيار

5- الأشرار.

-**خامسا**: المشترك الخامس كان لفظة التقدير ، التي تضمنت معنا عاما وهو التخمين ،ثم تفرّعت إلى ثلاثة معان مختلفة ،وهي:

1- التخمين في التكذيب العام

2- التخمين في التكذيب بقول الشعر.

3- التخمين في التكذيب بالكهانة

هذه خمس مشتركات لفظية توصلنا لاستخراجها من كتاب "الدرة" ،ورأينا أن الإسكافي يصرُّ على أنها ليست ذات معنى واحد ،وأن تكرارها لا يعد تكرارا لأنها تحمل معنى جديد في كل مرة ،ولكن السياق العام دائما واحد وهذا ما يجعل هذه المشتركات في نظرنا ذات معنى واحد ، فلفظة "البلد" مثلا معروف أنها مكة المكرمة سواء أكانت مكة المحرمة والمقدسة عند المسلمين ،أم مكة المحللة للرسول صلى الله عليه وسلم فقط ،فهي واحدة ،ولفظة "التقدير"في نظرنا كذلك ذات معنى واحد فقط هو التخمين فيما يخالف الحق فقط ، ولفظة "القمر" هو الجرم السماوي المعروف فقط ،ولفظة الناس هي لفظ عام يطلق على كل المراحل العمرية للبشرية ،ولفظة "الميزان" كذلك هي آلة الوزن والعدل فقط ،ونعلل سبب الحاح

الإسكافي واصراره على أنها ليست واحدة في أنه كما ذكرنا يُنكر وجود التكرار والترادف في القرآن الكريم ،وهذا ما جعله يبحث عن أي علة تفرق بين تلك المتشابهات وتُثبتُ رأيه.

المبحث الثاني: التوجيــــه الصوتي

حوى القرآن الكريم إضافة لإعجازه العلمي والتشريعي والتاريخي... إعجازا لغويا فريدا ؛حيث نزل بلغة يألفها العرب وبنفس أساليبهم و لكنهم عجزوا عن الاتيان بآية منه ،وقد قارن جهابذة العرب ما سمعوه من القرآن بلغتهم وتوصلوا للبون الشاسع بينهما ؛فاستساغت آذانهم سماع القرآن فوصفوه بأنه شعرا لما أحسوا بأنه يقارب ما ألفوه من ايقاع الشعر ،ثم ما فتئوا يدركون أنه ليس كذلك لأنهم رأوا انسجاما معنويا وصوتيا فريدا لا يُمَلُّ سماعه مع تكرر تلاوته على عكس الشعر والنثر اللذين تمُجهما الآذان بمرور الوقت ؛لذلك وصفوه بأنه شيء خارق وغير مألوف (سحر).

– «إن أول شيء أحسته الأذن العربية في نظم القرآن هو ذلك النظام الصوتي البديع الذي قُسمت فيه الحركة والسكون تقسيما مُنوعًا يجدد نشاط السامع ،ووُزِّعت في تضاعيفه حروف المد والغنة توزيعا بالقسط يساعد على ترجيع الصوت به وتهادي النفس فيه آنا بعد آن إلى أن يصل إلى الفاصلة الأخرى فيجد عندها راحته العظمى ،وهذا النحو من التنظيم الصوتي إن كانت العرب قد عمدت إلى شيء منه في أشعارها ؛فذهبت فيه إلى حد الإسراف في الاستهواء ثم إلى حد الاملال في التكرير ،فإنها لم تكن تعهده قط وما كان يتهيأ لها في منثورها بل كان يقع لها في أجود نثرها عيوب تغض من سلاسة تركيبه»[1] .

– ومن خلال هذا المبحث سنعرض مفهوم الفاصلة القرآنية وأثرها ،ثم سنعرض ما تحصلنا عليه في جانب الصوت من خلال استقراء كتاب الدرة ،ونعني بذلك : اختلاف الصيغ لتناسب الفواصل ،الحذف ،الادغام

المطلب الأول: مفهوم الفاصلة القرآنية وأثرها:

– اختلف المفسرون في المصطلح الذي يطلق على آخر كلمة في كل آية ،ففريق أطلق عليه الفاصلة أنكر تسميته بالسجع تنافيا مع سجع الكهان ،وفريق آخر جوَّز هذا المصطلح (السجع) ورأى أن لا اشكال فيه.

الفاصلة هي: « كلمة آخر الآية ،كقافية الشعر وقرينة السجع ،وتقع عند الاستراحة من الخطاب لتحسين الكلام بها ،وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام ،وتسمى فواصل ؛لأنه ينفصل

---

[1] – محمد عبد الله دراز ،**النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن** ،دار القلم ،الكويت ،1984 ،(د ط) ،ص:103(بتصرف).

عندها الكلامان وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها ولم يسموها أسجاعا ؛لأن أصله من سجع الطير ،وتقوم الفاصلة القرآنية بدور الاحكام فترتبط بالمعنى اللي الذي يسبقها في الآية إضافة إلى ترنيمها الموسيقي الواضح ،فهذا الإحكام يتسم بوظيفتين في الشكل والمضمون»[1].

- «فالفاصلة القرآنية ترد وهي تحمل شحنتين في آن واحد: شحنة من الواقع الموسيقي ،وشحنة من المعنى المتمم للآية ،ولو أمعنا النظر في فواصل القرآن ودرسنا الحروف التي يكثر ورودها فيها ولاسيما في خاتمتها لوجدنا حرف النون ،والميم ،والألف ،والواو والياء ؛هذه الحروف جميعها تحمل لحنا إيقاعيا لا يتوافر في الحروف الأخرى ،ثلاثة منها تستعمل للمدود وتقابل تسمية "الاطلاق" في البيت الشعري ،وحرفان سهلا المخرج فيهما غنة محببة تساعد على اخراج صوت محبب من الأنف تلك هي شحنة النغم ،أما شحنة المعنى فتتجلى بارزة عند إمعان النظر في الآية وما حملت من فكر والخاتمة دائما منسجمة وتلك المعاني»[2]

وللفاصلة القرآنية وقع كبير على النفس من حيث معناها وجرسها الصوتي واختلاف أنواعها ،وقد أشار الزركشي[3] لهذا التأثير وذكر أنواعه فقال: « اعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل ،حيث تطَّرد متأكد جدا ومؤثر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيرا عظيما ؛ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها في مواضع:

1- زيادة حرف لأجلها ومثاله زيادة ألف لتساوي المقاطع وتناسب نهايات الفواصل ،ومثاله:﴿... **وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾ [الأحزاب:66]** ،و ﴿...**فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾[الأحزاب:67]**.

- الحاق هاء السكت في قوله تعالى:﴿ **مَاهِيَهْ﴾[القارعة:10]** ،وهذه الهاء عَدَّلت مقاطع الفواصل في هذه السورة وكان للحاقها موضع تأثير عظيم في الفصاحة.

2- حذف همزة أو حرف اطرادا ومثاله:﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾[الفجر:4]**.

---

[1] - أحمد ياسوف ،**جمالية المفردة القرآنية** ،رسالة ماجستير مطبوعة ،إشراف نور الدين عثراء ،قسم الدراسات الأدبية، دار المكتبي ،دمشق ،1994، ط2 ،ص:309.

[2] - بكري شيخ أمين ،**التعبير الفني في القرآن** ،دار الشروق، بيروت،1980، ط4 ،ص:203،204.

[3] - الزركشي ،**البرهان في علوم القرآن** ،مصدر سابق، ص:60،67(بتصرف).

3- الجمع بين المجرورات: ومثاله:﴿... **ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا** ﴾**[الإسراء:69]** ،وقد توالت المجرورات بالأحرف الثلاثة وهي اللام في (لكم) والباء في (به) وعلى في (علينا)،وكان الأحسن الفصل فواصلها كلها منصوبة منونة فلم يكن بد من تأخير (تبيعا) لتكون نهاية هذه الآية مناسبة لنهايات ما قبلها حتى تتناسق على صورة واحدة.

4- تأخير ما أصله أن يتقدم: ومثاله :﴿**فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى**﴾**[طه:67]** لأن أصل الكلام أن يتصل الفعل بفاعله ويؤخر المفعول لكن أخر الفاعل (موسى) رعاية للفاصلة.

5- افراد ما أصله أن يجمع : ومثاله :﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ** ﴾**[القمر:54]** ،الأصل الأنهار وإنما وحد لأنه رأس آية فقابل بالتوحيد رؤوس الآي.

6- جمع ما أصله أن يفرد :ومثاله : ﴿...**لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ**﴾**[إبراهيم:31]** ،والاطراد " ولا خلة" بدليل الآية الأخرى وإنما وحد لأنه رأس آية فقابل بالتوحيد رؤوس الآي.

7- تثنية ما أصله أن يفرد ومثاله: ﴿ **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**﴾**[الرحمان:46]**،وإنما ثناها هنا لأجل الفاصلة رعاية للتي قبلها والتي بعدها على هذا الوزن والقوافي تحتمل في الزيادة والنقصان ما لا يحتمل سائر الكلام.

8- تأنيث ما أصله أن يذكر ومثاله: ﴿**كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ**﴾**[المدثر:54]** ،وإنما عدل إليها للفاصلة.

9- كقوله تعالى:﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى**﴾**[الأعلى:1]**،وقال في العلق:﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾**[العلق:1]** ،فزاد في الأولى "الأعلى" وزاد في الثانية "خلق" مراعاة للفواصل في السورتين.

10- صرف ما أصله ألا ينصرف :كقوله تعالى :﴿... **قَوَارِيرَ** (**15**) **قَوَارِيرَ**....﴾**[الإنسان:15،16]** ،صرف الأول (قوارير) ؛لأنه آخر الآية وآخر الثانية بالألف فحسن جعله منونا ليقلب تنوينه ألفا فيناسب بقية الآي.

11- إمالة ما أصله ألا يمال :كإمالة ألف ﴿ **وَالضُّحَى** (**1**) **وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى**﴾**[الضحى: 1،2]** ليشاكل التلفظ بهما التلفظ بما بعدها ،والإمالة أن تنحوَ بالألف نحو الياء والغرض الأصلي منها هو التناسب.

12- العدول عن صيغة الماضي إلى الاستقبال: كقوله تعالى : ﴿... **فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[البقرة: 87]** ؛حيث لم يقل "وفريقا قتلتم"».

- وأضاف الدكتور بكري أمين أنواعا وخصائص أخرى للفاصلة منها[1]:

1- ما انتهت آية قرآنية إلا بفاصلة ملائمة كل الملائمة لمعناها ومثال ذلك ما روته الأخبار أن أعرابيا سمع قارئا يقرأ: **﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[البقرة: 209]** بتغيير" **أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**" بـ"**أن الله غفور رحيم**" وكان الأعرابي جاهلا ،لا يعرف القرآن ولكنه عربي صاف يدرك اللغة ،فقال: إن كان الله فلا ،إن الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل ،لأنه إغراء عليه ،وعاد القارئ إلى القرآن لينظر ،فوجد نفسه على خطأ .

2- اختلاف الفاصلتين والمتحدث عنه في الآيتين واحد: ومثاله قوله تعالى:**﴿ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾[الجاثية: 14،15]** ،وقوله تعالى:**﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[فصلت: 46]**،والسبب أن الفاصلة الأولى سبقها حديث عن منكري البعث ،فناسب ختم الآية بالحديث عنه ،أما الثانية فناسب ختمها معناها :من جزاء كل بما يستحق.

3- قد تكون المخالفة في الفواصل مع تماثل ما سبقها بغية تعديد الأوصاف وإثباتها حتى تستقر في النفس ومثاله: ﴿... **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [المائدة:44] ،وقال عز وجل في نفس السورة:﴿... **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[المائدة:45]،وقال جل من قائل في نفس السورة كذلك:﴿... **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[المائدة:47].

إنه يريد بيان أن من لم يحكم بشرع الله فقد كفر به وظلم نفسه وغيره وفسق بهذا الستر.

4- توظيف كلام غريب رعاية للنغمة كمثل قوله تعالى:﴿**تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى**﴾[النجم:22] ،والشاهد لفظة "ضيزى".

---

[1] - بكري شيخ أمين ،**التعبير الفني في القرآن** ،مصدر سابق:ص:204،208(بتصرف).

5- تقارب موسيقي في الفواصل واتحاد في الوزن والقافية :ومثاله:﴿**فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ**﴾[الغاشية:13،14].

6- اختلاف الوزن وتقارب في حروف السجع :ومثاله: ﴿**مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا** ﴾ [نوح:13،14].

7- تساوي الفاصلتين في الوزن دون التقفية :ومثاله﴿**وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ** ﴾ [الغاشية:15،16].

8- التقارب رغم اختلاف في الوزن والقافية: ومثاله:﴿**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ [الفاتحة:3،4].

9- انتهاء السورة بفاصلة منفردة الإيقاع تكون كالمقطع الأخير المومئ للانتهاء :ومثاله ﴿ **وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾ [الضحى:10،11].

وقد خُصَّت فواصل الشعر باسم القوافي لأن الشاعر يقفوها أي يتبعها في شعره، فلا يتركها ولا يخرج عنها ،وهي في الأصل فاصلة لأنها تفصل آخر الكلام ،فالقافية أخص في الاصطلاح ،فكل قافية فاصلة ،وليست كل فاصلة قافية ،أما الفاصلة والسجعة فالفارق بينهما بيّن ،إذ الفاصلة تكون مقاطع الكلام فيها متقاربة في الحروف : كالنون والميم فيقوله تعالى : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ [الفاتحة:2،4]، أما السجع فتكون مقاطع الكلام فيه متحدة في الحروف ،فالفواصل أعم من السجع ،فالسجع تتحد فيه حروف المقاطع ،أما الفواصل فتتقارب فيها حروف المقاطع[1].

- وللفاصلة في القرآن الكريم علاقة وثيقة بما قبلها ،فليست الفواصل القرآنية مجرد توافق ألفاظ وأوزان ،بل لها علاقة وثيقة بما قبلها بحيث إذا طرحت اختل المعنى في الآية ،فقد يشير سياق الآية إلى فاصلتها إشارة لفظية جلية ،وقد يظهر ذلك بعد بحث وتأمل ،ولهذا نجدها تأتي مستقرة في مكانها غير قلقة ولا نافرة[2]

[1]- أنسام خضير خليل المالكي ،**الإيقاع الموسيقي في الفاصل القرآنية** ،مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد ،العدد الثاني،2006،ص:4(بتصرف).

[2] - نفسه ،ص:9(بتصرف).

– وتؤدي كل الآية الواحدة ألوانا من الأداء الفني والجرسي ،الآية الثانية ،والثالثة ،وهكذا إلى نهاية النص أو السورة حتى تكتمل لدينا جمل صوتية وافرة بعدد ضخم من الهيئات الأدائية الرائعة ...وربما كان تقسيم القرآن الكريم إلى سور وآيات مختلفة في الطول والايقاع والفاصلة يكتسي أهمية قصوى في تلوين جرسي متعدد[1]

المطلب الثاني: اختلاف الصيغ لتناسب الفواصل:

سنورد ضمن هذا الجزء نماذج من المتشابهات اللفظية التي اختلفت فواصلها في صيغها :كالاختلاف بين الفعل والمصدر، بين اسم الفاعل واسم التفضيل، الاختلاف بين الألفاظ ككل ،الاختلاف في المتعلقات التي ارتبطت بالفواصل ...وتم توجيهها صوتيا

1– يكذبون/تكذيب:

– ومن وشواهد ذلك قوله تعالى:﴿ **بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ**﴾[الانشقاق:22،23].،وقوله تعالى: ﴿ **بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ**﴾ [البروج:19،20].

رد الإسكافي التشابه بين صيغة الفعل المضارع (يكذبون) وصيغة المصدر المجرور(تكذيب) إلى مراعاة تناسب الفاصلة ،ذلك أن معناهما واحد ،فجاءت في الأولى "يكذبون" مراعاة للفواصل قبلها ﴿ **فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ**﴾ [الانشقاق:20،21]،فجاءت الفاصلة "يؤمنون" ،"يسجدون" فناسبتها لفظة "يكذبون" بشرط صحة اللفظ والمعنى ،أما الآية الثانية فوردت فواصلها مردفة• بالياء والواو فناسبها صيغة "تكذيب" ،لأنها مردفة بالياء ، ودليله قوله تعالى من قبل:﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ**﴾ [البروج:17،20] بشرط صحة اللفظ والمعنى[2].

---

[1] – نذير حمدان ،**الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم** ،دار المنارة ،السعودية ،1991،ط1،ص:203(بتصرف).

• **الردف** في الشعر حرف ساكن من حروف المد واللين يقع قبل حرف الروي ليس بينهما شيء ،فإن كان ألفا لم يجز معها غيرها ،وإن كان واوا جاز معها الياء، ينظر :الجوهري ،**الصحاح** ، مصدر سابق ،ص:1363(مادة ردف).

[2] الإسكافي ،**الدرة** ،ص:365،366 (بتصرف).

فتم توجيه هذا الشاهد اعتمادا على التناسب بين الفواصل لذلك اختلفت صيغة الفاصلتان بين الفعل والمصدر.

2- الغروب/غروبها:

قوله تعالى في سورة ق:﴿... **وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ**﴾ [ق:39]،وقوله تعالى في سورة طه :﴿... **وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**... ﴾ [طه:130].

يرد الإسكافي هذا التشابه بأن الآية الثانية جاءت على الأصل ؛لأن الطلوع أضيف للشمس فكذلك الغروب أضيف لضميرها وأضيفت له ألفا لأن أغلب فواصل أكثر آيات سورة طه أواخرها ألفا ،أما الآية الأولى فلأن فواصل آيات سورة "ق" مردفة بالياء والواو مثل "السجود" ،"الخلود" ،"القعيد" ،"العتيد" فجاءت لفظة (الغروب) مساوقة للفواصل قبلها ،ولأنه متى ذكر الغروب فالمراد به غروبها[1]

- وقد وافق الكرماني ما أورده الإسكافي فوجّه آية سورة ق مناسبة للفواصل ،وجعل آية سورة طه مراعاة للقياس لأن الغروب للشمس كما الطلوع لها[2] .

وكذلك تم توجيه هذا الشاهد بناء على التناسب بين الفواصل ليحدث الانسجام الصوتي بين السورتين ، فكانت لفظة (غروبها) المنتهية بالألف في سورة "ق" مساوقة للفواصل قبلها ،وكانت لفظة (الغروب) المردوفة بالواو مساوقة أيضا للفواصل قبلها في سورة طه المردوفة بالواو والياء.

3- عقاب/وعيد:

- الشاهد قوله تعالى:﴿**كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ** (12) **وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ** (13) **إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ**﴾ [ص:12،14] ،وقوله تعالى في سورة ص: ﴿ **كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ** (12) **وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ** (13) **وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ**﴾ [ق :12،14].

- يوجه الإسكافي هذا التشابه بين لفظتي "عقاب" و"وعيد" تناسبا مع فواصل كل آية ،حيث أكد أن سورة "ص" مبنية فواصلها على أن تردف أواخرها بالألف من مثل :الأوتاد ،الأحزاب، عقاب ،فواق...

---

[1] - الإسكافي ، **الدرّة** ،ص: 306(بتصرف).

[2] - الكرماني ،**أسرار التكرار في القرآن** ،مصدر سابق ،ص:196(بتصرف).

أما سورة "ق" ففواصلها مبنية على أن تردف أواخرها بالياء أو الواو مثل سورة الصافات :ومثالها: ثمود ،لوط ،وعيد ،جديد ،قعيد...[1].

فاختلفت ألفاظ الفاصلتين وإن كان يجمعهما معنى واحد وهو التهديد والعقوبة المستحقة لأخذ العبرة منهم ،فحصل هذا الاختلاف ولم ترد نفس اللفظة في كلا الفاصلتين ليحدث ذلك الانسجام الصوتي الخاص بكل سورة.

4- فمن شاء ذكره/ فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا:

- الشاهد •قوله تعالى:﴿**كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ**﴾ **[**المدثر :54،55**]**،وقوله تعالى:﴿ **إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا**﴾ **[**الإنسان :29**]**.

- يرد الإسكافي سبب هذا التشابه للجانب الصوتي المتعلق بمناسبة فواصل الآيتين وموافقة للمعنى الكلي لهما في نفس الوقت ؛حيث إن الهاء في الآية الأولى للمذكر وعائدها للمؤنث (تذكرة)،وهو نوع من العدول الصوتي ؛حيث عدل عن هاء المؤنث إلى المذكر ؛وسبب ذلك أن الآيات المتقدمة فواصلها في الوقف هاء(مستنفره/ قسوره...)فناسب ختامها بالهاء ، ومعنى "فمن شاء ذكره" ؛أي انتفع به فيكون ذاكرا له ،وإذا لم ينتفع به فيكون كالناسي له ،أما معنى قوله تعالى:" فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا" فهو بنفس معنى الآية الأولى "فمن شاء ذكره" لأن من انتفع بالذكر سلك سبيل الطاعات التي تؤدي الى ثواب الله تعالى فعدل إلى قوله "اتخذ إلى ربه سبيلا" لتوافقه بين فواصل من هذه السورة إذ كانت مردفة بياء (طويلا ،ثقيلا...) ،أو واو منقطعة بالألف (طهورا ،شكورا...)،فورد في نفس المكانيين مع ملائمة الفواصل في الموضعين[2].

5- الملقين/ أول من ألقى:

- الشاهد قوله تعالى:﴿ **قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ**﴾ **[**الأعراف :115**]** ،وقوله تعالى:﴿ **قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى**﴾ **[**طه :65**]**.

يؤكد الإسكافي أن المعنى في الآيتين واحد و حصل الاختلاف في الفاصلة ،فاختير في سورة الأعراف "نحن الملقين" ؛لأن الفواصل قبله على هذا الوزن(الغالبين ،المقربين..) ،واختير في سورة طه "من ألقى"

---

[1] – الإسكافي ،**الدّرة** ،ص:273،274(بتصرف).

• – هذا الشاهد يتضمن توجيها صرفيا كذلك ؛وقد ذكر في بابه (التوجيه الصرفي).

[2] – الإسكافي ،**الدّرة** ،ص:349 (بتصرف).

لذلك(النجوى ،المثلى ،استعلى..) ،ومثله في قوله تعالى: ﴿ **وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ**﴾ [الأعراف :120] (فواصلها مردوفة بالياء والواو: يعملون ،صاغرين ،العالمين ،هارون..) وقوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿**فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ**﴾ [الشعراء :46](فواصلها مردوفة بالياء والواو: المقربين ،ملقون ،الغالبون ،العالمين ،أجمعين..)،لتكون الفاصلة فيهما مساوية للفواصل قبلها ،وبإزاء " **سَاجِدِينَ** " قوله ﴿ **فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى** ﴾ [طه :70]في سورة طه كذلك(فواصل الآيتين من سورة الشعراء وسورة طه (تسعى ،الأعلى ،أتى...)وردت متناسبة مع الفواصل قبلها كذلك).ومثله كذلك قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ**﴾ [الأعراف :122،121]،وسورة الشعراء﴿ **قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ**﴾ [الشعراء :48،47] وردت حسب الفواصل التي حملت عليها ومثلها في قوله تعالى: ﴿ **فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى** ﴾ [طه :70]،فقدم "هارون" ليكون "موسى" فاصلة مثل الفواصل المتقدمة.

فهذا ونحوه مما يراعى في الفواصل ؛ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿... **وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا**﴾ [الأحزاب :66]، ﴿... **فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا**﴾ [الأحزاب :67]،فزيدت الألف لا للبدل من التنوين ؛إذ لا تنوين مع الألف واللام وإنما ذلك للتوافق بينهما وبين الفواصل التي قبلها وبعدها نحو: ﴿**تَقْتِيلًا"** ﴾ [الأحزاب :61]، ﴿**تَبْدِيلًا** ﴾ [الأحزاب :62]، ﴿**سَعِيرًا**﴾ [الأحزاب :64].

6- سميع عليم/السميع العليم:

- الشاهد قوله تعالى:﴿ **وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[الأعراف :200]،وقال تعالى: ﴿ **وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[فصلت :36].

- يُوجه الإسكافي هاتين الفاصلتين اللتين وردتا بصيغة التعريف والتنكير بأن الفاصلة الأولى وردت بعد فواصل وردت بأفعال جماعية وأسماء مأخوذة من الأفعال(يشركون ،يخلقون ، ينصرون ،لا يبصرون ،الجاهلين) ،فأخرجت هذه الفاصلة كذلك بأقرب الأسماء المؤدية معنى الفعل أي النكرة ،وكان المعنى استعذ بالله إنه يسمع استعاذتك ويعلم استجارتك. أما الفاصلة الثانية فجاء قبلها فواصل سلكت طريق الأسماء(ولي حميم ،ذو حظ عظيم..) فهي ليست من الأسماء التي يراد بها الأفعال ،فكذلك خرجت هذه الفاصلة (السميع العليم) بعد الفواصل التي هي على سنن الأسماء على لفظ يبعد عن اللفظ الذي يؤدي

معنى الفعل ،فكأنه قال إنه هو الذي لا يخفى عليه مسموع ولا معلوم ،وليس القصد الإخبار عن الفعل كما في الأولى إنه يسمع الدعاء ويعلم الاخلاص فهذا هو الفرق بين الفاصلتين[1] .

إذا فهاتان الفاصلتان وردتا متناسبتين مع ما قبلهما من الفواصل ،وصيغت الأولى بلفظ قريب من الفعل (النكرة) مناسبة للفواصل قبلها التي وردت بتلك الصياغة وكان معناها مختلف عن الثانية (أنه تعالى يسمع الدعاء ويعلمه)،وصِيغَت الفاصلة الثانية بلفظ يقترب من الاسم(معرفة) مناسبة للفواصل قبلها التي وردت بتلك الصياغة واختلف معناها عن الأولى (لا يخفى عليه مسموع ولا معلوم) ؛يعني أنها ليس تكرارا لها ،ونلاحظ أن كلا المعنيين يؤدي نفس الهدف ؛أي أنهما مترادفان ،فيسمع الدعاء ويعلمه يدخل في معنى لا يخفى عليه مسموع ولا معلوم.

– ولقد انتحى الغرناطي منحا مخالفا للإسكافي ؛لأنه ربطه بمعنى الآيات السابقة ،حيث ذكر أنّ آية الأعراف تقدم فيها وصف الآلهة المنحوتة من الحجارة والخشب التي وبّخ الكافرون لعبادتها فوصفت بأنها لا تخلق ،ونفي عنها القدرة والسمع والبصر وآلة المشي والبطش ،ولم يتقدم ما يوهم أدنى شيء يلحقها بشبه الأحياء فضلا عما فوق ذلك ،فناسبه ختامها بوصف "سميع عليم" الذي لم يتقدمه ما يوهم صلاحيته شيء من ذلك لغيره تعالى ،أما آية فصلت فقد تقدم فيها ذكر المضلين من الإنس والجن وكلا الصنفين موصوف بالسمع والبصر وممن ينسب إليه علم بخلاف ما ورد في الأعراف ،فلما تقدم ما يظن منه الغنى ويمكن منه أن يسمع ويبصر ويعلم ناسبه التعريف في الصفة ليعطي بالمفهوم نفي ذلك عن غير الموصوف بهما تعالى ،وأكده بضمير الفصل هو المقتضي التخصيص فقوي المفهوم والتقدير الله هو السميع العليم لا غيره[2].

– أما ابن جماعة فوجه الآيتين بحسب نزول السورتين فآية الأعراف نزلت أولا وآية السجدة(فصلت) نزلت ثانيا فحسن التعريف أي فهو السميع العليم الذي تقدم ذكره أولا عند نزوغ الشيطان[3].

– أما السامرائي فقد اهتم بالتوجيه البلاغي للاختلاف الفاصلتين ، فذكر نقلا عن تفسر ابن القيم(التفسير القيم) أن: الاستعاذة جاءت من الشيطان الذي نعلم وجوده ولا نراه بلفظ "السميع العليم" في الأعراف وحم السجدة ،وجاءت الاستعاذة من شر الإنس الذين يؤنسون ويُرون بالأبصار بلفظ "السميع البصير" في سورة حم المؤمن ، لأن أفعال هؤلاء أفعال معاينة بالبصر ، وأما نزغ الشيطان

---

[1] – الإسكافي ،**الدرة** ،ص:128،129(بتصرف).

[2] – الغرناطي، **ملاك التأويل** ،مصدر سابق،ص:223،224(بتصرف).

[3] – ابن جماعة ،**كشف المعاني** ، مصدر سابق ،ص:189(بتصرف).

فوسواس وخطرات يلقيها في القلب يتعلق بها العلم ،فأمر بالاستعاذة بالسميع العليم فيها ،وأمر بالاستعاذة بالسميع البصير في باب ما يُرى بالبصر ويدرك بالرؤية[1]

7- ومن ظل فإنما يضل عليها/ ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين:

- الشاهد قوله تعالى:﴿... **فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ**﴾[يونس :108] ،وقوله تعالى: ﴿... **فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ**﴾[النمل :92].

يوجه الإسكافي هذا التشابه بأنه تعالى لما أورد قوله :" **فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ**" ؛أي منفعة اهتدائه له وهي دوام النعمة والخلود في الجنة اقتضى ذلك ذكر ضده وهو قوله تعالى:" **وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا**" ؛أي ضرر ضلاله عليه وهو دوام العقاب بأليم العذاب ،وناسبه ختام الآية بقوله :" **وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ**" ؛أي لا يلزمني أن أَقِيكُم ما لا تَقُونَه أنفسكم كالوكيل الذي يلزمه حفظ ما وكل به مما يضره ،أما الآية الثانية فمعناها متضمن في الآية الأولى ولكنه عدل بها الى صياغة أخرى لتحمل على الفواصل التي قبلها وهي مختومة بالواو والنون أو الياء والنون ،ومعنى قوله تعالى :" **وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ**" أي من يعلمكم ما يلزمكم أن تحذروه ويخوفكم ما يجب عليكم أن تجتنبوه ،فاشتمل هذا المعنى معنى الآية الأولى ؛لأن قوله تعالى:" **فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا**" تخويفا وإنذارا وفيه " **إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ**" ؛ أي لست ممن يكره على ما يحميكم من النار ،فورد لفظ "المنذرين" لتكون الفاصلة مشاكلة للفواصل قبلها مع تأدية نفس المعنى السابق[2].

- فقد وجه الإسكافي الآية الأولى مناسبة للسياق القبلي لها فوردت على الضد مما قبلها ،أما الآية الثانية فوجهت توجيها صوتيا مناسبا للفواصل قبلها(فاصلتها مردوفة بالياء والواو :داخرين/ تفعلون/ آمنون/المسلمين...) وحملت كلتا الآيتين نفس المعنى.

8- خاسرون/أخسرون

الشاهد• قوله تعالى:﴿ **لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآَخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ**﴾[هود :22]،و قوله تعالى:﴿ **لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآَخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[النحل :109].

---

[1] – السامرائي ،**التعبير القرآني** ،مصدر سابق ،ص:226(بتصرف).

[2] – الإسكافي ،**الدرة** ،ص:155،156(بتصرف).

• يمكن توجيه هذا الشاهد صرفيا ،فاختلاف الصيغ راجع لاختلاف المعنى .

– بنى الإسكافي توجيهه للآيتين مرتكزا على سببين ،فذكر أن الآية الأولى وردت بصيغة "الأخسرون" للسببين أحدهما يتعلق بالمعنى وذلك لكون هذه الآية سبقت بقوله تعالى: ﴿... **وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ**﴾[هود :20]، فنزلت في قوم ضاعف الله لهم العذاب لأنهم صدوا عن دين الله فضلوا وأضلوا يعضد ذلك قوله تعالى من قبل: ﴿**الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ**﴾[هود :19]،فاستحقوا بذلك مضاعفة العذاب لذلك السبب ،فهذا ما أوجب ورود هذه الصيغة "أخسرون" من حيث المعنى ،أما من حيث اللفظ فلأنها سبقت من قبل من الفواصل ب" يبصرون" و"يفترون" وردت هاته الفواصل بواو ونون متحركان لا يعتمدان على ألف قبلهما ،فكذلك وردت لفظة "الأخسرون" ،فلاجتماع المعنى السابق ولتناسب الفواصل أوجب ذكر هاته الصيغة.

– أما الصيغة الثانية (الخاسرون) فتم كذلك توجيهها وفق سببين: أولهما أنها لم تتضمن المعنى السابق (كون هؤلاء الكفار ضلوا وأضلوا) وإنما قال فقط: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾[النحل :109]،فلم يذكر ما يوجب مضاعفة العذاب ، وثنيهما فقد وردت هاته الصيغة تناسبا مع الفواصل قبلها :الكافرين ،الغافلين ،الخاسرين[1].

– يمكن أن نستخلص من كل ذلك أن الآية الأولى تم توجيهها وفق قاعدة الزيادة في المعنى زيادة في المعنى وتناسبا مع السياق قبلها وذلك لأنها تضمنت معنى جديدا لم يرد في الآية الثانية ،فأوجب ذلك صيغة أفعل "أخسرون" ،وكذلك تناسبا مع الفواصل قبلها ،أما الآية الثانية فلأنها لم تتضمن معنى جديدا وردت على الأصل وجاءت كذلك متناسبة مع الفواصل قبلها(اسم الفاعل المجموع).

– وقد وافق الكرماني وابن أبي زكريا توجيه الإسكافي[2].

– أما الغرناطي فقد اعتمد في توجيهه على مناسبة السياق والفواصل كما فعل الإسكافي ولكنه أضاف بأن الآية الأولى تضمنت معنى المفاضلة وذلك لأن الله تعالى قال قبلا :﴿**أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ**... ﴾[هود :17]،والمعنى أفمن كان على بينة من ربه كمن كفر وجحد وكذّب الرسل؟ ،ثم أتبع هذا بقوله ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا**.... ﴾[هود :18]، فهذا صريح مفاضلة واستمرت الآي في وصف من ذكر وعرضهم على ربهم ،فناسب لفظ "الأخسرين" بصيغة التفاضل ، أما الآية

[1]– الإسكافي ،**الدرّة** ،ص:157،158(بتصرف).

[2] – ينظر: الكرماني، **أسرار التكرار** ،ص:106،أبو زكريا الأنصاري، **فتح الرحمان**،ص:262.

الثانية فلم يقع قبلها أفعل المفاضلة ، ولتناسب فواصلها واتفاقها في اسم الفاعل المجموع جمع سلامة(جمع المذكر السالم) في قوم متفقي الأحوال في كفرهم إلى أن ختم وصفهم ب"الخاسرين"، فكان التناسب في الآيتين في السياق والفواصل[1]

9- مسرفون /تجهلون:

الشاهد قوله تعالى:﴿ **وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (80) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ**﴾[الأعراف :80،81]،و قوله تعالى في سورة النمل :﴿ **وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (54) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ** ﴾[النحل :54،55] ،فحصل الاختلاف بين الفاصلتين: "**مُسْرِفُونَ**" ،و "**تَجْهَلُونَ**".

قبل توجيه هذا الشاهد عرّف الإسكافي كل من "المسرف" و"الجاهل" ،ثم بيّن الفرق بينهما ،فذكر أنّ الإسرافّ هو مجاوزة الحد الواجب إلى الفساد ،فالمسرف يجهل بإسرافه ،والجاهل مسرفٌ في أفعاله ،ثم علّل سبب اختصاص كل سورة بفاصلتها دون الأخرى، فذكر أنّ الآيات التي قبل الآية محل الشاهد من بداية قوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ**... ﴾[الأعراف :74]،والتي من بعدها أسماء جمعت هذا الجمع(جمع المذكر السالم)، وهي: •"**مُفْسِدِينَ**" ، "**مُؤْمِنُونَ**" ، ثم " "**كَافِرُونَ**" ، وبعدها "**الْمُرْسَلِينَ**" ،ثم "**جَاثِمِينَ**" ،ثم" **النَّاصِحِينَ**" إلى " **الْعَالَمِينَ** " ،فكان الاسم الأحق بالوضع في هذا المكان لتتناسب الفواصل هو: "**مُسْرِفُونَ**" على نفس الصيغة.

أمّا سورة النمل فبُنيت فواصلها السابقة للفاصلة حل الشاهد – "**تَجْهَلُونَ**"– بصيغة أفعال مضارعة مسندة إلى واو الجماعة (الأفعال الخمسة)،وهي ابتداء من قوله تعالى: ﴿ **فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (52) وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (53) وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ** ﴾**[النمل :52،54]**،وهذه الفواصل هي: "**يَعْلَمُونَ**" ، "**يَتَّقُونَ**" ، "**تُبْصِرُونَ**" ،فلما تناسبت هذه الأفعال في هذه الفواصل التي قبل هذه الفاصلة كان بناؤها على ما قبلها على لفظ الفعل أولى بها[2].

---

[1] – الغرناطي ،**ملاك التأويل** ،مصدر سابق، ص:255،256(بتصرف).

• سورة الأعراف ،الآيات:74،75،76،77،78،79،80

[2] – الإسكافي ،**الدرّة** ،ص:117،119(بتصرف).

10- رب موسى وهارون /رب هارون وموسى:

الشاهد قوله تعالى:﴿ **قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ** ﴾[الأعراف :121،122]،و وقال في سورة الشعراء مثله ،وقال في سورة طه :﴿... **قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى** ﴾[طه :70]

علّل الإسكافي بدءً سبب انفراد آية الأعراف بقوله تعالى: "**بِرَبِّ الْعَالَمِينَ**" ،فذكر أنها تتضمن دخول موسى وهارون عليهما السلام فيها ،لأنهما دعا إلى رب العالمين ،والتقدير: آمنا برب العالمين وهو الذي دعا إليه موسى وهارون ،أما آية طه فلم تتضمن هذه الآية لأن الكلام ما كان يتم به آية كما تم في السورتين فيكون مقطع الآية فاصلة مخالفة للفواصل التي بنيت عليها فواصل سورة طه ،فقال: "**رَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى**" ،وربهما هو رب العالين ،وفي السورتين تخصيص بعد العموم ،ليدل على تصديقهما بما جاءا به ، ونبّه الإسكافي في الأخير أن القصد من الشاهد حكاية المعنى لا أداء اللفظ[1].

- الملاحظ أنّ الآيتين تضمنا تقديما وتأخيرا بين "موسى" و"هارون" ،ولكن الإسكافي لم يبن توجيهه على أساسه ،بل على أساس حذف وذكر الآية : "**بِرَبِّ الْعَالَمِينَ**" ،وتكرار لفظ "رب" ،ثم توصل إلى أن الاختلاف كان مراعاة وتناسبا مع الفواصل ،وكذلك وافق كل من الكرماني وابن جماعة الإسكافي هذا التوجيه [2].

- وقد وافق الطاهر بن عاشور التوجيهات السابقة وأجملها وأضاف لها تفصيلات أخرى فرأى من جهة: أنّ التقديم والتأخير بين "موسى" و"هارون" لا اعتبار فيه للأفضلية ،لأن الواو عاطفة لا تفيد أكثر من مطلق الجمع ،فالسحرة عرفوا الله بأنه ربّ هذين الرجلين ،فحُكي كلامهم بما يدل على ذلك ،وأضيف في سورة الأعراف "**بِرَبِّ الْعَالَمِينَ**" ،لأن حكاية الأخبار تقتضي الاحاطة بجميع المحكي وإنما المقصود موضع العبرة في ذلك المقام ،وجعل وجه تقديم والتأخير بين اللفظين رعاية للفاصلة ،وجوّز من جهة أخرى أن يكون تقديم "هارون" من حكاية قول السحرة ،فيكون صدر منهم قولان ،قدموا في أحدهما اسم "هارون" اعتبارا بكبر سنه، وقُدّم اسم "موسى" في القول الثاني اعتبارا بفضله على هارون بالرسالة وكلام الله تعالى ،فاختلاف العبارتين باختلاف الاعتبارين[3]. فيكون هذا التفسير قد جمع التوجيهات السابقة وأحاط بكل التقديرات في التوجيه.

---

[1] - الإسكافي ،**الدرّة**، ص:128،129(بتصرف).

[2] - ينظر: الكرماني ،**أسرار التكرار**،ص:89،90،و ابن جماعة، **كشف المعاني** ،ص: 187.

[3] - الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير** ،مصدر سابق،ج16، ص:262،263(بتصرف).

المطلب الثالث: الحــذف:

الحذف فن من فنون الكلام وأسلوب بلاغي أخّاذ ،أشاد به البلاغيون وأفصحوا عن ملامحه الجمالية ،وتعدد أغراض ظاهرة الحذف في القرآن الكريم ،وسنحاول عرض الجوانب الصوتية من هذه الأغراض التي وجهها الإسكافي :

1- بين "اسطاعوا" ،و"استطاعوا":

الشاهد قوله تعالى:﴿ **فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا**﴾ **[**الكهف :97**]**.

- ربط الإسكافي الحذف في لفظة "استطاعوا " بمتعلقاتها ، وفق قاعدة :" أنه كلما كثرت متعلقات الفعل فإنها تزيده ثقلا يجوِّز الحذف في مبناه" ؛حيث خصت اللفظة الثانية "استطاعوا" بذكر التاء لخفة مُتعلّقها المفعول به (نقبا) ،بينما خصت اللفظة الثانية "اسطاعوا" بالحذف لثقل متعلقاتها المفعول به (أن و الفعل(يظهر) والفاعل(واو الجماعة) و المفعول به (الهاء))، فلورود كل هذه المتعلقات كان التخفيف ألزم[1].

وقد ذهب الكرماني (**ت505هـ**) وابن جماعة والأنصاري لنفس توجيهات الإسكافي[2] ،بينما نحى الغرناطي منحا آخر حين ربط الحذف والذكر بنوع ومشقة الفعل فقال:" استطاع واستاع واسطاع :الأول الأصل ثم يحذفون أحد الحرفين تخفيفا ،فجيء أولا بالفعل مخففا عند إرادة نفي قدرتهم على الظهور على السد والصعود فوقه ،ثم جيء بأصل الفعل مستوفي الحروف عند نفي قدرتهم على نقبه وخرقه ،ولاشك أن الظهور أيسر من النقب ،والنقب أشد عليهم وأثقل فجيء بالفعل مخففا مع الأخف ،وجيء به تاما مستوفي مع الأثقل فتناسب"[3].

- وكذلك رأى السامرائي حين ربط الاختلاف بين اللفظتين بنوع وزمن الحدث ،فذكر أن صعود السد أيسر من إحداث نقب فيه ،فحذف من الحدث الخفيف ،بخلاف الفعل الشاق الطويل فإنه لم يحذف

---

[1]- الإسكافي ،**الدرّة** ،مصدر سابق،ص:199،200(بتصرف).

[2]- ينظر: الكرماني ،**أسرار التكرار** ،ص:134،وابن جماعة ،**كشف المعاني**،ص:243،وأبي يحي الأنصاري ،**فتح الرحمان**،ص:326.

[3] – الغرناطي، **ملاك التأويل** ،مصدر سابق،ص:323،324.

بل أعطاه أطول صيغة ،كما أن الصعود على السد يتطلب زمنا أقصر من إحداث النقب فيه ،فحذف من الفعل وقصر منه ليجانس النطق الزمن الذي يتطلبه كل الحدث[1]

2- لا تكن ،لا تك:

1- الشاهد قوله تعالى:﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ...** ﴾ [السجدة :23]،وقوله تعالى:﴿... **وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [هود :17]،وقوله تعالى في نفس السورة: ﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ...** ﴾ [هود :108،109].

يقول الإسكافي في توجيه ذلك:«...إن هذه النون في قوله "لا تكن" لما أشبهت بسكونها حروف المد واللين ثم كثرت استجيز حذفها لسببين جميعا، فإن تحركت خرجت عن شبهها ،نحو: لم يكن الرجل منطلقا، لا يجوز : لم يك الرجل منطلقا ،أما إذا سكنت وتحرك ما بعدها ،فلك أن تأتي بها ،ولك أن تحذفها كما جاء في الموضعين ،ثم إنه يختار فيها الحذف إذا تحرك ما بعدها متى تعلقت بالجمل الكثيرة ،ويختار إثباتها إذا تعلقت بالقليلة ،لأن الكثرة أحد سببي الجواز حذفها ،وهذه الكثرة يعبر بها عن كل فعل ،ألا ترى أنه لا يجوز :لم يه زيد، ولم يص زيد في لم يهن، ولم يصن ،وكثرة الجمل هي التي تثقلها تعلقت بها من قبلها أو من بعدها ،فقوله تعالى في سورة هود "**فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ**" جاء بعد أن تعلق بآيات ذوات جمل تقدمته وهي: ﴿ **أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ**﴾ **[هود : 17]**،فقد تقدمته جمل جاء عقيبها متعلقا بها ،فثقل من أجلها، فاختير تخفيفها بحذف نونها ،وكذلك قوله: ﴿...**وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا**﴾ **[مريم : 9]**،جاء بعد قوله: : ﴿**قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا**﴾ **[مريم : 8،9]**،وقع في جواب الله تعالى له ،بعد الكلام الذي كان منه لما بشر بالولد ،فطال الكلام جدا، وخُفف بالحذف في موضعه اختيارا...فأما قوله: ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ**

---

[1] – فاضل صالح السامرائي ،**بلاغة الكلمة في التعبير القرآني** ،شركة العاتك لصناعة الكتب ، القاهرة ،2006،ط2 ،ص:9،10(بتصرف).

رَبِّ شَقِيًّا ﴾ [مريم : 4]،فإنه قلت الجمل قبله ،ولم يتعلق بما تقدمه تعلق ما ذكرنا به ،فلم يثقل ،فاختير الإتمام على الأصل ،وكذلك قوله: "**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ** "لم يتقدمه ما يثقله من الجمل ما تقدم غيره مما ذكرنا ،وهذه النون حذفها في حال سكونها لشبهها بحروف المد واللين ،إذ كانت صوتا جاريا في هواء الأنف ،كما أن تلك أصوات تجري في هواء الفم ،ثم انضاف إلى هذا السبب كثرتها في الكلام ،وهي :أن تدخل على كل فعل ،فيقال :كان زيد فاعلا ،ولم يك زيد فاعلا، فلما كانت الكثرة أحد سببي حذف النون في الأصل صارت كثرة المتعلقات أحد سببي اختيار حذفها ،فإن سأل عن قوله:" **فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ**" وقبله: "**عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**" وقد انقطع الكلام ، ولا تعلقا ببعضهما ،قلت : لم يثقل بمتعلقات الجمل التي فيها تكن بما قبلها دون ما بعدها ،وهذه وإن لم تثقل بتعلقها بما قبلها ،فإنها ثقلت بتعلقها بما بعدها لقوله: ﴿ **فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ**﴾ [هود : 109]،أي: لا تشك فيما يعبد هؤلاء الكفار من الأصنام ،إنهم يعبدونها بحجة ،فإنهم لا يعبدونها إلا تقليدا لآبائهم الذين كانوا يعبدونها من قبل، وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ،والمراد به هو ومن آمن به ،فقد تعلقت "**فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ** " بهذا الكلام كله[1].

ووجّه الغرناطي هذا الشاهد بنفس توجيه الإسكافي وباختصار، فذكر أن العرب تصرفت في "يكون" عند دخول الجازم تصرفا لم تفعله في نظائرها وما يشبهها ، وذلك أننا نسكن النون عند دخول الجازم على "يكون" فتحذف الواو للالتقاء الساكنين ،كما ورد في سور السجدة، إلا أن حذف النون في "يكون" وباختصار فذكر أن العرب من فصح كلامهم ما لم تكن متحركة فإنها لا تحذف لقوتها بالحركة وإن كانت عارضة كقوله تعالى: ﴿ **لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا**... ﴾ [البينة : 1]،،فورد في سورة هود على ما اعتمدوه من تخفيف اللفظ ليناسب بذلك إيجاز الكلام ،وورد في سورة السجدة على أصل الكلمة قبل الحذف فقيل "فلا تكن" ليجري ذلك مع ما ورد في هذه السورة من طول الكلام ،فناسب الإيجاز الإيجاز والطول الطول[2].

فتم توجيه هذا الشاهد اعتمادا على الانسجام الصوتي عند حذف الواو في "يكون" لما تسبق بجازم وذلك بسبب التقاء الساكنين ،واعتمادا على التناسب في المبنى من حيث الطول والايجاز لكلتا السورتين

---

[1]- الإسكافي، **الدرّة** ،ص:263،261(بتصرف)

[2] – الغرناطي، **ملاك التأويل** ،مصدر سابق، ص: 254(بتصرف).

،فلما بنيت سورة هود على الإيجاز ناسبها تخفيف اللفظ ليناسب إيجاز الكلام فحذفت النون في "يكون" ،وبالمقابل لما بنيت سورة السجدة على الطول وكانت بقيت نونها على الأصل فلم تحذف نون "يكون".

3- الحذف استثقالا لحرف للظاء:

الشاهد• قوله تعالى:﴿ **وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى...** ﴾ [النحل : 61] ،وقوله تعالى:﴿ **وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى...** ﴾ [فاطر : 45].

الشاهد ذكر الجار والمجرور في جملة الشرط " **بِظُلْمِهِمْ**"، وحذفه من جملة الشرط في الآية الثانية وذكر الجار والمجرور " **عَلَى ظَهْرِهَا** "في جوابه وحذفه من جواب جملة الشرط في الآية الثانية، يرجع الإسكافي ذلك لسببين :

1- خصوصية حرف الظاء واستثقاله حين توظيفه مرتين في جملة واحدة وتلك خاصية تتميز بها لغة الظاد وتميزها عن باقي اللغات ، حيث ذكر أن شبه الجملة " **عَلَى ظَهْرِهَا**" أي على ظهر الأرض ذكر في جواب الشرط ولم يذكر في الآية الأولى لتقدم وورود الظاء في المبتدأ بعد لو ،والظاء تعز وتندر في كلام العرب لأنها اختصت بها ولم توجد عند الأمم الأخرى كما أوردنا سابقا ،لذلك يعز استعمالها ،فوظفت في الآية الأولى في الابتداء بعد لو ،ووظفت في الآية الثانية في جواب ما بعد لو .

2- تناسق خاص بسورة النحل حيث وردت فيها سبع كلمات متضمنة حرف الظاء(الظلم ،النظر ،الظل ،ظل ،الظعن ،العظيم ،الوعظ) ولم تجمع هاته الكلمات في جملة واحدة (كجملة الشرط وجوابه) لنفس السبب وهو ثقلها وحسن التأليف من فصاحة العرب[1] .

- لقد أشار الكرماني لتوجيه الإسكافي ولكنه نحى منحا مخالفا له فوجهها توجيها بلاغيا صرفا ،فجعل الآية الثانية" **مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا**" الهاء كناية عن الأرض ،ولم يتقدم ذكرها ،والعرب تجوز ذلك في كلمات منها الأرض فتقول فلان أفضل من عليها...ولما كان كناية عن غير مذكور لم يزد معه "**الظهر**" لئلا يلتبس بالدابة ،لأن الظهر أكثر ما يستعمل في الدابة ،أما الآية الثانية فقد تم تقدم ذكر الأرض فكان كناية عن مذكور لذلك فذكر الظهر حيث لا يوجد التباس[2]

• يضمن هذا الشاهد توجيهات أخرى ليست محل الدراسة هنا.

[1]- الإسكافي ،**الدرة** ،ص:187،188(بتصرف).

[2] – الكرماني ،**أسرار التكرار** ،مصدر سابق ،ص:124،123(بتصرف).

- يمكن ادراج هذا الشاهد ضمن التوجيه البلاغي ،وباب النظم نظرية لغوية مهمة عرف بها عبد القاهر الجرجاني(ت **471هـ**) وهي حسن التأليف والسبك بين الألفاظ والمعاني.

4- إنا /إننا: وتتضمن شاهدين:

1- الشاهد قوله تعالى:﴿ **فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران : 52] ، و قوله تعالى:﴿ **وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ** ﴾ [المائدة: 111].

يقول الإسكافي بأن الحرفين في "**أَنَّا**" و "**أَنَّنا**" سواء ،والتخفيف جائز في الموضعين ،كما يجوز الاتيان به على الأصل فيهما ،فسورة المائدة جاءت على الأصل غير مخففة بالحذف ،لأنه أول كلام الحواريين ،وهو خبر عن الله تعالى ،أما سورة آل عمران فهي حكاية عن عيسى عليه السلام حين سأل الحواريين عما أقروا به فقالوا: ﴿ **فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ**... ﴾،فكان ذلك اقرارا ثانيا لرسوله ،والثاني يختار فيه من التخفيف ما لا يختار في الأول ،لأن الأول قد وفى العبارة حقها والثانية معتمدة على ما قبلها وهي مكررة ،والعرب تستثقل المعاد ما لا تستثقل غيره ،فاختير في آل عمران ما لم يختر في المائدة ، إذن فالحرف (**أننا**) ورد على الأصل بدون حذف ،أما الحرف (**أنا**) ورد على التخفيف وهو فرع وقد أشار الإسكافي لقاعدة مهمة في حذف نون "**أننا**" و"**أنني**" وما شاكلهما في القرآن(إننا ،لكنني ،لعني...) ، فقال أن الحذف في "**أنّا**" يكون في حذف إحدى نونين "**أنَّ**" وليس حذف نون ضمير المتكلمين "**نا**" ، أما الحذف في "أنني" فيطال نون الوقاية وليس احدى نوني الحرف "أنَّ" إذن فالحرف (**أننا**) ورد على الأصل بدون حذف ،أما الحرف (**أنا**) ورد على التخفيف وهو فرع[1].

- لقد أورد الكرماني نفس توجيه الإسكافي ولكن بإيجاز فقال:" ما في المائدة أول كلام الحواريين، فجاء على الأصل ،وما في هذه السورة تكرار لكلامهم ،فجاز فيه التخفيف ،لأن التخفيف فرع والتكرار فرع ،والفرع بالفرع أولى[2].

---

[1] - الإسكافي ،**الدرة** ،ص:52،53(بتصرف).

[2] - الكرماني ،**أسرار التكرار** ،مصدر سابق ،ص:50 (بتصرف).

2- الشاهد قوله تعالى في قصة صالح عليه السلام:﴿ **قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ**﴾ [هود: 62] ،وقوله تعالى في سورة إبراهيم:﴿... **وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ**﴾ [إبراهيم: 9]،استهل الإسكافي توجيه هذا الشاهد بسؤال كعادته :« للسائل أن يسأل فيقول: لم قال في الأولى "**وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ**" على الأصل " **مِمَّا تَدْعُونَا**" بنون واحدة ،وقال في الثانية "**وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ**" على التخفيف فحذف إحدى النونات وهي المتوسطة ،ثم جاء بعده "**تَدْعُونَنَا**" بنونين؟».

- واستمر يفصل: « أما "تدعونا" في الأولى ، و"تدعوننا" في الثانية فلا يصح مكانهما غيرهما ،فلا يجوز في الأولى إلا نون واحدة ، ولا يجوز في الثانية إلا نونان اثنتان ،لأن الأولى خطاب لصالح عليه السلام ،والنون مع الألف ضمير المتكلم، وتدعو فعل واحد لا نون فيه ،وليس كذلك في "تدعوننا" في الثانية ،لأنه خطاب للرسل وهم جماعة ، ولا يقال لهم في حال الجمع إلا "تدعوننا" عند الرفع ،ولا تسقط النون إلا لناصب أو جازم نحو: "لن تدعونا" ، أو " لم تدعونا"، فأما إذا وقعت خطاب الجماعة لم تكن إلا "تدعوننا" ،وهذا من مبادئ هذا العلم ، وأما "إننا" في الأولى ،و"إنا" في الثانية مع جواز اللفظتين في كل مكان ،فلأن الضمير الذي دخلت عليه "إن" في هذا المكان هو على لفظ ضمير المنصوب المتصل بالفعل في قوله" **أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ**" ،وضمير المنصوب إذا اتصل بالفعل لم يغير له آخره كما يغير إذا اتصل به ضمير المرفوع نحو: "ضربنا" تسكن الباء لاتصال ضمير الفاعلين بها ،ولا تسكنها لاتصال ضمير المفعولين بها إذا قلت: ضربَنا ،فلما أشبه المنصوب بأن المنصوب في "ضربنا" ولم ينازعه شبه الفاعل سلم لفظ "إن" عند اتصالها به ولم يلحقه حذف، ولما كانت "إنا" في سورة إبراهيم – وإن كانت منصوبة– مشبهة للفظ الفاعل إذا قلت: "ضربنا" بكونها على لفظها وبوقوعها موقع المرفوع المبتدأ وبأن هذا اللفظ المتقدم عليها في الآية التي قبلها هو ضمير المرفوع خلاف ما تقدم الآية في سورة هود وهو قوله:" **كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ**" وقبل ذلك ضمير مرفوع على غير هذا اللفظ للذين لهم هذا اللفظ وهو الواو في قوله تعالى: ﴿ **فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ**﴾ [إبراهيم: 9] ،ثم قوله تعالى: "**إِنَّا كَفَرْنَا**" حذفت منه النون تشبيها للضمير بعدها بالضمير المرفوع بعد الفعل، فكما أن الفعل يلحقه حذف حركة عند اتصال هذا الضمير به وكان الضمير الذي يحذف من "أن" النون حذفت ليقتضي لفظها عند اتصاله بما هو كالضمير المرفوع لفظا ومعنى وموقعا حملا على ما تقدم ،كما يكون

عليه إذا لم يواصله وجاءت "تدعوننا" على مقتضى الإعراب الواجب لها بنونين ،وهذا فرق ما بين الموضعين». [1] .

- وأضاف الكرماني موجزا توجيه الإسكافي:« لأنه في السورتين جاء على الأصل، و"تدعونا" خطاب مفرد ،وفي إبراهيم لما وقع بعهده "تدعوننا" بنونين ،لأنه خطاب جمع ،حذف منه النون استثقالا للجمع بين النونات ،ولأن في إبراهيم اقترن بضمير قد غير ما قبله بحذف الحركة وهو الضمير المرفوع في قوله:" **كَفَرْنَا**" فغيّر ما قبله في "إننا" بحذف النون ،وفي هود اقترن بضمير لم يغير ما قبله ،وهو الضمير المنصوب والضمير المجرور في قوله:" **فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا**" ،فصح كما صح». [2]

5- حذف العوامل للتخفيف:

1- الشاهد قوله تعالى:﴿ **فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ** ﴾ [آل عمران : 184] ، و قوله تعالى في سورة فاطر:﴿ **وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ** ﴾ [فاطر: 25].

- انطلق الإسكافي في توجيه هذا الشاهد من منطلق أنّ الآية الأولى محل الشاهد قد بُنيت على التخفيف ،لذلك فقد بُنِيّ فعل الشرط فيها على الماضي(الفعل: "**كَذَّبُوا**") الذي هو أخف عوض المستقبل الذي هو أثقل بدلالة "إن" الشرطية ،وتناسبا مع ذلك بُنِيّ جواب الشرط للمجهول ،فلم يسمى فاعله(**كُذِّبَ رُسُلٌ**) ،وكان لزاما كذلك بناء الأواخر بنفس الشكل وذلك بالاكتفاء بما قلّ عمّا كثر منه مع وضوح المعنى (فحذف حرف الجر "الباء" من " **الزُّبُرِ** "، أما الآية الثانية فلم تبن على التخفيف بل وردت على الأصل لذلك ورد فيه فعل الشرط بلفظ المستقبل" **يُكَذِّبُوكَ**"، وسُميّ فاعل جواب الشرط "**كَذَّبَ الَّذِينَ** ..."،وأتبع آخر الكلام أوله في توفية كل معمول فيه عامله وهي حروف الجر التي استوفتها المجرورات[3].

[1] - الإسكافي ،**الدرّة** ،ص:159،160.

[2] - الكرماني ،**أسرار التكرار** ،مصدر سابق ،ص:108،109 .

[3] - الإسكافي، **الدرة** ،ص:56،57(بتصرف).

6- حذف مِن للتخفيف:

الشاهد قوله تعالى: ﴿ **أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ**... ﴾[طه: 128]، وقوله تعالى:﴿ **أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ**... ﴾[السجدة: 26]،فحصُل الاختلاف بين: " **قَبْلَهُمْ** " بحذف "من" ، و " **مِنْ قَبْلِهِمْ** " بذكرها.

- أرجع الإسكافي سبب الحذف في الآية الأولى للتخفيف، وبرّر ذلك بأنّها جملة واحدة ،فما دخلته "الفاء" متعلق بما قبله تعلق الجواب بالمبتدأ الجزاء بالشرط ،فتكون جملة تمامها بجملة قبلها فيثقل ذلك فيختار التخفيف بالحذف ،والمعنى: في الزمن المتقدم على زمانهم .واختار ذكر "من" في الآية الثانية لأنّ الآية منقطعة عمّا قبلها ،فلم يحصل الثقل لذلك ،فذكرت "من" والمعنى: من مبتدأ الزمان الذي قبل زمانهم ،والزمان من أوله لآخره ظرف للإهلاك ،لا يختص به بعضه دون بعض[1] »

- وقد أشار الكرماني لنفس التوجيه بإيجاز فقال: «لأنّ الفاء للتعقيب والاتصال بالأول ،فطال الكلام ،فحسن حذف (مِن) ،والواو تدل على الاستئناف وإثبات (مِن) مستثقل» [2].

وقد كان لابن جماعة رأي آخر ربطه بالسياق القبلي لكلتا الآيتين وخصوصية كل من "قبل" و"مِن" ،فقال: «آية طه جاءت بعد ذكر موسى وفرعون والسامري وهلاكهم وذكر آدم وحواء ،فناسب "قبل" العامة ،لما تقدم من الزمان، وآية السجدة خالية من ذلك فأتى ب "مِن" المقربة للزمان»[3].

- نلاحظ أنّ الإسكافي والكرماني أرجعا سبب الذكر والحذف للاستثقال والحذف بسبب طول الكلام لما كان متصلا في الآية الأول ومنقطع في الثانية، أما ابن جماعة فربطه بالسياق وبدلالة "قبل" التي تدل على الزمان الماضي عامة دون تحديد ،ودلالة "مِن" التي تدل على الزمن القريب ،وتبدو كل التفسيرات واردة لأن الشاهد يتضمنها جميعا .

---

[1] - الإسكافي ،**الدرة** ،ص: 206،207(بتصرف).

[2] - الكرماني، **أسرار التكرار** ،مصدر سابق، ص:140.

[3] - ابن جماعة، **كشف المعاني**، مصدر سابق، ص:300.

7- تغاير الصيغ للتخفيف:

الشاهد قوله تعالى:﴿ **إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ** ...﴾ [الأنعام: 95] ،وقوله تعالى: ﴿ **مَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ**﴾ [يونس: 31]،فحصل التغاير بين " **مُخْرِجُ**" بصيغة اسم الفاعل وبين "**يُخْرِجُ**" بصيغة الفعل.

يرى الإسكافي أنّ لفظة " **يُخْرِجُ**" في الآية الأولى وردت على صيغة الفعل تخفيفا ،لأن التقدير: ومخرج الحي من الميت ،وكون الآية افتتحت باسم الفاعل "**فَالِقُ الْحَبِّ**" ،فيناسبها " **مُخْرِجُ**" ،ولم يرد ذلك لاجتماع ثلاثة حروف من حروف الصلة دفعة واحدة وهي: الواو في: "**وَالنَّوَى**"• ،الياء في: **النَّوَى**" لأنها من "**النويؤ**" ،والواو من "**وَمُخْرِجُ**" واو العطف ،لذلك وردت نقل لفظ اسم إلى لفظ الفعل لما كان "**يُخْرِجُ**" و" **مُخْرِجُ**" بمعنى واحد ،ولما انتهى إلى العاطف من قرينته "**مُخْرِجُ الْمَيِّتِ**.." ولم يكن فيه تلك العلة التي كانت في المعطوف عليه ،فأجرى عليه أول الآية وعاد إلى لفظ الاسم " **مُخْرِجُ**" وعطفه على "**فَالِقُ الْحَبِّ**"، والآية الثانية لم تتضمن ما في الأولى من الاسمية فذكر فيها لفظ الفعل عاطفها ومعطوفها [1].

المطلب الرابع: الادغام:

من المباحث الصوتية في كتاب الدرة نجد ظاهرة الادغام ،و"الادغام في اللغة إدخال الشيء في الشيء ،يقال أدغمتُ الثياب في الوعاء إذا أدخلتها ،وفي الصناعة(عند القراء والصرفيين) هو :إسكان الحرف الأول و إدراجه في الثاني ،ويسمى الأول مُدغماً والثاني مُدغما فيه ،وقيل هو إلباث (إبقاء) الحرف في مخرجه مقدار إلباث الحرفين نحو: مدَّ ،عدَّ"[2] ،وعُرِّف أيضا بأنه: « الإتيان بصوتين ،ساكن فمتحرك من مخرج واحد بلا فصل بينهما ،بيث ينطق المتكلم بهما دفعة واحدة ،والغرض الأصلي منه التخفيف ،ويدخل الإدغام جميع

• النوى للثمرة عجمها ،وهو الذي ينبت منه الشجر ،الواحدة نواة ،فهو اسم جنس، ولام النواة ياء ،لأنّ عينها واو ،والأكثر التغاير ،ينظر: أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي(ت756هـ)، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ معجم لغوي للألفاظ القرآن الكريم**، تح محمد باسل عيون السود ،دار الكتب العلمية،بيروت،1996،ط1 ،ج4 ،ص:237(مادة ن و ى)(بتصرف).

[1] – الإسكافي ،**الدرة** ،ص:90،91 (بتصرف).

[2] – الشريف الجرجاني ،**معجم التعريفات** ،مصدر سابق ،ص:15.

الحروف ماعدا الألف اللينة ،ويكون في متماثلين من كلمة واحدة ،نحو: مدَّ ،ومن كلمتين ،نحو: قلْ لَهُ ،وفي متقاربين كذلك نحو: ادَّكَرَ ، قلْ رَبِّ ،وأنواع الإدغام ثلاثة: واجب ،نحو: مدَّ ،وجائز نحو: لم يَشُدّ (لم يشدُدْ) ،وممتنع نحو: شَدَدْتُ»[1]

من خلال تقصي كتاب الدرة وجدنا شاهدا واحدا تعلق بالإدغام وهو بين الفعلين : **شاقَّ، يشاقق**:

والشاهد قوله تعالى:﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ **[**الحشر: 4**]** ،وقوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ **[**الأنفال: 13**]**،وقال عز وجل كذلك في سورة النساء: ﴿ **وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾ **[**النساء: 115**]**.

يوجه الإسكافي الادغام في لفظة "شاقُّوا" في سورة الحشر وفكه في لفظة "**يشاقق**" في سورتي الأنفال والنساء باستفاضة وبشرح مطول مشتملا الأمثلة الوافية فيقول:" إن ادغام (**يشاقّ**) وتركه (**يشاقق**) مع أنه يصح مثله ادغامه في لغة العرب (مثل: **يرتدّ ،يرتدد**)، الأصل إذا قويت الحركة في القاف أن تدغم ،ألا ترى أن من جوَّز (**ارْدُد**) مكان (**رُدَّ**) وكانت لغته الاظهار متى حرك الدال الأخيرة في قولك للاثنين:" **ردّا**" ،وقولك للجميع: "**ردُّوا**" ،لم ير إلا الادغام ولم يجوِّز: **ارْدُدا** ،ولا **ارْدُدُوا** ،ولا **ارْدُدي** ،ففي قوله تعالى :" **وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ**" فقد قويت الحركة منه في القاف الأخيرة لأنها لاقت كلمة قد لزم أولها السكون وهو اللام الأولى من "**الله**" وكانت تحرَّك لملاقاة الساكن بعدها في مثل "**اعبد الله**"، حيث لا تضعيف يهرب من ثقله إلى تخفيف برفع اللسان عن الحرفين دفعة واحدة ،فقوله: **وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ**" لا يلاقي القاف هنا مما يتعلق به إلا ساكنا قد لزم الكلمة فقويت الحركة في القاف التي تلاقي هذا الساكن لأنها لا تلاقي سواه فيما علق الفعل به، وليس كذلك في " **وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**" لأن القاف قد تلاقي ما يتعلق بها متحركا وهو "**ورسوله**" لأن التقدير "**ومن يشاقق رسوله**" فلم تخلص القاف فيما يتعلق بها للحركة كما خلصت في الأول ،أما قوله:" **وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ**" فليس الساكن من "**الرسول**" الذي تلاقيه القاف كالساكن من لفظة "الله" لأنه قد يحذف فيصح لملاقاة القاف متحركا منه نحو :"**ومن يشاقق رسول الله**" فالذي أوجب في سورة الحشر الادغام هو قوة الحركة في القاف وقوتها أنه لا

[1] – **الموسوعة العالمية** ،مصدر سابق، ج**15** ،ص:28.

يصح أن تلاقي الاسم بعدها إلا ساكنا منه لا يقوم مقامه متحرك في حال وما سواه من المواضع ليس على هذا الوصف"[1].

هذه معظم المتشابهات اللفظية التي تم توجيهها صوتيا في كتاب "الدّرة" وسنوجزها في النقاط التالية:

- أهم المباحث الصوتية الموجّهة في كتاب "الدّرة" هي تناسب الفواصل، الحذف ،وهي أكثر المباحث توجيها في كتاب الدرة ،إضافة والادغام
- تتغاير الفواصل في صيَغها (فعل ،مصدر /اسم الفاعل ،اسم التفضيل/ جمع المذكر السالم/ فعل مضارع مسند لواو الجماعة ،اسم الفاعل ،الفعل)لتتناسب في بنيتها ككل وبذلك يحدث ذلك الانسجام الصوتي.
- الإسكافي لا يتحرج في توظيف مصطلحات عروضية أثناء توجيهاته ؛ومثاله مصطلح الردف الذي وظفه كثيرا .
- قد يتم العدول في بنية الآيات للتناسب الفواصل :كالعدول من المذكر للمؤنث، من التعريف للتنكير، التقديم والتأخير، بناء أجزاء الآيات بمعان متقابلة .
- لتحقيق التناسب بين الفواصل والردف بين الآيات قد تختلف بعض ألفاظ الفواصل وإن كان المعنى والسياق نفسه.
- كلما كثرت متعلقات الفعل كالمفعول به ،الضمائر ،حروف الجر...الخ فإنها تزيده ثقلا ،فتحذف للتخفيف .
- لتحقيق الانسجام الصوتي بين الفواصل يراعى في ذلك بناء الآيات ككل ،فهناك بعض الآيات تبنى على الإيجاز في عباراتها فيحدث فيها الحذف كثيرا لتحقيق ذلك ،وبالمقابل تبنى بعض الآيات على طول الكلام في عباراتها فلا يرد فيها الحذف تناسبا مع ذلك.
- لبعض حروف الهجاء خصوصية صوتية تُوجب حذفها إن وظفت في جملة واحدة وإن بُنيت الآيات قبلها بنفس الحرف كحرف الظاء.
- العرب تستثقل المكرر والمعاد ما لا تستثقل غيره فتستعمل الحذف.
- أنّا و أنّنا لفظان بمعنى واحد ، وأنّا فرع و أنّنا هي الأصل ،والحذف في أنّا هو حذف إحدى نوناته وليس ضمير المتكلمين المتصل، "نا" ،وكذلك الحذف في "أنني" يكون في نون الوقاية.

---

[1]- الإسكافي ،**الدرة** ،ص:329،330(بتصرف).

- قد يوظف الفعل الماض بدل الفعل المضارع الدال على الاستقبال لأنه الأخف ،و كذلك يوظف نائب الفاعل بدل الفاعل لنفس العلة.
- يدل حرف العطف الفاء" على التعقيب والاتصال بما قبلها ،ويعني ذلك أنها تُكَوّن مع ما قبلها جملة واحدة يطول فيها الكلام لذلك كثيرا ما تحذف المتعلقات هنا كحروف الجر للتخفيف.
- اجتماع حروف الصلة(الواو ،الياء، الألف) وحروف العطف في جملة واحدة يوجب التغاير بين الصيغ للتخفيف ،كالتغاير بين اسم الفاعل للفعل .
- لا يوجد سوى شاهد واحد فيما يخص الادغام في كتاب "الدرة" .
- إذا قويت الحركة في حرف "القاف" وورد بعدها ساكن فتدغم هنا مراعاة لذلك ليحدث انسجام صوتي ،أما إذا ورد بعدها متحرك فإنها تدغم.

– عرضنا من خلال هذا الفصل الجانب المعجمي والصوتي المستقى من توجيهات الآيات المتشابهات في كتاب الدرة ،وتعرفنا على أكثر من عشرين مفردة وردت في سياق الترادف تم توجيهها بحيث تخرج عن الترادف ،ليؤكد الإسكافي بها بأنه لا وجود للترادف في القرآن الكريم ،فقد أوجد فروقا لهاته المفردات في كل مرة .

–كما لاحظنا قلة التوجيهات التي تخص مبحث المشترك اللفظي ؛حيث وصلت لخمسة مفردات فقط .

– وجدنا أنّ التوجيهات الصوتية في كتاب الدرة تتمثل في تناسب الفواصل القرآنية والحذف وهذين الجانبين نالا حصة الأسد من التوجيه الصوتي، يليهما مبحث الادغام والذي وجدنا فيه شاهدا واحدا فقط.

الفصل الثالث:

التوجيه الصرفي

للمتشابه اللفظي

في كتاب الدُرّة

يتناول هذا الفصل الدراسة التطبيقية للمتشابه اللفظي في كتاب "الدرة" على مستوى المقاربة البنيوية للآيات المتشابهات من خلال المستوى الصرفي ، والذي قسمناه إلى ثلاثة مباحث ،خصصنا المبحث الأول للجموع والإفراد ،والثاني للتذكير والتأنيث والممنوع من الصرف ،والمبني للمعلوم والمجهول ،والثالث تناول فيها توجيهات صرفية مختلفة تعلقت بالتغاير بين الصيغ الصرفية المختلفة ،كصيغ الأفعال ،اسم الفاعل ،صيغ المبالغة...الخ ،وختمنا كل جزء بمحصلة ذكرنا فيها أهم النتائج.

المبحث الأول: التناوب بين الجمع والإفراد:

سنورد ضمن هذا المبحث جانبا من المتشابهات اللفظية التي تناوبت فيها أنواع الجموع فيما بينها ،والتي تناوبت فيها الجموع مع الإفراد:

المطلب الأول: التناوب بين الجموع

1- التناوب بين جمع القلة(جمع المؤنث السالم: خطيئات) وجمع الكثرة (جمع التكسير: خطايا):

والشاهد هو قوله تعالى:﴿**وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ**﴾[البقرة:58]،يقابلها قوله تعالى في سورة الأعراف:﴿**وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ**﴾[الأعراف:161].

- يُفسر الإسكافي السبب الذي جعل جمع "الخطايا" جمع كثرة و"الخطيئات" جمع سلامة(جمع مؤنث)،وهو جمع قلة بمثال: إذا صغرنا دراهم إلى دريهمات ثم نردها للمفرد ونصغرها ثم نجمعها على لفظ القليل الملائم للتصغير ،وكذلك الخطايا لو صغرت خطيَّات نردها للمفرد فتصبح خَطِية ثم نصغرها على خطية ثم نجمعها جمع السلامة الذي هو حد التثنية المنبهة على العدد الأقل من الجمع ،فنلاحظ أن الإسكافي حلل الفرق بين خطايا والخطيئات صرفيا فجعل الأولى جمع تكسير والثانية جمع سلامة (جمع مؤنث سالم) يدل على القلة ، ثم قال أن إسناد لفظ الكثير وهو كثرة الغفران في الموضع الذي أُخْبِر فيه الله تعالى عن نفسه بقوله:﴿**وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا**..... ﴾ ،فقرن الاخبار عن نفسه بما يليق بجوده وكرمه فشرط لمن قام بالطاعة مغفرة الخطايا كلها ،فأتى باللفظ الدال على الشمول والكثرة ،وصار كالتوكيد ،كما لو قال نغفر لكم خطاياكم كلها أجمع .أما في سورة الأعراف لما لم يسند الفعل فيها إلى الله عز

وجل وإنما قال: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا... ﴾ الآية ،فلما لم يسم الفاعل أتى لفظ الخطيئات الدال على القلة[1].

- وافق الكرماني ما جاء به الإسكافي فقال: « خطاياكم بالإجماع وفي الأعراف خطيئاتكم مختلف ؛لأن خطايا صيغة الجمع الكثير ومغفرتها أليق في الآية بإسناد الفعل إلى نفسه سبحانه»[2]

- بينما يرى الغرناطي(ت **708هـ**) أن اللفظتين(خطايا وخطيئات) تجمع من حيث ثبوت تاء التأنيث في الواحدة منها بالألف والتاء و تجمع أيضا مكسرة على فعائل كضغينة ضغائن ،فأصل خطايا خطية، فورد جمعها في سورة البقرة مكسرا ليناسب ما بنيت عليه آياتها من تعداد النعم وتكثيرها ،وأما الجمع بالألف والتاء فبابه القلة فناسب وروده سورة الأعراف حيث لم تبن على تعداد النعم[3].

- ولصاحب كتاب "الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ "رأي آخر بناه كذلك على السياق القبلي الخاص بكلتا الآيتين ،فقال: « إن تكثير الخطايا في سورة البقرة راجع إلى كثرة ماحكاه الله تعالى قبل الآية من جرائم إسرائيل ،فكان تعديد هذه الجرائم وكبائر الذنوب التي وصلت حد عبادة غير الله والمجاهرة بالعصيان لرسوله مستوجبا جمع الكثرة (خطايا) تعبيرا عن كثرة جرائمهم وعظم خطرها ،أما آية الأعراف فقد توارت فيه الخطايا وسط ظلال نعم الله تعالى على بني إسرائيل وأبرز السياق صلاح طائفة منهم من قبل ولم يشر لمثله في سياق آية البقرة فاستلزم ذلك توظيف جمع القلة (خطيئات)[4]

- الملاحظ من كل ما سبق أن لكل مفسر رأى في توجيه هاتين الآيتين: فلإسكافي ركز على الإسناد ؛ حيث أنه جعل الإسناد الدال التشريف والتعظيم مناسبا لجمع الكثرة و ما دونه للقلة ،أما الغرناطي فقد ركز على السياق العام لكل سورة ككل ،ورجح توظيف جمع الكثرة في مقام سياق تعدد النعم المناسب لسورة البقرة ، ولما لم تتضمن سورة الأعراف ذلك ناسبها جمع القلة ، وقد ركز الدكتور محمد الأمين الخضري على السياق كذلك ولكنه نحا منحا آخر غير ما ذكره الغرناطي ،فجعل مقام تكثير الجرائم لبني إسرائيل في سورة البقرة مناسبا لتوظيف جمع الكثرة ،ولما استترت هاته الجرائم في سورة الأعراف تحت غطاء بعض نعم الله تعالى على بني إسرائيل ناسبها توظيف جمع القلة ،فكل مفسر أبرز جانبا معينا من

---

[1] - الإسكافي ،**الدرّة** ،ص:11،10.(بتصرف).

[2] - الكرماني ،**أسرار التكرار** ،مصدر سابق ،ص:28،27.

[3] - الغرناطي ،**ملاك التأويل** ،مصدر سابق،ص:38(بتصرف).

[4] - محمد الأمين الخضري ،**الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ ،دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن** ،مطبعة الحسين الإسلامية ،مصر ،1993، ط1 ،ص:143(بتصرف).

سر تغاير الصيغ بين الآيتين والحكمة من وراء ذلك ، وكل هاته الجوانب تحتملها الآيات ويبقى النص القرآني مفتوح الدلالة ويمكن أن يتضمن معان أخرى .

2- التناوب بين جمع القلة (معدودات) والمفرد الدال على الكثرة(معدودة):

الشاهد قوله تعالى في سورة البقرة:﴿**وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً**﴾[البقرة:80]،وقوله في سورة آل عمران﴿ **قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ** ﴾[آل عمران:24]

انطلق الإسكافي في توجيه الآيتين من عدة نقاط منها:

- الجمع بالألف والتاء أصله للمؤنث المختوم بالتاء المربوطة مثل: مسلمة ،مسلمات ...
- لا يجيئ المفرد المذكر بهذا الشكل إلا ألفاظا معدودة كحمام، حمامات/جمل سبطر• ، جمال سِبِطرات.
- ما كان مفرد جمع تكسير مختوم بهاء التأنيث مثل : جرة /جرار، فالأصل فيه أن يختم بالألف والتاء في الجمع فنقول: جرار مكسورات، ولكن قد يطرد أن نقول جرار مكسورة على الفرع وهو كثير في القرآن مثاله:﴿ **فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ**﴾،﴿ **وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ**﴾[الغاشية:13،14]،ولكن الأصل أن يجمع بالألف والتاء ،ولكنه جمع هنا على سبيل المجاز(مؤنث مجازي).
- إذا كان مفرد جمع التكسير مذكرا مثل: كوز* ،كيزان ،فإن الأصل في صفة هذه الجموع أن تكون مختومة بهاء التأنيث ،فنقول: كيزان مكسورة أو كيزان مكسورات على الفرع حملا على الجمع الذي يماثله في التأنيث غير الحقيقي.
- وعلى هذا فالأيام جمع يوم وهو مذكر ،فجمع على أحد الوجهين:
- إما المراد اذكروا الله في ساعات أيام معدودات؛ لأن المراد أن يكبّروا الله في اليوم الواحد في أدبار الصلوات الخمس المكتوبة ،فحُذفت الساعات وأقيم المضاف مقامها، وإما أن يكون ألحق بما في واحدة علامة التأنيث لاستوائهما في الجمع ودخولهما في الفرعية التي يكتسبان بها لفظ المؤنث ،فلما قيل جرار مكسورة والجرة مؤنثة جاز أيضا أن نقول كيزان مكسورات حملا على الجمع الذي يساويه

• المشي بتبختر ،قال سيبويه جمل سِبَطر وجمال سِبَطْرات سريعة ،أسرعت وامتدت(ينظر لسان العرب لابن منظور،ج4،ص:342.(مادة سبطر)

* **الكوز**: من الأواني معروف ،الجمع أكواز وكيزان وكِوزة حكاه سيبويه ، ينظر: لسان العرب لابن منظور ،ج5 ،ص:402.

في التأنيث الذي ليس بحقيقي ،وكلا الجمعين دال على القلة والمعنى الذكر في الأيام المعلومة وهي تسعة في الأصل ،فكل ثلاثة أيام منها معلومة ،فتجمع هذه الثلاثات على الأيام المعلومات[1]

– وافق الكرماني ما جاء به الإسكافي ؛فذكر أن الأصل في الجمع إذا كان مفرده مذكر أن يقتصر في الوصف على التأنيث نحو سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ، وقد تأتي سرر مرفوعات على تقدير ثلاث سرر مرفوعة وتسع سرر مرفوعات إلا أنه ليس بالأصل فجاء في سورة البقرة على الأصل وفي آل عمران على الفرع ،وقوله في أيام معدودات أي في ساعات أيام معدودات وكذلك في أيام معلومات[2] .

– بينما يرى الغرناطي أنّ ما جاء في سورة البقرة جاء على الأصل(معدودة)،وهو بهذه الصيغة من الإفراد والإيجاز متناسب مع إيجاز الحديث الذي وقع في سورة البقرة ،وناسب الجمع والاسهاب في آل عمران[3].

– أما صاحب كتاب "الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ" فقد اتجه اتجاها مغايرا بعدما عرض رأي الزمخشري وجوَّز رأي أبي حيان صاحب تفسير البحر المحيط ،فذكر أن المختار هو وصف الكثرة بالواحد (إشارة الى الآية الأولى :معدودة) ،ووصف القلة بجمع القلة (معدودات) إذ ليس في القرآن استعمالا مرجوح، بل هو جار على الأفصح المختار في الموضعين ،وبذلك وصف الأيام في سورة البقرة بالمفرد دليل على إرادة الكثرة ؛إذ ليس لليوم صيغة كثرة ،واستغنى بصيغة القلة عنها تجوزا وتوسعا واستدل برأي أبي حيان في تفسير الآية من سورة البقرة ﴿... **وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ**... ﴾[البقرة:25] فقال والأزواج من جموع القلة لأن زوجا جمع زوجة نحو عود وعودة ،وهو من جموع الكثرة لكنه ليس في الكثير من الكلام مستعملا ، فلذلك استغنى عنه بجمع القلة توسعا وتجوزا ،وأشار في الأخير للإعجاز البياني(يصلح هذا التفصيل ضمن التوجيه البلاغي ، ولكنه ذكر هنا لأنه متعلق كذلك بالتوجيه الصرفي) من وراء تغاير الصيغ بين الآيتين رغم أن قائلهما واحد (اليهود) ،فذكر أن سورة البقرة تضمنت كثرة جنايات اليهود وتعديد جرائمهم ، فاقتضى مبالغتهم في تهوين العذاب وتقليله صيغة الجمع ،بينما كان السياق في سورة آل عمران سياق حجاج ومجادلة للرسول صلى الله عليه اندفاعهم حد المبالغة ذاهبين إلى أن أيام تعذيبهم تقف عند أدنى عدد ،واختلفت الروايات في تحديد هذا العدد المزعوم من أربعين إلى

---

[1] – الإسكافي ،**الدرة** ،ص:17،18.(بتصرف).

[2] – الكرماني ،**أسرار التكرار** ،مصدر سابق ،ص:32 (بتصرف).

[3] – الغرناطي ،**ملاك التأويل** ،مصدر سابق ،ص:44،46(بتصرف).

سبعة أيام، فحيث جعلت الأيام للكثرة أومأت إلى زعمهم أنها أربعين يوما ،وحيث أريد بها القلة أومأت إلى السبعة[1] .

المطلب الثاني: التناوب بين الجمع والإفراد

1- التناوب بين "يستمع" ،و "يستمعون":

الشاهد قوله تعالى:﴿ **وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آَذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آَيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾[الأنعام:25] ،وقوله تعالى:﴿ **وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ**﴾[يونس:42،43] .

يُوجه الإسكافي سبب الإفراد في لفظة **"يستمع"** في سورة الأنعام والجمع في لفظة **"يستمعون"** في سورة يونس بحسب نوع المخاطب ،فذكر أن الآية الأولى تخص فئة قليلة من الكفار(أبو سفيان ،النظر بن الحارث ،عتبة وشيبة وأمية وأبي بن خلف[2]) كانوا يستمعون للنبي صلى الله عليه وسلم وهو يتلو القرآن بالليل ،فإذا عرفوا مكانه رجموه وآذوه ومنعوه من الصلاة خوفا أن يسمعه أحد فيسلم ،فهم قوم قليلو العدد يرصدونه ليلا فمنعهم الله عنه بنوم يلقيه عليهم وحجاب يحجبه به عنهم فصار كالكنان* على قلوبهم وكالصمم في آذانهم .أما الآية الثانية فتخص كل الكفار الذين يستمعون مسموعا هو حجة عليهم وهو القرآن ولا ينتفعون بسماعه فكأنهم صم عنه ،ولما كانت "مَن" تصلح للمفرد فما فوق ويجوز عودة الضمير الى لفظه وهو المفرد وإلى معناه وهو ما يراد به من الواحد فما فوق ،واختلف المكانان في القلة والكثرة حُملت في موضع القلة على حكم اللفظ وعاد الضمير إليها بلفظ الواحد "يستمع" وفي موضع الكثرة حملت على المعنى وعاد اللفظ على الجمع "يستمعون"[3].

---

[1] – محمد الأمين الخضري ،**الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ** ،مصدر سابق ،ص:224،226(بتصرف).

[2]– الكرماني ،**أسرار التكرار** ،مصدر سابق ،ص:67.

* **الكنان** :الغطاء الذي يكنُّ فيه الشيء والجمع أكنة نحو غطاء وأغطية ،ينظر: الراغب الأصفهاني ،**مفردات ألفاظ القرآن** ،مصدر سابق،ص:727.

[3] – الإسكافي ،**الدرة** ،ص:84،85(بتصرف).

- فناسب لفظ المفرد **"يستمع"** العدد القليل من المخاطبين ،وبالمقابل ناسب لفظ الجمع **"يستمعون"** العدد اللامحدود من الكفار.

- ووافق صاحب "كشف المعاني" توجيه الإسكافي وأضاف : «إن آية الأنعام نزلت في أبي جهل والنضر وأُبي لما استمعوا قراءة النبي على سبيل الاستهزاء ،فقال النضر :أساطير الأولين ،فلما قل عددهم أفرد الضمير مناسبة للمضمرين ،وآية يونس عامة لتقدم الآيات الدالة على ذلك فناسبها ضمير الجمع»[1].

- وأضاف ابن عطية في تفسير الآية الأولى : « يستمع هو فعل جماعة حملا على لفظ "من" »[2].

- وفصَّل الزمخشري سبب نزول الآية الأولى فقال: « روي أنه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وأبو جهل وأضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله ،فقالوا للنضر يا أبا قتيلة ما يقول محمد ؟فقال: والذي جعلها بيته- يعني الكعبة- ما أدري ما يقول إلا أنه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية ،فقال أبو سفيان إني لأراه حقا ،فقال أبو جهل كلا فنزلت الآية»[3] .

وقد وافق السامرائي البقية وأضاف :«...وحّد الاستماع في الأنعام لقلة المستمعين ،وجمعه في يونس لكثرتهم ففرّق بين الجمعين، فجعل الإفراد للقلة والجمع للكثرة ليوافق اللفظ المعنى »[4]

ويمكن حمل توجيه هذا الشاهد على الغرض البلاغي ،بحكم مناسبة كل آية لنوع معين من المخاطبين ،فآية سورة الأنعام كما أسلفنا خاصة بكفار وزعماء قريش ،وآية سورة يونس عامة في كل الكفار.

4- التناوب بين : "دار" ،و "ديار":

الشاهد قوله تعالى في قصة صالح عليه السلام:﴿ **فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ**﴾[الأعراف:78] ،وقال فيهم في سورة هود:﴿ **وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ** ﴾ [هود:67].وقال في قصة شعيب وقومه: ﴿ **فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ** ﴾ [الأعراف:91] ،وقال في هذه القصة في سورة هود: ﴿... **وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ**﴾ [هود:94].والملاحظ أن الآيات تضمنت إفراد لفظة "الدار" مع ذكر الرجفة ،وجمعها مع الصيحة.

---

[1] - ابن جماعة ،**كشف المعاني** ،مصدر سابق، ص:159.

[2] - ابن عطية ،**المحرر الوجيز** ،مصدر سابق، ج2،ص:279.

[3] - الزمخشري ،**الكشاف** ،مصدر سابق،ج2،ص:333.

[4] - فاضل صالح السامرائي، **معاني النحو**، دار الفكر، عمان،2000،ط1،ج1،ص:136.

- يؤكد الإسكافي أنَّ الجمع الإفراد إذا كانا جائزين ،فيكون وجه الإفراد على وجهين:

1- أن يراد "بدارهم" بلدهم ،فيوحد اللفظ ذهابا إلى معنى البلد وهو مفرد.

2- أن يذهب به مذهب الجنس كما تقول :دينارهم شر من درهمهم ،وكما قال الشاعر بشار بن برد يهجو آل سليمان بن علي العباسي[1](من البسيط):

دينارُ آل سليمانٍ ودِرهمُهم كالبَابليّين حُفّاً بالعفاريتِ

- وكل موضع يرد فيه قوله تعالى:﴿ **وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا...** ﴾ [الأعراف:73] ونفسها في الآية الواحد و الستين من سورة هود ،وكذا قوله تعالى:﴿ **وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا...** ﴾ [الأعراف:85] ،ونفسه في الآية الرابعة والثمانين من سورة هود و الآية السادسة والسابعة والثلاثين من سورة العنكبوت بشرط أن لا يرد فيها إخراج النبي ومن آمن معه من بينهم ،فجعلهم بني أب واحد وجعلهم لذلك أهل دار واحدة ؛رجاء أن يصيروا بالإيمان فرقة واحدة. وبالمقابل كل موضع أخبر فيه عن تفرقة بينهم وإخراج النبي ومن آمن معه أخبر عنهم الإخبار الدال على تفرق شملهم وتشتت أمرهم وذهاب المعنى الذي كان يجمعهم لأب واحد ودار واحدة وأن يصيروا مع المؤمنين فرقة واحدة[2].

- وقد تجاذبت هذه المغايرة في الصيغة أقوال المشتغلين بتوجيه المتشابهات اللفظية فاختلفت آراءهم ؛ومنهم الكرماني الذي بنى توجيهه على نوع العذاب حيث أورد أنه حيثما تذكر الرجفة وهي الزلزلة تفرد

---

[1] - البيت ورد في كتاب التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه ص:107،لأبي عبد الله البكري(ت 487هـ) ،حسب محقق كتاب الإسكافي ،ينظر :الإسكافي ،**الدرة** ،الحاشية ،ص:618،619،و**ديوان بشار بن برد** ،تحقيق السيد بدر الدين العلوي ،دار الثقافة ،بيروت،1981، (د ط) ،ص:53،وقصة هذه الأبيات أن بشار بن برد لما قُتل فُتشت كتبه فلم يلق فيها شيء يدل على ما كانوا يرمونه به من الزندقة ، ووُجد في كتاب له :إني أردت هجاء آل سليمان بن علي (لبخلهم) فذكرت قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فأمسكت عنهم إلا أني قلت:

دينارُ آل سليمانٍ ودِرهمُهم كالبَابليّين حُفّاً بالعفاريتِ

لا يُرجَيانِ ولا يُرجَى نَوالُهما كما سمعت بهاروت وماروت

ينظر: **ديوان بشار بن برد** ،تحقيق محمد الطاهر بن عاشور ، وزارة الثقافة،الجزائر،2007، (د ط) ، ج1 ،ص:42.

[2] - الإسكافي ،**الدرة** ،ص:114،115(بتصرف).

لفظة الدار وحيثما تذكر الصيحة تُجمع ؛لأن الصيحة كانت من السماء فبلوغها أكثر وأبلغ من الزلزلة ،و وافقه الأنصاري ،وأضاف ابن جماعة أن المراد بدارهم :بلدهم المزلزل ،والمراد بديارهم :منازلهم[1] .

– ووافق الغرناطي توجيه الكرماني والأنصاري تقريبا ولكن بشيء من التفصيل فذكر أنَّ لفظ الدار لفظ يقع على المنزل الواحد والمسكن المفرد ويقع على مساكن القبيلة والطائفة الكبيرة وإن اتسعت وافترقت وتعددت مساكنها وديارها إذا ضمها إقليم واحد واجتمعت في حكم أو مذهب ،فوجه اختيار لفظ الجمع في آية سورة هود مناسبة ما اقترن به من لفظ الصيحة وهي عبارة هنا عن العذاب مطلقا دون تقييد بصفة وهو من الألفاظ الكلية ،فإن لم يكن عاما فانتشار مواقعه من حيث الكلية حاصلة ،وأما الرجفة الزلزلة فلهذا اللفظ خصوص وهو جزئي ،ومن المعلوم بالضرورة انحصار الألفاظ في الضربين فإن اللغة لا تختلف في ذلك ،فالصيحة من حيث الكلية تطلق على ما كان من العذاب بالرجفة وغيرها ،وإذا عبرنا بالرجفة لم يتناول لفظها إلا ما كان عذابا بها ،فناسب عموم الصيحة جمع الدار مناسبة تركيب النظم ،وناسب خصوص الرجفة إفراد الدار[2].

– أما صاحب كتاب "الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ فله رأى مخالف تماما لما سبق ،فقد بنى المغايرة بين الصيغتين حسب نوع الخطاب ؛حيث ذكر أن خطاب النبيين في سورة الأعراف خاصا وموجها إلى الملأ المستكبرين من قومهما وأغفل فيه أتباعهما من المستضعفين ومن لا رأي لهم ؛فلأنهم استكبروا واستبدوا برأيهم دون العامة وغلبوا الضعفاء على أمرهم وحادوا الله بعقر ناقته في قصة صالح عليه السلام وهم الذين هددوا شعيبا بالطرد وحالوا بين القوم والإيمان وهم الملأ الذين استكبروا من قومه ولم يكن لمن بعدهم صوت يسمع في قصة شعيب عليه السلام لذلك لم يقم لهم وزن في الخطاب ولم يقم لهم لهلاكهم ،فورد توحيد الدار متناسبا مع هذا الخطاب الخاص فكان العذاب موجها لهم خاصة وكأنهم وحدهم المقصودون بالعذاب ،فقابل القرآن قلة المخاطبين من الملأ بالإفراد إيماء إلى أنهم الذين غلبوا الضعفاء على أمرهم فكانوا الأحق بالعذاب ،أما سورة هود فقد تضمنت الخطاب العام وكان الحوار فيها بين النبيين وأقوامهما فاقتضى ذلك مجيئ الديار بصيغة الجمع لتناسب صيغة العموم في الخطاب[3].

1– ينظر: الكرماني ،**أسرار التكرار**، مصدر سابق،ص:85(بتصرف) ،وأبو زكريا الأنصاري ،**فتح الرحمان** ،مصدر سابق،ص:197،198(بتصرف)، وابن جماعة ،**كشف المعاني** ،مصدر سابق،ص:180(بتصرف).

2 – الغرناطي ،**ملاك التأويل**، مصدر سابق ،ص:200،201(بتصرف).

3 – محمد الأمين الخضري ،**الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ** ،مصدر سابق ،ص:218،219(بتصرف).

نلاحظ أن الإسكافي قد انفرد بربط اختلاف الصيغة بين الجمع والإفراد في لفظة "الدار" بكون النبي ومن آمن معه بين قومه (سواء أكان صالحا أم شعيبا عليهما السلام)،فإن كان كذلك توحد لفظة "الدار" وإن لم يكن كذلك ؛أي إذا خرج من بينهم تجمع لفظة "الدار "،أما البقية فقد ربطوا هذه المسألة بنوع العذاب تارة، فإن كانت الصيحة تجمع لفظة "الدار" ،وإن كانت الرجفة (الزلزلة) تفرد لفظة "الدار" وبين نوع الخطاب فتناسب، خطاب الخاص بالإفراد وبالمقابل تناسب خطاب العموم بالجمع.

3- التناوب بين رسالة ،ورسالات:

الشاهد قوله تعالى في قصة صالح عليه السلام:﴿**فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ**﴾[الأعراف:79] ، وقوله تعالى في قصة شعيب عليه السلام:﴿**فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ**﴾[الأعراف:93].

- لقد نحا الإسكافي منحيين في توجيه هذا الشاهد :

1- الاتجاه الأول كان من لباب تفسيره الخاص ، حيث ربط التوجيه بنوع الرسالة وكيفية ورودها في القرآن الكريم والتي وكلت بكل نبي ،فصالح عليه السلام وردت رسالته غير مفصلة وتمثلت في تحذيره لقومه بعدم التعرض للناقة ،وبطاعة الله عز وجل ، لذلك وردت مفردة ، أما رسالة شعيب عليه السلام فوردت مفصلة مقارنة بالأولى في عدة مواضع ،فنهاهم عن عبادة الأوثان ،ودعاهم لتقوى الله وطاعة رسوله ،ونهاهم عن التطفيف في الميزان ،وعدم بخس الناس أشياءهم ببخس الكيل ،وعدم الافساد في الأرض ،وعدم القعود في الطرقات لصد الناس عن عبادة الله لذلك ناسب كل هذا التفصيل جمع لفظة "الرسالة".

2- الاتجاه الثاني يُرجع سبب جمع لفظة "الرسالة –رسالات" في قصة شعيب ؛لأن شعيبا عليه السلام قد بُعث لأمتين ،وأن الأيكة• غير مدين ،حسب قتادة ،وقيل الأيكة الغيضة• الملتفة ،وأصحاب الأيكة

• **الأَيْكَة**: غيضة تنبت السِّدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر ،يقال أيْكَة ،أيِّكة أي مثمرة ،ينظر: الفراهيدي ،**كتاب العين** ،ج1،مصدر سابق ،ص: 106 (مادة أيك).

• **غاض الماء** ،يغيضَ: نقص أو غار فذهب، **الغَيْضَةُ** :مَغيضُ ماء يجتمع فينبت فيه الشجر ،وجمعها غِياضُ وأغياضٌ، الغِياضُ الشجر الملتف ،ينظر: ابن منظور ،**لسان العرب** ، مصدر سابق ،ج7 ،ص:202(مادة غيض).

هم أهل مدين فجمع باعتبار تعدد المرسل إليهم، ،وقد عُذبوا حسب محمد بن كعب• بثلاثة أصناف من العذاب: الزلزلة والحر الشديد والظلة• وقيل الصيحة[1].

– لقد وافق الكرماني ،و ابن زكريا الأنصاري والغرناطي ما جاء به الإسكافي ،وعرضوا نفس توجيهاته[2]

– أما ابن جماعة فكان له رأي قريب مما سبق ؛ فأضاف لقصة شعيب قصة نوح عليهما السلام ،و أن قصة نوح وشعيب تضمنتا أنواعا من التبليغات وإن لم يذكر هنا مع طول مدة نوح فجمع لذلك ،وقصة هود وصالح ليس كذلك فأفرد[3].

– ووافق صاحب كتاب "الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ" ما ورد سابقا ،فأورد أن إفراد الرسالة مناسب للإجمال في الخطاب في قصة صالح عليه السلام ،أما قصة شعيب عليه السلام فتضمنت تفصيلا و إطنابا في العبارة فناسبتها صيغة الجمع كما ناسب الإيجاز صيغة المفرد بالمقابل ،وأشار لرأي الغرناطي في أن العرب تراعي في حوارها تناسب أجزاء الكلام إطالة وإيجازا وهو ما جرى عليه النظم ،ويؤيد هذا المقصد تجاوب أطراف الكلام إيجازا وإطنابا تذييل الآيتين تناسبا مع الإيجاز والإطناب فورد مع إفراد الرسالة قوله تعالى:﴿... **وَلَكِن لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ**﴾[الأعراف:79] ،ومع جمع الرسالة قوله تعالى:﴿... **فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ**﴾[الأعراف:93][4].

• محمد بن كعب بن سليم أبو حمزة القرظي المدني تابعي جليل من كبار التابعين وأئمتهم ،ثقة عالم كثير الحديث توفي سنة 108هـ،وقيل سنة 117هـ ،وقيل سنة 120هـ ،ينظر: الإسكافي ،**الدرة** ،حاشية المحقق ،ص:628.

• **الظلة**: سحابة أو أيكة اجتمعوا تحتها فهلكوا ،ينظر: محمد حسن حسن جبل ،**المعجم الاشتقاقي المؤصل للألفاظ القرآن الكريم** – مؤصل بين العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها ومعانيها ،مكتبة الآداب ،القاهرة ،ط1، 2010، ص:1366(مادة ظلل- ظلظل).

[1] – الإسكافي ،**الدرة** ،ص:116،117(بتصرف).

[2] ينظر: الكرماني ،**أسرار التكرار**،ص:84، وابن زكريا الأنصاري ،**فتح الرحمان** ،ص:198،الغرناطي ،**ملاك التأويل** ،ص:202،203.

[3] – ابن جماعة ،**كشف المعاني** ،مصدر سابق،ص:180(بتصرف).

[4] – محمد الأمين الخضري ،**الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ** ،مصدر سابق ،ص:220،221(بتصرف).

4- التناوب بين آية ،وآيات:

سنورد ضمن هذا النوع من التشابه ثلاث نماذج ،لنتعرف على طريقة توجيهها في كتاب "الدرّة"

1- الشاهد قوله تعالى:﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ**﴾[الحجر:75] ،و قوله تعالى:﴿ **وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾[الحجر:76،77].

- يقول الإسكافي أن الآية الأولى جاءت بصيغة الجمع (آيات) ؛لأنها إشارة إلى أنواع من العذاب تعرض لها قوم لوط من إهلاكهم وقلب المدينة على من فيها وإمطار الحجارة على من غاب عنها ،وهذه أشياء كثيرة في كل واحدة منها آية ،وفي جميعها آيات لمن يتوسم ؛أي يتدبر السمة التي وسم الله بها العاصين ،أما الآية الثانية فوردت منفردة (آية) ؛لأنه ورد قبلها قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ**﴾[الحجر:76] ،أي تلك المدينة المقلوبة ثابتة الآثار مقيمة للنظار فكأنها بمرأى العيون لبقاء آثارها[1].

- وأضاف أبو السعود (ت **982هـ**): «....وإفراد الآية بعد جمعها فيما سبق لما أن المشاهد ههنا باقية الآثار لا كل القصة.. »[2]،فخص الإفراد في لفظة "آية" ؛لأنها متعلقة بمعالم وآثار قرى لوط عليه السلام التي مازالت قائمة لحد الآن ولم تندرس عكس الآيات السابقة التي لا أثر لها الآن.

- وقد أشار الكرماني لتوجيه الإسكافي ووافقه في توجيه لفظة "آيات" وكونها تعود على جميع الدلائل السابقة وخالفه في إفراد لفظة "آية " حيث ربطها بوحدانية المدلول عليه ،لأنه لما ذكر عيبه المؤمنون وهم المقرون بوحدانية الله تعالى وحد الآية تناسبا مع ذلك[3].

- ووافق صاحب تفسير "التحرير والتنوير" توجيه الإسكافي وأشار إليه في توجيه الآية الأولى بأن لفظة الجمع في "آيات" وهي دلائل على حقائق من الهداية وهذه اللفظة تدل على جميع ما تضمنته القصة المبدوءة من قدوم الملائكة إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام ففيها من الآيات :آية نزول الملائكة ببيت إبراهيم ،وبشارته بغلام عليم ،وإعلام الله إياه بما سيحل بقوم لوط عليه السلام ،ونصر الله لوط عليه السلام بالملائكة ،وإنجاء لوط وآله ،وإهلاك قومه وامرأته لمناصرتها إياهم ،وآية عماية أهل الضلالة عن

---

[1] - الإسكافي ،**الدرة** ،ص:180(بتصرف).

[2] - أبو السعود ، **تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** ،،تح عبد القادر أحمد عطا ، مكتبة الرياض الحديثة ،الرياض ،(د ت) ، (د ط) ،ج3،ص:322.

[3] - الكرماني ،**أسرار التكرار**، مصدر سابق، ص:120(بتصرف).

دلائل الإنابة ،وآية غضب الله على المسترسلين في عصيان الرسل.....؛وخالف الإسكافي في سبب إفراد اللفظة الثانية "آية" فذكر أن ذلك يُعد من باب التفنن في الكلام ؛ لأنها اسم جنس يصدق بالمتعدد على أن مجموع ما حصل لهم آية على المقصود من القصة وهو عاقبة المكذبين" ،فقد جعل لفظة " آية" اسم جنس جمعي دال على مآل وعقوبة كل المكذبين[1].

- وأبدى صاحب كتاب " الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ" رأيا مخالفا للسابقين بعدما أشار لتفسير أبي السعود و الإسكافي، فربط اختلاف الفاصلتين "المتوسمين" و"المؤمنين" باختلاف الإفراد والجمع بين "آية " و"آيات" ،وذكر أنّ:" المتوسمين هم القادرون على الاستبصار وإدراك دقائق الأدلة الموصلة إلى الحق بما لديهم من الفراسة والفطنة ،وهؤلاء يرون من الآيات المدركَة بالعقول أكثر مما يدركونه بأبصارهم ،لذلك لم يقفوا عند الآيات الظاهرة في آثار القوم وإنّما أدركوها في دلائل الخطاب ولغة الحوار ،فإذا كان لعامة المؤمنين آية في آثار القوم فإن لأهل الفراسة منهم آيات لا يدركها غيرهم ،لذا جاء الجمع رامزا إلى أنّ الفطن يقع له وراء ظواهر الأحداث بفراسته وحسن تأمله من الدلائل والآيات ما لا يقع لسواه[2].

- نلاحظ اختلاف المفسرين في تعليل سبب الافراد والجمع واختلاف الصيغتين بين الآيتين ،كما أنّ كل تفسير أوردوه تحتمله الآيات ،غير أن التفسير الأخير يكاد يكون الأكثر منطقا لأنه اعتمد على التوجيهات السابقة وربط الاختلاف بين الصيغتين بالاختلاف بين الفاصلتين ،وأكّد على تناسب كل فاصلة بما قبلها من صيغة ،وهذا أسلوب القرآن الكريم ،كما سنورد فيما بعد(التوجيه الصوتي) ؛لأن الفاصلة القرآنية لا تختم بها الآيات لمجرد مراعاة الجرس الموسيقي كالشعر- وحاشا للقرآن أن يشبه الشعر في ذلك ولكنه مجرد تمثيل- فتكون مكرورة وممجوجة ومملة ،بل للفاصلة القرآنية وظيفة أخرى ولها علاقة وطيدة بما قبلها من الآية ،وهذه العلاقة بينهما تترجم في شكل تناسب من حيث الشكل ؛أي التآلف الصوتي بين الحروف والجرس الموسيقي، وأيضا تتناسب من حيث المعنى فتكمل وتجمل المعنى العام للآية التي ختمت بها وهو إعجاز فريد من نوعه في القرآن .

2- الشاهد قوله تعالى:﴿ **فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[العنكبوت:**24**] ،وقوله تعالى:﴿**خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾[العنكبوت:**44**].

[1] - الطاهر بن عاشور ،**التحرير والتنوير** ،مصدر سابق ،ج**14**،ص:69،70(بتصرف).

[2] - محمد الأمين الخضري ،**الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ** ،مصدر سابق ،ص:227،228(بتصرف).

– الشاهد في الآيتين جمع لفظة "الآيات" إفرادها "آية" ،والملاحظ أن الآيات في خلق السموات والأرض أكثر من آية تخليص الله نبيه إبراهيم عليه السلام من النار ورغم ذلك فذُيلت الآية الأولى بلفظة "آية" والثانية "آيات" والذي يتبادر ظاهريا أن العكس هو الصحيح ،وقد ردّ الإسكافي عن هذا الاشكال بأن قعد لقاعدة معينة وهي: أنه أينما ذكرت لفظة "المؤمنين" فمقصود بها المؤمنين الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم فقط ،وهم فئة قليلة ومحدودة لذلك ناسبتها لفظة "آية" ،وأينما ذكرت لفظة "قوم مؤمنون" فمقصود بها أقوام لا يتناهون ،وكل مؤمن إلى يوم القيامة محتوى في هذا اللفظ لذلك ناسبها "آيات"[1].

– أما الكرماني فقد جعل السرّ في جمع لفظة "آيات" يعود لإثبات النبّوة للنبيين وهم كثرة ،أمّا الافراد في اللفظة الثانية (آية) ففيه إشارة للتوحيد ،لأنه سبحانه واحد لا شريك له[2] .

– أما الغرناطي فقد كان له رأي آخر ،فقد ردَّ سبب جمع لفظة "الآيات" لِمَا تقدم من مجموع من المعتبرات منها لبث نوح عليه السلام في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ،ومنها آية أخذهم بالطوفان ،ومنها إنجائه وأهل السفينة وجعلها آية ،ومنها دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام وغيرها وفي ذكر كل ذلك آيات للمؤمنين ،أما سبب إفراد اللفظة الثانية فلأنها متعلقة بالمصدر "الخلق" المقدر من قوله تعالى :" **خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ**.."[3]

ولابن جماعة توجيهين آخرين وافق في التوجيه الثاني ما جاء به الإسكافي:

الأول :إنّ سبب جمع لفظة "آيات" في الآية الأولى يرجع لقصة إبراهيم عليه السلام وما فيها من تفاصيل أحواله مع أبيه وقومه ،أما سبب إفراد لفظة "آية "في الآية الثانية فلأن المراد بها خلق السموات والأرض فقط دون تفاصيل ما فيها من آيات.

– أما التوجيه الثاني ،فلأنّ الآية " **لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**" وردت بالتنكير فيدخل فيه كل مؤمن من الصحابة وغيرهم، ومعناه إنه لكل قوم مؤمنين ،أما الآية الثانية " **لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ**" فوردت لفظة "المؤمنين" معرفة وقُصد بها المتصفين بالإيمان حال نزول الآية ،وهم الصحابة فقط عليهم السلام[4].

[1] – الإسكافي ،**الدرة** ،مصدر سابق ،ص:243(بتصرف).

[2] – الكرماني ،**أسرار التكرار** ،مصدر سابق ،ص:164(بتصرف).

[3] – الغرناطي ،**ملاك التأويل**، مصدر سابق ،ص:301 (بتصرف).

[4] – ابن جماعة ،**كشف المعاني** ،مصدر سابق،ص:290(بتصرف).

3- توظيف المفرد في سياق الجمع (آية ،آيات):

الشاهد• قوله تعالى:﴿**وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (68) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[النحل:65،69].

- من خلال تدبر الآيات في سورة النحل نجد أنه كل منها مختوما بقوله تعالى :" **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً**...." ،وقد وردت لفظة "أية " مفردة رغم أن المعنى الظاهري للآية محل الشاهد يدُل على أنها آيات وليس أية فقط خاصة لما جمع آية الأنعام وثمرات النخيل (الآية 66،67)،فكيف وجه الإسكافي هذا التشابه؟

- يوجه الإسكافي ذلك بأن المذكور في كل آية صنفا واحدا ،فجعل منه ما دل على الصانع آية واحدة ،فإن قال قائل أنّ الأنعام وثمرات النخيل والأعناب قد جُمعت وليس جميعها صنفا واحدا ،والأحرى أن يُقال هنا آيات ،والجواب أن في قوله تعالى: " **إِنَّ فِي ذَلِكَ**..." [النحل:67] إشارة إلى ثمرات النخيل والأعناب دون الأنعام ،وذلك صنف واحد ،فلذلك قال آية ،وأما الأنعام فقد ابتدأ بذكر الآية في قوله تعالى: " **وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً**..." [النحل:66] ،فكأنه قال : "لكم فيها آية" إذ الاعتبار يؤدي إليها ،وقد خلصت الآية السابقة(الآية: 67) للصنف الواحد من الشجر ،وأما الآية الموالية(الآية 69) فمقصود بها النحل خاصة ،لذلك قال آية[1].

• هذا الشاهد يتضمن توجيهات أخرى ستذكر في بابها (النحوي والبلاغي).

[1] - الإسكافي ،**الدرة** ،ص:188،190(بتصرف).

- خلاصة ذلك: أنّ الله تعالى قد ذكر في كل أية صنفا واحدا فقط من عجائب خلقه فيها ،فذيّل كل آية بمقطع مكرر وهو قوله " **إِنَّ فِي ذَلِكَ لآَيَةً**" ،وجعل الآية الأولى بإنزال الماء والسماء ،والثانية في خلق الأنعام ما فيها من عجائب وعطفها على الآية الثالثة الخاصة بصنوف الشجر وجعل لفظة (عبرة) مرادفا للفظة آية ،فاختلفت بذلك آية الأنعام عن الشجر وفي كلّ منها آية ،والرابعة خاصة بالنحل ،فكانت كل آية منها صنفا مختلفا عن الأخرى وآية لوحده على قدرة الصانع .

- قد وافق الغرناطي ما جاء به الإسكافي تماما[1].

[1] – الغرناطي ،**ملاك التأويل**، مصدر سابق ،ص:301 (بتصرف).

المبحث الثاني :التذكير والتأنيث ،الممنوع من الصرف، البناء للمعلوم والمجهول:

سنورد ضمن هذا المبحث ثلاثة أنوع من الأبنية الصرفية ،والحق أنه كان من الأفضل إفراد كل واحدة منها بمبحث مستقل ،ولكننا أدمجناهم ضمن مبحث واحد لقلة الشواهد المتضمنة مثل هاته الأبنية

المطلب الأول: التذكير والتأنيث

1- أنفخ فيه /أنفخ فيها:

سنورد في هذا التشابه مثالين:

1-الشاهد قوله تعالى:﴿ **وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (48) وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[آل عمران:48-49] ،وقوله تعالى: ﴿... **وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي**... ﴾[المائدة: 110].

الشاهد هو بين قوله تعالى " **فَأَنْفُخُ فِيهِ**" و" **فَتَنْفُخُ فِيهَا**" ،فمرة ورد بتذكير الضمير والعائد واحد وهو "**كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ**" ومرة بالتأنيث ،وفي توجيه ذلك يذكر الإسكافي أنّ التذكير في الآية الأولى عائد لمثل (الكاف) ،أما التأنيث فعائد للهيئة ،وقد فصّل ذلك بقوله: "أن الآية الأولى إخبار من الله تعالى عن عيسى عليه السلام وتعداد الآيات كلها عليهم ؛ومنها أنه يأخذ من الطين ما يُصور منه صورة على هيئة الطير فينقلب حيوانا لحما قد ركب عظاما وخالط دما واكتسى ريشا وجناحا كالطائر الحي ،والقصد في هذا المكان ذكر ما تقوم به حجيته عليهم ،وذلك أول ما يُصور الطين على هيئة الطير ،ويكون واحدا تلزم به الحجة فالتذكير أولى ،أما الآية الثانية فمخصوصة بتأنيث الضمير الذي يعود إلى ذكر ما عدد الله من النعم على عيسى عليه السلام ،والآية تشير إلى جميع ما أذن الله تعالى في كونه دلالة على صدقه من قبيل الصور التي يصورها من الطين على هيئة الطير ،ولذلك جمع (الطير) والتأنيث أولى به"[1]

خلاصة ما ذكره الإسكافي في مسألة التذكير والتأنيث في الضمير، أن الضمير "هو" في الآية الأولى يعود على "**مثل**" ويكمن السر في التذكير هنا كون هذه الآية حجة وإثباتا للنبوة ؛فكان التصوير للأول مرة

[1] - الإسكافي ،**الدرة** ،ص:49،50(بتصرف).

،فصوّر طائرا واحدا فقط ؛لذلك ورد التذكير في الضمير ،أما مسألة التأنيث فتعود على الصور والأشكال المختلفة التي صورها التي شكلت في هيئة الطيور ،والآية الثانية تدل على مقام تعديد النعم.

- وقد تجاذبت المغايرة في الصيغة المشتغلين بتوجيه المتشابهات اللفظية وغيرهم من المفسرين ؛فاختلفت آرائهم في مواضع واتفقت في أخرى ،فاتفقوا على أن التأنيث في الآية الثانية عائد على الهيئة أو الصفة التي كان يخلقها عيسى عليه السلام وينفخ فيها ،فترجع لجميع ما صوره من صور وأشكال ونفخ فيه ،أمّا التذكير فجعلوه يعود للطير أو الطين أو الكاف (مثل) ،الشيء المهيأ[1] .

- قد خالف "ابن عطية" البقية ،وأضاف تفصيلا في المسألة: فذكر أنّ "فيها" بضمير مؤنث مع مجيئ ذلك في آل عمران "فيه" بضمير المذكر موضع قد اضطرب المفسرون فيه ،فقيل: هو في آل عمران عائد على الطائر ،وفي المائدة عائد على الهيئة ،قال ويصح عكس هذا ،قيل الضمير المذكر عائد على الطين ، ولا يصِح عود هذا الضمير لا على الطير ولا على الطّين ولا على الهيئة ،لأنّ الطين والطائر الذي يجيئ على الطين على هيئة لا نفخ فيه البتة ،وكذلك لا نفخ في هيئته الخاصة بجسده وهي المذكورة في الآية ،وكذلك الطّين المذكور في الآية إنّما هو الطّين العام ،ولا نفخ فيه في ذلك وإنّما النفخ في الصور المخصوصة منه التي رتبتها يد عيسى ،فالوجه أن يقال في عود الضمير المؤنث إنه عائد على ما تقتضيه الآية ضرورة لأن قوله "**وَإِذْ تَخْلُقُ** " يقتضي صورا أو أجساما أو أشكالا ،وكذلك الضمير المذكر يعود على المخلوق الذي يقتضيه " **تَخْلُقُ**" ،ولك أن تُعيده على ما تدل عليه الكاف في معنى المثل ،لأن المعنى: وإذ تخلقُ من الطين مثلَ هيئة ،ولك أن تُعيد الضمير على الكاف نفسه فيمن يجوّز أن يكون اسما في غير الشعر ،وتكون الكاف في موضع نصب صفة للمصدر المراد تقديره وإذ تخلق خلقا من الطين كهيئة الطير[2].

---

[1] – ينظر: الكرماني ،**أسرار التكرار**،ص:48،أبو زكريا الأنصاري ،**فتح الرحمان** ،ص:89،الزمخشري ،**الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ، تح عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ،مكتبة العبيكان ،الرياض ،1998،ط1،ج1 ،ص: 560،وج2،ص:312،ابن جماعة ،**كشف المعاني**،ص:128،129،أبوالسعود ،**إرشاد العقل السليم** ،ج1،ص:48،ج3،ص:95،الطاهر بن عاشور ،**التحرير والتنوير** ،ج7،ص:101،120، والفرّاء ،**معاني القرآن** ،عالم الكتب ،بيروت ،1983 ،ط3 ،ج1،ص: 214.

[2] – ابن عطية، **المحرر الوجيز**، مصدر سابق،ج2،ص:258.

2- الشاهد قوله تعالى:﴿ **وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا...** ﴾ [الأنبياء:91].وقوله تعالى في سورة التحريم﴿ **وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ...**﴾ [التحريم:12].والشاهد " **فَنَفَخْنَا فِيهَا**"، و "**فَنَفَخْنَا فِيهِ**"

يوّجه الإسكافي هذا التشابه بحسب القصد من كل آية ،فذكر أنّ الآية الأولى فيها اخبار عن مريم عليها السلام وابنها ،وكان القصد فيها وصف حالها بعد النفخ ،وأنها مع ابنها جعلا آية للناس، وكان النفخ فيها مما جعلها حاملا ،والحامل صفة الجملة ،والمعنى: والتي أحصنت فرجها فصيرها النفخ حاملا حتى ولدت ،والعاد غير ذلك ،فلما كان القصد التعجب من حالتها ،وأنها بالنفخ صارت حاملا ،ردّ الضمير إلى جملتها ،إذ كان النفخ في فرجها نفخا فيها أوجب القصد إلى وصفها بعد النفخ بصفة ترجع إلى جملتها دون بعضها، أمّا الآية الثانية فلم تتضمن ذات القصد أي: التعجب من حالها بالحمل عن النفخ ،ولم يكن القصد فيها وصف جملتها بغير الصفة التي كانت عليها ،لذلك ورد اللفظ على أصله ،وكان المعنى: فنفخنا في فرجها [1] .

فحصل توجيه هذا التشابه بحسب المقصود ،فكان في الآية الأولى ذكر مريم عليها السلام وما آل إليه أمرها حتى ظهر فيها ابنها ،وصارا آية للعالمين ،وذلك لا يكون إلا بالنفخ في حملها وتحملها ،وولادتها ،لذلك اختصت بالتأنيث ،وما في الآية الثانية مقصور على ذكر احصانها ،فكان النفخ في فرجها لذلك خص بالتذكير.

- وافق الطاهر بن عاشور توجيه الإسكافي لهذا التشابه وقال:«...الظرفية المفادة ب"في" كون مريم عليها السلام ظرفا لحلول الروح المنفوخ فيها ،إذ كانت وعاءه ،ولذلك قيل "فيها" ولم يقل: "فيه" للإشارة إلى أنّ الحمل الذي كوّن في رحمها حمل من غير الطريق المعتاد ،كأنه قيل: فنفخنا فيبطنها ،وذلك أعرف في مخالفة العادة ،لأن خرق العادة تقوى دلالته...»[2]

2- أخذ /أخذت:

الشاهد قوله تعالى في قصة صالح عليه السلام:﴿ **وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ** ﴾ [هود:67].وقوله تعالى في قصة شعيب عليه السلام في نفس السورة:﴿... **وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ**﴾ [هود:94].

---

[1] - الإسكافي ،**الدرة** ، ص:211،212(بتصرف).

[2]- الطاهر بن عاشور ،**التحرير والتنوير**، مصدر سابق، ج17،ص:138.

الشاهد اختلاف الفعلين في اتصال علامة التأنيث بأحدها والتذكير بالأخرى مع أن الفاعل واحد (الصيحة) والحاجز بين الفعل وفاعله واحد (الذين ظلموا)، يردّ الإسكافي على ذلك بأنّ ذلك معروف في كلام العرب ؛لأنه حمل على المعنى ،والصيحة بمعنى الصياح ،كما قال الشاعر[1]:

يا أيُّها الرَّاكب المُزْجِي مطيَّتَه　　　سائلْ بني أَسَدٍ ما هذه الَّصوتُ

(الشاهد هذه الصوت) ،فحُمل على المعنى ،إذ الصوت بمعنى الصيحة ،و تساءل الإسكافي هل يجوز أن تكون "أخذت" مكن "أخذ" في القرآن؟ ولماذا خصت الآية الثانية في قصة شعيب عليه السلام بالتأنيث؟ وأجاب عن ذلك أن الله تعالى أخبرنا بإهلاك قوم شعيب بثلاثة ألفاظ كلها مؤنثة وهي الرجفة التي بدأت بهم فانزعجوا لها عن الكنِّ• إلى البراح•،ثم الظلة لأنهم لما أصحروا ونال منهم الحر ظهرت لهم الظلة فتسابقوا إليها ليسكنوا إلى ظلها فجاءتهم الصيحة فهلكوا، فلما اجتمعت ثلاثة أشياء مؤنثة في العبارة عن العذاب غلب التأنيث في هذا المكان[2].

– أمّا الكرماني فبعد إشارته لتوجيه الإسكافي ،انفرد برأي مخالف؛ فذكر أنّ التذكير والتأنيث في الآيتين حسنتان ،لكن التذكير ،لكن التذكير أخف في الأولى بحذف حرف منه ،وفي الأخرى وافق ما بعدها وهو "﴿ **كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ** ﴾ **[هود:95]**[3].

– وقد وافق أبو زكريا الأنصاري ما جاء به الإسكافي[4].

– أما الغرناطي فقد كان له توجيه آخر فذكر أنّ التأنيث على ضربين حقيقي وغير حقيقي ،فالحقيقي لا تحذف تاء التأنيث من فعله غالبا إلا أن يقع فصل نحو: قام اليوم هند ،وكلما كثر الفصل حسن الحذف

[1] – البيت لرُوَيشِد بن كثير الطائي، من الضرب الثاني من البسيط ،والمزجي :السائق، والمطية: الظهر ،وأراد بالصوت: الجلبة أو الصيحة ،وهذا الكلام تهكم ،ويجوز أن يكون المراد بقول: "ما هذه الصوت" ما هذه القصة التي تتأدى إليّ عنكم ،ينظر: الخطيب التبريزي(ت502هـ) ،**شرح ديوان الحماسة لأبي تمام** ،اعتنى به غريد الشيخ وأحمد شمس الدين ،دار الكتب العلمية ،بيروت،2000، ط1، ج1،ص:127(بتصرف).

• **الكِنُّ والكِنَّةُ والكِنَانُ** :وقاء كل شيء وستره والكِنُّ البيت أيضا والجمع أكنان وأكنَّة ،ينظر: ابن منظور ،**لسان العرب**، ج13،ص:360(مادة كنن).

• **البراح** :أرض براح لا بناء فيها ولا عمران ،ينظر: الفراهيدي ،**العين** ،ج1،ص:126(مادة برح).

[2]– الإسكافي ،**الدرة** ،ص:160،161(بتصرف).

[3] – الكرماني ،**أسرار التكرار** ،مصدر سابق،ص:109(بتصرف).

[4] – أبو زكريا الأنصاري ،**فتح الرحمان** ،مصدر سابق،ص:269،268(بتصرف).

،ومن كلامهم :حضر القاضي اليوم امرأة ،والإثبات مع الحقيقي أولى ما لم يكن جميعا ،وأما التأنيث غير الحقيقي فالحذف فيه مع الفصل حسن ،وإن كثر الفصل ازداد حسنا ،ومنه فالآية الأولى الحذف والإثبات جائزان والحذف أحسن ،فجاء الفعل فيها على الوجه الأول (الحذف) ،أما الآية الثانية فأثبت علامة التأنيث على الوجه الثاني جمعا بين الوجهين ،إذ الآيتين في سورة واحدة [1]

- بالجمع بين الوجيهات السابقة نلاحظ أن الإسكافي ارتكز في توجيهه على المعنى ،فجاء الفعل في الآية الأولى بحذف علامة التأنيث حملا على معنى الصياح ،وبقي في الآية الثانية على حاله ،ثم ذكر سر اخصاص الآية الثانية بالتأنيث وتوصل إلى أنها مرتبطة بأنواع العذاب الثلاث التي سلطت على قوم شعيب عليه السلام وقد وردت كلها بصيغة التأنيث (الرجفة ،الظلة ،الصيحة) ،أما الكرماني فقد ذكر أن الآية الأولى حصل فيها الحذف تخفيفا للكلام ،أما الثانية ذكرت فيها علامة التأنيث تناسبا مع الفعل الذي اتصلت به تاء التأنيث بعدها (أخذت/بعدت)، أما الغرناطي فركز على نوع التأنيث وأحكامه ، وذكر أن الحذف والاثبات جائزان فحصل الحذف في الآية الأولى لعلامة التأنيث على الوجه الأول ،أما الآية الثانية فذكرت علامة التأنيث على الوجه الثاني .والحاصل أنّ كل هاته التوجيهات جائزة ،ويبقى هذا الشاهد قابل لتوجيهات أخرى.

3- الذي /التي:

قوله تعالى:﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ**﴾ [السجدة:20] ،و قوله تعالى:﴿**فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ** [سبأ:42]

الشاهد بين الآيتين اختلاف الاسم الموصول تذكيرا وتأنيث مع أنّ العائد واحد "عذاب النار" فهل وُجّه الوصف بالذي في الآية الأولى إلى العذاب وهو مذكر ،وفي الثانية إلى النار وهي مؤنثة ، أم العكس؟ ،يوجه الإسكافي ذلك بأن "النار" المذكورة في سورة السجدة وقعت موقع ضميرها لتقدم ذكره في قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا...** ﴾ الآية ،فأضمرت في قوله تعالى: "**أُعِيدُوا فِيهَا**"،وأُظهرت في قوله: " **وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ**"؛ أي عذابها ،فوقعت مظهرة مكان المضمر (الضمير) ، ولما كان المضمر لا يوصف (الضمير لا يوصف) بَعُد

[1] - الغرناطي ،**ملاك التأويل** ،مصدر سابق، ص:259،260(بتصرف).

عن الوصف ما حل محله ؛لأنه سدَّ مسده ،فوصف ما أضيف إليه وهو العذاب (وهو مذكر) فناسبه التذكير(الذي) ،وفي سورة سبأ لم يتقدم ذكر النار ولا ضميرها فناسبه التأنيث (التي) ،فلم يتقدمها ما منزلته منزلة المضمر صرح بالوصف له (النار)[1].

- أما الغرناطي فقد رأى أنّ التذكير والتأنيث جائزين والتقدير: "أنهم يكذبون بالنار وبعذابها" ،ولكنه بيَّن سر اختصاص الآية الأولى بالتذكير ،فرده إلى تكرار العذاب من بعد في قوله تعالى : ﴿ **وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [السجدة:21] ،فناسبه عودة الضمير الى العذاب المضاف الى النار مذكرا ليجري مجرى واحدا ، ولم تتضمن سورة سبأ ذلك فأعيد الضمير الى النار مؤنثا ليحصل في السورتين ورود الوجهين الجائزين[2].

4-إنّه تذكرة ،إنّها تذكرة:

- الشاهد قوله تعالى:﴿...**كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ** (**54**) **فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ**...﴾ [المدثر :54،55]،وقوله تعالى:﴿ **إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا**...﴾ [الإنسان :29].

الشاهد في قوله تعالى " **فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ**" فالهاء ضمير مذكر والعائد مؤنث ،ويرد الإسكافي سبب هذا التشابه للجانب الصوتي المتعلق بمناسبة فواصل الآيتين (كما ذكرنا في التوجيه الصوتي)وموافقة للمعنى الكلي لهما، ومثّل لذلك فقال: إنّ التذكرة مصدر من ذكرتُ أذكرُ تذكيرا وتذكرة ،وكما يُقال: قدمتُ تقديما وتقدمة وكرمتُ تكريما وتكرمة ،ولما كانت الآيات المتقدمة فواصلها في الوقف هاء(مستنفره/ قسوره...) عادت الهاء إلى مذكر دلت التذكرة عليه ،وهو بمعناها وهو التذكرة والتذكر للتعادل بين الفواصل ، ومعنى "فمن شاء ذكره" أي انتفع به فيكون ذاكرا له ،وإذا لم ينتفع به فيكون كالنّاسي له ،أما معنى قوله تعالى:" فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا" فهو بنفس معنى الآية الأولى "فمن شاء ذكره" ؛لأن من انتفع بالذكر سلك سبيل الطاعات التي تؤدي الى ثواب الله تعالى ،فعدل الى قوله "اتخذ إلى ربه سبيلا" لتوافقه بين فواصل من هذه السورة إذ كانت مردفة بياء (طويلا ،ثقيلا...)[3].
فحصل التذكير في الآية لتتناسب مع الفواصل (مستنفره /قسوره/ذكره...) ،مع التوافق مع المعنى ،فحُملت التذكرة على التذكير.

[1]- الإسكافي ،**الدرة** ،ص:260،261(بتصرف)
[2] – الغرناطي ،**ملاك التأويل** ،مصدر سابق، ص:404 (بتصرف).
[3] – الإسكافي ،**الدرة** ،ص:349(بتصرف).

– وهذا الشاهد لم يذكر بهذا الشكل في كتب توجيه المتشابه اللفظي الأوائل ،فالغرناطي لم يذكره وكذا أبو زكريا الأنصاري كذلك لم يرد في كتابه ،والكرماني قد تعرض للشاهد ولكن اختلف في الآية الثانية المتشابهة مع آية سورة المدثر فذكر أنها في قوله تعالى:﴿**كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ**﴾ [عبس :11]،فقال:" **كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ** " ؛أي: تذكير ،وعَدل إليها للفاصلة ،وقوله :"**كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (54) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ**" و التقدير: إن القرآن تذكرة، وفي عبس :إن آيات القرآن تذكرة ، وقيل حمل التذكرة على التذكير لأنها بمعناها[1] .

– وقد تعرض ابن جماعة لهذا الشاهد ،ولكنه ذكر الشاهد الأول فقط ("**كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (54) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ**")،فذكر أنّه قد وردت في هذه الآية الضمائر مذكرة والتذكرة مؤنثة ،وقد وجهها بنفس توجيه الإسكافي ولكن بإيجاز فذكر أنّ التذكرة مصدر بمعنى التذكر وليس مؤنثا ،فرجع الضمير إلى مذكر في المعنى ، وأتى بلفظ التذكرة لموافقته فواصل الآيات قبله[2] .

– وقد فسّر الزمخشري الضمير في "إنه" و"ذكره" للتذكرة ،وإنما ذُكر لأنها في معنى الذكر أو القرآن ،أمّا الفرّاء فذكر بأن المعنى في قوله :" إنه تذكرة" يعني هذا القرآن ،ولو قيل "إنها تذكرة" لكان صوابا كما قال في سورة عبس ، فمن قال "إنها " أراد السورة ،ومن قال "إنه " أراد القرآن[3].

– نلاحظ اختلاف المفسرين في عائد الضمير المذكر في هو(إنه) إما إلى: الذكر أو القرآن أو المصدر التذكير أو التذكر، أما الضمير المؤنث في "هي" (إنها) فيعود إما للآيات أو السورة أو التذكرة وكلا الآيتين يحتمل الوجهين.

المطلب الثاني :الممنوع من الصرف

تضمن كتاب "الدرّة" شاهدا واحدا فقط تعلق بصيغة الممنوع من الصرف ،وهو في لفظة "ثمود"،وسنورد طريقة توجيهها فيمايلي:

الشاهد قوله تعالى:﴿... **أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ**﴾[هود :68].

– يقول الإسكافي: « لماذا صُرِّفت كلمة "ثموداً" في الأولى ومُنعت من الصرف في الثانية "ثمودَ" ؟،الجواب لأنه في الأول ينحي به نحو الأب والأقربين من أولاده ،إذ كان أولهم في الكفر ،وإذا قصد هذا القصد انصرف هذا الاسم ، وفي الثاني قصد ذكر الاهلاك وكان للقبيلة بأسرها لما أصرّت عليه من كفرها ،فنحى نحو القبيلة ،فمُنع الصرف للتعريف والتأنيث الحاصلين فيما خرج عن أخف الأصلين ألا ترى

[1]– – الكرماني ،**أسرار التكرار** ،مصدر سابق،ص:109(بتصرف).

[2] – ابن جماعة ،**كشف المعاني** ،مصدر سابق،ص:368(بتصرف).

[3] – ينظر: الزمخشري ،**الكشاف** ، ج6 ،ص:264 ،و الفرّاء ،**معاني القرآن** ،ج3،ص:206 (بتصرف).

لقوله تعالى: ﴿... أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾[هود :95] ،فالكفر من أولهم والاهلاك قصد به ذكر كلهم فكان معنى القبيلة به أولى»[1].

– وكان للكرماني رأي آخر في توجيه هذا التشابه فقال: « ثمود من الثمد وهو الماء القليل ،جعل اسم قبيلة ،فهو منصرف من وجه وغير منصرف من وجه ،فصرفوه في حال النصب لأنه أخف أحوال الاسم ، ولم يصرفوه في حال الرفع لأنه أثقل أحوال الاسم ،وجاز الوجهان في الجر لأنه بين الخفة والثقل»[2].

– وقد وافق الزمخشري توجيه الإسكافي فذكر أن كلاهما (ثمود) بالصرف وامتناعه ،فالصرف للذهاب إلى الحي أو الأب الأكبر ،ومنعه للتعريف والتأنيث ،بمعنى القبيلة[3].

– وقد أشار طاهر بن عاشور لاختلاف القراءات في لفظة "ثمودا" ،فذكر أن الجمهور قرأ "ألا إنّ ثَمودا" بالتنوين على اعتبار ثمود اسم جد الأمة ،وقرأ حمزة وحفص عن عاصم ، ويعقوب بدون تنوين على اعتباره اسما للأمة أو القبيلة ،وهما طريقتان مشهورتان للعرب في أسماء القبائل المسماة بأسماء الأجداد الأعلين[4] .

– وقد فَصل ابن مالك (ت **672هـ**) القول في الممنوع من الصرف (الشاهد)في باب "حكم أسماء القبائل والأماكن" ،فذكر أنّ صرف أسماء القبائل والأرضين والكلم ومنعه مبنيان على المعنى، فإن كان أبا أو حيا أو مكانا أو لفظا صُرف ،وإن كان أما أو قبيلة أو بقعة أو كلمة أو سورة لم يصرف.

وأضاف شارح كتاب ابن مالك (ناظر الجيش•)أن المقصود بقول ابن مالك :إن كان أبا أو حيًّا يرجع إلى القبائل ،وقوله "أو مكان" يرجع إلى الأرضين ،وقوله " أو لفظا" يرجع إلى الكلم ،وكذا قوله " إن كان أما أو قبيلة " يرجع إلى الأول...فما أريد به الأب أو الحي صُرِّف لفقد التأنيث ،ومثاله: تميم ، لخم، ومثال الحي: قريش وثقيف، ومتى أريد به الأم أو القبيلة منع ،لانضمام التأنيث إلى العلمية ،فمثال ما أريد به الأم :باهلة ، ومثال ما أريد به القبيلة: مجوس ،ويهود...[5].

---

[1]– الإسكافي ، **الدرة** ،مصدر سابق ،ص:162. (بتصرف).

[2] – الكرماني، **أسرار التكرار** ،مصدر سابق،ص:109،110(بتصرف).

[3] – الزمخشري، **الكشّاف** ، مصدر سابق،ج3 ،ص:214(بتصرف).

[4] – طاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، مصدر سابق،ج12 ،ص:115(بتصرف).

• هو محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدائم الحلبي محب الدين ، المعروف بناظر الجيش المتوفى سنة 778هـ، ينظر: السيوطي، **بغية الوعاة** ،مصدر سابق،ص:276،275(بتصرف).

[5] – ناظر الجيش، **شرح التسهيل المسمى تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد** ،تح علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام، مصر، 2007،ط1، ج8،ص:4024،4023(بتصرف).

وبناء على ما سيق من توجيهات ،وكما ذكر الإسكافي فإن لفظة "ثمود" في القرآن إذا صَرّفت فيعني ذلك أنه قُصد بها معنى الأبوة والقربى ،أما إذا مُنعت من الصرف ،فيعني ذلك أنه قُصد بها القبيلة .

المطلب الثالث: المبني للمعلوم وللمجهول:

سنضمّن هذا المطلب المتشابهات اللفظية التي اشتملت على تناوبا بين صيغتي البناء للمعلوم والبناء للمجهول ،وإن كانت هذه الصيغة تتقاطع مع الجانب النحوي، ومع الضمائر ،ولكننا أدرجناها ضمن هذا الفصل ؛لأن الإسكافي اعتمد في توجيهها على بناء الصيغة ككل واستخرج دلالته

الشاهد قوله تعالى: ﴿ **وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ** (15) **قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا** ﴾[الإنسان:15،16]،وقوله تعالى في نفس السورة :﴿**وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا** ﴾[الإنسان:19]، فبنيّ الفعل "طاف" في الآية الأولى للمجهول (ما لم يسم فاعله: يُطافُ) ، وبُنِيّ للمعلوم في الآية الثانية(يطُوفُ) والخبر في الآيتين واحد وهو نعيم أهل الجنة .

وجّه الإسكافي هذا التشابه حسب قصدية الخطاب• ،فذكر أنّ القصد في الآية الأولى وصف ما يُطاف من الأواني دون وصف الطائفين ،لذلك بُنيّ الفعل مقصودا به ذكر المفعول لا الفاعل ،فقال تعالى:" **بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ** (15) **قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ**" الآية ،أي :آلات من فضة صفاؤها كصفاء القوارير ، شفافة ،وقُدرتْ تقدير ما يسع الريَّ ،وقيل ما يريد الشارب، ثم انتقل تعالى لوصف الإناء الذي تسبق العين إليه ما يحويه من مشروب وطيبه ،فقال تعالى: ﴿**وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا**... ﴾[الإنسان:17] ،وعلّل الإسكافي سبب ورود الفعل هنا مبنيا للمجهول ،بأنه جاء تناسبا مع الفعل المبني للمجهول الذي سبقه في قوله تعالى: ﴿...**وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا**﴾[الإنسان:14].

– أمّا الآية الثانية ولما كانت القصدية فيها وصف الفاعلين ،فسُميّ فاعلها لأنه المقصود ،ولأنه الذي يطوف بهذه الآنية ،فوجب ذكره لتعلق الصفة به، فقال تعالى: "**وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ**..."،وشرح الإسكافي المقصود من لفظة "مخلدون" وذكر أنّ فيها ثلاثة أقوال: باقون أبدا ،دائمون لا يموتون، باقون على هيأة الوصفاء فلا يشيبون ،وقيل محلّون ،والخلدة: القرط، ثم وضّح الإسكافي المقصود من قوله تعالى: "**إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا**" ،وذكر أنّ المعنى: صفاء ألوانهم

• يمكن ادراج هذا التوجيه ضمن التوجيه التداولي ،–وهو مبحث غير مدرج في البحث – لأنّ القصدية من أهم مبادئ علم التداولية .

،وضياء وجوهم، وحسنهم وإشراقهم ،وماء النعيم المترقرق فيهم ،فمن أجل كل ذلك بُنيّ الفعل على ذكر فاعله[1] .

2- الشاهد قوله تعالى: ﴿... **اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ** ﴾[التوبة:86،87]،وقوله تعالى في نفس السورة :﴿ **إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[التوبة:93]، فبنيّ الفعل "طَبَعَ" في الآية الأولى للمجهول (ما لم يسم فاعله: طُبِعَ) ، وبُنِيّ للمعلوم في الآية الثانية(طَبَعَ) والخبر في الآيتين واحد.

وجّه الإسكافي هذا الشاهد تناسبا مع النظم والقصدية في كل آية ،فلآية الأولى بُني الفعل فيها للمجهول ؛لأنها مسبوقة بآية مبني فعلها كذلك للمجهول ،وهي قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ**... ﴾[التوبة:86]،والمعنى: وإذا أنزل الله سورة ؛ فلما صُدرت الآية بفعل عُلم أنّ فاعله الله فيما يقتضي ذكر الفاعل بل المفعول به مقامه كان مثل هذا الفعل في منتهى الآية محمولا عليه؛ لأنه معلوم أنّ الله تعالى يطبعُ كما أنه ينزّل السورة ؛فكانت التوفقة في ذلك بين آخر الآية وأولها ، أمّا الآية الثانية فلأنها مبنية على التأكيد ؛ في قوله : ﴿ **إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ**"، فوردت "إنّما بعد نفي مكرر في قوله تعالى: **لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ**... ﴾[التوبة:91،92] ،فنفى الحرج عمّن قعد عن الجهاد بسبب أحد المعاذير ،ثم ألزم الحرج القوم الذين حالهم مضادة لأولئك فقال: " **إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ**" ،أي: الإثم يتوجه على من يستأذن في للمقام وهو قادر على الجهاد بالغنى واليسار وصحة الأبدان ،فرضوا بأن يكون مع النساء والضعفاء ،والله طَبَعَ على قلوبهم فهم لا يعلمون ،فتضمن هذا الموضع مضادة حالهم لأحوال غيرهم لتخالف بين أحوالهم والضعفاء ؛فلما كان هذا موضع تنبيه وتخويف وتحذير ،فسُمي الفاعل ،وهو الله تعالى ليليق الفعل إذا جاء هذا المجيئ بمكانه[2] .

---

[1] – الإسكافي ،**الدرة** ،ص:352،353(بتصرف).

[2] – الإسكافي ،**الدرة** ،ص:145،146(بتصرف).

المبحث الثالث: التغاير بين الصيغ المختلفة

من خلال استقرائنا لكتاب "الدرّة" وجدنا الإسكافي قد وجّه عدة صيغ صرفية مختلفة الأبنية ،وغير الأبنية المذكورة سابقا ،فاستحسنّا إدراجها في مطلب مستقل وسمناه بتغاير الصيغ المختلف؛ ومن القواعد المسلّم بها "**أن الزيادة في المبنى زيادة في المعنى**" وأن الاختلاف بين الصيغ يؤدي حتما للاختلاف في المعنى ،فكيف إن وردت في القرآن الكريم وبالأخص بين المتشابهات اللفظية ، ويُعد اختلاف الصيغ الصرفية أصلا ونوعا من أنواع المتشابهات اللفظية ،وقد تناولها الإسكافي في كتابه "الدرة " ووجهها توجيهها المناسب ، وسنعرض بعضا من هاته التوجيهات لنستشف المرتكزات والقواعد اللغوية التي وظفها لتفرقة بينها ؛ونستخلص الحكمة من وراء ذلك.

المطلب الأول: التناوب بين صيغة الفعل و اسم الفاعل:

– الشاهد قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام:﴿ **أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف :62]،و قوله تعالى في قصة هود عليه السلام:﴿ **أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ**﴾ [الأعراف :68].فاختلفت الصيغتان: "أنصحُ" و"ناصح" بين الآيتين.
وجّه الإسكافي الشاهد بقوله: إنّ قول نوح عليه السلام جواب من ضلّل ،لأنه قيل له :﴿ ... **إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[الأعراف :60] ،وهود عليه السلام قيل له: ﴿... **إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ**... ﴾ [الأعراف :66]،والضلال من صفات الفعل تقول :ضل فهو ضال ،والسفاهة• من صفات النفس وهي ضد الحِلم وهو معنى ثابت يُوّلد الخفة والعجلة المذمومتين ، والحِلم معنى ثابت يُوّلدُ الأناة المحمودة ،فكان جواب مَن عِيبَ بفعل مذموم نفيه بفعل محمود لا بل بأفعال تنفي ما ادعوه عليه ،وهي أن قال لست ضالا ولكني رسول من رب العالمين أؤدي إليكم ما تحملت من أوامر ،فنفى الضلال بهذه الأفعال ؛وهود عليه السلام لما رُميّ بالسّفاهة وهي من الخصال المذمومة الثابتة وليست من الأفعال التي ينتقل الإنسان عنها إلى أضدادها في الزمن القصير مرارا كثيرة ،فكان نفيها بصفات ثابتة تبطلها أولى ،كما كان نفي الفعل المذمم بالفعل المحمود أولى ، وقوله " أنا ناصح" أي ثابت لكم على النصح ثقة في النفس لا أتنقل من النصح إلى الغش ولا أتبدل خيانة بالأمانة"[1].

• **سفه**: السين والفاء والهاء أصل واحد يدُل على خفة وسخافة ،وقياس مطرد ،فالسَّفه :ضد الحلم ،ينظر: ابن فارس ،**معجم مقاييس اللغة** ،مصدر سابق،ص:79.

[1] – الإسكافي، **الدرة** ،ص:111،112(بتصرف).

إنّ توجيه الإسكافي لهذا الشاهد يدلُ على ذكاء متوقد وتدبر واسع ،فقد ربط ورود الصيغة الأولى في الآية الأولى "أنصح" تناسبا مع ما سبق ،فلما كان ما سبق رمي سيدنا نوح عليه السلام بالضلال وهو من صفات الفعل ،كان الرّد بالصيغة نفسها وبضدها "أنصحُ" ،ولما كانت صفة السّفاهة من الصفات الثابتة في النفس وهي صفة مذمومة رُمي بها سيدنا هود عليه السلام كان الّرد بصفة مضادة وتفيد الديمومة والثبات ،فكانت لفظة "ناصح".

– وقد اتفق المعتنون بتوجيه المتشابه اللفظي والمفسرون في توجيه هذا الشاهد على قاعدة أنّ الفعل(أنصح) يفيد الاستمرارية والتجدد والاسم (ناصح) يفيد الثبات واللزوم على غرار الإسكافي ،كما تحدثوا عن التناسب بين الآيات ،فابن جماعة ذكر أنّ الضلال فعل يجدد بترك الصواب إلى ضده ،ويمكن تركه في الحال ،فقابله بفعل يناسبه في المعنى فقال "أنصح" ،والسّفاهة صفة لازمة لصاحبها فقابلها بصفة في المعنى فقال" ناصح" أمّا الغرناطي فركّز توجيهه على التناسب بين الأفعال والأسماء ،فذكر أنّ قوم نوح لما رموه بالضلال وأكّدوا ذلك بزعمهم استحكامه بالوصف ﴿ ... **إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[الأعراف :60]، فزعمُوا أن ضلاله غير خاف وهو الذهاب عن طريق الصواب نفى ذلك بقوله: ﴿... **لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ**... ﴾[الأعراف :61] ،ثم أتبع ذلك بأوصاف عَلية تناقض قولهم بأنه رسول رب العالمين ،ثم بيّن لهم نُصحهُ واستمراره في ابلاغهم ونصحهم ، وإنّما قال "أنصح" و"أعلم" لأنّه بتماديه على النصح لهم وهم لا يشعرون ولا يهتدون ، وهم عن ذلك في أشنع ضلال ،فردّ عليهم بألطف ردٍ ،ونزّه نفسه بأخلص عبارة ،وعندما رَموه بخِفة الحِلم وقلة الثبات وكثرة الطيش نفى ذلك بقوله :﴿... **لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ**... ﴾[الأعراف :67] ،وإنّما أتى في اخبارهم بنصحه وأمانته بالاسم "ناصح أمين" ليحصل منه أن ذلك الوصف الجليل لازم له غير مفارق ،ولم يكن الفعل ليعطي ذلك فجاء الاسم وجعله الخبر عن ضميره الذي هو(أنا)فهذا مقصود ثابت الوصف، وقد وافق أبو السعود توجيه الغرناطي فذكر أنّ صيغة المضارع تدلُ على تجدد نصيحته لهم ،كما يعرب عنه قوله تعالى: ﴿**رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا** ﴾[نوح :5] ،وقوله "أنا ناصح أمين " أي: معروف بالنصح والأمانة مشهور بين الناس بذلك ،وإنّما جِيء بالجملة الاسمية دلالة على الثبات والاستمرار وإيذانا بأن من هذا حله لا يحوم حوله شائبة السفاهة والكذب[1].

---

[1]– ينظر: ابن جماعة ،**كشف المعاني** ،ص:179(بتصرف)،الغرناطي ،**ملاك التأويل** ،ص:196،197 (بتصرف)،أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج3،ص:236،وص:239(بتصرف).

المطلب الثاني: التغاير بين الأفعال المتعدية:

الشاهد قوله تعالى:﴿ **فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ**﴾[الأعراف :64]،و قوله تعالى:﴿**فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ**﴾ [يونس :73]، فالقصة بين الآيتين واحدة ،وهي قصة نوح عليه السلام ونجاته ومن معه في الفلك وهلاك قومه ،ولكن اختلفت الصيغتان بين الفعل المتعدي بالألف "أَنْجَيْنَاهُ"و المتعدي بتضعيف عينه"نَجَّيْنَاهُ"

يذكر الإسكافي أنّ "أنجينا" أصل في هذا الباب ،لأنّ "أفعلتُ" في باب النقل أصل ل" أفعلتُ" وهو أكثر ،تقول نجا وأنجيته ،كما تقول: ذهب وأذهبته ،ودخل وأدخلته ،وأما فعَّلته فمن القلة في الاستعمال بحيث يمكن عده نحو :فزِعَ ،فَزَّعتُه ،وخافَ وخوَّفته ،وقد يجاء معه الهمزة فيقال: أفزعته وأخفته ،ولا يجاء مع تشديد العين الهمزة ولا تقول ذهَّبته ودخَّلته في أذهبته وأدخلته ،فالآية الأولى جاءت على الأصل الأكثر ولهذا أكثر ما جاء في القرآن جاء على "أنجيناه"(الأيات:72 من سورة الأعراف،65 من سورة الشعراء،24 من سورة العنكبوت) وليست الجيم المزيدة المشددة في "نجَّينا" للكثرة وإنما هي المعاقبة للهمزة بدلالة قوله تعالى:﴿**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ**﴾[الأنبياء :88].وكذلك أتى بالأصل وهو الاسم الموصول "الذين" مع الأصل "أنجينا"، لأن "الذين" خالصة للخبر مخصوصة بالصلة ،فاستعمل الأصل في اللفظتين ،ومن تشترك مع "الذين" في معان[1].

– فتم التوجيه اعتمدا على الأصل والفرع في تعدي الفعل ؛فرأى الإسكافي بأنّ الصيغة "أفعلتُ" أي التعدي بالهمزة هو الأصل وهو الأكثر توظيفا في القرآن فناسبه مجيئ الاسم الموصول الأصل "الذين"، وبالمقابل فإن الفعل لما يتعدى بتضعيف عينه "فعَّل" ومع أنه بنفس معنى "أفعلتُ" إلا أنه قليل التوظيف ،فهاتان الصيغتان تشتركان في التعدية والمعنى ،فصيغة "نجّينا" لا يدل تضعيف الجيم فيها على التكثير بل هو مجرد استبدال لهمزة "أنجينا" بتضعيف جيم "نجّينا" وهما استعمالان معروفان ، وبذلك فقد وردت سورة الأعراف على الأصل فناسبها استعمال الصيغة المناسبة في هذا الباب وهي "أفعلتُ" مع صلتها المناسبة ،بخلاف سورة يونس التي وردت على الفرع فناسبتها الصلة المناسبة وعلى الفرع كذلك "مَن".

– وقد عقد سيبويه "أفعلت" و"فعَّلتُ" بابين في كتابه ،فذكر أنّ في باب "افتراق فعلتُ وأفعلتُ": تقول دخلَ وخرجَ وجلسَ ،فإذا أخبرتَ أن غيره صيَّره إلى شيء من هذا قلت :أخرجه ،أدخله، أجلسه...وأكثر ما يكون على "فَعَلَ " إذا أردت أن غيره أدخله في ذلك يبنى الفعل منه على "أفعلتُ"

---

[1]– الإسكافي، **الدرة** ،ص:112،113(بتصرف).

،وقد يجيئ الشيء على "فعَّلتُ" فيشرك "أفعلتُ" ،كما أنهما قد يشتركان في غير هذا ،وذلك قولك :فرِحَ، فرَّحته وإن شئت قلت "أفرحته"كما تقول: فزَّعتهُ و"أفزعته"...وقد يجيئ "فعَّلتُ" و"أفعلتُ" في معنى واحد مشتركين نحو: وعَّزتُ إليه و"أوعزتُ" إليه وخبَّرتُ وخبَّرتُ وأخبرتُ ،وقد يجيئان مفترقين نحو: علّمتُه و أعلمته ،فعلَّمتُ :أدَّبتُ وأعلمتُ آذنتُ ،وأذَّنتُ :النداء والتصويت بإعلان وبعض العرب يجري أذَّنتُ وآذنتُ مجرى سمَّيتُ وأسميتُ ،وقال في باب " باب دخول فعَّلتُ على فعَلتُ لا يشركه في ذلك أفعلتُ":" تقول كسرتها وقطعتها ،فإذا أردت كثرة العمل قلت كسَّرته وقطَّعته ومزَّقته...جَرَحتُهُ وجرَّحتُهم ،وجرَّحتُهُ: أكثرتُ الجراحات في جسده...[1]

- فحسب سيبويه قد تشترك الصيغتان: "أفعلتُ" و"فعّلتُ" في المعنى في بعض الحالات ،وقد تختلفان في حالات أخرى، وقد تدل صيغة "فعّلتُ" على المبالغة وتكثير الفعل في أحيان أخرى.

- وقد خالف الكرماني الإسكافي وكان له رأي آخر في الفرق بين الصيغتين فقال: « أنجينا ونجّينا للتعدي ،لكن التشديد يدل على الكثرة والمبالغة فكان في يونس "ومن معه" ولفظ "من" يقع على كثرة ما يقع عليه "الذين" ،لأن "من" يصلح للواحد والتثنية والجمع والمذكر والمؤنث بخلاف "الذين" فإنه لجمع المذكر فحسب ،فكان التشديد مع "من" أليق»[2] فجعل صيغة "فعّلت" للمبالغة فناسبته صلة الموصول الدالة على الكثرة وهي: "مَن" ،فحين أنّ صيغة "أفعلت" لا تتضمن هذا المعنى وإن دلت على التعدي مثلها ،وبذلك وردت معها صلة الموصول الدالة على معنى واحد فقط (جمع المذكر السالم).

- أما الغرناطي فقد خالف الكرماني ووافق الإسكافي في توجيهه وفصّل الفرق بين الصيغتين وما رافقهما من اسم موصول في أربع نقاط:

1- أن التعدي بالهمزة هو الأصل في باب التعدي وهو القياس على أكثر مذهب اللغويين ،والتعدي بالتضعيف وغيره مسموعا فقط.

2- أن الاسم الموصول "الذي" هو أصل في باب الأسماء الموصولة ولا يخرج عن ذلك ويتصرف في المثنى والجمع ،أما الاسم الموصول "من" فغير ذلك لأنها قد تخرج للاستفهام والشرط وغيرها.

3- رعاية للترتيب بين الآيتين فإن الآية الأولى في سورة الأعراف وردت على الأصل لأن ترتيبها الأول ،بينما الآية الثانية من سورة يونس وردت على الفرع تناسبا مع رتبتها في المصحف(توجيه تداولي: حسب النزول).

1- سيبويه ،**الكتاب** ،مصدر سابق ،ج4،ص:64،55(بتصرف).

2- الكرماني، **أسرار التكرار** ،مصدر سابق ،ص:84.

4- بالنسبة للفظة "أنجينا" فقد وردت بزيادة همزة التعدية المثبتة في صورة الألف في الخط ونطق يخصها بحركة الهمزة فطالت الكلمة بالألف خطا ونطقا فناسبها الاسم الموصول الذي بزيادة حروفه على "من" ،أما اللفظ" نجّينا" فورد على الاختصار من ذلك فناسبه الاسم الموصول المختصر "من" الذي هو في معنى "الذي"[1] .

المطلب الثالث: التناوب بين المشتقات (اسم الفاعل ،وصيغ المبالغة)

الشاهد قوله تعالى:﴿ **يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ**﴾[الأعراف :112]،و قوله تعالى:﴿ **وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا...** ﴾[الأعراف :113]، و قوله تعالى:﴿**يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ**﴾[الشعراء :37] و قوله تعالى:﴿**فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (38) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (39) لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (40) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ**﴾[الشعراء :38:41].فاختلف الشاهد بين صيغتي: ساحر ،وسحّار

عندما وجه الإسكافي هذا الشاهد لم يوضح السر في التناوب بين صيغتي اسم الفاعل (ساحر) ،وصيغ المبالغة(سحّار) كعادته واكتفى بربطه بالسياق الكلي للسورتين فقط ،ولم يشر حتى للصيغتين ،وركز على السِّر في تضمن احدى الآيتين على قوله تعالى : ﴿ **فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ** ﴾ وعدم تضمن الأخرى لذلك ،فذكر أن سورة الشعراء أشد اقتصاصا للأحوال التي كانت بين موسى عليه السلام وفرعون لاشتمالها على ذكر ابتداء مبعثه(الآيات 10،11 من سورة الشعراء)، وتضمنت هذه الآيات ذكر السحرة وما جرى ومنها جمع السحرة لميقات معلوم (الآية 38 من سورة الشعراء)،أما سورة الأعراف فلم تُبنَ على ذلك ولم يرد فيها ذكر مبعث موسى عليه السلام ،ولم تتضمن اقتصاص معظم حاله ،ولما كان القصد في سورة الأعراف ذكر المجمل من بعض ما كان لا ذكر التفاصيل كان الاقتصار بعد ذكر إرسال الحاشرين إلى السّحرة ومجيئهم يُغني عن ذكر تواعدهم ليوم يظهرون فيه حِيَّلهم[2] .

– فرغم أن الإسكافي لم يركِّز على توضيح سر التغاير بين الصيغتين كما أوردنا سابقا إلا أننا ذكرناهما هنا لأنه تحدث ضمنيا عن ذلك ،فيُمكن أن نخرج بالحكمة من سر التغاير بين الصيغتين وهو أن سورة الأعراف لم تتضمن ذكر تفاصيل قصة موسى مع السحرة لذلك وظفت اللفظة ذات العدد الأقل من الحروف(أربعة حروف) ،ووردت بصيغة "ساحر"، بينما سورة الشعراء فقد تضمنت ذكر التفاصيل

---

[1]- الغرناطي، **ملاك التأويل**، مصدر سابق،ص:198،199(بتصرف).

[2] – الإسكافي ،**الدرة**، ،ص:126،127(بتصرف).

وموعد اللقاء بين السحرة وفرعون فناسبتها صيغة تدل على الكثرة(خمسة حروف) ،فوردت على صيغة المبالغة(سحَّار).

- وسنعرض فيما يلي رأى بعض المفسرين في سر التناوب بين الصيغتين :

- ربط الكرماني كذلك توجيهه بالسياق القبلي لكل آية المناسبة اللفظية. ،فذكر أنّ سورة الأعراف قد ورد فيها من قبل قوله تعالى: ﴿... **إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ**﴾[الأعراف :109]،لذلك جاءت صيغة "ساحر" تناسبا مع ذلك ،أمّا في سورة الشعراء الإمام فإنه فيه " **بِكُلِّ سَحَّارٍ**" ،وقرئ في هذه "سحَّار" أيضا طلبا للمبالغة وموافقة لما في الشعراء[1].

- وأورد الزمخشري في تفسير الآية الأولى: "ساحر عليم" أي: عالم بالسحر ماهر فيه قد أخذ عيون الناس بخدعه "[2]،وفي قوله تعالى "إن هذا لساحر" بقولهم سحَّار فجاءوا بكلمة الاحاطة وصفة المبالغة ليطامنوا من نفسه ويسكتوا بعض قلقه ،وقرأ الأعمش " بكل ساحر"[3].

- وقال الألوسي (ت 1270هـ): «السّاحر هو المبتدئ في صناعة السّحر ،والسَّحار ،هو كثير العمل بالسّحر فائق في عمله»[4]

- ولابن عاشور رأي آخر في اختلاف الصيغتين إذ يقول:« وفي هذه الآية "سحَّار" وهناك "ساحر"، والسحَّار مرادف للساحر في الاستعمال ،لأن صيغة فعَّال هنا للنسب على الصناعة مثل النَّجار والقصَّار• ،ولذلك اتبع هنا وهناك بوصف "عليم" أي قوي العلم بالسحر»[5]

- نلاحظ اختلاف المفسرين في توجيه اختلاف الصيغتين ،ويمكن جمع هاته التوجيهات في الجدول التالي:

---

[1] - الكرماني ،**أسرار التكرار** ،مصدر سابق،ص:89(بتصرف).

[2] - الزمخشري ،**الكشاف** ،مصدر سابق ، ج2،ص:34.

[3] - نفسه ،ج4،ص:389.

[4] - الألوسي ،**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ، دار إحياء التراث ،بيروت ،(د ت) ،(د ط) ، ج19،ص:76.

• **القصَّار**: "قصَرَ الثوب قِصارة ،عن سيبويه وقصَّره كلاهما: حوَّره ودقه ومنه سمي القصَّار ،والقصَّار والمقصِّر :المحوّر للثياب لأنه يدقها بالقصرة وهي القطعة من الخشب ،والقصَّار :المبيض للثياب وكان يهيأ النسيج بعد نسجه ببلّه ودقه بالقصرة ،ينظر: ابن منظور ،**لسان العرب** ،ج4،ص:5،10(بتصرف)، (مادة قصر)، ومجمع اللغة العربية ،**المعجم الوسيط** ،ص:739(مادة قصَّار)

[5] - ابن عاشور، **التحرير والتنوير** ،مصدر سابق،ج19،ص:124،125(بتصرف).

سحّار	ساحر
الإحاطة والمبالغة في السحر	عالم بالسحر
كثير العمل بالسحر ومُتقنه	المبتدئ في صناعة السحر
نسبة لصناعة السحر	قوي العلم بالسحر

الجدول يوضح بعض المعاني المستخلصة من توجيهات المفسرين للاختلاف الصيغتين: ساحر ،سحّار

وقد انفرد الإسكافي والكرماني بذكر سبب اختصاص سورة الأعراف بصيغة "ساحر" ‘وذلك تناسبا مع ما فيها من إجمال في القصة ،وتناسبا مع ما سبق، أمّا أية الشعراء فوردت بصيغة المبالغة لكونها تحمل تفاصيل أكثر.

- كانت هذه مُعظم التوجيهات الصرفية التي وُجدت في كتاب الدرّة ، ويمكن إيجازها في النقاط التالية:

- يمكن ادراج مختلف التوجيهات الصرفية في كتاب الدرّة ضمن خمسة أبواب ،وهي:

- **أولا:باب أنواع الجموع:** وفيه شاهد واحد ،وورد فيه التناوب بين جمع المؤنث السالم وجمع التكسير ،وقد ورد في سياق الانعام إفضال الله على عباده في سياق مغفرة الخطايا، وذكر الإسكافي أنه أينما أخبر الله تعالى عن نفسه يستعمل لفظ الكثير (كثرة غفران الخطايا) ،ويدل ذلك على الكثرة والشمول والتأكيد ،وبالمقابل أينما لم يسند فيه اللفظ لله تعالى ولم يسم الفاعل يوظف اللفظ الدال على القلة في سياق الجمع وهو جمع المؤنث السالم(خطيئات).

- **ثانيا:باب الجمع والإفراد** : وفيه سبعة شواهد ،ويمكن استخلاص ما ورد فيه في النقاط التالية:

- يجب أن تكون الصفة مؤنثة إذا كان الجمع مفرده مذكر ،مثاله: سرر مرفوعة وهو الأصل ،ويجوز أن تكون الصفة مجموعة جمع مؤنث سالم ،ومثاله: سرر مرفوعات وهو على الفرع.

- يناسب ورود المفرد في القرآن الكريم مع قلة المخاطبين ،والجمع مع العدد اللامحدود منهم.

- كل موضع في القرآن لا يفرق فيه بين النبي ومن آمن معه وقومه ،تأتي فيه لفظة "الدار" مفردة، وبالمقابل كل موضع ورد فيه التفرقة بينهم كإخراج النبي من قبل قومه فتجمع لفظة الدار هنا .

- تفرد لفظة "الدار" إذا قُصد بها معنى البلد ،وتُجمع إذا قُصد بها معنى الجنس.

- إذا لم يفصّل في مضمون رسالة كل نبي لقومه ،فتفرد لفظة "الرسالة" هنا مفردة(ومثالها رسالة النبي صالح عليه السلام)،وبالمقابل إذا ورد تفصيل لذلك تجمع هاته اللفظة(ومثالها رسالة شعيب عليه السلام).

- في قصة النبي شعيب عليه السلام ،إذا وردت لفظة "الرسالة" بصيغة الجمع دل ذلك أنه مبعوث لأمتين: مدين ،وأصحاب الأيكة.

- جمع لفظة "آية" في القرآن إذا وردت في سياق العذاب دلت على أنواع العذاب ،أما إذا أفردت فتدل على العبرة الثابتة للعيان .

- توظيف الجمع والإفراد في القرآن يرد متناسبا مع بناء السور ككل (التناسب البنائي).

- ترد لفظة "آية" في القرآن في سياق تعداد نعم الله مفردة إذا دلت على صنف واحد من نعم الله دون تفصيل كآية إنزال المطر، خلق الأنعام ،وبالمقابل ترد بصيغة الجمع عند التفصيل في كل نعمة ؛كتفصيل خلق النحل ومعجزة إنتاج العسل.

- أينما ذكر لفظة المؤمنين في القرآن فيقصد بها من عاصر النبي صلى الله عليه وسلم وآمن معه ،فتأتي لفظة "آية" تناسبا مع ذلك مفردة ،وبالمقابل أينما وردت لفظة "مؤمنون" فالمقصود بها أقوام غير منتهون إلى يوم القيامة فتجمع هنا لفظة "آية" تناسبا مع ذلك.

- ثالثا باب التذكير والتأنيث : وفيه خمسة شواهد ،ويمكن إجمال ما ورد فيه في النقاط التالية:

- يرد التذكير والتأنيث في القرآن متناسبا مع نظيره في الآيات التي ورد فيها وما سبقته(تناسب تركيبي).

- قد يرد التغاير بين الآيات المتشابهات بين التذكير والتأنيث تناسبا مع فواصل كل آية (انسجام صوتي).

- إذا ورد التغاير بين تذكير وتأنيث العامل وكان الفاعل واحد ،فإن العامل هنا يؤنث(تتصل بالفعل تاء التأنيث) إذا اجتمعت في العبارة ثلاثة ألفاظ مؤنثة ،وبالمقابل إذا لم يرد ذلك يذكر العامل .

- الضمير العائد في آية النفخ في مريم عليها السلام (معجزة خلق عيسى عليه السلام) يرد مؤنثا إذا قُصد فيه التعجب من حال مريم عليها السلام وابنها ؛ فيردُّ الضمير إلى جملتها ككل ،ويقصد هنا وصف حالها بعد النفخ، أما إن ورد مذكرا فيقصد به مكان النفخ فقط.

- في معجزة النفخ في خلق الطائر التي منّ الله بها على سيدنا عيسى عليه السلام ،إذا ورد النفخ فيه فيعود التذكير هنا على الصورة الواحدة (طير واحد) ويأتي ذلك في سياق الحجاج وإثبات النبوة، أما إن ورد النفخ فيها فيدل التأنيث في الضمير هنا على مختلف الهيئات والصور والأشكال التي شُكلت على هيأة الطيور ،وترد ذلك في سياق تعداد النعم.

رابعا: باب الممنوع من الصرف: وفيه شاهد واحد فقط ،وكان في صرف لفظة "ثمود" ومنعها من الصرف ،والتوجيه بني فيها على القصدية ،فإن قُصد بها معنى الأبوة والقربى صرِّفَت هاته اللفظة ،وإن قُصد بها القبيلة منعت من الصرف بسبب العلمية والتأنيث.

خامسا: باب البناء للمعلوم والمجهول :وفيه شاهدين فقط ،وتم توجيههما كمايلي:

- يُبنى الفعل للمجهول أو المعلوم بحسب المعنى المقصود ،فإن كان الهدف التركيز والاعتناء بالمفعول به لا الفاعل ،يبنى الفعل للمجهول.

- و كذلك بُنى الفعل للمجهول إذا كان الفاعل معلوما بالضرورة و معروفا للسامع ،فيقوم المفعول به مقامه .

- و يُبنى الفعل للمعلوم أو المجهول تناسبا مع ما سبقه من الآيات المتعلقة به ،فإن استهلت الآية بفعل مبني للمجهول يُحمل الفعل في نهايتها كذلك على نفس النسق فيبنى للمجهول كذلك ،والعكس صحيح.

- وبالمقابل كذلك فيبنى الفعل للمعلوم إذا قصد العناية والتركيز على الفاعلين ،وإذا كان إظهاره يتطلب ذلك .

- ويُبنى الفعل للمعلوم كذلك حسب الأغراض البلاغية ،فإن كان المقام مقام تأكيد أو تخويف مثلا من طرف الفاعل ،فيجب إظهاره هنا والتركيز عليه.

- **سادسا: باب التغاير بين الصيغ المختلفة** : وفيه ثلاثة شواهد ،ويمكن إجمال ما ورد فيه في النقاط التالية:

- إنّ التغاير بين صيغة الفعل المضارع (أفعلُ) وصيغة الفاعل (فاعل) يكون تناسبا مع المعنى ودلالة كل من الصيغتين ؛ فصيغة الفعل تدل على الاستمرارية وتوظف بهذا المعنى في سياقها المناسب ،ومثالها لما عِيب سيدنا نوح عليه السلام بالضلال وهو من صفات الفعل كان الجواب بنفي الفعل المذموم بفعل محمود أو أفعال تنفي ذلك وتدل على الاستمرارية (فوردت الصيغة أفعل: أنصحُ)، و بالمقابل يدل اسم

الفاعل على الثبوت والديمومة فيوظف بهذا الصيغة تناسبا مع معاني الآيات ؛ومثاله لما رمي سيدنا هود بالسفاهة وهي صفة مذمومة ثابتة في النفس كان جوابها صيغة مضادة وظفت لترفع هذه الصفة وتدل كذلك على الثبات والديمومة (ناصح).

- إنّ التعدي بالألف في صيغة(أفعلتُ) كثير الورود في القرآن وهو بنفس معنى فعّلتُ ،وإذا كان كذلك فإن متعلقاته كذلك ترد على الأصل ،فيتصل به مثلا اسم موصول دال على ذلك (مثلا الذي ،اللذين) أمّا التعدي بتضعيف العين في فعّلتُ فهو قليل الورود في القرآن وهي صيغة تأتي على الفرع ،وتناسبها كذلك وترتبط بها المتعلقات الدال على الفرعية ومثالها الاسم الموصول :مَن ،ما.

- لما يرد التغاير في المتشابهات اللفظية متناوبا بين صيغتي اسم الفاعل وصيغة المبالغة يكن ذلك مرتبطا بالمعنى الذي ترد فيه كل صيغة، فإن وردت في الآيات تفصيل وتعدد ناسبته صيغة المبالغة "فعّال"(خمسة أحرف)، وبالمقابل إن لم يرد التفصيل وورد إجمال وعموم فتوظف الصيغة الأقل من حيث المبنى "فاعل" (أربعة أحرف) ،وهذا من باب من إعجاز النظم في القرآن الكريم.

الفصل الرابع:

التوجيه النحوي

للمتشابه اللفظي

في كتابّ الدُرّة

يتناول هذا الفصل الدراسة التطبيقية للمتشابه اللفظي في كتاب "الدرة" على مستوى المقاربة التركيبية للآيات المتشابهات من خلال المستوى النحوي ، والذي قسمناه إلى ثلاثة مباحث ،خصصنا المبحث الأول لحروف المعاني ،والثاني للضمائر مع الأسماء الموصولة ،والثالث تناول فيها توجيهات نحوية مختلفة تعلقت بالإعراب ،التوكيد ،تغاير الجمل ،التوابع...الخ ،وختمنا كل جزء بمحصلة ذكرنا فيها أهم النتائج

المبحث الأول: التغاير بين حروف المعاني

تنقسم الحروف إلى نوعين: حروف المباني وهي الحروف التي تتألف منها الكلمات تسمى حروف الهجاء وحروف المعاني ،وقد عرّف ابن المرادي (ت **749**هـ) حروف المعاني وفصّل فيه القول بأن معنى الحرف كلمة تدل على معنى في غيرها فقط ،والكلمة جنس يشمل الاسم والفعل والحرف ،وإضافة "تدل على معنى في غيرها" يُخرج الفعل وبعض الأسماء من التعريف لأنّ الفعل لا يدل على معنى في غيره وكذلك بعض الأسماء، ومعنى قولهم:" الحرف يدل على معنى في غيره:" أنّ دلالة الحرف على معناه الإفرادي متوقفة على ذكر متعلقه بخلاف الاسم والفعل ، فإن دلالة كل منهما على معناها الإفرادي غير متوقفة على ذكر متعلقاتها ،ألا ترى إذا قلت "الغلام" فُهم منه التعريف ،ولو قلتَ "أل" مفردة لم يفهم منه معنى ،فإذا قُرن بالاسم أفاد التعريف [1]

وسنتناول في هذا المبحث مختلف التوجيهات النحوية المتعلقة بتناوب حروف المعاني الواردة في كتاب الدرة ،لنستجلي مختلف دلالاتها ونقف على سر الاختلاف .

سنورد ضمن هذا الجزء مختلف المتشابهات اللفظية التي تضمنت تناوبا بين حروف المعاني(حروف العطف، حروف الجر ،حروف النفي...الخ) ، ثم نخلص للقواعد المتبعة من طرف الإسكافي في توجيه مثل هاته المتشابهات.

---

[1] – الحسن بن القاسم المرادي، **الجنى الداني في حروف المعاني**، تح فخر الدين قباوه و محمد نديم فاضل ،دار الكتب العلمية، لبنان، 1992،ط1،ص:22،20(بتصرف).

المطلب الأول: التناوب بين حروف العطف:

أ- التناوب بين "الواو" و"الفاء":

يكثر هذا النوع من المتشابه اللفظي في القرآن ،وقد نحا الإسكافي منحا واحدا في توجيهه ،فجعل ما قبل "الواو " غير متعلق بما بعدها (حكمين مختلفين) ،أما الفاء فدلت على الترتيب والتعقيب، وسنورد بعضا من هذه الشواهد:

1- الشاهد قوله تعالى:﴿**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾[البقرة:35]،وفي سورة الأعراف قال تعالى: ﴿**وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأعراف:19]،ذكر الإسكافي في توجيه هذا التشابه بأنّ عطف "كُلا" على "أُسكنا" بالواو وذكر الأصل أي كل فعل يعطف عليه ما يتعلق به تعلق الجواب بالابتداء فكان كالشرط والجزاء ، والأصل أن يعطف بالفاء دون الواو...عطف "كلوا " على "اسكنوا" في سورة البقرة بالواو لأن "اسكنوا" من السكنى وهو المقام مع طول اللبث، والأكل لا يختص وجوده بوجوده ،لأن من يدخل بستانا قد يأكل منه وإن كان مجتازا ،فلما لم يتعلق الأول(السكن)،بالثاني(الأكل)تعلق الجواب بالابتداء وجب العطف بالواو دون الفاء.

- أما في سورة الأعراف فقد ذكر مثالا على العطف بالفاء وهو الأصل وهي الآية من سورة البقرة في قوله تعالى:﴿**وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا**... ﴾ [البقرة:58]،برّر ذلك بأنّ الآية هنا عطفت بالفاء لما كان وجود الأكل منها متعلقا بدخولها (الدخول موصل بالأكل والأكل متعلق به)،يعضده الآية التاسعة عشر من سورة الأعراف موضع التشابه ،لقد مهد الإسكافي هذا التوجيه بشرح كلمة اسكن فذكر أنّ أُسكن تقال لمن دخل مكانا ويراد به اِلزم المكان الذي دخلته ولا تنتقل عنه ،وتقال لمن لم يدخله أسكن هذا المكان، ومثّل لذلك بأنه يُقال لمن تعرض عليه دارا ينزلها سكنى اسكنها واصنع ما شئت فيها ،فعطفت بالفاء حملا على قوله من قبل لإبليس﴿ **اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا**﴾ فكأنه قال لآدم بالمقابل "أدخل وأنت وزوجك الجنة" ،فذكر "أُسكن" ليوافق الدخول الخروج ،ويكون أحد الخطابين لهما قبل الدخول والآخر بعده مبالغة في الأعذار وتوكيدا للإنذار[1].

[1] - الإسكافي ، الدُرّة، ص:8،7(بتصرف).

- فبنى الاسكافي توجيهه لهذا الشاهد على أساس قاعدة: أنَّ كل فعل يعطف عليه ما يتعلق به تعلق الجواب بالابتداء ويكون كالشرط والجزاء ، فالأصل أن يعطف بالفاء دون الواو، ولما كان السكن غير متعلق بالأكل في سورة البقرة كان العطف بالواو ،ولما تعلق السكن بالأكل في سورة الأعراف كان العطف بالفاء، ونلاحظ أن الاسكافي قد وجه هذا التشابه معتمدا على سياق كلتا السورتين بعدما أعطى الأصل النحوي وفسره بآية أخرى تعضده، أي فسر القرآن بالقرآن، وكذا على المفهوم المعجمي لكلمة "السكن"، قال الزجاج في ذات السياق:«" الواو تكون عطفا ولا دليل فيها على أن الأول: قبل الثاني»، وقال أيضا: «الفاء تكون عاطفة تدل على أن الثاني بعد الأول، ولا مهلة»[1]، ،وقد كان للأبي زكريا الأنصاري رأي آخر حيث قال: «لأن "اسكن" هنا معناه استقر ،لكون آدم وحواء كانا في الجنة، والأكل يوافق الاستقرار غالبا، فلهذا عطفت بالواو الدالة على الجمع، والمعنى اجمعا بين الاستقرار والأكل ،وفي الأعراف معناه أدخل لكونهما كانا خارجين عنها ،والأكل لا يكون مع الدخول عادة بل عقبه ،فلهذا عطف بالفاء الدالة على التعقيب..»[2].

- وقد وافق الكرماني توجيه الإسكافي ،وبرّر سبب ورود الواو بأنّ السكن في سورة البقرة معناه الإقامة وذلك يستدعي زمانا ممتدا، والمعنى: الجمع بين الإقامة والأكل من ثمارها ،ولو كان الفاء مكان الواو لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة ؛لأنّ الفاء للتعقيب والترتيب ،والذي في سورة الأعراف من السكنى الذي معناه: اتخاذ الموضع سكنا ،فكانت الفاء أولى ؛لأنّ اتخاذ المسكن لا يستدعي زمانا ممتدا ،و يمكن الجمع بين الاتخاذ والأكل فيه ،بل يقع الأكل عقيبه[3].

- وذكر سيبويه الفرق بين حرفي العطف "الواو" "الفاء" ،بأنّ الواو لم ترد فيها هذا المعنى (الترتيب) ،ولم تلزم الواو الشيئين أن يكون أحدهما بعد الآخر ،ومثّل لذلك أننا إذا قلنا :مررتُ بزيدٍ وعمروٍ ، لم يكم في هذا دليل أننا مررنا بعمرو بعد زيد ،و "ثم" بمنزلة "الفاء" ،إلا أن "الفاء" أكثر في كلام العرب [4].

---

[1] - الزجاجي ،**حروف المعاني** ،تح علي توفيق الحمد ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،دار الأمل ،الأردن ،1986 ،ط2،ص:39.

[2] - أبو زكريا الأنصاري ،**فتح الرحمان**، مصدر سابق ،ص:21،22(بتصرف).

[3]- الكرماني ،**أسرار التكرار**، مصدر سابق،ص:25،26(بتصرف).

[4]- أبو سعيد السيرافي (ت 368هـ)، **شرح كتاب سيبويه**، تح أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي ،دار الكتب العلمية ،لبنان،2008،ط2 ،ص:186،187(بتصرف).

2- قوله تعالى:﴿... **وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**... ﴾[التوبة:54،55]، **قوله تعالى**:﴿ **وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ** ﴾[التوبة: 85]،فالشاهد بين: "فلا تعجبك" ،و "ولا تعجبك"

- وجّه الإسكافي هذا الشاهد انطلاقا من أنّه لما كان الفعل قبل "الفاء" بمعنى الشرط ودالا على الاستقبال(يأتون ، ينفقون) ،صار ما بعده دلا على الجزاء لذلك خُصت بالفاء ،قال تعالى:﴿...**وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ**﴾[التوبة: 54]،فأخبر تعالى عن المنافقين بما يقصدونه من أفعالهم التي يوقعونها في حالهم واستقبالهم ،والمعنى: أن يكسلوك عن الصلاة وتتكرهوا الصدقات فإنّ الله ليس يجازيهم بما يسرهم من أموالهم وأولادهم ،بل يُعجّلُ ذلك عذابا لهم مدة بقائهم بما ينالهم من النقص في الأموال مما أباح منه للمسلمين بالقتال، وما يصيبهم في الأود من السبي والاستعباد ،ثم عند الفراق يكون الألم على قدر المحبة الأحباب ،هذا سوى سوء الانقلاب وما أعد لهم من العذاب ليوم المآب ،وأمّا الآية الثانية فقد سبقت بأفعال ماضية ،وهي قوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾ [التوبة: 84] ،وهذه الأفعال بماضيها وانقطاعها لا تكون شرطا فتعقب بالفاء التي تدل على الجزاء ،فعطفت الآية بعدها على ما قبلها "بالواو" لبطن المعنى الذي يقتضي "الفاء" ،فقوله تعالى:" وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ" لا يشترط فعل من قد مات فيعقب بذكر الجزاء[1]

- فكان موضع الاختلاف بين الحرفين" الواو" و"الفاء" أنّ الثانية تضمنت معنى الشرط والجزاء وكان فعل الشرط دالا على الاستقبال ،والأولى لم تحمل معنى الجزاء ،وسُبقت بأفعال ماضية .

3- قوله تعالى:﴿ **وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾**[القصص: 60]، وقوله تعالى**:﴿ **فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾[الشورى: 36]،فحصُل الاختلاف بين: "وَمَا أُوتِيتُمْ" بالواو ، و "فَمَا أُوتِيتُمْ" بالفاء.

- وجّه الإسكافي هذا التشابه بأنّ الآية الأولى مرتبطة بما قبلها وهي قوله تعالى: ﴿**وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ**﴾[القصص: 59] ،والخطاب في الشاهد يخص الكفار وأنّ الله يعدهم بالعقاب بمثل ما أهلك به من قبلهم ،وليس لهم فيما يؤتونه في الدنيا عوضا مما يفوتهم في الآخرة ،لأنّ

---

[1] - الإسكافي، **الدرّة** ،ص:142،144(بتصرف).

انتفاعهم بمتاع الحياة وزينتها انتفاع مؤقت وقليل وسيهلكون ثم يعاقبون مثلما ما أهلك الله من قبلهم بكفرهم بالله ،فعطفت جملة "وما أوتيتم..." على جملة "وما كنا مهلكي..." وناسبها حرف "الواو" للجمع بين الحالين حال الأمم السابقة التي أهلكت بكفرها وقد كانت منعمة في الدنيا ومغترة بذلك وحال المخاطبين في هذه الآية الذين يتنعمون كذلك بكل متاع الدنيا ويظلمون أنفسهم بالكفر بمن وهبهم هذه النعم ،وفي هذا عظة للجميع كذلك.

– أما الآية الثانية فخصت نوعا خاصا من الكفار الذين يعلمون وهم في السفن أنه لا منجى لهم ولا منجي لهم إلا الله فخاطبهم تعالى بأنه وإن أعطاهم السلامة ورزقهم العافية فذلك قليل البقاء ،فالمراد بما يؤتونه مطلوبهم من السلامة والنجاة والأمن وذلك عقيب ما أشرفوا عليه من الغرق ،ولا يناسبه هنا غير "الفاء" لأنه ورد عقيب ما نالهم من الخوف[1]

فتم توجيه هذا الشاهد على أساس أنّ تضمن الآية الأولى لحرف "الواو" معناه الجمع بين الحالين والمألين، وتضمن الآية الثانية لحرف "الفاء" لأنه متعلق بما قبله أشد تعلق ،ولأنه عقب ما نالهم من مخافة بما لهم من الأمن فناسبها "الفاء" المقتضية للتعقيب.

4- قوله تعالى:﴿... **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا...** ﴾[يوسف: 109]، **وقوله تعالى:**﴿ **أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ...** ﴾[الروم: 9]،فحصُل الاختلاف بين: " أَفَلَمْ يَسِيرُوا " بالفاء ، و " أَوَلَمْ يَسِيرُوا " "بالواو".

انطلق الإسكافي قبل توجيهه هذا الشاهد من قاعدة: أنّ كل موضع تقدم فيه "أفلم يسيروا في الأرض" فإنه في موضع يقتضي الأول وقوع ما بعده بالفاء ،وكل موضع تقدم فيه "أولم يسيروا" فإنه في موضع التي لا يقتضي الدعاء للسير والبعث على الاعتبار فيكون ذلك مؤديا إليه ،وإنما يكون بالواو عطف جملة على جملة ،وإن كانت الثانية أجنبية من الأولى ،وبرّر لذلك بتوجيهه للشاهد وبعض الآيات من القرآن التي وردت على نفس النسق ،وتفصيل ذلك أنّ الآية الأولى(من الشاهد) متعلقة بقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى**﴾[يوسف: 109]، والمعنى: أنّ الرسل من القرى التي بعثوا إليها ،فلما طغوا نزل بهم من العذاب ما بقي أثره في ديارهم من الخسف والانقلاب ،فصار المعنى: لم يكونوا إلا رجالا أرسلوا إليهم فخالفوهم فاعتبروا أنتم بآثارهم ومشاهدة ديارهم لتجتنبوا ما يجلب عليكم مثل حالهم ،فصار الثاني كالجواب عن الأول ،فذكر حال أم خالفت أنبيائها

[1]- الإسكافي، **الدرة** ،ص:236،237(بتصرف).

فعوقبت ،فكان الجواب بالفاء تعقيبا ودعوة للاعتبار ومشاهدة ما بقي من آثارهم للعبرة .واستدل الإسكافي بنماذج وردت في القرن الكريم منها قوله تعالى: ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا** ﴾**[الحج: 46]** وردت بعد قوله تعالى: ﴿**فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ**﴾**[الحج: 45]**،والمعنى: إذا كان كذا فسيروا في الأرض واعتبروا .

- أمّا الآية الثانية فورد قبلها قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ**﴾[الروم: 8] ،فكان الموضع "بالواو" ،وهذا مع أنه معطوف على قوله "أولم يسروا" وهو "بالواو" وهو الواجب ،لأنه لم يتقدمه ما يكون هذا كالجواب عنه ،فلم يحسن إلا بالواو ،ولأن الآية التي قبله ليست في وصف قوم عوقبوا على مخالفة بيبهم وبقيت آثار منازلهم ولم تعقبها دعوة لأخذ العبرة[1] .

فتم توجيه الشاهد على أساس أنه إذا تعلقت جملة بما قبلها تعلق الشرط بالجواب وجب عطفها بالفاء ،وإذا انتفى ذلك كان العطف بالواو أوجب .

5- قوله تعالى:﴿ **وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ** ﴾**[ص: 4]**، **وقوله تعالى:**﴿ **بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ** ﴾**[ق: 2]**،فحصُل الاختلاف بين: " وَقَالَ الْكَافِرُونَ " بالواو ، و " فَقَالَ الْكَافِرُونَ " "بالفاء".

وجّه الإسكافي هذا الشاهد على أساس أنّ الآية الثانية تضمنت عجب الكفار في أنفسهم وتصريحهم بذلك ،فكان أخر قولهم متصلا بأوله ،يعني: اتصل قولهم بعجبهم بما تعجبوه في ضميرهم لذلك تضمنت الآية "الفاء" ،أما الآية الأولى من سورة "ص" فلم تتضمن ذلك لأن قوله "عجبوا" يعني تعجبهم قولا وفعلا ،وقولهم بعد ذلك ليس راجعا لعجبهم لأنه أخبر عنهم أنه قالوا: "هذا ساحر كذاب" ،فلم يتعلق هذا بقولهم: "وعجبوا "لذلك وردت "بالواو" دون "الفاء"[2].

6- قوله تعالى:﴿ **أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ**... ﴾[طه: 128]، وقوله تعالى:﴿ **أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ**... ﴾[السجدة: 26]،فحصُل الاختلاف بين: " أَفَلَمْ يَهْدِ " بالفاء ، و " أَوَلَمْ يَهْدِ " "بالواو".

---

[1] - الإسكافي، **الدرة** ،ص:173،175(بتصرف).

[2] - نفسه،ص:273(بتصرف).

وجّه الإسكافي هذا التشابه كسابقيه فذكر أنّ الآية الأولى متعلقة بما قبلها تعلق الشرط بالجواب ومكملة لها ،وهي قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا...** ﴾[السجدة: 125،126] ،والمعنى: فتركت الاهتداء بها ،ثم قررهم على ما نصبه لهدايتهم ،واحتج عليهم بتركهم الاهتداء به ،فقال " أَفَلَمْ يَهْدِ " ،والتقدير: من تأته آياتنا فعليه الاهتداء بها وأنتم أتتكم آياتنا فلم توفوها حقها ،فهل فعلت ما لزمكم فيها؟، لذلك وجب هنا توظيف "الفاء" ،أما الآية الثانية فإنها منقطعة عمّا قبلها وهو قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ...** ﴾[السجدة: 23،26]،فلما انفصلت الجملتان وجب توظيف "الواو" والتي لم يكن من شرطها تركيب جملتين يكونان كلاما واحدا[1]

7- قوله تعالى:﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** ﴾[الأنعام: 21]، وقوله تعالى:﴿ **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ** ﴾[يونس: 17]،فحصُل الاختلاف بين: " وَمَنْ أَظْلَمُ " بالواو ، و " فَمَنْ أَظْلَمُ " "بالفاء".

وجّه الإسكافي هذا الشاهد بنفس الطريقة التي وجّه بها الآيات السابقة ، فارتكز بدء على التناسب البنيوي بين الآيات ،ثم بمعنى وخصائص كل حرف، فذكر أنّ الآية الأولى عُطفت بالواو تناسبا مع ما سبقها من آيات عُطفت صدور بعضها على بعض بالواو كذلك ،وهي من قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾[الأنعام: 19،21]، ولم تتعلق ببعضها تعلق السبب بالمسبب ،فوظفت الواو هنا ، أما في الآية الثانية فإنّ ما قبلها عطف بالفاء كقوله تعالى: ﴿**قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾**[يونس: 16]**، كما أنها تعلقت ببعضها تعلق السبب بالمسبب ،والمعنى :لو أراد الله أن لا يوحى إلي هذا القرآن لما تلوت عليكم شيئا مما تلوتُه الآن ،فيؤديكم هذا ان تعرفوا صحة ما أقول أنه من

---

[1]- الإسكافي ،**الدرّة** ، ص:206،207(بتصرف).

عند الله لا من فعلي وقولي ، فعطف بعض هذا الكلام بالفاء ، وفي قوله تعالى :" **فَمَنْ أَظْلَمُ**" ،أي: إذا عرفتم أنه ليس من قولي لظهوره مني بعد ما لم يكن فيما مضى من عمري ،فليس أحد أشد إضرارا بنفسه منكم في قولكم على الله ما لم يقله، وفي قوله تعالى: "**وَمَنْ أَظْلَمُ**" أي: لا أحد أظلم لنفسه ممن وصف الله تعالى بخلاف وصفه فأوردها العذاب الدائم ،وأكّد الإسكافي أنّ كل موضع في القرآن يكون فيه تناوب بين حرفي العطف الواو والفاء فإن المراد به كما ذكره [1] .

- وقد أشار ابن يعيش (ت **643هـ**)للخاصية المشتركة بين حروف العطف ،فذكر أنه ليس في حروف العطف ما يشارك ما بعده ما قبله في المعنى إلا الواو والفاء وثم وحتى[2].

- كانت هذه نماذج من الآيات المتشابهات التي تضمنت تناوبا بين حرفي العطف : "الواو"، "الفاء" ،وكما ذكرنا يكثر هذا النوع من التشابه في القرآن ، وقد تبنى الإسكافي منحا واحدا في توجيهها ،وسنوجزه فيما يلي:

- كل فعل يعطف عليه ما يتعلق به تعلق الجواب بالابتداء ،ويكون كالشرط والجزاء ،فالأصل أن يعطف بالفاء دون الواو.

- العطف بالفاء يدل على التعقيب و أن الكلام واحد و متصل ببعضه ومتعلق ببعضه تعلق السبب بالمسبب.

- العطف بالواو يدل على أن الكلام بعدها غير متعلق بما قبلها ،وأن الجملتين منفصلتين .

- العطف بالواو يدل على الجمع بين حالين مختلفين ،وإن كانا من حيث المعنى العام مرتبطان .

ب- التناوب بين حرف "الواو" ، و"ثم":

سنورد ضمن هذا النوع ثلاث شواهد تضمنت تشابها بين "الواو" و "ثم" ، ثم نخلص لمنهج الإسكافي العام في توجيه مثل هاته المتشابهات:

1- الشاهد قوله تعالى:﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ** ﴾[فصلت: 52]،و قوله تعالى:﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [الأحقاف:10]،فكان الاختلاف بين "ثُمَّ كَفَرْتُمْ"، "وَكَفَرْتُمْ بِهِ".

---

[1] - الإسكافي ،**الدرّة** ، ص: 82،83(بتصرف).

[2] - موفق الدين بن يعيش، **شرح المفصل**، مطبعة المنيرية ،مصر،(د ت)،(د ط)،ج8،ص: 104(بتصرف).

وجّه الإسكافي هذا التشابه على أساس أنّ ثم" للمهلة الزمنية ،وقد تضمنت الآية الأولى ذلك ،لأنّ الله تعالى استدعاهم وحثهم لتدبر الحق مدة ،ثم ختموا ذلك بالكفر ،ومعنى الآية: أرأيتم إن كان ما أتيتكم به من كلامه وسائر أمور دينه ،وكان قصاركم وآخر أمركم الكفر به ،فهل ترون أضلّ منكم عن الصواب ،فإن لم تحققوه فلابد من أن تتأملوه ،فذكر فعلين أحدهما: إن كان من عند الله ،وختمه بقوله: "ثُمَّ كَفَرْتُمْ" ،على معنى: إنكم بعد إمهالي لكم لتدبره وحثي إياكم على تأمله كان عاقبة أمركم الكفر به.

ولم تتضمن الآية الثانية معنى المهلة ،بل عطف على :"وَكَفَرْتُمْ بِهِ" أفعالا بعدها ،وهي:" **وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ**" ،فكأنه قال: قابلتم بالكفر ما أتيتُ به واحتج عليكم من بني إسرائيل من قرأ الكتب وعرف ما أتيت به من الصدق فآمن وتكبرتم عمّا التزم من التذلل في طاعة الله ألا تكونون ظالمين بدلك ،فلم يجعل قوله :"وَكَفَرْتُمْ بِهِ" الكفر الذي يوافي الآخرة لما ذكر بعده من الاحتجاج عليهم ،وتوقع إيمانهم ،وشهادة من كان على دينهم وإيمانه واستكبارهم ،فخالف المكان الذي ختمت أفعالهم بالكفر فيه فاستعمل" الواو" بدل "ثم "[1].

2- الشاهد قوله تعالى ﴿...**ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ** ...﴾[الأعراف: 124]، وقوله تعالى في سورتي طه• ،والشعراء•: ﴿...**وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ**...﴾،

يقول الإسكافي في توجيه هذا التشابه: «...إنّ السورتين اللتين جاءت فيهما "الواو" بهذا اللفظ منهما هما المبنيتان على الاقتصاص الأكثر والبسط الأوسع ،و "الواو" أشبه بهذا المعنى ؛لأنه يجوز أن يكون ما بعدها ملاصقا لما قبلها كالتعقيب الذي يفاد من "الفاء" ،ويجوز أن يكون متراخيا عنه كالمهلة التي يفاد ب "ثم" ، لا بل يجوز أن يكون ما بعدها مقدما على ما قبلها ومجامعا لها ؛إذ هي موضوعة للجمع ولا ترتيب فيها ؛فكانت "الواو" أشبه بهذين المكانين ،و "ثم" تختص بأحد المواضع التي يصلح "الواو" لجميعها فلما كانت مقتصرا بها على بعض ما وضعت له "الواو" واستعملت حيث اختصرت الحال ؛فاقترن بكل من المكانين ما كان أليق بالمقصود فيه ،فلذلك خُصّت "ثم" في سورة الأعراف و"الواو" في السورتين الأخريين»[2].

---

[1] – الإسكافي، **الدرة** ،ص:289،290(بتصرف).

• طه ،الآية: 71.

• الشعراء ،الآية: 49.

[2]– الإسكافي ،**الدرّة** ،ص:132(بتصرف).

3- الشاهد قوله تعالى: ﴿ **قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ**...﴾[التوبة:94]، وقوله تعالى في نفس السورة: ﴿ **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ**...﴾، ...﴾[التوبة:105]،

ذكر الإسكافي في توجيه اية الأولى والتي تخص المنافقين أنه لبعد ما بين الظاهر من عملهم وما يجازون به دخلت "ثم" ،والمعنى: سيعلم الله حقيقة عملكم ،وأنه عن غير صحة اعتقاد منكم ،وأن اعتذاركم قول بلسانكم يطابقه منطوى ضميركم ،و هذا ظاهر بكون الجزاء عليه خلافه ، ففصل بينه وبين ردهم إلى الله تعالى للجزاء عليه بقوله :" **ثُمَّ تُرَدُّونَ**" ؛أي: عملكم يعلم الله من باطنه خلاف ظاهره ،وقد أمرنا بالرضاء به وحقن دمائكم له ،ثم إن الحكم إذا رددتم إليه في الآخرة بخلافه ، ولم تتضمن الآية الثانية ذلك لأنها خطاب للمؤمنين ،وفيها بعث لعمل الخير لقوله تعالى:" **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ** " فهذا وعد للمؤمنين ،وقال بعده: "**وَسَتُرَدُّونَ**" ؛فوعد تعالى من يشاكل أفعالهم ويطابق أعمالهم من حسن الثواب وجميل الجزاء ،ولم يبعد عنها كبعد جزاء المنافقين عما يراؤوا به من أعمالهم منكم[1].

إذا فلبعد ما بين عمل المنافقين و ما يجازون عليه يوم القيامة وُظفت "ثم" الدالة على المهلة والتراخي الزمني والتباعد بين الفعلين ، وللحث على عمل الخير والاخلاص فيه يرد الثواب بعده مباشرة ؛فلقرب العملين من بعضهما ؛وُظفت "الواو" الدالة على الجمع بينهما، فسبحان الله الكريم واسع العطاء.

- من خلال الشواهد السابقة ،يمكن استخلاص منهج الإسكافي في التفريق بين حرفي العطف "الواو" ،و "ثم" فيمايلي:
- لحرف العطف "الواو" معان كثيرة منها: تفيد التعقيب كحرف "الفاء" ؛ فيكون بهذا ما بعدها ملاصق لما قبلها وقريب منها ، ولا تفيد الترتيب؛ لأن يجوز أن يكون ما بعدها مقدما على ما قبلها ،وتدل على الجمع ، وتكون عامة ،وتوظف في المواضع التي تتطلب تفصيلا .
- حرف العطف "ثم" يدل على بعض معان "الواو" هو التراخي والمهلة الزمنية بين المعنى قبلها وما بعهدها ، و تدل على التباعد والمدة الزمنية الواسعة بين ما قبلها وما بعدها ، وتوظف بهذا في المواضع التي تتطلب ايجازا في الكلام ؛للمعنى الوحيد الذي تفيده.

---

[1] - نفسه ،ص:146،147(بتصرف).

ت- التناوب بين : "الفاء" ، و "ثم":

سنورد ضمن هذا النوع من التشابه شاهدين ،لنستخلص في الأخير دلالة اختلاف هذين اللفظتين:

1- الشاهد قوله تعالى:﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** ﴾[الأنعام: 11]،و قوله تعالى:﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ** ﴾ [النمل:69]]،و قوله تعالى:﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ...** ﴾ [العنكبوت:20]]،و قوله تعالى:﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ** ﴾ [الروم:42]،فحصُل الاختلاف بين الآيات في : **ثُمَّ انْظُرُوا**" ، و "**فَانْظُرُوا** "

وجّه الإسكافي هذا الشاهد اعتمادا على خصوصية اللفظتين "ثم"، و"الفاء"، فذكر أنّ "ثم " تدل المهلة المتراخية ،ويدل توظيفها في الآية الأولى على أن النظر لم يقع عقيب السير ، وغير متعلق به،؛ لأن الآية تضمنت بعثًا على سير بعد سير ويدل على ذلك ما تقدم من آيات تحث على استقراء البلاد ومنازل أهل الفساد ،وأن يستكثروا من ذلك ليروا أثرا بعد أثر في ديار بعد ديار ،قد عمّ أهلها الدمار ،منها قوله تعالى :﴿ **أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ** ﴾[الأنعام: 6]، فدعا إلى العلم بذلك وبالسير في البلاد ومشاهدة هذه الآثار ،وفي ذلك ذهاب أزمنة كثيرة ،ومدد طويلة تمنع النظر من ملاصقة السير ،فجعل السير في الأرض مأمورا به على حدة، والنظر بعده مأمورا به على حدة، أما الموضع الذي وُظفت "الفاء" فيه فيدل على أنّ السيرَ يؤدي إلى النظر ،وهما متعلقان ببعضهما ،ووقعت الفاء هنا موقع الجزاء، وفي الآيات التي وظفت فيها لم تتضمن بعثا على استقراء الديار وتأمل الآثار، بل قُصد معنى التعقيب واتصال النظر بالسير، وكذلك سائر المواضع التي دخلتها "الفاء" علق فيها وقوع النظر بوقوع السير ،فلذلك خُصّت كل آية بما يناسبها [1] .

2- الشاهد قوله تعالى:﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ...**﴾ [الكهف:57]]،و قوله تعالى:﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ** ﴾ [السجدة:22]، فحصُل الاختلاف بين الآيات في **فَأَعْرَضَ** "، و " **ثُمَّ أَعْرَضَ** "

قبل توجيه هذا الشاهد بيّن الإسكافي بدءٍ مواضع الاشتراك والاختلاف بين "الفاء" و "ثم" ، فذكر أنهما يشتركان في أنّ ما بعدهما في اللفظ متأخر عمّا قبلهما ،أي يدلان على الترتيب ، ويختلفان في أنّ "الفاء"

---

[1] - - الإسكافي ،**الدرّة** ،ص:80،81(بتصرف).

يقرب ما بعدها مما قبلها (التعقيب) ، و "ثم" يدل على التراخي والبعد ،ثم بيّن سبب اختصاص كل آية بهما ،فذكر أنّ الآية الأولى تضمنت ذكر قوم يستدعون للإيمان ،ولم تختم أعمالهم بالكفر بدليل الآيات السابقة ، فكأنهم عقّبوا التذكير بآيات الله الإعراض وقبولهم للدين ، ولس كذلك في الآية الثانية ؛لأنها في وصف الكفار بعد يوم القيامة بدليل الآيات السابقة ،والمعنى: ذكر مدة عمره بآيات ربه ،وتطاول الأمر بزجره ووعظه ،ثم ختم ذلك بترك القبول ،و بالإعراض ،فكان هذا قولا يقال فيهم عند الانتقام منهم[1].

– مما سبق نلاحظ أنّ الإسكافي انتهج طريقا واحدا في توجيه الآيات التي تضمنت تناوبا بين حرفي العطف "الفاء" و "ثم" ؛فلفظة "الفاء" تدل على الترتيب والتعقيب ،وأن الكلام بعدها متصل ومتعلق بما قبلها ، وأنها تقع موقع الجزاء ،أما لفظة "ثم" فتدل على التراخي والانقطاع بين ما قبلها وما بعدها ،وتفيد كذلك الترتيب وهذا هو لب الاختلاف بينهما كما هو معروف عند النحاة .

المطلب الثاني: التناوب بين حروف الجر:

سنورد ضمن هذا الجزء مختلف المتشابهات اللفظية المتضمنة تناوبا في حروف الجر و التيُ جِّهت نحويا في كتاب الدرّة ثم نستجلي المنهج العام المعتمد في توجيهها:

أ– التناوب بين "الباء" و "اللام":

1– الشاهد• قوله تعالى:﴿ **قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ...** ﴾[الأعراف: 123]،و قوله تعالى في سورة طه• والشعراء•:﴿ **قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ...**﴾ ،فحصل الاختلاف بين "به" و"له"

يقول الإسكافي:«...المعنى في الآية الأولى: أظهرتم تصديقه (موسى عليه السلام) وأقدمتم على خلافي قبل أن آذن لكم فيه ،وهذا لمكر مكرتموه وسر أسررتموه لتقلبوا الناس عليّ ،فاقتضى هذا الموضع الذي ذكر فيه المكر إنكار الإيمان به ،أما الإيمان له في الموضعين الآخرين فاللام تفيد معنى الإيمان من أجله ،ومن أجل ما أتى به من الآيات ،فكأنه قال: آمنتم برب العالمين لأجل ما ظهر لكم على يدي موسى من آياته ،وفي الموضع الذي ذكر فيه من أجله وعبّر عنه باللام هو الموضع الذي قصد فيه إلى الإخبار

---

[1] – الإسكافي ،**الدرة**، ،ص:198(بتصرف).

• – هذا الشاهد يتضمن توجيها نحويا آخر يتعلق باختلاف عائد الضمير أدرج في بابه.

• – طه ،الآية :71.

• – الشعراء ،الآية: 49.

بأنه كبيركم الذي علمكم السحر ،فلذلك خُصّ باللام ،والأول خُصّ بالباء ،وقد تدل اللام على الاتباع ،فيكون المعنى: اتبعتموه لأنه كبيركم فيعمل السحر[1] .

فلما قُصد المكر الذي ظن فرعون أن السحرة قاموا به فأنكر الايمان به ، ولذلك وظف الباء الدالة على الالصاق ،أما الموضع الذي تضمن تعليل إيمان السحرة بأن موسى عليه السلام هو من علمهم به وظفت اللام والتي دلت كذلك على الاتباع.

- وقد جعل الغرناطي التعبير "بالباء" وفيما بعد "باللام" متكاملان ،لأن معناهما التصديق والانقياد ،فالباء تحرز معنى التصديق ،واللام تحرز معنى الانقياد والاذعان ،فبدئ بالباء المعطية معنى التصديق وهي أخص بالمقصود من اللام ،واقتضى الترتيب تقديمها ،ثم أعقب في باللام ،والمعنى: أصدقتموه منقادين له في دعائه إياكم إل الإيمان بما جاء عن الله ،فحصل المقصود على أكمل ما يمكن[2].

ب- التناوب بين "على" و "إلى":

سنورد ضمن هذا النوع من المتشابه نماذج من الآيات المتشابهة التي تضمنت تناوبا بين حرفي الجر: "إلى" ،و" على" ووجهت نحويا:

1- الشاهد قوله تعالى:﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ...** ﴾[الزمر: 1،2]،و قوله تعالى في نفس السورة:﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ** ﴾ [الزمر: 1،4]،،فحصل الاختلاف بين "عليك " و"إليك".

نبّه الإسكافي إلى أنه قد تقدم قوله في التفريق بين : "أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ" و" أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ"،وأنّ "على" يتضمن معنى فوق(الاستعلاء)) ،وأن يكون الوحي جاءه من تلك الجهة ،وأنّ "إلى" للنهاية (انتهاء الغاية) ،ولا تختص بجهة دون جهة ،وكذلك أكثر المواضع التي ذكر فيها إنزال القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم عُدي بعلى ومثاله قوله تعالى: ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ** ﴾ [الشعراء: 193،194]،وأكثر ما جاء ذكرا إنزاله على الناس جاء معدى بإلى كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: 174] ،وأضاف أن أي موضع قيل فيه "أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ" فقد شدّد فيه التكليف عليه، ونزل منزل أمته فيما يجب على عالِمهم تبيينه لمتعلمهم ،كقول تعالى : "إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ

1- الإسكافي ، **الدرة** ،ص:130(بتصرف)

2- الغرناطي، **ملاك التأويل**، مصدر سابق،ص:220(بتصرف).

الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ" ،فقد أمر بإخلاص العبادة ،والمراد هو وأمته، فكان المراد في المواضع التي استعملت فيها "إلى" أنه تناهى إلى حيث لا متعدي وراءه من عالم سنة مقصورة عليه ،وكل موضع عُدي فيه الإنزال بعلى ،فإن المراد به: أنه شرفك وأعلى بذلك ذكرك لتؤدي ما عليك ،فمن قبل فحظه أصاب ،ومن أعرض فنفسه أوبق ،ويكون فيه تهديد لمن ترك القبول كقوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ**﴾ [الكهف: 1]،ثم قال : ﴿ **قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ..** ﴾ [الكهف: 2].[1]

– من خلال هذا التوجيه ،فقد فرّق الإسكافي بين التعدي ب"على" ،والتعدي ب"إلى" حسب معنى كل منهما ،ذلك أن الأولى تدل على الاستعلاء ،والشرف إن أدي ما بعدها ،وعلى التهديد إن لم يؤدى ، وتدل "إلى" على انتهاء الغاية .– وقد أشار الزجاجي(**ت340هـ**) لمعاني الحرفين ،فذكر أن "على" للاستعلاء كقولنا: أمررت يدي عليه ،وتكون اسما وحرفا وفعلا ، وتكون "إلى" لمنتهى الغاية ،كقولنا: إنما أنا إليك ،أي: أنت غايتي[2]

– وصنف المرادي معاني كل من "على" و"إلى" إلى ثمانية ،وذكر أن أول معاني "إلى" وأصل معانيها انتهاء الغاية في الزمان، وأول معان على" الاستعلاء [3].

– وأضاف الكرماني أن كل موضع خاطب النبي بقوله :" أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ" ففيه تخفيف ،وكل موضع خوطب فيه ب أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ" ففيه تكليف[4].

– وذكر ابن جماعة أنه حيث قُصد تعميمه و تبليغه وانتهائه إلى عامة الأمة قال "إليك" ، وحيث قُصد تشريفه وتخصيصه صلى الله عليه وسلم قيل "عليك" ،وذلك لأن "على" مشعرة بالعلو ،فناسب أول ما جاءه به هو وأمته ،ولأن "إلى" لا تختص بجهة معينة ،ووصوله إلى الأمة كذلك لا يختص بجهة معينة[5]

2– الشاهد قوله تعالى:﴿ **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾[البقرة:136]،و قوله تعالى:﴿ **قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى**

---

[1]– الإسكافي، **الدرة** ،ص: 275،276(بتصرف).

[2] – الزجاجي، **حروف المعاني** ،مصدر سابق ،ص: 65(بتصرف).

[3] – المرادي ،**الجنى الداني**، مصدر سابق ،ص: 385، وص:470(بتصرف).

[4] – الكرماني، **أسرار التكرار**، مصدر سابق، ص: 184(بتصرف).

[5] – ابن جماعة ،**كشف المعاني**، مصدر سابق، ص:312،313(بتصرف).

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: 84]،،فحصل الاختلاف بين "إلينا " و"علينا".

يقول الإسكافي غي توجيه ذلك: المختص المشار به إلى الفرق بين الموضعين في "عل" و "إلى" أن أول الآية الني اختصت بها "على": "قُلْ آَمَنَّا بِاللَّهِ" ،وأول الآية التي اختصت بها "إلى ": "قُولُوا آَمَنَّا بِاللَّهِ"، وشرح ذلك أن "على" موضوعة لكون الشيء فوف الشيء ومجيئه من علو ،فهو مختص من الجهات الست كلها بجهة واحدة ، و"إلى" للمنتهى ،ويكون المنتهى من الجهات الست كلها ،فإن توجه نحو الشيء شيء من عن يمينه أو عن شماله أو قدامه أو من ورائه أو من فوقه أو من تحته ،فإنه إذا بلغه يقال فيه : انتهى إليه فلا يتخصص "إلى" بجهة واحدة كما يتخصص "على" ،فقوله تعالى: "قُولُوا آَمَنَّا بِاللَّهِ" اختيرت فيها "إلى" لأنها مصدرة بخطاب المسلمين ،فوجب أن يختار له "إلى" أولى من اختيار "على" ،ولما كانت في سورة آل عمران قد صدرت الآية بما هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى: "قُلْ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا..." كانت "على" أحق بهذا المكان ،لأن الوحي أنزل عليه ،وفي لفظ " أُنْزِلَ" دلالة على انفصال الشيء من فوق ثم انتهى من عندهم إليهم أسفل ،وأن يقرب إليه ما يشاء كله فيما يستحقه من المعنى أولى ،وإن كان القرآن قد نطق بجميع ذلك في الأنبياء وفي غيرهم كقوله تعالى: ﴿ **نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ...** ﴾ [آل عمران: 3] ،وفي موضع آخر : ﴿ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ...** ﴾ [المائدة:48] ،فالمنزل على الأنبياء منته إليهم فلذلك صحت "إلى" إلا لأن على أصلها – إذا قصد الإيضاح بالمعنى- أن تستعمل فيمن نزل الوحي عليه ،وشركة الأمة في اللفظ مجاز لا حقيقة ،وإلى" في ذكر الإنزال المتعلق بأمم الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه أشبه بحقيقة معناها "من على" ،فلذلك خصنا في الموضعين بالفظين المختلفين ،وجعل ما بعدها يجري مجراهما كما يجب في حكم الاتباع(العطف) [1].

وخلاصة هذا التوجيه أن "على" تدل على الاستعلاء وتختص بجهة واحدة ،وفيه إشارة للإنزال من أعلى إلى أسفل ،وتدل كذلك على انتهاء الغاية ،ولما كان الخطاب في الآية الثانية للنبي صلى الله عليه وسلم وظفت "**على**" على هذا الأساس ،أما الآية الثانية فالخطاب فيها للمسلمين فلذلك وظفت "إلى" الدالة على انتهاء الغاية ،ذلك أن الكتاب ينزل على الأنبياء ثم ينتهي للمسلمين ،وهذا الإنزال حقيقي ومعناه "من على" ،ولما يشترك انزال الوحي للنبي مع أمته توظف "إلى" كذلك.

---

[1] – الإسكافي، **الدرّة** ،ص:27،28(بتصرف).

ت- التناوب بين "عن" ، و "من":

الشاهد قوله تعالى:﴿ **فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ** ...﴾[المائدة:13]،و قوله تعالى في نفس السورة:﴿ ...**سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ** ...﴾ [المائدة: 41] ،فحصل الاختلاف بين :عَنْ مَوَاضِعِهِ " و" مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ".

أشار الإسكافي أثناء توجيه هذا الشاهد للاستعمال "عن" في كلام العرب ، فذكر أنها موضوعة لما عدا الشيء(المجاوزة) ،فيقال: أطعمه عن جوع وكساه عن عري ،ثم ذكر أن "عن" لها نفس المعنى مع "بعد" ،لأنه يمكننا القول: أطعمه بعد جوع وكساه بعد عري، وفرّق بينهما ،بأنّ "عن" تدل على أن الشيء يجاوز إلى غيره ويكون ملاصقا له زمنه لزمنه ،وبهذا فيكون المراد بالمثال السابق: أطعمه عن جوع وسقاه عن عطش ،أنه لما عطش سقاه ،ولما جاع أطعمه، أمّا "بعد" فإنها توظف لما تأخر زمانه عن زمانه بأزمنة كثيرة وبزمن واحد.

و لما بيّن معاني كل من اللفظتين ،وّجه كل آية وفق ما ذكر ، فالآية الأولى نزلت في اليهود الذين رّفوا ما أنزل إليها بالتأويل ومن جهة التنزيل كذلك ،فكانوا يعدلون بالكلم تأويله الذي له ،وتنزيله الذي جاء عليه إلى غيره مما هو باطل.

أما الآية الثانية فيقوم من اليهود كذلك أخبر تعالى عنهم بأنهم سمّاعون لما يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكذبوا عليه بخلافه ،وينقلوه لقوم آخرين ، ومعنى: "**مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ**" يحتمل معنيين:

أحدهما: يراد به من بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ليجعلوه خلاف ما سمعوه منه ،ليسهل كذبهم بعدها ،وذلك بعد مرور أزمنة كثيرة.

ثانيهما: ما ذهب به أكثر أهل التفسير• أنه في قوم أرسلوا هؤلاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم في قصة زان محصن ،فقالوا لهم: إن أفتاكم محمد بالجلد فخذوه ،وإن أفتاكم بالرجم فلا تقتلوه وقيل :،فقالوا: إن أفتاكم محمد بالدية فاقبلوه وإن أفتاكم بالقصاص فاحذروه، وكانوا حرّفوا في القولين حكم الله تعالى الذي في التوراة من بعد أن علموا به في مواضعه ، ولم يحرّفوه ساعة نزوله وجوب العمل به.[1]

وفسّر ابن عاشور هذا الشاهد بجعله الآية الأولى في وصف اليهود كلهم ،وتحريفهم في التوراة ،هو تغيير كلام التوراة بكلام آخر ،عن جهل أو قصد أو خطأ في تأويل معاني التوراة ،أو في ألفاظها ،فكان إبعاد للكلام عن مواضعه ،أي إزالة للكلام الأصلي سواء عوّض بغيره أم لم يعوض ،وفي الآية الثانية فهي في ذكر طائفة من اليهود أبطلوا العمل بكلام الله الثابت في التوراة ،لما ألغوا حكم الرجم الثابت دون تعويضه بغيره من الكلام ،فكان هذا أشد جرأة من التحريف الأول ،فكان قوله "من بعد مواضعه" أبلغ في تحريف الكلام ، لأن لفظ "بعد" يقتضي أن مواضع الكلام مستقرة، وأنه أبطل العمل بها مع بقائها قائمة[2].

فدَلّت "عن" عن مجاوزة الشيء لشيء آخر مختلف ،والمعنى مجاوزة اليهود التوراة وما أنزل فيها من حكم الله إلى تأويلها وتحريفها كذبا ، ودلت "من بعد" على مجاوزة الشيء الأصلي لغيره مع الفارق الزمني بينهما .

• سبب نزول هذه الآية ما رواه أبو داوود والواحدي والطبري أن اليهود اختلفوا في حد زنى المحصن بين الرجم والجلد والتحميم(تلطيخ الوجه بالسواد تمثيلا به)،فاحتكموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وقالوا :إن حكم بالتحميم قبلنا حكمه ،وإن حكم بالرجم فلا نقبل، فقال رسول الله لأحبارهم: "ما تجدون في التوراة على من زنى إذا أحصن ؟" فقالوا: يحمم ويجلد ،ويُطاف به، فكذبهم رسول الله وأعلمهم بأن حكم التوراة هو الرجم ،فأنكروا، فأمر بالتوراة أن تنشر ،وجعل بعضهم يقرأها ويضع يده تحت آية الرجم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"ارفع يدك " فرفع يده ،فإذا تحتها آية الرجم ،فقال رسول الله :"لأكونن أول من أحيي حكم التوراة"، فحكم بالرجم ،ينظر :الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير** ،مصدر سابق، ج6،ص:195(بتصرف).

1- الإسكافي، **الدرّة** ،ص:66،68(بتصرف).

2 - الطاهر بن عاشور ،**التحرير والتنوير** ،مصدر سابق، ج6،ص:200(بتصرف).

ث- التناوب بين "اللام" ، و "إلى":

الشاهد قوله تعالى:﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾[لقمان:29]،و قوله تعالى في سورة الزمر:﴿ ... **وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى**...﴾ [الزمر: 5] ،فحصل الاختلاف بين : "**إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى** " و" **لِأَجَلٍ مُسَمًّى** ".

قال الإسكافي: «...إنّ معنى قوله: "**يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى**" يجري لبلوغ أجل مسمى ، وقوله :" **يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ** "معناه: لا يزال جاريا حتى ينتهي إلى آخر وقت جريه المسمى له ، وإنّما خصّ ما في سورة لقمان ب"إلى" التي للانتهاء ،و"اللام" تؤدي معناها لأنها تدل على أنّ جريها لبلوغ الأجل المسمى ،لأن الآيات التي تكتنفها آيات منبهة على النهاية والحشر والإعادة ،فقبلها: ﴿**مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ**...﴾[لقمان:28]،فكان المعنى: كل يجري إلى ذلك الوقت ،وهو الوقت الذي تُكوّر فيه الشمس وتنكدر فيه النجوم كما أخبر تعالى، وسائر المواضع التي ذكرت فيها "اللام" إنّما هي في الإخبار عن ابتداء الخلق ،فاختص ما عند ذكر النهاية بحرفها ،واختص ما عند الابتداء بالحرف الدال على العلة التي يقع الفعل من أجلها»[1].

- وأشار الكرماني لنفس التوجيه ،فذكر أنّ "إلى" متصل بآخر الكلام ،ودال على الانتهاء ، والام متصل بأول الكلام ،ودال على الصلة[2].

- وفصّل الزمخشري في الفرق بين الموضعين فقال: ..فإن قلت: يجري لأجل مسمى ،ويجري إلى أجل مسمى أهو من تعاقب الحرفين؟ قلت: كلا ،ولكن المعنيين ،أعني الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض ؛لأنّ قولك: يجري إلى أجل مسمى: معناه يبلغه وينتهي إليه ، وقولك: يجري لأجل مسمى: تريد يجري لإدراك أجل مسمى ،فتجعل الجري مختصا بإدراك الأجل المسمى ،ألا ترى أن جري الشمس مختص بآخر السنة ،وجري القمر مختص بآخر الشهر ،فكلا المعنيين غير ناب به موضعه[3].

---

[1] - الإسكافي، **الدرّة** ،ص:257،258(بتصرف).

[2] - الكرماني، **أسرار التكرار**، مصدر سابق،ص:170(بتصرف).

[3]- الزمخشري، **الكشّاف**، مصدر سابق، ج5،ص:22،23(بتصرف).

– وأشار السامرائي إلى توجيه الإسكافي ،فذكر أنه يُراد ب"الام" التعليل ،والمعنى كل يجري لبلوغ الأجل ،أي: كل يجري لهذه الغاية ،كما تقول: كلهم يجري لوصول الهدف وبلوغه ،وأما ما جاء ب"إلى" فهو يفيد الانتهاء[1].

– وقد تأتي اللام كثيرا بمعنى "إلى" ،مثل قوله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ...** ﴾[آل عمران:193] ،والمعنى ينادي إلى الايمان ،ومثله قوله تعالى : ﴿...**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا...** ﴾[الأعراف:43] ،فلا خلاف فيه أنّ التقدير: هدانا إلى هذا[2]

– نلاحظ أن هناك اتفاقا في توجيه حرف الجر "إلى" بأنه دال على انتهاء الغاية ،و اختلافا في توجيه حرف الجر "اللام" في دلالته على الابتداء ،أو الاختصاص ،أو التعليل ، وكل تلك المعاني واردة ولا تتعارض مع المعنى الاجمالي للآيات.

ج–التناوب بين :"الباء" ،و"مِن":

– الشاهد• قوله تعالى:﴿ ...**فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾[البقرة:234] ،وقال تعالى في نفس السورة : ﴿ ...**فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾[البقرة:240]

يقول الإسكافي إن معنى قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ...**﴾[البقرة:234] ،**أي**: لا جناح عليكم في أن يفعلن في أنفسهن بأمر الله ،وهو ما أباحه لهن من التزوج بعد انقضاء العدة ،فالمعروف هنا أمر الله المشهور ،وهو فعله وشرعه الذي شرعه وحث عليه عباده ،فجاء المعروف معرفا لأن المعنى الوجه المعروف المشهور الذي أباحه الشرع ،فعُرف لذلك وخص بالباء وهي للإلصاق ،أما قوله تعالى: " **فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ**" فمعناه من جملة الأفعال التي لهن أن يفعلن من تزوج أو قعود ،فالمعروف هنا فعل من أفعالهن يعرف في الدين جوازه ،وهو بعض ما لهن أن يفعلنه[3].

---

[1] – السامرائي، **معاني النحو**، مصدر سابق، ج3،ص:65 (بتصرف).

[2] – الزجّاجي ،**كتاب اللامات** ،تح مازن المبارك ،دار الفكر، دمشق ،1985،ط2 ، ص:**143**(بتصرف).

• – تضمن هذا الشاهد توجيها بلاغيا ذكر في بابه(تعريفا وتنكيرا).

[3] – الإسكافي ،**الدرة** ،ص:41(بتصرف).

فتعريف لفظة "المعروف" المقترنة "بالباء" في الآية الأولى دل على أنّ "الباء" حملت معنى الالصاق ،ودلت على شرع الله المشهور في هذه الحال ،أما تنكير لفظة "المعروف" المقترنة ب "مِن" فحملت به "مِن" معنى التبعيض ،أي: بعض ما أمر به الشرع من الزواج أو القعود .

المطلب الثالث: التناوب بين الحروف المختلفة

أ–التناوب بين "الواو" و "إنّ":

– الشاهد قوله تعالى:﴿ **يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ** ﴾[البقرة: 276]،و قوله تعالى:﴿ ... **إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا الَّذِينَ يَبْخَلُونَ** ...﴾ [النساء: 37،36] ،و قوله تعالى:﴿ **وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا** ﴾ [النساء: 107]، و قوله تعالى:﴿ **وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ** ﴾ [الحديد: 23،24]، نلاحظ وجود حرف العطف في الآيتين من سورة البقرة وسورة الحديد ،ووجد الحرف المشبه بالفعل في الآيتين من سورة النساء، فما السر في هذا التناوب بين هذه الحروف؟

قبل توجيه هذا الشاهد نبّه الإسكافي على الفرق بين (الواو) و(إنّ)،فذكر أنّ الواو في أكثر الأحوال لا تكون أجنبية عمّا قبلها بخلاف (إنّ)،فإنها كلمة أجنبية من الكلمتين وضعت لابتداء الكلام، ثم وجّه هذا التشابه على أساس هذا الفرق ،فذكر أنّ الكلام في سورة البقرة وسورة الحديد متصل ببعضه ،فذكرت (الواو) في سورة البقرة(الشاهد)، كذلك في سورة الحديد (الشاهد) ،وبرر لذلك بأنّ الاختيال والفخر إنما يكونان في سياق الفرح فهما متلازمان ؛لذلك جمع بينهما ب(الواو)، أما الموضعان من سورة النساء فلأنّه قد تم الكلام فيهما ،ولأن في الأول أمرهم بالعبادة وترك الشرك والإحسان للوالدين وذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والجار وملك اليمين ،فلما تمت هذه الأوامر ، ابتدأ بقوله: "إِنَّ اللَّهَ..."الآية وكذلك الموضع الثاني ،لأنه نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن المجادلة عن الذين يختانون أنفسهم فأتم الكلام ،ثم قال: "إِنَّ اللَّهَ..."الآية ،فاختص كل مكان بما يناسبه[1].

فتم توجيه هذا الشاهد على أساس أنّ من وظائف حرف العطف "الواو" الجمع بين المتعاطفين ،فالكلام قبلها مرتبط بما بعدها ،وقد أشار السامرائي لذلك بأنّ "الواو" لمطلق الجمع ،وليست للترتيب ،غير أنه لا

[1] –الإسكافي، الدرّة، ص:43،42 (بتصرف)

ينبغي أن يفهم أنه لمطلق الجمع بين المتعاطفين دون مناسبة و رابط، بل لابد من رابط بينهما ،فلا يصح قولنا: رأيتُ محمدا وجبلا، ،بل لابد من رابط بين المتعاطفين ولاسيما في الجمل[1].

- وقد وافق السيوطي نفس توجيه الإسكافي ؛ولكن توجيهه كان مجملا بلا تفصيل ،فذكر أنّ آيتي البقرة والحديد مبناهما على الاتصال ،الذي هو من مقتضيات الواو ،والكلام فيهما متصل بعضه ببعض، وآيتي النساء مبناهما على الانفصال الذي هو من مقتضيات "إنّ" ،لأن الكلام قد تم عند آخر الأمر والنهي[2]

- يمكن القول أنّ الحكمة من وراء هذا التناوب بين حرفي "الواو" و "إنّ" تتمثل في وظيفة كل منهما ضمن السياق العام لكل آية ؛ فلما كان الكلام قبل "الواو " مرتبط بما بعده ويدخل ضمن إطاره ويلازمه وجب ربطه بحرف يجمع بين المعنيين فكان "الواو" ،أما لما انتهى الكلام في الآية الثانية(مجموعة الأوامر) ،واستأنف كلام آخر مغاير كان لابد من توظيف حرف آخر يؤدي ذلك المعنى فكان حرف "إنّ".

ب- التناوب بين حرفي النفي: لا ،لن:

الشاهد قوله تعالى: ﴿... **فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ** ...﴾[البقرة:95،94] ،وقوله تعلى في سورة الجمعة: ﴿ **فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ** ﴾[الجمعة:7،6].

وجّه الإسكافي الاختلاف الحاصل بين الآيتين بحسب خصوصية الحرفين "لن" و"لا" ، فذكر أنّ "لن"تفيد القطع والبتات ثم ربط هذا المعنى بمضمون الآية الأولى ،فذكر أنها لما كانت مفتتحة بشرط عُلقت صحته بتمني الموت ،ووقع هذا الشرط غاية ما يطلبه المطيع ،ولا مطلوب وراءه ما ادعوه لأنفسهم ،وهو أن لهم الدار الآخرة خالصة من دون غيرهم ،ووجب أن يكون ما يبطل تمني الموت المؤدي إلى بطلان شرطهم أقوى ما يستعمل في بابه وأبلغه في معنى ما ينتفي شرطهم به ، فكان ذلك بلفظ "لن" التي هي للقطع ، ثم أكد ذلك بقوله: " **أَبَدًا**" ،ليبطل تمني الموت الذي يبطل دعواهم بغاية ما يبطل به مثله ، لأنه ليس بعد حصول الدار الآخرة خالصة لأمة من الأمم مقترح لمقترح و لا مطلب لمطلب ، أما سورة الجمعة فلم تتضمن هذا الشرط،لأنه قال قبله: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ**

---

[1] - فاضل صالح السامرائي، **معاني النحو**، مصدر سابق ،ج3،ص:223

[2]- جلال الدين السيوطي ،**قطف الأزهار في كشف الأسرار** ،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،قطر،1994،ط1،ج1،ص:529(بتصرف).

لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ..﴾[الجمعة:6] ،وليس زعمهم أنهم أولياء لله من دون الناس المطلوب الذي لا مطلوب وراءه ؛لأنهم يطلبون بعد ذلك إذا صح لهم هذا الوصف دار الثواب ،فلما كان الشرط في هذا المكان قاصرا عن الشرط الأول لم يحتج في نفيه وابطاله إلى ما هو غاية في بابه فوقع الاقتصار على "لا" وليس في نفيه معنى التأبيد ،فلم تذكر " " **أَبَدًا**"،فكان الأول أوكد وأبلغ ،لأن لفظ الاسم والفعل للتأبيد ؛فافترقا الموضعين[1].

– لقد نحى الأنصاري(**926ه**) نفس منحى الإسكافي في توجيهه لهذا الشاهد ، فذكر أنّ "لن" أبلغ في النفي من "لا"، حتى قيل إنها لتأبيد النفي، ودعواهم في البقرة بالغة قاطعة ،وهي كون الجنة لهم بصفة الخلوص، فناسب ذكر "لن" فيها ،ودعواهم في الجمعة قاصرة مردودة وهي زعمهم أنهم أولياء الله ،فناسب ذكر "لا" فيها[2]

– وهذه الآية نزلت في اليهود الذين ادعوا أن الله حباهم بالجنة ولبنيهم فقط من دون الناس فراهنهم الله على ادعائهم ذاك بأن يتمنوا الموت إن كانوا فعلا يحبون الجنة ،لأنه من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاقها ، ثم رد بأنهم لن يتمنوا الموت أبدا ،وقد روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم ""لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا و لرأوا مقاعدهم من النار "فكان في قوله تعالى: "**لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا**" دليل على كذبهم وصدق نبوءة رسولنا صلى الله عليه وسلم لأنه عرف سر ادعائهم[3]

– فإذا علمنا أن حرف "لن" يدل على النفي للمستقبل ،و حرف "لا" يدل على النفي للحال والمستقبل حسب الزجاجي[4] (ت **340ه**)،وبالجمع بين آراء المفسرين يتبين لنا أن توجيه الآيتين تم حسب معنى حرفي النفي وسياق الآيتين ،فدلت "لن" على النفي القاطع والمؤبد للمستقبل فناسبت سورة البقرة لآن سياقها تعلق بتمني السعادة القصوى المستحيلة في المستقبل وذلك لما ظن بنو إسرائيل أن الله تعالى سيخصص لهم الدار الآخرة لهم فقط من دون الناس قاطبة وهو أمر مستحيل الحدوث ، تطلب نفي ذلك توظيف حرف يدل على النفي القاطع والمؤبد والذي لا أمل فيما بعده ،فكان حرف النفي "لن" وإضافته للفعل "يتمنون" وإضافة الاسم بعهدها "أبدا" ؛ بينما دلَّ حرف "لا" على النفي العام والدال على الحال والمستقبل ،فناسب سورة الجمعة ،التي لم تتضمن النفي المطلق والأبدي لأنها مرتبطة

---

[1] - الإسكافي ،**الدرّة** ،ص: 19(بتصرف).

[2] - **أبو زكريا** الأنصاري ،**فتح الرحمان** ،مصدر سابق،ص:34 (بتصرف).

[3] – ينظر: البيضاوي ،**تفسير أنوار التنزيل** ، مصدر سابق ، ص:95 ، أبو حيّان الأندلسي (ت 745ه)، **تفسير البحر المحيط** ، تح عادل أحمد عبد المجود وآخرون ، دار الكتب العلمية ،بيروت،1993، ط1، ج1،ص:478.

[4]– الزجاجي، **معاني الحروف** ،مصدر سابق،ص:8.

بطلب غير مستحيل الحدوث ،وكونه يحتمل أمرا آخر ،فلم يحتج هذا الموضع للنفي القاطع المطلق ، فوظفت اللفظة "لا" ؛و لأن الولاية أقل درجة من خلوص الجنة، وأغلب المعتنين بتوجيه المتشابه اللفظي وافقوا ما جاء به الإسكافي – خاصة الكرماني ،وابن جماعة وأبو زكريا الأنصاري– وزادوا عليه بشيء من التفصيل وذكر أسباب النزول .

ت– التناوب بين "اللام" و "أن"

سنورد ضمن هذا النوع من التشابه ثلاثة نماذج تضمنت تناوبا بين حرفي "أن" و "اللام":

1– الشاهد قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ**﴾[الزمر:11،12] ،فصل للاختلاف بين :" **أُمِرْتُ أَنْ**"، "**وَأُمِرْتُ لِأَنْ**".

– ذكر الإسكافي ن القصد في الأمر الثاني غير القصد ف الأمر الأول ؛لأنّ الأمر الأول يتعدى إلى العبادة ، والثاني معناه: إنما أمرتُ بإخلاص العبادة لله ،وبُعثتُ رسولا ،لأن أكون أول من يبدأ بطاعة الله وعبادتها على الاخلاص المطلوب، فاللام ليست مقحمة• على ما ذهب إليه كثير من النحويين [1].

– ووجّه ابن جماعة هذا الشاهد بنفس توجيه الإسكافي، فذكر أنّ اللام هنا لام الأجل (السبب) ،وذكر أن الأمر الأول كان بالإخلاص في العبادة ،والثاني أمره بذلك لأجل أن يكون أول المسلمين بمكة[2]

– وفسّر الزمخشري هذا الشاهد بنفس توجيه الإسكافي ،فذكر أنّ المعنى: أُمرتُ بإخلاص الدين ،وأُمرتُ بذلك لأجل ،أي: مقدمهم وسابقهم في الدنيا والآخرة ،والمعنى: أنّ الاخلاص له السبقة في الدين ،فمن أخلص كان سابقا ،فإن قلتَ كيف عُطف "أمرتُ" على "أُمرتُ" وهما واحد ؟ قلتُ ليسا بواد لاختلاف جهتيهما ،وذلك أت الأمر بالإخلاص وتكليفه شيء ،والأمر به ليحرز القائم به نصب السبق في الدين شيء ،والمعنى: أن أكون أول الذين دعوتهم إلى الاسلام ،وأن أكون أول من دعا نفسه إلى ما دعا إليه غيره[3].

• **اللام المُقحمة** :هي اللام الواقعة بين المضاف والمضاف إليه ،وتأتي في موضعين :النداء ،كقولنا: يا بؤس للحرب ،فاقمت اللام تقوية للاختصاص، والنفي ،كقولنا: لا أبا لك ،قال سيبويه: أدخلوا اللام ها هنا بين المضاف والمضاف إليه مشددة معنى الإضافة ومؤكدة له، ينظر: عبد الهادي الفضلي ، **اللاّمات دراسة نحوية شاملة في ضوء القراءات القرآنية** ،دار القلم ،بيروت،1980،ط1،ص:88(بتصرف).

[1] – الإسكافي ،**الدرة** ،ص:276،277(بتصرف).

[2] – ابن جماعة ،**كشف المعاني** ،مصدر سابق،ص:314،315(بتصرف).

[3] – الزمخشري ،**الكشّاف** ،مصدر سابق، ج5،ص:215(بتصرف).

- و قد فصّل الزجاجي في هذه اللام ،وذكر أنها ترجع إلى معنى واحد ،وذكر أنه ليس في العربية موضع تدخل فيه اللام بين المضاف والمضاف إليه من غير فاصلة بينهما إلا ف النفي والنداء من كثرة النفي والنداء في كلامهم ،فلما كثر النداء في كلامهم أجازوا تغييره وبناؤه على الضم إذا كان مفردا ،وحذف التنوين منه وترخيمه ،وزيادة الكلام فيه بين المضاف والمضاف إليه[1].

وتفصيل الزجاجي للأحكام اللام المقحمة وأنها كثيرا ما تكون في النداء والنفي يثبت توجيه الإسكافي في أنها هنا ليست اللام المقحمة لأن الآية لا تتضمن نداء ولا نفياً ،ويمكن الخروج بنتيجة أنّ "اللام" دلَّت في الآية الثانية على السببية والسبق والأولية في الإخلاص و العبادة ، وليس اللام هنا زائدة أو مقحمة ،ودلّت أن على تعدي فعل الأمر للإخلاص في العبادة.

2- الشاهد قوله تعالى: ﴿...**وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾[التوبة:54،55]،وقوله تعالى في نفس السورة: ﴿ **وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ** ﴾[التوبة: 58]،فصل الاختلاف بين: "**لِيُعَذِّبَهُمْ**" و " **أَنْ يُعَذِّبَهُمْ**".

ذكر الإسكافي أنّ معنى **لِيُعَذِّبَهُمْ**" إنما يريد الله أن يزيد نعمائهم بالأموال والأولاد ليعذبهم بها في الحياة الدنيا ،فمفعول الإرادة محذوف ،و"اللام" للصيرورة• ،أما معنى " **أَنْ يُعَذِّبَهُمْ**" فيختلف عن الأولى ؛لأنه إخبار عن قوم ماتوا وانقرضوا بالنفاق ،فلم تتضمن الآية مفعولا ،والمعنى أن يزيد في نعمائهم لانقطاع الزيادة بالموت عنهم ،فعُديت الإرادة إلى ما آل إليه حالهم من تعذيبهم ،وصار المعنى: إنما يريد الله في حال إنعامه عليهم تعذيبهم به في الدنيا ،فافترق الموضعان ،إذ كان أحدهما خبرا عن قوم معرضين لزيادة إنعام الله عليهم ،والآخر خبرا عمن انقطعت أعمالهم وبلغت نعمة الله عليهم غاية لا مزيد فيها لهم ،والله يريد تعذيبهم بذلك بعد كفرهم ومقامهم علة النفاق[2] .

---

[1] - الزجّاجي ،**كتاب اللاّمات** ،مصدر سابق، ص: 108،109(بتصرف).

• **لام الصيرورة**: لام العاقبة ،وتسمى لام الصيرورة ،ولام المآل أيضا ،وهي الدالة على العاقبة ،وتدخل على الأفعال ناصبة ،كقوله تعالى : ﴿**فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا...** ﴾[القصص:8]،وتدخل على الأسماء كقوله تعالى: ﴿ **...وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ...**﴾[هود:119] ،أي: خلقهم ليصير أمرهم إلى الاختلاف ،ينظر: عبد الهادي الفضلي ، **اللامات** ،مصدر سابق ،ص:79(بتصرف).

[2] - الإسكافي ، **الدرّة** ،ص:142،144(بتصرف).

– وربط الغرناطي ومن بعده السامرائي زيادة "اللام" في الآية الأولى بالسياق ،وذلك لأنها في سياق إنفاق الأموال والخطاب للمنافقين ،ثم وُجّه للرسول صلى الله عليه وسلم ،فزاد "اللام" لزيادة الاختصاص وتوكيده ،أما الآية الثانية فلم تتضمن التوكيد ،فحُذفت "اللام" [1].

3– الشاهد قوله تعالى: ﴿ **يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾[التوبة:32]، وقوله تعالى: ﴿ **يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾[الصف:8]، فتعدى الفعل " **يُرِيدُونَ** "في الآية الأولى ب "أن" وفي الثانية ب"اللام".

قبل توجيه هذا الشاهد ،بيّن الإسكافي أولا ما معنى كلمة "الحق" و معنى كلمة "الباطل" ،ومعنى كلمة "النور" ،فذكر أن الحق معناه: نور الله ،لأن حججه وبراهينه تُضيءُ لطالبه فيهتدي بها إليه ،والباطل هو قول اليهود والنصارى بأفواههم بأن عزير والمسيح ابني الله – تنزّه الله تعالى عن ذلك- ،وأما النور فإما هو الآية المنيرة والحجة الساطعة ،أو القرآن الكريم ،أو الرسول صلى الله عليه وسلم .

– وبعد توضيح الإسكافي لمفهوم المفردات المتضمنة في الشاهد ،بيّن المقصود من كل آية ، فذكر أن الارادة متعلقة في الآية الأولى بإطفاء نور الله ،وذلك بمحاولة اليهود والنصارى دفع الحق ،وهو ما أخبر به تعالى من قبل ،وهو قول لا حقيقة له ولا يدفع الحق بالأفواه ،ولا يطفأ هذا النور كما يطفأ السراج، وقد تعدى الفعل "يطفئوا" بأن وهو على الأصل ،أما الآية الثانية والتي تعدى الفعل فيها ب"اللام" ،فذكر الإسكافي في توجيهه أن النحويين لهم مذهبين في ذلك:

أولهما: أن الفعل تعدى باللام لكثرة ما تنوب هذه اللام عن "أن" ؛فلاشتهار "اللام" بنيابتها عن "أن" وقيامها مقامها في الموقع كان تعدي الفعل إليها مع ما بعدها من الفعل كتعديه إلى "أن" ،فيقال: قصدتُ أن تفرحَ ،وقصدتُ لتفرح ،وهذا لا يكون إلا على سبيل التوسع دون الحقيقة.

ثانيهما: وهو مذهب المحققين ،ويرى أصحابه أنّ الفعل تعدى إلى مفعول محذوف تقديره :"يريدون أن يكذبوا ليطفئوا نور الله بأفواههم" ،فكانت اللام الداخلة على الفعل "يطفئوا العلة التي أنشئ الفعل

[1] – ينظر: الغرناطي ،**ملاك التأويل** ،مصدر سابق ،ص232 ، و السامرائي ،**معاني النحو** ،مصدر سابق، ج3،ص: 71،72 (بتصرف).

،وحذف المفعول به للفعل "يريدون" لأنه نبّه عليه سابقا بقوله: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ...** ﴾[الصف:6]،،والتقدير : يريدون افتراء الكذب ليطفئوا نور الله ،ومثله قول الشاعر•:

أردتُ لكيمَا يعلمُ الناسُ أنها   سراويلُ عاديّ نَمتهُ ثمودُ

والمعنى: أردتُ أن أنزع سراويلي ليعلم الناس إذا رأوا طولها أنها على عادي القامة ثمودي الخلقة ،لذلك خُصت الآية الثانية ب"اللام" ،ولما كان المراد في الآية الأولى الإطفاء بالأفواه وهو ما دلت عليه الآيات السابقة : ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ...** ﴾ [التوبة:30]؛ لذلك كانت الارادة معداة إلى إطفاء نور الله بأفواههم ،وهو ما حكى الله تعالى عنهم أنه قولهم بأفواههم ،أي: يريدون أن يدفعوا الحق بالباطل من أفواههم [1].

– فتم توجيه التناوب بين حرفي "أن" و"اللام" ،بأن الأولى وردت على الأصل في تعدي الفعل بها ،والثانية لها توجيهان ،أحدهما أنها كثيرا ما تنوب عن "أنّ في التعدي ، والثاني أنها وردت مبررا وعلة لمفعول به محذوف .

• البيت لقيس بن سعد بن عبادة ،وحكايته: أنّ ملك الروم وجّه لمعاوية بأنّ الملوك تراسل منا ،ويجتهد بعضهم فيأن يغرب على بعض أفتأذنُ في ذلك؟ فأذنَ له ،فوّجه إليه رجلين أحدهما طويل جسيم والآخر أيِّد ،فقال معاوية لعمرو :أما الطويل فقد أصبنا كفأه وهو قيس بن سعد بن عبادة ،وأما الآخر الأيّد فقد احتدنا إلى رأيك فيه ،فقال :ههنا رجلان كلاهما إليك بغيض :محمد بن الحنيفية وعبد الله بن الزبير ،فقال معاوية :من هو اقرب إلينا على حال ،فلما دخل الرجلان وجّه إلى قيس بن عبادة يعلمهُ ،فدخلا على قيس ،فلما مثلَ بين يدي معاوية نزع سراويله فرمى بها إلى العلج ،فلبسها فنالت ثندوته ،فأطرق مغلوبا فحُدّثتُ أنّ قيسا ليمَ في ذلك ،فقيل له : لمَ تبذّلتَ هذا التّبذُّل بحضرة معاوية ،هلاّ وجهت إلى غيرها ؟فقال:

أردتُ لكيما يعلمَ النّاسُ أنّها   سراويلُ قيس والوفودُ شهودُ

و ألاّ يقولوا غاب قيس وهذه   سراويلُ عاديٍّ نَمَتْهُ ثمودُ

ينظر : المبرد ،الكامل في اللغة والأدب ،تح عبد الحميد هنداوي ،وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف و الدعوة والارشاد ،السعودية، (د ت) ،(د ط) ،ص:139.

[1] – الإسكافي ،**الدرّة** ،ص: 140،142(بتصرف).

ت- كاف التشبيه ودلالة اختلاف أحوالها:

الشاهد الآية من سورة آل عمران:﴿ **كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾[آل عمران:11]،و قوله تعالى: ﴿ **كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [الأنفال:52]، ،و قوله تعالى: ﴿ **كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ** ﴾ [الأنفال:54]،الشاهد الكاف في قوله: "كَدَأْبِ" ووجه اتصالها بما قبلها وموضعها من الخطاب ، خاصة وأنها بمعنى بمثل ،والأصل فيها الرفع والنصب والجر.

أجاب الإسكافي عن هذا الاشكال بحلاته الثلاث كما يلي:

1- أن تكون الكاف في موضع نصب على معنى النصب ،لأنها متعلقة بقوله تعالى: ﴿**لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ...** ﴾[آل عمران:10]،والتقدير: لم تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم مثل ما لم تغن عن آل فرعون ،أي: إذا جاء عقاب الله لم يدفعه المال والولد كما لم يدفع ذلك عن آل فرعون ،والدأب أصله الهمز وهو العادة وما جرى عليه القوم في المعاملة.

2- يجوز أن تكون الكاف متعلقة بمعنى قوله: "وَقُودُ النَّارِ" والمعنى: وأولئك يصلون النار كما جرى الله حكمه عادة لآل فرعون ،فتكون هنا في موضع جر.

3- أو تكون في موضع رفع على أنه خبر ابتداء ،والمعنى: حال هؤلاء مثلُ حال آل فرعون ودأبهم كدأبهم.[1]

المطلب الرابع الحذف والذكر في حروف المعاني:

سنورد ضمن هذا الجزء مختلف المتشابهات اللفظية التي تضمنت حذفا ،أو ذكرا في حروف المعاني(حروف العطف، حروف الجر ،حروف النفي...الخ) ،ثم نخلص للقواعد المتبعة من طرف الإسكافي في توجيه مثل هاته المتشابهات.

---

[1] الإسكافي ،**الدرة** ،ص:44،46(بتصرف).

1- الحذف والذكر في حروف العطف:

يكثر هذا النوع من التشابه في القرآن ،وسنورد بعضا من الآيات المتشابهات التي تضمنت ذلك وتم توجيهها نحويا، ثم نعطي حوصلة عامة عن منهج الإسكافي في توجيه مثل هذه المتشابهات في كتابه.

أ- حذف "الواو":

ومن أكثر الحروف التي يطالها الحذف والذكر في لقرآن الكريم حرف العطف الواو؛ وسنورد شواهد على ذلك من كتاب "الدرة" ثم نستخلص طريقة توجيهها من طرف الإسكافي:

1- الشاهد قوله تعالى:﴿ **وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[النحل:14]، و قوله تعالى:﴿**وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[فاطر:12]،فذكرت الواو في قوله تعالى " **وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ**..." في الآية الأولى ،وحذفت في الآية الثانية " **لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ**..."

- لقد انطلق الإسكافي في توجيه هذا الشاهد بذكر السياق القبلي للآية محل الشاهد وقال أنها تعداد لنعم الله تعالى التي سخَّر البحر من أجلها ،وعددَها ،من تلك النعم :اللحم الطري (السمك) ،الحلية (المرجان واللؤلؤ..)،وقد وردت كلها معطوفة على بعض ،لذلك وجب عطف النعمة الثالثة عليهما وهي: " **وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ**..." وعلل ذلك بأن المشتركات في الفعل (سخَّر) حقها أن يعطف بعضها على بعض لتستوي في تعلقها به ،وفسر أنه لكي يتيسر ذكر النعمة الثالثة كان لابد من وصف ما عليه البحر مما هيأه الله منه ليتمكن من النعمة الثالثة وهي ما يطلب من فضل الله بأنواع التجارات في البحر ونقل الأمتعة فيه من مصر لمصر آخر ،ولأن الابتغاء من فضل الله يتسهل بالسير فيه ،ولا سبيل إلى ذلك إلا بالفلك التي تشق الماء ،فقال " **وَتَرَى الْفُلْكَ**[1] **مَوَاخِرَ فِيهِ**" ،وقد أكد بأن هذه الآية ليست معطوفة على ما سبقها ولا على ما بعدها لأنها تعتبر كالجملة المعترضة ،وفسَّر ذلك بأن الخطاب فيها مفرد أما ما قبلها وبعدها فالخطاب جمع(تأكلوا ،تستخرجوا ،تبتغوا)،والمعنى في ذلك كله أنه على هذا الوصف ، وصار ما بعدها محمولا على ما قبلها فوجب عطف الثالثة عليه بالواو "**وَلِتَبْتَغُوا**" ، وعلل

---

[1]- **المَخْرُ** في اللغة الصوت الذي يكون من هبوب الريح على شيء يشق أو يصعب في الجملة الماء فيترتب منه أن يكون من السفينة ونحوها ،وهو في الآية من السفن ،ينظر: ابن عطية ،**المحرر الوجيز** ،مصدر سابق ،ج3 ،ص:383.

ذلك بأن الفعل (سخر) يقتضي إشراكه فيما دخل فيه ما قله ،ولأن (مواخر) قد فصل قوله (فيه) بينها وبين قوله "**وَلِتَبْتَغُوا** " فاجتماع كل هذا أوجب ذكر الواو ، كما وذكر أن جملة " وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ" مباينة لما قبلها وبعدها في الاعراب والعامل ،وذلك بسبب خصوصية الفعل "ترى" ،وذكر أن لها اختصاص إذا استعملت يقصد بها كون الشيء على تلك الصفة حتى إذا طلبه طالب رآه عليها ،والضمير المفرد فيها ليس مقصود لواحد بل هو خطاب عام ،ومثَّل لذلك بقوله: قولنا يا أيها الرجل ،وكلكم ذلك الرجل ،وكما قال الشاعر:

ترى الرجل النحيف فتزدريه وفي أثوابه أسد مزير[1]

فصارت هذه الجملة كالاعتراض الذي يجري مجرى المثل.

– أما الآية الثانية فقد علل الإسكافي سبب حذف الواو بأن الآية لم تبن على فعل يقتضي استيعاب ما يتعلق به كما في الأول لذلك صارت "مواخر" يليها قوله "لتبتغوا" وصح تعلق الكلام بمعنى مواخر لأن معناها :تشق الماء وتسير بأهلها والله سخرها على هذه الصفة لتبتغوا من فضله فيما جعل الطريق إليه من المنافع التي لا تنال إلا بها ،فلما اتصلت "مواخر" بقوله "لتبتغوا" ولم يحجز بينهما ظرف استغنى عن الواو لذلك ،فكأنها صارت تعليلا لها[2].

– لقد وافق الغرناطي الإسكافي في توجيه هذا الشاهد ولكن فصله بمنحى مختلف فذكر أن مقصود آية النحل تعداد النعم فناسبه عطف هذه النعم على بعض لأنه مظنة إطناب وتفصيل ،فقيل "ولتبتغوا من فضله" والمجرور هنا (لتبتغوا) متعلق بفعل التسخير واستخراج الحلية وجرى السفن والابتغاء من فضل الله ، أما آية فاطر فقد تعلق المجرور (لتبتغوا) باسم الفاعل المجموع أي سخره للابتغاء من فضله ،فالابتغاء هنا منجر طي الكلام والامتنان مقصود ،ألا ترى أن مخر السفن كأنه ليس لشيء إلا للابتغاء ،فلما تعلقت الام بمواخر من حيث تحمل اللفظ معنى الفعل لم يصح دخول الواو على المجرور فافترق القصدان[3].

---

[1] – البيت في ديوان الحماسة لأبي تمام (850/1) منسوب إلى عباس بن مرداس وهو شاعر مخضرم توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه ،وهو في الأمالي لأبي علي القالي (46،47/1)لكثير عزة (ت105هـ)،وجاء في الأمالي: أسد هصور، ينظر: الإسكافي ،**درة التنزيل**، حاشية المحقق ،ص:831.

[2] – الإسكافي ،**الدرة** ،ص:829،836(بتصرف).

[3] – الغرناطي ،**ملاك التأويل** ،مصدر سابق ،ص:296،297(بتصرف).

- وقد وافق صاحب البحر المحيط تفسير الإسكافي في أن قوله تعالى " **وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ**" جملة منفصلة عما قبلها فقال:"...أسند الرؤية إلى المخاطب المفرد فقال "وترى" وجعلها جملة معترضة بين تعليلين لتعليل الاستخراج وتعليل الابتغاء ،فلذلك عدل عن جمع المخاطب والظاهر عطف (ولتبتغوا) على التعليل قبله ،وأجاز ابن الأنباري أن يكون معطوفا على علة محذوفة ،أي لتبتغوا وأن يكون على اضمار فعل أي: وفعل ذلك لتبتغوا ،والفضل هنا حصول الأرباح بالتجارة"[1].

2- الشاهد قوله تعالى:﴿ ... **فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾[يونس:32،33]، و **قوله تعالى:**﴿... **وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ**﴾**[غافر:5،6]**،فحذفت الواو في "كذلك" في الآية الأولى ،ذكرت في الآية الثانية .

- وجّه الإسكافي هذا الشاهد بأنّ حذف الواو في الآية الأولى راجع لأن القصة بعد "كذلك" هي نفسها التي قبلها ،فهي مرتبطة بها بعودها عليها وبكاف التشبيه (في كذلك)، فاستغنت بهذين الرباطين عن حرف العطف ،فهؤلاء الذين حقت عليهم كلمة ربك أنهم لا يؤمنون هم الذين خوطبوا من قبل بقوله : ﴿**قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ** ... ﴾[يونس:31]،أمّا إثبات الواو في الآية الثانية لأنها وإن تعلقت بكاف التشبيه فإنّ المذكورين بعد "كذلك" وعيد لمن في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ،وما بعدها خبرا عن الذين كانوا قبل النبي وهي قوله تعالى: ﴿**كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ**... ﴾[غافر: 5]،فلما انقطع ما بعد "كذلك" عنا عما قبلها احتاج إلى الواو[2].

3- الشاهد الآية من سورة البقرة:﴿ **وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ**﴾ [البقرة:49]،ويقابلها في سورة إبراهيم قوله تعالى: ﴿**إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ**﴾ [إبراهيم:6]،فكان الذكر والحذف بين "يذبحون/ و يذبّحون" ،يقول الإسكافي دفعا لهذا التشاكل أن حذف الواو في سورة إبراهيم على اعتبار أنَّ " يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ" عبارة عن ضروب من المكروه غير ذبح الأبناء ،ولأنها تضمنت خبرا متعلقا بما قبله ،فعطف ارسال موسى بآياته ب "**يُذَبِّحُونَ**"،والقصة المعطوفة على مثلها تقوي معنى

[1]- أبو حيان الأندلسي ،**البحر المحيط** ،مصدر سابق،ج5 ،ص:466.

[2]- الإسكافي ،**الدرة** ،ص:151(بتصرف).

العطف فيها ،فأخبر عن موسى أنه قال لقومه كذا بعد أن أخبر عنه أنه أرسله إليهم بآياته (**أَنْجَاكُمْ**)،أما في سورة البقرة فكانت الآية اخبار عن نفسه تعالى بإنجائه بني إسرائيل(**نَجَّيْنَاكُم**)،فلا حاجة للعطف هنا"[1]

فقد وجه الإسكافي هذا التشابه بأن الواو حذفت في سورة البقرة على تقدير أن جملة "يذبحون" بدلا من جملة "يسومون" ،ولأن سياق الآية اخبار الله تعالى عن نفسه بإنجائه بني اسرائيل، أما في سورة إبراهيم ذكرت الواو على احتمال أن جملة "يذبحون" معطوفة على جملة "يسومون" ،ولأن جملة "**يسومونكم**" عبارة عن ضروب من المكروه غير ذبح الأبناء، فاحتملت الجملتين معنيين مختلفين ،كما أنها بحسب السياق متضمنة خبرا متعلقا بما قبله .وهذا ما ذهب إليه الزمخشري فقال أنه لما كان التذبيح تفسيرا للعذاب وبيانا له حذفت الواو ،وبالمقابل أثبتت الواو حين جعل التذبيح أوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كأنه جنس آخر[2].

4- الشاهد الآية من سورة البقرة:﴿ **وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا...**﴾ [البقرة:58،59]،ويقابلها في سورة إبراهيم قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا**﴾[الأعراف:161]،فكان الذكر في قوله تعالى: "وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ" ، في الآية الأولى ،وحذف الواو في قوله تعالى: "**سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ** "في الآية الثانية .

في توجيه هذا الشاهد أشار الإسكافي لمسألة مهمة في النحو ،وهذه المسألة كانت محل خلاف بين المدرستين البصرية والكوفية ،وتتمثل في أنّ الفاعل عند البصريين لا يكون إلا مفردا ،وعند الكوفيين يجوز أن يكون مفردا وجملة، وعلى هذا الأساس وجّه هذا الشاهد (كونه بصري المذهب) ،فذكر أنّ جملة " ادْخُلُوا" في محل نصب مفعول به للفعل "قُلْنَا" وأشار إلى أن المفعول به يكون مفردا ،ويكون جملة خلافا للفاعل الذي لا يكون إلا مفردا، واستدل على ذلك بقوله تعالى في سورة يوسف: ﴿**ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ**﴾ **[إبراهيم:6]** ،أنّ فاعل " بَدَا" هو البداء الذي دل عليه الفعل، لأن الفعل دال على مصدره، وفقا لما استدل به وجّه الشاهد في الآية الثانية بأن نائب الفاعل في الفعل "قِيلَ" مفرد ومحذوف ،وليس "اسْكُنُوا"؛ ووصل في الأخير للحكم وهو إذا كان "اسْكُنُوا " في الآية

1-الإسكافي، **الدرّة**، ص:9،10(بتصرف).

[2]- الزمخشري ، **الكشّاف**، مصدر سابق ،ج3،ص:364.(بتصرف).

الثانية ليس فاعلا ،وكان لفظه في موضع الفاعل ،ولم يتعلق بالفعل قبله تعلق الفاعل بفعله ،ولا تعلق المفعول بفعله كالآية الأولى فبذلك يصير منفصل عن الفعل في الحكم وإن كان متصلا به في اللفظ ،وكان جواب الأمر فيه " هو "نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ" ،ثم أشار لقاعدة نحوية مهمة وهي "أنه في حكم ابتداء ينفصل كما ينفصل ولا دليل في اللفظ على انفصاله إلا بفصل ما أصله أن يكون متعلقا به بحرف العطف وهو " "سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ "،فيكون حذف "الواو" منه استئنافه خبر مفرد .

وضمن توجيه هذا الشاهد أشار الإسكافي لخطأ أبوسعيد السيرافي• في شرحه لكتاب سيبويه ،لما قال: هذا باب أن يعلم ما الكلم من العربية " فجعل جملة "ما الكلم من العربية" موضع الفاعل من "يعلم"، وهذا ما يأباه مذهبه البصري [1].

وأشار الكرماني لنفس التوجيه بإيجاز فقال: "وفي هذه السورة "وسنزيد" ،وفي الأعراف "سنزيد" بغير الواو ؛لأن اتصالها في هذه السورة أشد ،لاتفاق اللفظين ،واختلفا في الإعراب لأن اللائق "سنزيد" محذوف الواو ليكون استئنافا لكلام[2].

5- الشاهد الآية من سورة البقرة:﴿ **وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ** ﴾ [العنكبوت:58،59]،ويقابلها في سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿ **أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ** ﴾[آل عمران:136]،فكان الذكر في قوله تعالى: " **نِعْمَ** " ، في الآية الأولى ،وحذف الواو في قوله تعالى: " **وَنِعْمَ** "في الآية الثانية .

وجّه الإسكافي هذا الشاهد على أساس أنّ سورة آل عمران مبنية على تناسق الأخيار قصد التنبيه على النعم التي تعد رجاء كل راجي أو متمني وللتشريف والكرامة ،فاحتيج هنا لتنسيقها ؛لذلك ذكر حرف العطف الذي يجمع بين هذه المعاني ، و " **أُولَئِكَ** " مبتدأ ، و "**جَزَاؤُهُمْ** " مبتدأ ثان ،خبره "**مَغْفِرَةٌ** " ،وجملة "**جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ** " هي خبر للمبتدأ الأول، والمعنى: ترك المؤاخذة بالذنب والتنعيم في جنة الخلد ،وتفضيله على كل جزاء جوزي به عامل، أما الآية في سورة العنكبوت فلأن ما قبلها مبني على أن يدرج

• هو أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان ،ولد بسيراف بفارس ،يكان فقيها وقاضيا ،له عدة كتب منه: شرح كتاب سيبويه، ألفات الوصف وغيرها ،توفي سنة 368هـ،ينظر: ابن النديم ،**الفهرست**،تح إبراهيم رمضان ،دار المعرفة ،بيروت،1997،ط2،ص:62(بتصرف).

[1] – الإسكافي، **الدرّة**،ص:12،13(بتصرف).

[2] – الكرماني، **أسرار التكرار** ،مصدر سابق،ص:29.

الكلام فيه على جملة واحدة ،وهي قوله تعالى: "**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا**"؛ ف" **الَّذِينَ آمَنُوا**" مبتدأ خبره "**لَنُبَوِّئَنَّهُمْ**" ،ويتصل بهذا الخبر مفعولان: "**هُمْ**"

و "**غُرَفًا**" ،وجملة "**تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**" صفة للغرف ، وجملة "**خَالِدِينَ فِيهَا**" حال ،وكل هاته العناصر جعلت في كلام واحد ؛وهو جملة المبتدأ والخبر ، احتمل أن ترد جملة" **نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**" أن تجيئ بالواو أو دونها ، واختير فيها الحذف لتناسق مع ما عقد من قبل بلا عطف ولا نسق ،واحتمل أن تكون جملة " **نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**" خبر لمبتدأ محذوف تقديره ذلك ، أي :ذلك نعم أجر العاملين ،ويكون ذلك إشارة إلى ذكر الله تعالى من إسكانهم الجنة ،ويجري بلا واو مجرى ما هو من تمام الكلام الأول[1] .

مما سبق يمكن القول بأن مسألة حذف حرف "الواو" أو ذكرها حسب الإسكافي متعلقة بالمقصود من كل آية ، إضافة لطريقة سبك الآيات ؛ فالآيات التي تضمنت إدراج كلام واحد في أكثر من موضع ،يتطلب ذلك حذف الواو ليتحقق التناسب بينها ، فيتم الحذف كما ذكرنا إذا كان الكلام واحد ومتعلق ببعض ،وكان ما قبلها هو نفسه ما بعدها ،ويدل الحذف هنا على الاستئناف ،أي استئناف كلام آخر ،أما المواضع التي ذكرت فيها "الواو" فيعني ذلك تضمن الكلام متعلقات مختلفة ومتعددة متناسقة ومعطوف بعضها على بعض ،و تعني كذلك أنّ الكلام الذي قبلها يختلف عما بعدها مع اتصال المعنى .

ب – حذف "الفاء":

– ويطال الحذف والذكر في القرآن الكريم كذلك حرف العطف "الفاء"؛ ويكثُر هذا النوع من الحذف ،وسنورد شواهد على ذلك من كتاب "الدرّة" ثم نستخلص طريقة توجيهها من طرف الإسكافي:

1– الشاهد الآية من سورة الأنعام:﴿ **قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ...**﴾ [الأنعام:135]،وقوله تعالى في قصة شعيب عليه السلام: ﴿**وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ...** ﴾ [هود:93]، وقوله تعالى في سورة الزمر: ﴿ **قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴾ [الزمر:39]،فحصل الاختلاف في الحذف بين : "**فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**" ، و "**سَوْفَ تَعْلَمُونَ**".

---

[1] – الإسكافي ،**الدرة** ،ص:244،245(بتصرف).

وجّه الإسكافي هذا التشابه في سورتي الأنعام والزمر على أنّ العمل سبب الجزاء ،والخطاب فيهما للرسول صلى الله عليه وسلم يخاطب الكفار على سبيل الوعيد ،والمعنى : اعملوا على طريقتكم ووجهتكم وتمكنكم ، فستعلمون أنكم أسأتم لأنفسكم ،أما في سورة هود فإن الخطاب يخص نبي الله شعيب عليه السلام لما تجاهل قومه عليه بقولهم : ﴿ قَالُوا يَا **شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ**﴾ [هود:91]،فقال لهم :" **اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ** "،فكانت جملة "**سَوْفَ تَعْلَمُونَ**" صفة ل "**عَامِلٌ**" ، والمعنى: عملي وتعرفونه بعد ما أنكرتموه ؛لذلك لا يصح دخول "الفاء" هنا لهذا المعنى [1].

– وكان وجّه الكرماني هذا الشاهد بطريقتين:

أولهما: أنه لما سُبقت آية الأنعام ب "قل "فأمرهم أمر وعيد بقوله "اعملوا" ،أي: اعملوا فستجزون، ولم يكن في هود "قل" فصار استئنافا.

ثانيهما : معنى "سوف تعلمون" في سورة هود صفة لعامل ،أي إني عامل سوف تعلمون ،فحذف الفاء[2].

– وهذا التوجيه يوافق توجيه الإسكافي في بعض أجزائه جعل الفاء الأولى سببية ،والجملة الثانية صفة .

وجعل الزمخشري إدخال "الفاء" وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ،ونزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر ،كأنهم قالوا: فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت؟ فقال :سوف تعلمون ،فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف ،للتفنن في البلاغة ،وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف[3].

فلما كان الكلام في الآيتين (الأنعام والزمر) في شكل عمل وجزاء ،ذُكر حرف العطف "الفاء" ،ولما لم تتضمن آية اهود هذا المعنى حذفت "الفاء".

2– الشاهد الآية من سورة الأعراف:﴿ **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ [الأعراف:16]،وقوله تعالى في سورة الحجر: ﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ [الحجر:93]، فحصل الاختلاف بين : "**فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي**" ،و "**بِمَا أَغْوَيْتَنِي**"

---

[1] – الإسكافي ،**الدرّة** ، ص:96،97(بتصرف).

[2] – الكرماني ،**أسرار التكرار** ،مصدر سابق ،ص: 74،75(بتصرف).

[3]– الزمخشري ،**الكشاف** ،مصدر سابق، ج3،ص:231(بتصرف).

قبل توجيه هذا الشاهد أشار الإسكافي إلى أن اختلاف ألفاظ المحكيات والمعنى واحد لم يقُصد به أداء الألفاظ بأعيانها بل المعاني ،فاختلافها واتفاقها سواء إذا تحقق المعنى المقصود ،ثم وجّه سبب حذف "الفاء" في الآية الثانية اعتمادا على قاعدة مضمونها أنّ النداء يوجب القطع واستئناف الكلام ، ولما تضمنت هذه الآية النداء ف "رب" ،وكان الكلام غير متعلق بما قبله حُذفت "الفاء" ، ولم تتضمن الآية الأولى نداءً يوجب استئناف ما بعده ؛فلذلك وُصل القسم فيها بدخول "الفاء" التي توجب اتصال ما بعدها بما قبلها[1].

وافق الكرماني هذا التوجيه ،وأشار لما أورده الإسكافي في اختلاف ألفاظ المحكيات والمعنى واحد ،فقال:...وسأل الخطيب نفسه عن هذه المسائل فأجاب عنها ،وقال إنّ اقتصاص ما مضى إذا لم يقصد به أداء الألفاظ بأعيانها ان اختلافها واتفاقها سواء إذا أدى المعنى المقصود ،وهذا جواب حسن ،إن رضيت به كفيت مؤونة السهر إلى السحر[2].

3- الشاهد الآية من سورة الأعراف:﴿ **قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ** ﴾ [الأعراف:14،15]،وقوله تعالى في سورة الحجر و ص•: ﴿ **قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ** ﴾ [الحجر:36،38]، فحصل الاختلاف بين : " **أَنْظِرْنِي** " ،و " **فَأَنْظِرْنِي** " وجّه الإسكافي سبب الحذف في سورة الأعراف إلى أن الكلام مستأنف غير مقصود به عطف على ما يقع به هذا السؤال عقيبه ؛ فلم يحتج "الفاء" ،وكذلك لما لم يكن له إجابة له إلى ما طلب لم يكن معطوفا عليه ب"الفاء" ،إنّما سأل إبليس تأخير أجله ،فردّ تعالى عليه ،أي :إنك في حكمي ممن أُخّر أجله لا لمسألتك ،أما في باقي السورتين فقد جاء إخبار من قبل الله للإبليس بلعنه له ،فردّ : يا رب إذ لعنتني وآيستني من الخير فأخِّر أجلي إلى يوم القيامة ،والتقدير : إن طلبت تقدير الأجل وتنفيس المهل من أجل اللعنة فإنك مؤخر الموت بما حكمتُ به لك ، لا لإجابتك إلى مسألتك ؛فحصل العطف على السؤال عطف كلام على كلام وليس عطف الإيجاب على السؤال ،لأن الله تعالى لا يجيب عاصيا مثله ،فدخول "الفاء" في الموضعين لتقدم ذكر اللعن ،والمعنى: إن آيستني من رحمتك فأخر أجلي لأنال من عدوي[3].

---

[1] - الإسكافي ،**الدرّة** ،ص:104،105(بتصرف).

[2] - الكرماني ،**أسرار التكرار** ،مصدر سابق ،ص: 79،80(بتصرف).

• - الآيات 79،80،81.

[3]- الإسكافي ،**الدرّة** ،ص:103،104(بتصرف).

- مما سبق يمكن أن علة ذكر وحذف "الفاء" في الكلام ترجع لمدلول هذا الحرف وقصدية الكلام ؛فإن كان الكلام يوجب القطع بين أجزائه بتوظيف نداء أو غيره ولم يتصل ببعضه ،كان هذا مدعاة لحذف "الفاء" لاستئناف كلام جديد أو لانتفاء معنى السببية والوصل، وبالمقابل إن دل الكلام على الفعل وجزائه أي السببية ،وكان هذا الكلام يوجب وصل أطرافه وجب توظيف حرف "الفاء" لتصل ما قبله بما بعده وتؤدي معناه.

ت- حذف "بل":

1- الشاهد الآية من سورة الأنبياء:﴿ **إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ** ﴾ [الأنبياء:52،53]،وقوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ** ﴾ [الشعراء:69،74]، فحصل الاختلاف بين : " **وَجَدْنَا** " ،و " **بَلْ وَجَدْنَا** "

يقول الإسكافي في توجيه ذلك :«...إنّ الآية الأولى وقع السؤال فيها على وجه لا يقتضي "بل" في الجواب ؛لأنه قال: ما هذه الأصنام التي نحتّموها تماثيل وعكفتم عليها ؛ فكأنّه سفّه آراءهم ،وقال لهم : لمَ تفعلون ذلك وتعبدون ما تنحتون؟ فقالوا: " **وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ**" فاقتدينا بهم ، وفي سورة الشعراء تقدم سؤال أضربوا عنه ونفوا ما تضمنه ؛لأنه قال: "**قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ**" ،فقالوا مضربين عن هذه الأشياء التي وُبِّخوا عليها من عبادتهم ما لا يسمع ولا ينفع "**بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ**" ؛فلأنّ السؤال هنا يقتضي في جوابهم أن ينفُوا ما نفاه صلى الله عليه وسلم أضربوا عنه إضراب من ينفي الأول ويثبت الثاني ،فاختصاص المكان ب "بل" لهذا»[1].

- وذكر ابن يعيش أن "بل" للإضراب عن الأول واثبات الكم الثاني سواء كان ذلك الكم إيجابا أو سلبا ، تقول في الايجاب: قام زيد بل عمرو ،وتقول في النفي :ما قام زيد بل عمرو[2]

- فحذفت "بل" لما كان السؤال غير حقيقي وغير منفي ،ولا يتطلب جوابا ينفي ما تقدم ،أما الآية الثانية فلأنها تضمنت استفهاما بصورة النفي في قوله صلى الله عليه وسلم "**هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ**"

---

1 - الإسكافي ،**الدرة** ،ص:208،209

2 - ابن يعيش، **شرح المفصل**، مصدر سابق ،ص: 105(بتصرف).

،وكان السؤال في الآية يقتضي جوابهم بالنفي ما نفاه السائل ،فأضربوا ونفوه ما ينفي كلامه ويثبت كلامهم ؛فلذلك وُظفت "بل" الدالة على الاضراب .

2- الحذف والذكر في حروف الجر:

يكثر كذلك هذا النوع من التشابه في القرآن ،وسنورد بعضا من الآيات المتشابهات التي تضمنت ذلك وتم توجيهها نحويا، ثم نعطي حوصلة عامة عن منهج الإسكافي في توجيه مثل هذه المتشابهات في كتابه.

أ-ذكر وحذف "مِن":

تضمن كتاب "الدرّة" ستة آيات متشابهات تضمنت حذفا وذكرا في حرف الجر "من" ،وسنورد ضمن هذا النوع من التشابه أربعة شواهد منها:

1- الشاهد قوله تعالى:﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ** ...﴾[العنكبوت:63] ،وقال تعالى: ﴿ **وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**... ﴾[الجاثية:5]، وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**... ﴾[البقرة:164] ،الشاهد ذكر حرف الجر "من " في الآية الأولى : "**مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا**" ،حذفها من الآيتين "**بَعْدَ مَوْتِهَا**" .

انطلق الإسكافي في توجيه هذا التشابه من حقيقتين :

أولهما :أن التقرير يؤثر فيه تحقيق من الكلام ما لا يؤثر في غيره.

وثانيهما: أنّ الظروف إذا حُدّت حققت، أي إذا تم تحديد بداية ونهاية ظرف الزمان فيدل على التحقيق ،وأن الكلام من بعده قد تحقق فعليا، وضرب لذلك بمثال في قولنا: سرت اليوم من أوله إلى آخره فيعدُّ هذا التحديد تحقيقا ،لأنه قد يطلق اللفظ يوم بدون تحقيق ،ويفهم منه أنه إن بقيتَ ساعة أو ساعتين من آخره ،أو ذهبت ساعة أو ساعتين ،فإذا وقع الحد زال الوهم ،فقوله تعالى: "**مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا**" تحقيق ،لأنه محدود ب "من" ،وخُصّ به التقرير لأنه من أماكنه ،والآيتين التاليتين ليس فيهما تقرير وإن كان يؤدي معنى المحدود[1] .

1- الإسكافي ،**الدرة** ،ص:247(بتصرف).

وكان في توجيه الكرماني ما وافق فيه الإسكافي وما زاد عليه ،فذكر أنّ ذكر "مِن" في الآية الأولى كان لقصدين: تناسبا مع الآية السابقة في قوله: "من قبله" (غير موجودة في المصحف)، وللتقرير ؛لأن هذه الآية تضمنت سؤالا وتقريرا ،والتقرير يحتاج إلى تحقيق ،فقُيِّد الظرف ب "مِن" لذلك[1].

و اتفق النحويون على أنّ من أهم وأول معاني حرف الجر "مِن" ابتداء الغاية ، ولا تكون إلا بذلك المعنى كالمبرد وابن السراج والأخفش الأصغر وغيرهم [2] وذكر ابن يعيش (ت 643هـ) أنّ من معاني "مِن" حسب سيبويه الابتداء ،فقال: وتقول: رأيته من ذلك الموضع فتجعله غاية رؤيتك ،كما جعلته غاية حين أردت الابتداء ،وتقول: رأيتُ الهلال من داري من خلال السحاب ،ف "من" الأولى لابتداء الغاية والثانية لانتهاء الغاية[3].

– ووافق ابن عاشور توجيه الإسكافي إلى أن إضافة "من" قصد إفادة التقرير ؛لأن سياق الكلام في مساق التقرير فاقتضى ذلك زيادة "من" إلجاءً للكفار إلى الاقرار بأن فاعل ذلك (إحياء الأرض) هو الله دون أصنامهم ،ولما لم يكن مقتضى لزيادة "من" في آية البقرة والجاثية حذفت[4] .

وأضاف السامرائي أنّ إضافة "مِن" في دلالة على عظمة الله وتبكيت لعقول المشركين ،وذكر أنّ "مِن" لابتداء الغاية ،والمعنى لا تحتاج الله تعالى لفاصل أو مدة ليحييها ،فرأسا يحييها لمجرد موتها ،فدلّت "من" على السرعة والمبادرة ببداية العمل، أما آية البقرة والجاثية فوردت عامة ومطلقة[5] .

يمكن الخروج بنتيجة فيما يخص علة ذكر وحذف "من" في هذا الشاهد ،أنّ إضافة "من" في آية العنكبوت قبل ظرف الزمان "بعد" وفي سياق السؤال ،دل على التحديد والسرعة والمبادرة ببداية العمل والتوكيد والاقرار على تفرده سبحانه وتعالى بإحياء الأرض بإنزال المطر من البداية للنهاية وفي ذلك إعجاز وتبكيت للمعارضين لذلك. وأنّ حذفها ذل على الاطلاق والعموم .

2– الشاهد قوله تعالى: ﴿**فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾[البقرة:59] ،يقابلها قوله تعالى في سورة الأعراف:﴿**فَبَدَّلَ الَّذِينَ**

---

[1]– الكرماني، **أسرار التكرار** ،ص: 165،166(بتصرف).

[2] – المرادي ،**الجنى الداني**، مصدر سابق ،ص: 315(بتصرف).

[3] – ابن يعيش، **شرح المفصل** ،مصدر سابق ،ج8،ص: 13،14(بتصرف).

[4] – الطاهر بن عاشور ،**التحرير والتنوير**، مصدر سابق،ج21،ص:29(بتصرف).

[5] – فاضل صالح السامرائي، **برنامج لمسات بيانية** ،قناة الشارقة، youtoub ،27،أفريل،2019.

ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾[الأعراف:162]، فحصل الحذف والذكر في الجار والمجرور "منهم".

ذكر الإسكافي أن سورة الأعراف قد تضمنت تخصيصا ومقابلة بين نوعين من المخاطبين من قوم موسى عليه السلام ، في قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ** ..... ﴾[الأعراف:159]، فأول هذه السورة مبني على التخصيص والتمييز بدليل لفظة "من" ،وتضمنت مقابلة بين الظالمين والهادين منهم ،فذكر أن هناك أمة عادلة هادية وذكر هنا أمة جائرة عادية وكلتاهما من قوم موسى عليه السلام ،فاقتضت التسوية في المقابلة ذكر "منهم" ،ولم تضمن آية البقرة شيئا من التخصيص أو التبعيض فحذفت "منهم" منها[1]

وافق الكرماني والسيوطي وابن جماعة توجيه الإسكافي في أن آية الأعراف مبنية على التبعيض والتخصيص لذلك اقتضى السياق ذكر "من" الدالة على ذات المعنى ،أما آية البقرة فلم تتضمن ذلك فحذف حرف التبعيض منها[2].

3- قوله تعالى:﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى**... ﴾[يوسف: 109]، وقوله تعالى:﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ**... ﴾[النحل: 43]، وقوله تعالى: :﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**... ﴾[الأنبياء: 7]، فحصُل الاختلاف في ذكر "مِن" في قوله: " **مِنْ قَبْلِكَ**" ، وحذفها في " **قَبْلَكَ** ".

قبل توجيه هذا الشاهد نبّه الإسكافي لمعاني كل من "مِن" و"قبل"، فذكر أنّ "مِن" تدل على ابتداء الغاية ، و"قبل" اسم زمان يدل على الزمن المتقدم ،ثم وجّه كل شاهد بحسب معنى كل ظرف ، فذكر أن معنى قوله تعالى: "**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ**" أي: من ابتداء الزمن المتقدم على زمانك، فيخص الزمن الذي يقع عليه قبل تحديه ،ويستوعب بذكر طرفيه ابتدائه وانتهائه ، معنى قوله تعالى: "**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ**" أي: ما فعلنا في الزمن الذي تقدم زمانك ،فهو في الاستيعاب كالأول ،إلا أن الأول أوكد للحصر بين الحدين ،وضبطه بذكر الطرفين والزمان المتقدم قد يقع على بعض ما تقدم فيستعمل فيه اتساعا ،ثم نبّه إلى أنه أكثر ما في القرآن وجود "**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ**" ، ولم ترد بحذف "من" إلا في موضعين أحدهما في هذا الشاهد ،والآخر في سورة الفرقان في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ**... ﴾[الفرقان: 20]،وذكر أنه تم الحذف في "مِن" في سورة الأنبياء بناء على ما تقدم من حذف في قوله تعالى: ﴿ **مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ**

[1] – الإسكافي ،**الدّرة** ،ص:13،14(بتصرف).

[2] – ينظر: الكرماني ،**أسرار التكرار**،ص:30،والسيوطي،**قطف الأزهار**،ص:259،وابن جماعة ،**كشف المعاني**،ص:98.

يُؤْمِنُونَ﴾[الأنبياء: 6]؛لأنه لما كان الزمان الذي تقدمهم هو نفسه الزمان الذي تقدم النبي صلى الله عليه وسلم المذكور في قوله تعالى: "**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**" فحُذفت "من" ؛لأن "قبل" هنا موضوعة للزمان المتقدم كله ،فصار توظيف "قبل" هنا مذكورا كالتوكيد الواقع ب "من" في سائر المواضع .[1]

الحاصل أن ذكر "مِن" قبل ظرف الزمان "قبل" يفيد التوكيد ،و الحصر ،و ابتداء الزمن المتقدم واستيعاب طرفي الزمن: بدايته ونهايته ،وحذفها ،أما "قبل" فيفيد معنى الزمن المتقدم فقط.

4- قوله تعالى:﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾[المائدة: 9]، وقوله تعالى:﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا...** ﴾[الفتح: 29]، فحصُل الاختلاف في ذكر وحذف "مِن" في قوله: " **مِنْهُمْ** " ، وحذفها في قوله: " **لَهُمْ** ".

وجّه الإسكافي هذا الشاهد بطرقتين:

أولاهما: أنّ "مِن" هنا ليست للتبعيض بل لبيان الجنس ،والتقدير : وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين هم هؤلاء .

وثانيهما: أن يكون التقييد للتحذير ؛لأنهم وإن علم الله منهم الثبات على ما هم عليه من العمل الصالح ،فإنه لا يخليهم من الأمر والنهي والوعد والوعيد ،والمعنى: دوموا على ما أنتم عليه ،فإنّ من دام منكم عليه فقد وعده الله تعالى بالمغفرة والأجر العظيم [2]

ب-ذكر وحذف "الباء":

وسنورد شاهدين لهذا النوع من التشابه لنستخلص كيفية توجيهها من طرف الإسكافي

1- الشاهد قوله تعالى:﴿ **إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾[الأنعام: 117]، وقوله تعالى:﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ...** ﴾[النحل: 43]، وقوله تعالى: :﴿ **إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾[القلم: 7]، فحصُل الاختلاف في ذكر "الباء" في قوله: **أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ** " ، وحذفها في " **أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ** ".

---

[1] - الإسكافي ،**الدّرة** ،ص:172،173(بتصرف).

[2]- نفسه ،ص:66 (بتصرف).

ذكر الإسكافي أنّ كلا الموضعين يفترقان في المعنى ،لذلك اختص كل منهما بلفظه المناسب ،فمعنى قوله تعالى: :" **إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ**" أن الله يعلم أي المأمورين يضل عن سبيله: أزيد أم عمرو، وهذا المعنى يقتضيه مل تقدم الآية ،وهو قوله تعالى: :﴿ **وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ...**﴾[الأنعام: 116]، ،والمعنى :إن تطع الكفار يضلوك عن طاعة الله ،ثم أنه أخبر بعلمه من الذين يغوونه ويضلونه ،ومن الذين لا يتمكنون من إضلاله.

أما الآية الثانية فمعنى قوله تعالى:" **إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ**"الله أعلم بأحوال من ضل كيف كان ابتداء ضلاله ، وما يكون مآله ،أ يصير على باطله أم يرجع عنه ،وقد ورد قبلها ما يثبت هذا المعنى ، في قوله تعالى: ﴿ **فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ**﴾[القلم: 6،5]، ومعناه :ستتعلم ويعلمون بك أو بهم المفتون وخبال الرأي وفساد العقل ؛لأنهم رموه صلى الله عليه وسلم من قبل بالجنون، كما يقال في أي الفرقتين المجنون ،أي: في فرقة الإسلام ،أو في فرقة الكفر ،والباء تقارب معنى "في" ،كما يقال: فيه عيب وبه عيب ،فينوب أحدهما مناب الآخر في المعنى، ويجوز أن تكون "الباء" معناها على معنى: فلان بالله وبك ،أي: ثباته به وبك ، والمعنى اجمالا: سيعلم بأي الطائفتين ثبات الجنون ودوام الفتون ، وكان معنى :" **إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ**" أي: الله أعلم بي وبكم المخبل المجنون مني أو منكم ،ومعنى قوله: :" **إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ**" أي: هو أعلم بابتداء ضلاله وانتهاء أمره وهل يقيم على كفره أم يقلع عنه.

نلاحظ أنّ الإسكافي وجّه الذكر في حرف "الباء" على معنيين :الالصاق ،ووردت بمعنى "في"، وابتداء وانتهاء الغاية.

وقد عدّد ابن مالك أحد عشرة معنى ل"الباء" وهي: الالصاق، التعدية ،السببية ،التعليل، المصاحبة، الظرفية ،البدل،المقابلة ، لموافقة: عن ،وعلى، و من البعضية ،وتزاد مع الفاعل والمفعول وغيرها[1]

2- الشاهد قوله تعالى:﴿ **تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ** ﴾[الأعراف: 101]، وقوله تعالى في سورة يونس:﴿ **ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ** ﴾[يونس: 74]، فحصُل الاختلاف في

1 – ناظر الجيش ،**شرح التسهيل** ،مصدر سابق، ص:2939.

تعدي الفعل ب "الباء" في قوله: **بِمَا كَذَّبُوا بِهِ "** ، ولم يتعد في الآية الأخرى ، فتم حذف "الباء" فوردت : **بِمَا كَذَّبُوا "**

بنى الإسكافي توجيهه لهذا الشاهد حسب النظم الذي بُنيت عليه كل سورة وتعلقها بما قبلها في المعنى ،فذكر أنّ آية سورة الأعراف وما قبلها بُنيت على عدم تعدي أفعالها ،ونزلت للترغيب والترهيب ،ومثالها قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[الأعراف: 96]،فقوله: "ولكن كذبوا " لم يذكر له مفعوله ،وانساقت الآيات بعد التحذير المتوالي بقوله: ﴿**أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا...** ﴾[الأعراف: 97]، ثم خُتمت بقوله: :" **تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ**" فالمكذبون هنا هم المكذبون في قوله ﴿**وَلَكِنْ كَذَّبُوا**﴾[الأعراف: 96]،ولكن كذّبوا يدل عل ذلك بأن أجرى مجراه في حذف ما يتعدى إليه ،وما يتعدى إليه "كذّب" إذا كان غير مميز يتعدى إليه "بالباء" كقوله: "**كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا** "،وإذا كان من المميزين فإنه يتعدى إليه بغير حرف إضافة نحو :"كذّبه ،كقوله تعالى: ﴿**فَكَذَّبُوا رُسُلِي** ﴾[سبأ: 45] ،فالمحذوف في هذا المكان هو المفعول به ،وهو الذي يتعدى إليه الفعل بالباء.

أمّا سورة يونس فتضمنت إثبات المفعول به "**كَذَّبُوا بِهِ**"؛ لأنه ورد قبله قصة نوح عليه السلام ،في قوله: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي...**﴾[يونس: 71]، ثم قال بعده: ﴿ **فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ...**﴾[يونس: 73]، ثم قال بعده: ﴿**وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا...**﴾[يونس: 73]،فورد الفعل "كذب" في كل القصة متعديا ،ولما وقعت الاشارة في الآية محل الشاهد هنا إلى تكذيب من كذّب من قوم نوح عليه السلام ؛فعُدي الفعل في: "**بِمَا كَذَّبُوا بِهِ**" ؛لأنه معني بما تقدمه في التعدي ؛فتعدى هو كذلك ،ولما لم تتضمن الآية في سورة الأعراف لمجيء الفعل متعدي لمجيء فيما بُني عليه إلا محذوف الفعل[1].

من خلال عرضنا لهذين الشاهدين نلاحظ أنّ الإسكافي قد اعتمد في توجيه الحذف والذكر في حرف "الباء" على السياق القبلي، وكذا على المعاني المختلفة لهذا الحرف ،والتي تكتسب أحد هذه المعاني بحسب المعنى الذي وظفت لأجله في الآية أو الآيات.

[1] – الإسكافي ،**الدّرة** ،ص:122،123(بتصرف).

ت- التغاير بين الجار والمجرور:

يتضمن هذا الجزء نماذجا من المتشابهات اللفظية التي شملت تغايرا في مجروراتها من حيث الحذف والذكر أو التقديم والتأخير ،وكيفية توجيهها في كتاب "الدرة".

1- الحذف والذكر في الجار والمجرور "لكم":

الشاهد قوله تعالى:﴿**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾[آل عمران: 126]،و قوله تعالى:﴿ **وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [الأنفال: 10]،فورد ذكر الجار والمجرور (لكم) في الآية الأولى وحذف في الثانية.

- يوجه الإسكافي هذا التشابه بناء على المناسبة اللفظية والسياق ،حيث ذكرت (لكم) في الآية الأولى وهي بشارة للمؤمنين لأنها جاءت على الأصل :الفعل ،الفاعل ،الجار والمجرور ،أما الآية الثانية فوردت (لكم)مضمرة تفاديا للتكرار لأنه قد وردت قبلها قوله تعالى: ﴿..**فَاسْتَجَابَ لَكُمْ**... ﴾ [الأنفال: 9]،فأغنت عن إعادتها بلفظها ومعناها وعلم أنه بشرى لهم ،والآية الأولى لم يتقدمها شيء من ذلك فوردت على الأصل[1].

- أما الكرماني وابن زكريا الأنصاري وابن جماعة فقد وافقا الإسكافي واتفقا في أن ذكر (لكم) في الآية الأولى لتمام القصة قبلها وكونها بشرى للمؤمنين ومناسبة لا قبلها، وحذفها في الآية الثانية إيجازا واكتفاء بذكرها من قبل وأضاف ابن جماعة لأن الآية قبلها خلت من الجار والمجرور فرجع إلى الأصل وهو إيلاء الفعل لفعله وتأخير الجار الذي هو مفعول ،أضاف كذلك أنه من باب التفنن في الكلام[2] .

- أما الغرناطي فقد نحى منحا آخر حين ربط الآية الأولى بسياقها السابق وبنى توجيهه على أساس أمن اللبس بينهما فقال أن المقصود من الآيتين -محل الشاهد- واحد وهم أهل بدر ،ولما تقدم الآية الأولى قوله تعالى: ﴿...**وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ**... ﴾[آل عمران: 125] والاخبار عن عدوهم فاختلط ذكر الطائفتين وضمهما كلام واحد فجردت البشارة لمن هدي منهما وجيء بضمير خطابهم متصلا بلام الجر

---

[1] - الإسكافي ،الدرة، ص: 389(بتصرف).

[2] - ينظر: الكرماني ،**أسرار التكرار**،ص:51،وابن زكريا الأنصاري ،**فتح الرحمان** ،ص:96 ،وابن جماعة ،**كشف المعاني** ،ص:132.

المقتضية الاستحقاق ،وقدمت القلوب اعتناء وبشارة ليمتاز أهلها ،أما الآية الثانية فقلم يتقدم فيها شيء من ذلك فلم يحتج لذكر الضمير الخطابي (لكم)[1].

2- التقديم والتأخير في الجار والمجرور "فيه":

الشاهد قوله تعالى:﴿ **وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[النحل:14]، و قوله تعالى:﴿**وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[فاطر:12] ،فحصل التقديم والتأخير بين المفعول به (مواخر[2]) وبين الجار والمجرور (فيه).

- يوضح الإسكافي السر في الاختلاف بين الآيتين اعتمادا على خصوصية الفعل المتقدم للآيتين محل الشاهد ،فلآية الأولى لما قويَّ فيها حكم الفعل "سخَّر" المسند لله تعالى وجب ترتيب الآية على الأصل ،فيجب ترتيب الآية " **تَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ**" على الأصل كذلك: يتقدم الفعل المتعدي لمفعولين ثم مفعوله الأول المعرفة(الفلك) ، ثم المفعول الثاني النكرة (مواخر) ثم الظرف(فيه) لأنه فضلة.

أما الآية الثانية فلأنه تقدمها الفعل " **تَأْكُلُونَ**" المسبوق بالجار والمجرور ،(وقد تقدم للمبالغة) فناسبه ورود الفعل (ترى)بعده مع مفعوليه الذين قد فصلا بينهما بالجار والمجرور ليعلم أن الجار والمجرور قد قوّي بتقديمه سابقا على الفعل وليعلم أنه من جملة الكلام الذي بني الفعل سابقا فيه على تقديمه عليه.

- فبُنيت الآية الأولى على الأصل لأن فعلها مسنود لله تعالى ،وبُنيت الثانية على الفرع؛ لأنه قد تقدم الفعل الجار والمجرور فناسب ذلك بناء الفعل محل الشاهد على نفس النسق.[3]

- و عرض الكرماني نفس توجيه الإسكافي وبنفس الشواهد[4].

- أما الغرناطي فقد وافق الإسكافي كذلك وعرض توجيهه بشيء من الايجاز فقال أن آية النحل بنيت على تأخير المجرورات عما تعلقت به وجرى الكلام جريا واحدا للتناسب والتشاكل ،فقيل :لتأكلوا منه وتستخرجوا فيه ،ومواخر فيه ،ولو قيل هنا :فيه مواخر وتقدم المجرور على العامل فيه وهو مواخر (وهو

---

[1] - الغرناطي ،**ملاك التأويل** ،مصدر سابق، ص:89(بتصرف).

[2] - مخر: مَخَرْتُ السفينة مَخْراً ومُخُوراً فهي ماخِرَة ،وهن موَاخِر إذا استقبلتَ بها الريح ،وفي بعض التفسير "مواخر" مقبلة ومديرة بريح واحدة، ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي ،**العين**، مصدر سابق، ج4 ،ص:124(مادة مخر) ،مواخر: واحدها :ماخرة وهو صوت جري الفلك بالرياح ،ومَخْرُها خرقها للماء إذا مرت فيه ،ينظر :الفرّاء ،**معاني القرآن** ،مصدر سابق،ج2 ،ص:98،وص:368.

[3] - الإسكافي ،**الدرة** ،ص:829،834(بتصرف).

[4] - الكرماني ،**أسرار التكرار** ،مصدر سابق ،:121،122.

اسم فاعل مجموع من المخر وهو شق السفينة الماء بمقدمتها) لما ناسب ما تقدم ، أما الآية الثانية فمبنية على تقدم المجرور على ما به تعلق (ومن كل تأكلون) ،و"تأكلون" العامل في المجرور الذي هو "كل" متأخر عنه ،فناسب ذلك تأخر العامل أيضا في المجرور الثاني ليتناسب الكلام ببناء آخره على ما بني أوله[1].

– أما السامرائي فقد بنى تفسيره على الغرض البلاغي لهذا التشابه وربط كل آية بسياقها المتقدم ،فذكر أن تقدم الكلام في سورة النحل على وسائط النقل من ذكر الأنعام وأنها تحمل الأثقال ،وذكر الخيل والبغال والحمير للركوب والزينة ،ثم ذكر الفلك وهي واسطة نقل أيضا ،وقدم المواخر لأنها من صفات الفلك ،وهذا التقديم مناسب في سياق وسائط النقل أيضا ، وليس السياق في سورة فاطر نفسه ،فالكلام فيها معتمد على البحر وأنواعه وما أودعه الله فيه من نعم ،فلما كان الكلام على البحر قدَّم ضمير البحر على المخر[2]

3– التقديم والتأخير بين الفاعل والجار والمجرور "به":

الشاهد قوله تعالى:﴿ **وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ** ﴾[آل عمران:126] ،وقوله تعالى:﴿ **وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾[الأنفال:**10**]، فحصل التقديم والتأخير بين الفاعل " **قُلُوبُكُمْ**" وبين الجار والجرور:" **بِهِ**".

– اعتمد الإسكافي في توجيهه للآية الأولى على المناسبة اللفظية ،حيث أنها جاءت على الأصل :الفعل ثم الفاعل ثم الجار والمجرور ،وكذلك لأن الآية "**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ** "قبلها قد وردت بهذا الترتيب ،فورد الجر والمجرور فيها متأخرا (لكم)، ثم استثنى من هذه القاعدة تقدم المفعول به على الفاعل إذا وقع لبس فيه وأريد إزالته عنه ،كما نقول :ضربَ عمراً زيدُ لا محمداً ،لأن المخاطب عنده أن المضروب محمد ،ولا خلاف في أن الضارب زيد ،فيبدأ بالأهم ،وكذلك الجار والمجرور بمنزلة المفعول به ،وبهذا فقد جاء الترتيب في سورة آل عمران على الأصل ،أما سورة الأنفال فلأن المعتمد بتحقيقه عند

---

1 – الغرناطي ،**ملاك التأويل**، مصدر سابق ،ص:296(بتصرف).

2 – فاضل صالح السامرائي ،**التعبير القرآني** ،دار عمار ،عمان 2006 ، ط4 ،ص:**68**(بتصرف).

المخاطبين إنما هو الامداد بالملائكة وهو الذي أخبر الله عنه أنه لم يجعله إلا بشرى ،فوجب أن يقدم في الكلام الثاني ،وهو المضمر بعد الباء في قوله (به) على الفاعل في قوله " **وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ**"[1] .

4–التقديم والتأخير في الجار والمجرور(من قومه):

– الشاهد قوله تعالى في سورة نوح عليه السلام:﴿ **فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ**... ﴾**[المؤمنون:** 24**]**،و قوله تعالى في نفس السورة:﴿ **وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ** ... ﴾**[المؤمنون:** 33**]**،فحصل التقديم والتأخير في شبه الجملة: (من قومه).

– وجّه الإسكافي هذا الشاهد بأنّ الآية الأولى لما كان فيها الخطاب متعلق بالملأ(وكذلك في الآية الثانية)، ولما أُريد التركيز على ذلك وبيان صفتهم فجيء بالصفة بعد الموصوف مباشرة "الملأ الذين كفروا" ،ثم جيء بالجار والمجرور "من قومه" ، وبذلك وردت هذه الآية على القياس: الفعل ،ثم الفاعل(الموصوف) ،ثم الصفة(الذين كفروا) ،ثم الجار والمجرور ،ولما كان المقصود في الآية الثانية تعديد أفعال على الصلة "الذين كفروا" ،فأخّرت هذه الأخيرة وتقدم الجار والمجرور عليها "من قومه" ،وعُطفت عليها الأفعال: "كذّبوا" ،أترفناهم"، ونبّه الإسكافي إلى أنه لو قيل :وقال الملأ الذين كفروا من قومه وكذّبوا بلقاء الآخرة ،فهذا النظم غير فصيح في الكلام وإن كان جائزا[2] .

– وقد وجّه الكرماني هذا الشاهد بنفس توجيه الإسكافي تقريبا ،فذكر أنّ الآية الأولى اقتصرت على الفعل وضمير الفاعل(الذين كفروا) ،ثم ذكر بعده الجار والمجرور، ثم ذكر المفعول وهو المقول، أمّا الآية الثانية لما طالت صلة الموصول بذكر الفاعل والمفعول والعطف عليه مرة بعد أخرى ،فقدم الجار والمجرور ،لكي لا يتلبس تأخيره ،ولأن توسطه ركيك[3].

– يمكن الخروج بنتائج في هذا المبحث من خلال توجيه الإسكافي لهذا النوع من المتشابهات اللفظية في القرآن الكريم ، والتي تكثر وتلتبس على قارئ وحافظ القرآن ،خاصة أن التغير فيها لا يمكن أن يدرك وينتبه له أحيانا ،أو قد لا يُعرف السبب الذي اختلفت بسببه هاته الآيات ،كما ويمكن عدُّ هذا النوع من المتشابهات اللفظية ف كتاب "الدرة" بابا لوحده ؛لأنه يحمل العديد من التحليلات النحوية والبلاغية

[1] – الإسكافي ،**الدرة** ،ص:389،392(بتصرف).

[2] – الإسكافي ،**الدرة** ،ص:219(بتصرف).

[3] – الكرماني، **أسرار التكرار**، مصدر سابق،ص:148(بتصرف).

واللغوية عامة ،تستقطب الدرس اللغوي و النحوي خاصة وتغنيه بشواهد عدة - باب حروف المعاني - ،وقد عرضنا في هذا المبحث نماذجا لاختلاف بعض الحروف التي لاحظنا كثرة ورودها وتغيرها ضمن هذه المتشابهات ،ويمكن الخروج بمنهجية عامة ارتكز عليها الإسكافي ليوجّه مثل هذا النوع من المتشابهات كمايلي:

- إنّ حذف أو ذكر أي حرف من حروف المعاني مرتبط أساسا بمعنى ومعاني الآيات السابقة له ،وكذا معنى السورة ككل(سياق كلي).

- تتعدد معاني ووظائف حروف الجر والعطف حسب الموقع الذي تشغله في الآية والمعنى الذي تحققه .

- هناك اتفاق شبه عام بين الإسكافي والنحاة البصريين – وإن اختلف معهم أحيانا- في مسائل معاني حروف الجر والعطف.

- أنّ الحذف والذكر في حروف المعاني مبني على قاعدة "الزيادة في المبنى زيادة في المعنى" ؛فذكر ظرف زمان له دلالته بين ذكره منفردا أو مقرونا بأداة أخرى دالة على الزمن–كما لاحظنا سابقا- ،فظرف الزمان "قبل" مثلا يدل على زمن محدد ،وإضافة "مِن" تحصره وتحدد بدايته ونهايته.

- وظائف حروف العطف تتقارب في ربط الجمل ببعضها وتختلف في المعنى الذي تؤديه كل منها ،فحرف "الفاء" مثلا يدل على أن الكلام واحد ،وفيه فعل وجزاء ،و"الواو" تدل على كلامين منفصلين ،و "بل" تدل على الاضراب ،وأن الكلام بعدها لا يطابق ما قبلها ،وهي معان معروفة في الدرس النحوي ولكنها تكتسب وظائف ومعان جديدة أثناء توجيه الإسكافي لها، فتدل "الواو" على الاشتراك والارتباط بين الكلام الذي بعدها وما قبلها وإن اختلفا عن بعضهما.

المبحث الثاني :التناوب بين الضمائر والأسماء الموصولة

سنتناول في هذا المبحث نماذجا من المتشابهات اللفظية التي اختلفت عن بعضها في الضمائر أو الأسماء الموصولة ،والتي وُجهت نحويا من طرف الإسكافي لنستخلص في الأخير أهم النقاط والملاحظات.

المطلب الأول :التناوب بين الضمائر

1- بين:" فيه" ، و "فيها":

- الشاهد قوله تعالى:﴿ **وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا...** ﴾[الأنبياء:91]،وفي سورة التحريم قال تعالى: ﴿ **وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا...** ﴾[التحريم:12]، فالشاهد اختلاف الضميرين في "فيه" و "فيها" مع اتحاد المعنى والقصة.

يرد الإسكافي سبب هذا التشابه للقصدية ،فلآية الأولى القصد فيها ذكر حال مريم عليها السلام وابنها ،وأنهما جعلا آية للناس ،فلما كان القصد التعجب من حفالتها ،وأنها بالنفخ صارت حاملا ردّ الضمير إلى جملتها ،إذكان النفخ في فرجها نفخا فيها أوجب القصد إلى وصفها بعد النفخ بصفة ترجع إلى جملتها دون بعضها، فكأنه قال: والتي أحصنت فرجها فصيرها النفخ حام حتى ولدت ،والعادة الجارية أن تحمل المرأة إلا من فحل ،و يولد الولد من غير أب .أمّا الآية الثانية فلم يكن القصد فيها التعجب من حال مريم عليها السلام ،ولم يكن القصد وصف جملتها بغير الصفة التي كانت عليها فورد اللفظ على أصله ،والمعنى: فنفخنا في فرجها[1]

- فحصل اختلاف الضميرين لاختلاف القصد الذي أدى إلى اختلاف العائد ،ففي الآية الأولى عاد ضمير المؤنث الغائب لمريم عليها السلام ،لأن القصد كان التشريف والتعجيب من حالتها وابنها ،وعاد الضمير في الآية الثانية لأصله .

- وذهب الكرماني وابن الزبير الغرناطي لنفس التوجيه ،وأضاف الكرماني موضحا أنّ المقصود في سورة التحريم ذكر إحصانها ، وكأنّ النفخ أصاب فرجها وهو مذكر ،والمراد به فرج الجيب ،أو غيره ،فخصت بالتذكير لذلك[2].

---

[1]- الإسكافي، **الدرة** ، ص:212،211(بتصرف).

[2] – ينظر: الكرماني ،**أسرار التكرار**، ص: 144،143(بتصرف)،الغرناطي، **ملاك التأويل**،ص:352،351.

2- بين: "نطبع" ،و "يطبع":

- الشاهد قوله تعالى:﴿ ... **كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ** ﴾[الأعراف:101]،وفي سورة يونس قال تعالى: ﴿ ... **كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ** ﴾[يونس:74]، فالشاهد اختلاف الضميرين بين:"نطبع" بإضمار الفاعل ،و"يطبعُ الله" بإظهار الفاعل ،واتحاد المعنى

- بنى الإسكافي توجيهه على أساس المناسبة اللفظية ،فذكر أن آية الأراف مبنية على الاضمار والإظهار في إخبار الله تعالى على نفسه،كقوله: ﴿... أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا... ﴾[الأعراف:97]، بإضمار الفاعل في "يأتيهم" وكذلك في قوله تعالى من بعد: ﴿...أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى... ﴾[الأعراف:98] ،وقال من بعد: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ... ﴾[الأعراف:99]،،فأظهر ولم يقل :أفأمنوا مكرنا ،ثم أضمر الفاعل بعده في قوله: ﴿أَصَبْنَاهُمْ﴾[الأعراف:100]،،ثم عاد لذكر الطبع فأظهر بقوله: "**يَطْبَعُ اللَّهُ**" ،أما آية يونس فمبنية على أساس إضمار الفاعل من مبتدأ قصة نوح عليه السلام ،لذلك بنيت الآية محل الشاهد على نفس التركيب تناسبا مع ذلك[1].

- وقد وافق الكرماني نفس التوجيه ،فذكر أن سورة الأعراف مقدم فيها ذكر الله سبحانه بالصريح والكناية ،فجمع بينهما فقال: ﴿...**وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ**... ﴾[الأعراف: 100]،**بالنون، ثم ختم الآية بالصريح فقال: "كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ"** ،وأما يونس فمبنية قبلها من قوله: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ﴾[يونس:73]، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾[يونس:73]، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا﴾[يونس:74] بلفظ الجمع فخُتم بمثله قوله تعالى: "**كَذَلِكَ نَطْبَعُ**"[2].

نلاحظ أن أساس توجيه هذا الشاهد قد بني على التناسب اللفظي بين الآيات ،فآية الأعراف مبنية على التناوب بين الإضمار والإظهار ،وآية يونس مبنية على الإضمار فبني الفعل "يطبع" بحسبها.

3- بين "به" ،و "له":

3- الشاهد قوله تعالى:﴿ **قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ**... ﴾[الأعراف: 123]،و قوله تعالى في سورة طه• والشعراء•:﴿ **قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ** ...﴾،موضع الشاهد مرجع الضمير في "به" و"له"

---

[1] - الإسكافي،**الدرة**،ص:122،121(بتصرف).

[2] - الكرماني ،**أسرار التكرار** ،مصدر سابق ،ص:88(بتصرف).

• - طه ،الآية :71.

• - الشعراء ،الآية: 49.

وجّه الإسكافي اختلاف عائد الضمير في الشاهد بطريقتين:

- أولهما جعل عائد الضمير في "له" لله تعالى لأنه حكى عن السحرة قولهم: ﴿ **قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[الأعراف: 121]،وهو الذي دعا إليه موسى عليه السلام ،والهاء في **"له"** لموسى عليه السلام ،والدليل على ذلك أنها جاءت في السورتين وبعدها في كل واحدة منهما : ﴿...**إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ**... ﴾[طه: 71].
- ثانيهما جواز عودة الضمير في الآية الأولى "به" على موسى عليه السلام ،وعلّل ذلك بجواز القول: آمن بالرسول ،أي: أظهرتم (الخطاب للسحرة) تصديقه وأقدمتم على خلافي قبل أن آذن لكم فيه ،وهذا مكر مكّرتموه وسر أسررتموه لتقلبوا الناس عليّ ،فاقتضى هذا الموضع الذي ذكر فيه المكر إنكار الايمان به.

وقد وافق الكرماني توجيه الإسكافي وذكره باختصار بقوله:« ...لأن الضمير هنا (في "به") يعود إلى رب العالمين ،وهو المؤمن به سبحانه ،وفي السورتين يعود إلى موسى وهو المؤمن له ،لقوله : "**إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ**" ،وقيل آمنتم به وآمنتم له واحد[1].

رجّح ابن عطية عودة الضمير في "به" على الله تعالى وعلى موسى عليه السلام [2].

وذكر السيوطي لطيفة اخرى في توجيه هذا الشاهد فذكر بدء أن الضمير في "به" يعود على رب العالمين ،وفي "له" يعود على موسى عليه السلام ، ولما اشتمل كلام السحرة على الإيمان برب العالمين رب موسى وهارون وُزّع الضمير في الموضعين ،فذكر "به" بالنسبة إلى صدر توحيدهم وهو برب العالمين ،و"له" بالنسبة لعجزه وهو رب موسى ،والتقدير: آمنا برب العالمين وأخلصنا لرب موسى و هارون ،وأضاف قولهم أن :آمنتُ به وآمنتُ له واحد[3]

- الملاحظ مما سبق أن عائد الضمير في الحالين واحد ولا تعارض بين الآيتين ،فالضمير في "به" يعود على الله تعالى، والضمير في "له" يعود على موسى الذي أرسله تعالى .

---

[1]- الكرماني ،**أسرار التكرار**، مصدر سابق،ص:90،91.

[2] – ابن عطية ،**المحرر الوجيز**، مصدر سابق ،ج2،ص:441.

[3]- السيوطي، **قطف الأزهار**، مصدر سابق،ص:1043(بتصرف).

4- بين : ذلك ،و ذلكم:

- الشاهد قوله تعالى:﴿ ... **ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ**... ﴾[البقرة:232]،وفي سورة الطلاق قال تعالى: ﴿ ... **ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا** ﴾[الطلاق:2]، فالشاهد اختلاف ضمير المخاطب بين الافراد والجمع.

وجّه الإسكافي هذا الشاهد بطريقتين:

أولهما : جعل "الكاف" في الآية الأولى للتبعيد وليس للخطاب بعد أن فصّل القول في أنواع وأحكام "الكاف" فذكر أنها ترد:

- اسما للمخاطب وموضعها النصب كقولنا: رأيتكَ ،أو الجر كقولنا: في غلامِك.
- أنها تتصل بأسماء الإشارة ،وهنا تكون حرفا للخطاب وليست اسما ،وتدل على البعيد في :ذاك ،ذلك ،أولئك، والدليل على أنها ليست اسما عدم اقترانها مع نون التثنية ،ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿...**فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ**...﴾[القصص:32]، فلو كانت اسما مجرورا هنا لما اجتمعت مع نون التثنية ،كما لا تجتمع في قولنا: غلاماك ،وليس غلامانك.
- لا يجوز أن تكون الكاف بعد اسم الإشارة اسما منصوبا ،لأنه ناصب.
- أسماء الإشارة معارف ولا تصح إضافتها ،والكاف بعدها ليست مضافا إليه.
- الكاف إذا عُرِّيت من الاسمية بعد أسماء الإشارة ،فليس معنى ذلك أنها لا تدل على الخطاب ،فذا تدل على القريب، وذاك للبعيد ،فدلت الكاف هنا للإشارة للبعيد.
- إذا عريت الكاف من الاسمية فيقصد بها هنا معنيان: الخطاب والتبعيد.
- وإذا اتصلت بأسماء الإشارة وقُصد بها الخطاب والتبعيد يجوز هنا أن يحذف أحدهما وهو الخطاب ،ويقتصر على التبعيد حسب المقصود من الكلام.
- إذا جاءت الكاف مثناة أو مجموعة فهي على المعنيين (الخطاب والتبعيد) حسب حال المخاطبين.
- تبيين الموضع الذي يقصد فيه التبعيد وحده لغرض من الأغراض دون الخطاب والتبعيد معا يمكن باستقراء كل لفظ من القرآن جاءت فيه ذلك والمخاطبون عدة.
- والخلاصة ما عرضه الإسكافي في التوجيه الأول: أن المواضع التي وردت فيها الكاف مفردة ،ثم

مجموعة يقتضي ذلك الموضع استعمالها للتبعيد دون الخطاب ،لذلك دلت "الكاف" في الآية الأولى على التبعيد وليس الخطاب.

ثانيهما: أنّ كل موضع أفردت فيه الكاف والخطاب لجماعة ،فإنما قُصد بالكاف المفردة خطاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم العدول عنها لمخاطبة أمته ،كقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ**...﴾[الطلاق:1]، فلم يمنعه توظيفه لخطاب الجماعة في "**طَلَّقْتُمُ**" أن يفرد للنبي خطابا مخصوصا موحدا، فكذلك قوله : "**ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ**" فتكون "الكاف" في "ذلك" لخطاب النبي صلى الله عليه وسلم ،والكاف في "منكم" لخطاب أمته ،وكذلك كل موضع مشابه له في القرآن[1].

– وقد وافق المرادي التفصيلات السابقة في أحكام "الكاف" ،وأشار إلى أن اتصال "الكاف" باسم الإشارة فيه ثلاث لغات ،فقال:«...وأما كاف الخطاب فحرف يدل على أحوال المخاطب ويتصل بها ستة أشياء، **أولها**: اسم الإشارة نحو: ذاك ،ذلك واتصاله به دليل على بعد المشار إليه ،وقيل :ذاك للتوسط وذلك للبعيد ،ولا خلاف في حرفية كاف الخطاب المتصلة باسم الإشارة ،وفيها ثلاث لغات: أولاهما أن تختلف لاختلاف أحوال المخاطب في التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع ،فالكاف التي هي ضمير المخاطب وهذه اللغة الفصيحة .

ثانيهما: أن تفرد مفتوحة في الأحوال كلها فلم يقصد بها على هذه اللغة إلا التنبيه على مطلق الخطاب لا على أحوال المخاطب.

ثالثهما: أن تفرد مفتوحة في التذكير ومكسورة في التأنيث فلها على هذه اللغة حالان فقط[2].

فلم يشر المرادي في حال اتصال "الكاف" باسم الإشارة دلالتها على التبعيد فقط إذا دلت على التبعيد والخطاب معا ،ووافق الإسكافي في أنه لا خلاف في حرفية كاف الخطاب المتصلة باسم الإشارة.

– ووافق الزمخشري الإسكافي في رأيه الثاني في توجيه هذا الشاهد ،فذكر أنه يجوز أن تعود الآية الأولى على الرسول صلى الله عليه وسلم ولكل أحد ،واستدل على رأيه [3] .

– أما الكرماني فقد جعل "الكاف" في الآية الأولى للخطاب لا محل له من الاعراب ،فيجوز الاختصار فيه للتوحيد ويجوز إجراؤه على عدد المخاطبين ،وحيث جاء موحدا فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ،وجاء مفردا في هذه السورة لقوله من قبل : "**مَنْ كَانَ مِنْكُمْ**" ،وجُمع في الآية الثانية لأنه لم ترد فيه :

---

[1] – الإسكافي ،**الدرة** ،ص:40،39(بتصرف).

[2] – المرادي، **الجنى الداني**، مصدر سابق،ص:92،91(بتصرف).

[3] – الزمخشري، **الكشّاف** ،مصدر سابق، ج1،ص:454.

"**مِنْكُمْ**"[1].

– ووافق الطاهر بن عاشور توجيه الإسكافي وقال:« ... "**ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ**" إشارة إلى حكم النهي عن العضل•،وإفراد الكاف مع اسم الإشارة مع أن المخاطب جماعة رعيا لتناسي أصل وضعها من الخطاب إلى ما استعملت فيه من معنى بعد المشار إليه فقط، فإفرادها في أسماء الإشارة هو الأصل ،وأما جمعها في قوله:" **ذَلِكُمْ**" فتجديد لأصل وضعها [2].

4– بين ذكر وحذف الضمير "منهم":

– الشاهد قوله تعالى:﴿ **وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ** ﴾[الصافات:175]،و قال تعالى في نفس السورة فيما بعد: ﴿ **وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ** ﴾[الصافات:179]، فالشاهد ذكر المفعول به (ضمير الغائب "هم") في الآية الأولى وحذفه من الثانية.

ذكر الإسكافي أنه بعدما بشّر الله تعالى عباده عندما قال: ﴿ **وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (172) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ**﴾[الصافات:171،173]،ومعناه بأن الله قد حكم بالنصر للمرسلين ومن تبعهم إذا حاربوا أعداء الله وبأمر الله ولو بعد حين ،ثم قال تعالى: ﴿ **فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ**﴾[الصافات:174]،أي أعرض عن محاربتهم إلى الحين الذي يعلم الله أنه يظفرك بهم ،وأبصرهم في الوقت الذي تنصر فيه عليهم "**فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ**" قهركم لهم وذلهم ،وأما حذف "هم" في الآية الثانية من "أبصر" فلذكرها في الأول ،ولأن هناك معاني أخر تنضم إلى ذكرهم ،فيترك ذكر المفعول ليشرع الفعل إلى تلك المعاني كلها ،ويبين ذلك في الجواب عن فائدة تكرار العامل وهي قوله: " **وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ** "،،يراد به الحين في الدنيا ،وهو الوقت الذي ينصر فيه المسلمون عليهم ،ويقهرون بأيديهم ،ومعنى قوله تعالى فيما بعد: ﴿ **وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (178) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ**﴾[الصافات:179،178]أي بعد أن تنصر عليهم فيهلكوا في الدنيا، توقع ما يحل بهم في الأخرى ،وأبصرهم هناك ،وما يلحقهم من عذاب ،فقوله: "**وَأَبْصِرْ**" مودع كل ذلك في "**فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ**" تهددا لهم ،أي سوف يلقون ما أوعد الله به أهل معصيته من أليم عقوبته[3].

---

[1] – الكرماني ،**أسرار التكرار** ،مصدر سابق،ص:43(بتصرف).

•عضَلَ الرجل حرمته عضلا من بابي قتل وضرب ،منعها التزويج ،وأعضل الأمر اشتد ،ينظر: الفيومي ،**المصباح المنير**، مصدر سابق،ص:158(مادة عضل)

[2] – طاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، مصدر سابق، ج2،ص:428.

[3] – الإسكافي ،**الدرّة** ،ص:272(بتصرف).

- ذكر الزمخشري أن المقصود بالحين في الآية الأولى يوم بدر ،ومعنى الآية أبصرهم كيف حالهم(الكفار) عند بصرك عليهم وخذلانهم ،والمقصود بالحين الثانية يوم القيامة ،ثم قال وأبصر حال المؤمنين وحالهم من الغم وما أصابهم من الخزي العظيم ،فلما كان الأول خاصا بهم أضمرهم ،ولما كان الثاني عاما أطلق الأبصار والمبصرين[1].

وافق ابن عاشور توجيه الإسكافي في أن معنى أبصرهم أنظر إليهم وتأمل أحوالهم لما ينصرك الله عليهم ، وعُدي الفعل "أبصرهم" إلى ضمير "هم" الدال على ذواتهم ،وحُذف ما يتعلق به الابصار من حال أو مفعول معه بتقدير أبصرهم مأسورين مقتولين ،وحذف مفعول "أبصر" للدلالة ما في نظيرها عليه[2].

- وجعل البيضاوي إطلاق الفعل "أبصر" بعد تقييده "أبصرهم" للإشعار بأنه صلى الله عليه وسلم يبصر وأنهم يبصرون ما لا يحيط بالذكر من أصناف المسرة وأنواع المساءة ،أو الأول (أبصرهم) لعذاب الدنيا ، والثاني(أبصر) لعذاب الآخرة[3].

فالحاصل أن تقييد الفعل بمفعوله في الآية الأولى مقصوده تهديد ووعيد للكفار وما سيلحقهم من الهزيمة والذل وفيه بشارة للرسول صلى الله عليه وسلم بنصره عليهم ،أما إطلاق الفعل في الآية الثانية وحذف مفعوله "هم" فلتضمن هذا الأخير في الفعل الأول وتفاديا لتكراره لأن معنى الآية دال عليه ضمنيا.

5- بين ذكر وحذف ضمير الغائب "هو":

- الشاهد قوله تعالى:﴿... **كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآَيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (58) وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آَيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾[النور:59،58]، فالشاهد حذف الضمير في لفظة "الآيات" في الآية الأولى وذكره في اللفظة الثانية "آياته".

يردّ الإسكافي سبب ذلك إلى خصوصية الأفعال، فكل فعل اختص بقدرة الله تعالى يربط بضمير يعود عليه ،وكل فعل لا يختص بذكر قدرة الله تعالى فلا يربط بهذا الضمير ،فالآيات السابقة تضمنت أفعالا تدل على الأوقات الثلاثة التي يمنع فيها دخول المماليك والأطفال على النساء وجوازه فيما سواها ،فلم تبين هاته الأوقات من الأفعال ما يختص بقدرته تعالى لذلك وردت مطلقة ولم تضف لله تعالى ،ولما كان بلوغ الحلم مما يختص بفعله ،ولم يقدّر فاعل على مثله أضافه لنفسه تعالى ،والآيات الموالية تثبت

---

[1] - الزمخشري ،**الكشاف** ،مصدر سابق، ج5،ص:310(بتصرف).

[2] - الطاهر بن عاشور ،**التحرير والتنوير** ،مصدر سابق،**ج**23،ص:198(بتصرف).

[3] - البيضاوي ، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** ،مصدر سابق،ج5،ص:21.

ذلك ،فما تعلق الأمر بجواز تناول الطعام لبعض القربات لم يضفها لنفسه فقال تعالى: كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ [النور:61]،والمعنى يبين لكم العلامات التي ينصبها على ما يبيح وما يحضر وما يضيق فيه وما يوسع ،وكذلك لما أشار لحد الزاني من قبل والقاذف لم يضفها إلى نفسه فقال تعالى: ﴿**يَعِظُكُمَ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (17) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ [النور:17،18][1].

وقد وجّه الكرماني هذا الشاهد بنفس التوجيه السابق ،فذكر أنّ الآيات التي تضمنت علامات يمكن الوقوف عليها وهي الأوقات التي يجوز فيها الدخول على النساء وكذا جواز تناول الطعام من ذوي القربى فكانت آيات كلها معلومة لذلك لم يضفها لنفسه ،أما بلوغ الأطفال فلأنه لم يذكر له علامات يمكن الوقوف عليها لأنه تعالى تفرد بعلم ذلك خصه إلى نفسه [2]

- وقد وافق ابن جماعة كذلك نفس التوجيه وأضاف أن ذلك يُعد من التفنن في كلام كراهة التكرار لأن النفوس تمجه[3].

6- التناوب بين الاضمار والإظهار :

سنورد ضمن هذا النوع من التشابه نماذجا تضمنت تناوبا في الاضمار والإظهار ،لنخلص لكيفية توجيههما في الأخير:

أ- الشاهد قوله تعالى:﴿ **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ...** ﴾[سبأ:21]، وقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿ **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا** ﴾[الإسراء:56]، فالشاهد بين قوله تعالى "**مِنْ دُونِ اللَّهِ**" وبين "**مِنْ دُونِهِ**".

بنى الإسكافي توجيهه لهذا الشاهد على المناسبة اللفظية ،فذكر أن آية الإسراء تضمنت الاضمار لقوة ذكره فيما سبق ،فكان في عشرة مواضع مضمرا ومظهرا في قوله تعالى: ﴿**رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ**﴾[الإسراء:54،56]، فكان الاضمار في: "**رَبُّكَ**" وفي "**يَرْحَمْكُمْ**"، و "**يُعَذِّبْكُمْ**" وفي " **أَعْلَمُ** " ، وفي "

---

[1] - الإسكافي، **الدرّة** ،ص:225(بتصرف).

[2] - الكرماني ،**أسرار التكرار**،ص:152(بتصرف).

[3] - ابن جماعة، **كشف المعاني**،ص:272،273(بتصرف).

يَشَأْ " ، وفي "**أَرْسَلْنَا**" ،وفي " **رَبُّكَ أَعْلَمُ** " اسمان ، و في " **فَضَّلْنَا** " ،وفي "**آتَيْنَا**" مضمر كذلك فهذه عشرة مواضع أضمر فيها الفاعل ،فلذلك أضمر في قوله : "**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ**".

أما سورة سبأ فبُنيت على الإظهار لتقدم البناء عليه في ثلاثة مواضع في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ**﴾[سبأ:21][1]

ب- الشاهد قوله تعالى:﴿ **كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾[آل عمران:21]، وقوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿ **كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾[الأنفال:52]، فالشاهد قوله تعالى بإضمار الفاعل " **بِآيَاتِنَا** " وبين " **فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ** " بإظهاره.

ذكر الإسكافي أن العدول عن منهج الإضمار والإخبار عن النفس إلى لفظ ظاهر يكون ذلك لفائدة تتضمنها اللفظة من الاحتجاج وليست تلك الفائدة متحققة في الإضمار ،وقد بنيت هذه الآية كسابقتها على نفس المنهج في الانتقال من الإضمار للإظهار وهي في قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ**﴾[آل عمران:9]،فقوله تعالى: "**رَبَّنَا**" تقضي أن يكون بعدها :إنك لا تخلف الميعاد ،كما قال تعالى : ﴿ **رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ**﴾[آل عمران:194]، ولكنه أظهر لفظ الجلالة هنا لأن المعنى في قوله: "**رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ**": أنك خلقت الدار الدنيا للتكليف ،ومكّنت العباد فيها من الطاعة والعصيان ،فوقع منك وعد ووعيد ،فرغّبت المطيع في الثواب بهما بأنك تجمع الخلائق ليوم الجزاء ،لأن من خلق وأنعم نعمة حقت بها العبادة ،وهو معنى قولنا: إن الله إذا وعد صدق ،فلا خلف في قوله ولا تبديل لكلماته ،ولما كان معنى قولنا "الله" معنى الإله ،والإله مشتق من أله يأله إلاهة أي: عبد يعبد عبادة ،الإله هو الذي حقت عبادته لما عظمت نعمته ،فكان العدول إلى هذه اللفظة للاحتجاج بمعناها فائدة لم تكن تحصل بإضمارها ،وبنيت الآية –محل الشاهد- كذلك بنفس المنهج من الانتقال من الإضمار للإظهار فقال تعالى: "**كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا**" والمعنى: إنا عرضناهم للإيمان ومكناهم من الاسلام ،ونصبنا الأدلة فكذبوا بها ،فالذي

---

[1] – الإسكافي، **الدرة**، ص:265(بتصرف).

حقت له العبادة وعظمت منه النعمة أخذهم بذنوبهم ،والله يعاقب الكفار عقوبة تشتد عليهم ،ولا تخفف عنهم لما قدموا من العصيان ،فلما كانت لفظة "الله" مقصودة للاحتجاج أظهرت في موقع الإضمار على خلاف القياس [1].

وأشار الكرماني لنفس التوجيه باختصار فقال:«قوله :"**كَدَأْبِ آَلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآَيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ**..."كان القياس: فأخذناهم ،لكن لما عدل في الآية الأولى إلى قوله: "إن الله لا يخلف الميعاد" ،عدل في هذه الآية أيضا ،لتكون الآيات على منهج واحد»[2] .

ت- الشاهد قوله تعالى:﴿ **كَدَأْبِ آَلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾[آل عمران:21]، وقوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿ **كَدَأْبِ آَلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآَيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾[الأنفال:52]، فالشاهد قوله تعالى بإضمار الفاعل " **بِآَيَاتِنَا** " وبين " **فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ** " بإظهاره.

ت- الشاهد قوله تعالى:﴿ **وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آَلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ** ﴾[يس:74]، وقوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿ **وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ**... ﴾[الفرقان:3]، فالشاهد قوله تعالى بإضمار لفظ الجلالة " **وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ** " وبين إظهاره في قوله: " **وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ** " بإظهاره.

يردُّ الإسكافي سبب الإضمار في سورة الفرقان راجع إلى أنها قد افتتحت بإخبار الله تعالى عن نفسه ولكن ليس بضمير المتكلم أو المتكلمين ،بل كما يخبر المخبر عن غيره ،فقال: ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**﴾[الفرقان:1]، إلى قوله تعالى: ﴿...**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا**﴾[الفرقان:2]،فلما كان ذكر الله تعالى قد تقدم في الآيتين ؛فأجرى في الثالثة مجراه في الأوليين ،وعلى مقتضى كلام العرب في الاضمار بعد الذكر ،ولم تتضمن الآية في سورة يس وسورة مريم ذلك ؛لأنّ الذكر المتقدم فيهما كان على لفظ المخبر نفسه (ضمير المتكلم) ،فقال تعالى: ﴿**كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا**﴾[مريم:79،80]،ثم قال: ﴿**وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آَلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا**﴾[مريم:81] ، فأظهر اسمه تعالى لما لم يتقدم ظاهر

[1] - الإسكافي، **الدرّة** ،ص:45،46(بتصرف).

[2] - الكرماني، **أسرار التكرار**،ص:46.

يقع الاضمار بعده ،وكذلك الأمر في سورة يس من قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ**﴾[يس:71]،إلى قوله تعالى: "**وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ**" [1] .

– فتم توجيه هذا الشاهد اعتمادا على التناسب اللفظي لمفتتح كل آية ،إضافة لمطابقة ذلك مع ما عُرف من كلام العرب، حيث إنهم يضمرون الفاعل بعد الذكر المتكرر له، وهذا ما حصل بعد الآية من سورة الفرقان ،والتي تم ذكر الله فيها من خلال نعمه الكثيرة في مفتتح الآيات التي تضمنت نفس المعنى ؛فكان لزاما إضمار لفظ الجلالة بعد هذا التكرار لتتناسب الضمائر ،أما إن كانت الآيات مبنية من الأول على إظهار الفاعل (كما لاحظنا مع سورتي يس ومريم اللتان وردتا بعد ضمير المتكلم) ؛فبناء على ذلك بُنيت الآيات الموالية على نفس المنوال في الإظهار.

7- ذكر وحذف الضمير في "له":

– الشاهد قوله تعالى:﴿ **اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾[العنكبوت:61]، وقوله تعالى في سورة القصص: ﴿... **وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ**... ﴾[القصص:82]، وقوله تعالى في سورة الشورى: ﴿ **لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾[الشورى:12]، وقوله تعالى في سورة الرعد: ﴿ **اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا**... ﴾[الرعد:26]، فالشاهد ذكر الضمير في الآية الأولى وحذفها من الآيات الأخرى.

ذكر الإسكافي في معنى قوله تعالى: ﴿ **وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾[العنكبوت:60] أنه لما كان تعالى رازق جميع الحيوانات ما اخر منها كالنمل وما لم يدخر كالطير ،فبيّن تعالى أنه كما رزق غيرنا من الحيوان ما هو موسع عليه وما هو مضيق عليه كذلك الأمر فينا ،ثم ذكر تعالى بعد القسمة الأولى من يبسط له الرزق في حال ،ويضيق عليه في أخرى فقال: "**اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ**" ،والهاء في "له" تعود إلى "ما شاء من عباده" ،ومن يشاء مفعول ببسط ،فكان من يقدر له هو من يبسط له في وقتين مختلفين ،فاقتضى هذا المكان اللفظ الذي جاء فيه بالمعنى الذي هو غير الأول من جمع البسط والقبض لواحد في حالين.

وأما المعنى في سور القصص :انتبهوا لأن الله يوسع الرزق لمن يشاء لا لكرامته كما وسع على قارون ،ويُضيّقه على من يشاء لا لهوانه كما ضيّق على كثير ممن آمن به ،فقوله: "**لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**

---

[1] – الإسكافي، **الدرّة** ،ص: 269(بتصرف).

وَيَقْدِرُ" معناه يبسط الرزق لمن يشاء بسطه له ويقدر لمن يشاء قدره عليه ،فأضمر الفعل الثاني مثل ما تعدى إليه الفعل الأول وهو "من يشاء"، لعلم المخاطب به ،وأنه في المعنى غير الأول وإن كان في اللفظ مثله.

وأما الآيتان في سورة الشورى والرعد ،فإنهما مقصورتان على ذكر البسط والقبض فحسب ،فآية الرعد جاءت مع قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ** (25) **اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾[الرعد:26،25]،وفيه دليل على أنهم موسع عليهم في الرزق لقوله تعالى:" **وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا**"،ولما قال لهم

"**سُوءُ الدَّارِ**" أي: وسع عليهم في الدنيا ليس لكرامتهم ،وأن من ضيق عليه فيها ليس ذاك لهوانه ،فاقتضى المكان هذا لأجل المعنى ،ووقع اختصار في اللفظ في الفصل الثاني ،لأن ما تعدى إليه مثل ما تعدى إليه المفعول الأول (الآية في سورة القصص).

والآية في سورة الشورى فيها اجمال في القول في مسألة التوسعة والتضييق في الرزق ،فلما أخبر تعالى أنه خلق لنا من أنفسنا أزواجا ،أي أجناسا من ذكور وإناث ومن الأنعام مثلها ،فإنه ينشئنا في هذا الخلق ،فلايزال الآخر مخلوقا في الأول في ظهور الآباء وبطون الأمهات إلى الوقت المعلوم ،وهو يملك أرزاق هذا الجمع من السماء بالمطر والنبت[1].

وأشار ابن جماعة لنفس توجيه الإسكافي فذكر أن أحوال الناس في الرزق ثلاثة:

الأول :من يبسط الله رزقه تارة ويضيق عليه أخرى ،وهو ما يفهم من آية العنكبوت بقوله "له" وخصت بذلك لتقدم ذكر مسألة البسط والقبض عند غير البشر .

الثاني: يوسع على قوم مطلقا ويضيّق على قوم مطلقا ،ويفهم ذلك من آية القصص ،وقد وردت بعد قصة قارون ،فإطلاق الرزق مطلقا لقارون لا لكرامته وقبضه عن بعض الأنبياء لا لهوانهم.
الثالث: الاطلاق من غير تعيين بسط ولا قبض ،فأطلق من غير تحديد أو تعيين[2].

[1]- الإسكافي، **الدرة** ،ص: 246،245(بتصرف).

[2] ابن جماعة ،**كشف المعاني**، مصدر سابق،ص:291،292(بتصرف).

8- الحذف والذكر في الجار والمجرور "فيه":

والشاهد قوله تعالى في سورة الروم:﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾[الروم:46]،وقوله تعالى:﴿**اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾[الجاثية:12].فحصل الاختلاف في ذكر "فيه" في قوله تعالى:" **لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ**" ،وحذفها في قوله: "**وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ**"

- بنى الإسكافي هذا التشابه على السياق القبلي ،فذكر أنَّ الهاء في "فيه" عائدة إلى البحر الذي ذُكر من قبل" **سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ**" ؛ فناسبه ذكر إحالة الضمير عليه ،أما سورة الروم فلم يتقدم فيها ذكر البحر وإنما نبّه على نعمة الرياح التي تجلب السحاب والمطر وتلقّح الأشجار فقال" **وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ**" أي بالرياح بإذن الله[1].

وقد وافق الكرماني وابن جماعة والغرناطي نفس التوجيه[2].

- وهكذا تم توجيه سبب حذف وذكر الضمير العائد على البحر بحسب معنى كل آية ؛فلما تضمنت الآية في سورة الجاثية نعمة تسخير البحر ،و مصالح البشر التي تنقل بالسفن التي بدورها لا يمكن أن تسير إلا فوق هذا البحر ؛ فكان لزاما هنا الاحالة على البحر بضمير يعود عليه ،ويربط الفلك بالمحل الذي تسير فيه ؛ لهذا ذكر الضمير هنا "فيه"، أمّا الآية في سورة الروم فلم تتضمن ذكر هذه النعمة (البحر) بل أشار لنعمة أخرى وهي الرياح، فلما لم تتضمن الآية المحل الذي تسير عليه الفلك ورغم أن الفلك تجري أيضا بمساعدة الرياح لم يذكر الضمير هنا .

9- التقديم والتأخير في ضمير المتكلمين "نحن":

- الشاهد قوله تعالى:﴿ **بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ** ﴾[المؤمنون:81،83]، وقال عزّ وجل في سورة النمل: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ** ﴾[النمل:67،68]،فحصل التقديم والتأخير بين ضمير المتكلمين "نحن" وتأخير المفعول به "هذا" في الآية الأولى ،وعكس ذلك في الآية الثانية.

---

[1] - الإسكافي ،**الدرّة** ،ص: 256(بتصرف).

[2] - ينظر: الكرماني ،**أسرار التكرار** ،ص:169،وابن جماعة ،**كشف المعاني**،ص:295،والغرناطي،**ملاك التأويل**،ص:401.

- استند الإسكافي في توجيه هذا الشاهد على تناسب التركيب الذي وردت فيه كل آية ، فذكر أن الآية الأولى وردت على الأصل ،وأسندت فيها الأفعال إلى فاعليها المتصلة بها ،وهي: **"بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ"** ،ففي هذه الآية ورد الفعلان متصلان بفاعليهما، ثم ورد بعده:" **أَئِذَا مِتْنَا"** فكل هذه الأفعال قُصد بها حكاية ما جاء بعدها، فلما قال:" **لَقَدْ وُعِدْنَا"** وجب في البناء على الأفعال المتقدمة أن يتمم حكم الفاعل ،وهو توكيده والعطف عليه ،فقدم "نحن وآباؤنا" على المفعول الثاني وهو "هذا"، لذلك ،ولأنّ الأصل إذا جرى عليه الشيء أولى من غيره ،أمّا الآية الثانية فقد تقدمها: **"وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا"** ،فأخَّر المعطوف على اسم كان الذي هو كالفاعل لها " **آبَاؤُنَا"** عن المنصوب الذي هو كالمفعول لها " **تُرَابًا"** ،فصار ما هو كالمفعول مقدما على ما هو معطوف على الفاعل ،فاقتضى البناء عليه تقديم المفعول ،ثم العطف على الفاعل المضمر ،فورد[1]:" **لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ"**.

- نلاحظ أنّ الإسكافي قد وجّه الآية الأولى توجيها اعتمد فيه على القياس الذي وردت فيه الأفعال وفاعليها ،فقد وردت في الآية الأولى مرتبة ومتصلة بأفعالها ،لذلك وجب اعتماد هذا الأصل فيما يليها بشأن التوكيد والعطف ،فأكّد الفاعل (ضمير المتكلمين في وعدنا) بضمير منفصل ورد بعده مباشرة ثم ورد العطف عليهما على نفس الترتيب ،أمّا الآية الثانية فلم يحصل فيها هذا الترتيب ،فتقدم خبر كان "ترابا" الذي كان كالمفعول لها على المعطوف المرفوع الذي كان كالفاعل لها ،فمراعاة لهذا الترتيب تقدم كذلك المفعول به "هذا" وتأخير العطف.

- وافق الكرماني توجيه الإسكافي تماما وبإيجاز فقال:« ...لأن ما في هذه السورة (المؤمنون) على القياس ،فإنّ الضمير المرفوع المتصل لا يجوز العطف عليه حتى يؤكد بالمنفصل ،فأُكّد " **وُعِدْنَا نَحْنُ** " ،ثم عطف عليه "**آبَاؤُنَا"** ،ثم ذكر المفعول وهو: " **هَذَا** "، وقُدم في النمل المفعول موافقة لقوله: " **تُرَابًا** " ،لأن القياس في أيضا :كنا نحن وآباؤنا ترابا ،فقدم " **تُرَابًا** " ليسد مسد **"نَحْنُ** "»[2].
- وذكر صاحب "فتح الرحمان" ،نفس التوجيه ،وأضاف: «...وخصّ ما هنا بتأخير "هذا" جريا على الأصل بلا مقتض لخلافه، وما هناك بتقديمه اهتماما به من منكري البعث ،لهذا قالوا بعد: **"إِنْ**

[1] - الإسكافي، **الدرّة** ،ص: 221،222(بتصرف).
[2] - الكرماني، **أسرار التكرار**، مصدر سابق،ص:149.

هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ"»[1].فحصل التقديم والتأخير في الآية الثانية لغرض ابراز منكري البعث واهتماما بهم.

- ذكر صاحب "كشف المعاني" توجيها آخر: ...لما تقدم هنا ذكر آبائهم قوله تعالى:" **بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ**" وهم آباؤهم ناسب ذلك تقديم المؤكد وهو "نحن" ليعطف عليه الآباء المقدم ذكرهم، ثم تأخير المفعول الموعود لهم جميعا وهو "هذا"، وآية النمل لم يذكر فيها "الأولون" وإنما " **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا** "،فناسب تقديم المفعول لموعود ،ثم ذكر المؤكد ليعطف عليه، ثم لم يذكر أولا ،وحاصله تقديم ذكره أهم وأنسب ،وتقديم المفعول الموعود ،وتأخير من لم يذكر أهم وأنسب»[2].

- فابن جماعة يرى أنّ سبب تقديم الضمير المؤكد "نحن" في الآية الأولى ورد مناسبا لتقدم ذكر الأولين لأنه مرتبط بهم ، وهم الآباء ،ثم عطف هذا الأخير عليهما ،أما الآية الثانية فتقدم المفعول لأنها لم تتضمن ما في الآية الأولى ،فلم يبين بن جماعة السبب فيذلك واكتفى بأن التقديم والتأخير يكون للأهم والأنسب.

- وأضاف الزمخشري:...الضمير في "إنا" لهم ولآبائهم ،لأن كونهم ترابا قد تناولهم وآبائهم ،...والتقديم دليل على أنّ المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر ،وإن الكلام إنما سبق لأجله ،ففي إحدى الآيتين دل على أنّ اتخاذ البعث هو الذي تعمد بالكلام ،وفي الأخرى على أن اتخاذ المبعوث بذلك الصدد»[3].

فالزمخشري لم يركز في تفسيره على الجانب النحوي بل اعتمد على ذكر الغرض البلاغي ،وأنّ التقديم والتأخير يكون للإبراز المهم ،وقد تشابه في تفسيره مع ابن جماعة .

10- التناوب بين ضميري المخاطب والغائب:

- الشاهد قوله تعالى:﴿ **وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾[النحل:53،55]، وقال عزّ وجل في سورة الروم: ﴿ **وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴾[الروم:33،34]، وقال عزّ وجل في سورة العنكبوت: ﴿ **فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ**

---

[1] - أبو زكريا الأنصاري، **فتح الرحمان**، مصدر سابق،ص:391،392.

[2] - ابن جماعة ،**كشف المعاني**، مصدر سابق،ص:268،269(بتصرف).

[3] - الزمخشري، **الكشّاف**، مصدر سابق، ج4،ص:469(بتصرف).

مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[العنكبوت:66،65]، فحصل التناوب بين ضميري المخاطب في قوله: "**فَتَمَتَّعُوا**" (أنتم)،وضمير الغائب في قوله: "**لِيَتَمَتَّعُوا**"(هم) .

وجّه الإسكافي هذا الشاهد بناء على التناسب اللفظي لكل آية من خلال بدايتها ونهايتها ؛ فلما افتتحت الآية الأولى بضمير المخاطب في قوله: "**بِكُمْ**" فبُنِيَ الكلام عليه ،فورد لفظة "**فَتَمَتَّعُوا**" مقترنة بضمير المخاطب ،والآية في سورة العنكبوت افتتحت بضمير الغائب في قوله:" **فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ**..."فبُني الكلام عليه ،ووردت لفظة "**يَتَمَتَّعُوا**" مقترنة بضمير الغائب ،والآية في سورة الروم وإن افتتحت بلفظ الاخبار عن الغائب ،فإنّ لها في لفظها نظيرة رُدت إليها ،وصارت كالفرع عليها ،وهي قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿ **وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**﴾[الزمر:8]،فهذه الآية مفتتحة بمثل ما افتتحت الأولى (في سورة الروم)،إلا أنها للمفرد ،وتلك للناس ،فصارت كالفرع عليها ،وكان حملها في هذه اللفظة عليها [1] .

- هذه نماذج من المتشابهات اللفظية التي اختلفت فيها الضمائر في قصة واحدة ،و يمكن حصر بعض النتائج المستخلصة من توجيهها كمايلي:

- مسألة العدول عن القياس في الإضمار والإظهار تتحكم فيها القصدية والمناسبة اللفظية والتركيبية ،فلتحقيق التناسب في بناء الآيات وبقصد الاحتجاج يُعدل عن القياس تحقيقا لذلك.
- الإضمار والإظهار في لفظ الجلالة يتم بسب التشريف والمقام الأرفع ،فيظهر مثلا هذا اللفظ لما يتصل بآيات عجائب قدرته تعالى ،ويضمر فيما دونه.
- يحذف الضمير في عدة حالات منها تفاديا للتكرار وبحسب الأغراض التي تؤديها كل آية.
- يدل "الكاف" على الخطاب والتبعيد ،أو على الخطاب دون التبعيد ،أو على التبعيد دون الخطاب وكل ذلك بسب القصدية واختلاف أحوال المخاطبين.
- يختلف نوع الضمير في القصة الواحدة بحسب المعنى ،وبالتالي يختلف تناسبا مع ذلك عائده.
- يضمرُ الفاعل إذا تكرر الكلام عنه سابقا حسب عادة العرب في كلامهم.

---

[1] - الإسكافي، **الدرّة** ،ص:186،187(بتصرف).

– تُبنى الآيات على إظهار الفاعل إذا كانت مفتتحة بإظهاره ،فيستمر الإظهار تبعا لذلك .

المطلب الثاني :التناوب بين الأسماء الموصولة

ويكثر مثل هذا التشابه في القرآن الكريم ،و يرد في صورة تناوب بين الأسماء الموصولة ، " ،وسنورد في هذا القسم نماذج من هذا النوع من المتشابهات ،وكذا كل ما يتعلق بالأسماء الموصولة وصلتها من أحكام وردت في كتاب "الدرة" والتي وُجّهت نحويا ،لنستخلص في الأخير مختلف المعاني ،والأحكام.

1–التناوب بين :"الذي" و"ما":

– الشاهد قوله تعالى:﴿ **لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[الزمر:35] ،وفي سورة النحل قال تعالى: ﴿ **مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [النحل:96،97]،

قبل توجيه هذا الشاهد ،أكد الإسكافي أنّ "الذي " و"ما" اسمان موصولان بالمعنى ،ثم شرع في توضيح الفرق بينهما فأشار إلى أن "ما" تدل على غير العاقل ، و "الذي" يدخل فيه العاقل وغير العاقل من البهائم والجمادات ،ثم ذكر أنه يجوز حذف المبتدأ من صلة "الذي" إذا كان ضميرها ،ومثل لذلك بقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ **ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ...** ﴾[الأنعام:154] ،والمعنى: على الذي هو أحسنَ ولا يحسن حذف المبتدأ في صلة "ما" و لا في "مَن" ،وأرجع سبب ذلك بأن "الذي" تتميز عن "ما" و "من" في اللفظ والتصرف لقوعها على الجنس ،ثم وجّه الشاهد حسب المناسبة اللفظية ،فذكر أنّ الآية الأولى وردت متناسبة في البناء على ما تقدمها في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾[الزمر:33]،فافتتحت هذه الآية ب"الذي" ووصلت بفعل تعلق به قوله تعالى: ﴿ **لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا**﴾،وقُصد جنس عملهم السيئ وجنس عملهم الحسن ،فكان استعمال "الذي" هنا أولى ليحدث الالتئام. أما الآية الثانية فحُملت كذلك على البناء المتقدم لها وذلك من قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (95) مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ...**﴾[النحل:95،96] ،فذكر في الذي عند الله "**مَا عِنْدَ اللَّهِ**" ،ثم قال: "**مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ**" ،والمعنى: الذي عندكم ،فاستعمل "ما" في قوله: "**وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ**" ،فلما جاء ذكر الجزاء وهو ما عند الله ،استعمل اللفظ الذي يعود إلى ما تقدم أولى من

استعمال غيره ،فقال: "**وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**" ،ثم قال بعدها: "**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**" ،فاستعمل "من" وهي للمميزين عامة فيهم وبإزائها في غيرهم "ما" ،فلما استعملت "من" هنا شرطا ،كان استعمال "ما" التي هي قرينتها فيما يتعلق بجزاء شرطها أولى مما لا يلائمها[1].

فتم توجيه الآية الأولى بناء على المناسبة اللفظية ،فاستعملت "الذي" بناء على ما سبق ولخصوصيتها بكونها تقع على الجنس ،وقد تضمنت الآية الأولى ذلك(جنس العمل: حسنا وسيّئا)، لذلك كان الأولى توظيفها ،أما الآية الثانية فقد وظفت "ما" كذلك بناء على المناسبة اللفظية ،ولأنها وقعت جوابا لشرط متضمن اسم الشرط "من" ،ولأنّ "ما" قرينة "من" .

- وقد جوّز ابن الأنباري(ت 577هـ) حذف مبتدأ الصلات بلا استثناء ،فقال: «لا يجوز أن تكون الصلات إلا جملا ،ولا يجوز أن تكون مفردة ،فأما في قوله تعالى : ﴿... **تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ**... ﴾[الأنعام:154]، ...فالتقدير فيه "على الذي هو أحسن" ،وفي قوله تعالى: ﴿...**مَثَلًا مَا بَعُوضَةً**... ﴾[البقرة:26] ،والتقدير: "ما هو بعوضة..."»[2].

- ووافق الغرناطي الإسكافي توجيهه ،وأضاف في التفريق بينهما بأن الموصولية أعرق في "الذي" وهي الأصل ،لأن "ما" لها معان أخرى كالشرط والاستفهام، و تفيد "ما" على الاطلاق والعموم ،أما "الذي" فتتضمن الموصولية والعهدية فيها أغلب من الجنسية ،فآية النحل تضمنت معنى الاطلاق والعموم وبنيت سابقا على "ما" وتناسبا مع ذلك وظفت في الآية ،أما آية الزمر فبنيت على "الذي" سابقا ولم تدل على الاطلاق والعموم فناسبها "الذي"[3].

2-التناوب بين :"الذي" و"ما":

- الشاهد قوله تعالى:﴿ **أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[يونس:55] ،وقال عزّ وجل في نفس السورة: ﴿ **أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ**... ﴾ [يونس:66]، وقال عزّ وجل في نفس

---

[1] - الإسكافي، **الدرّة**، ص: 278،277(بتصرف).

[2] - أبي البركات عبد الرحمان الأنباري، **أسرار العربية**، تح محمد بهجة البيطار، المجمع العلمي العربي،دمشق،1957،(د ط)،ص:382(بتصرف).

[3] - الغرناطي، **ملاك التأويل**، مصدر سابق،309،310(بتصرف).

السورة من بعد: ﴿ **قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا** ... ﴾ [يونس:68]

ربط الإسكافي توجيه الآية الأولى بما سبقها في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ**... ﴾ [يونس:54]،وكان المعنى أن النفس الظالمة إذا رأت عذاب الله لو ملكت جميع ما في الأرض لبذلته فداء نفسها ،وهي تحرص على اليسير من حطامها فيظلم أهلها، فكرر توظيف "ما" فيقوله تعالى:" **أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**" ردا على ذلك ،والمعنى: النفس الظالمة لا تملك ما في الأرض فتفتدي به ولو ملكته لما قبل منها ،وكيف يكون ذلك والله مالك ما في السموات والأرض ،وليس للعبد ذلك ولا محله هنالك ،فوجب توظيف "ما" هنا لتقايس ما في الأرض مما ملكه الله للعباد.

أما الآية الثانية فاختصت ب "مَن" لأنها سُبقت بقوله تعالى: ﴿**وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ**... ﴾ [يونس:65،66]،والمعنى: لا يحزنك ما يتوعدك به الكفار من القتل وأنواع المكروه ،فإن القدرة لله تعالى وهو لا يمنح الكفار قدرة على ما يريدونه منك بل يعطيك العزة عليهم ،فإنه يملك من في السموات ومن في الأرض ،ولا قوة لهم إلا به، فاقتضى ذلك توظيف "مَن" دون "ما"[1].

فتم توجيه الآية الأولى بناء على المناسبة اللفظية والمعنى العام ل "ما" الموصولة التي تفيد الاطلاق والعموم فدلت على استحالة الفداء لأن الله يملك كل ما في السموات والأرض ،أما الآية الثانية فاختصت ب "من" تناسبا مع المعنى ولخصوصية "من" التي تدل على العاقل ،ودلت في الآية على أن الله تعالى يملك ويقدر على كل البشر ومنهم من توعد الرسول صلى الله عليه وسلم بصرفهم عنه ورد كيدهم .

– وأشار الكرماني لنفس التوجيه ،وأضاف أن المقصود ب "ما" المال ،والمقصود ب "من" الكفار الذين ذوا الرسول صلى الله عليه وسلم ،والمراد :من في الأرض ههنا لكونهم فيها [2].

---

[1] – الإسكافي، **الدرّة**، ص:153،154(بتصرف).

[2] – الكرماني، **أسرار التكرار**، مصدر سابق،ص:103،104(بتصرف).

3 – التناوب بين :"ما" و"ماذا(ما الذي)":

– الشاهد قوله تعالى:﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ** ﴾[الشعراء:69،71] ،وفي سورة الصافات قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الصافات:83،87] ،فوقع الاختلاف بين : "**مَا تَعْبُدُونَ**" ،و " **مَاذَا تَعْبُدُونَ**"

ذكر الإسكافي أنّ قوله : "**مَا تَعْبُدُونَ**" معناه أي شيء تعبدون ،وقوله: "ماذا" في كلام العرب له وجهان:

أحدهما :أن تكون "ما" وحدها اسما ،و"ذا" بمعنى "الذي" ،والمعنى: ما الذي تعبدون؟
والآخر : أن تكون "ما" مع "ذا" اسما واحدا بمعنى أي شيء .
وذكر أنّ "ماذا" في الحالين أبلغ من "ما" ،ثم بيّن سبب اختصاص كل سورة بواحد منهما، فذكر أن آية الشعراء كان القصد من سؤال سيدنا إبراهيم عليه السلام لقومه التنبيه ،فأجابه قومه :" **نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ**" ،فنبّههم ثانية بقوله: ﴿... **هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ**﴾ [الشعراء:72] ،أمّا آية الصافات فكان القصد من السؤال التقريع وهو حال بعد التنبيه والتبكيت ،ولعلم قومه بأنه يقصد توبيخهم وتبكيتهم لم يجيبوا كإجابتهم في الأول ،ثم أضاف تبكيتا إلى تبكيت ،ولم يستدع منه جوابا فقال: "**أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ**"[1] .
فتم توجيه هذا التشابه حسب القصد من كل سؤال، فلما كان القصد مجرد التنبيه وظف "ما" في سورة الشعراء، ولما قصد المبالغة في التقريع وظف "ماذا" ذات اللفظ الأبلغ بالوجهين .
وقد وجّه الكرماني هذا الشاهد بجعله "ما" أداة استفهام فقط والدليل جواب القوم ،أما "ماذا" فللاستفهام كذلك و ففيه مبالغة وقد تضمنت سورة الصافات التوبيخ فاقتضت توظيف "ماذا" ،وقد وافقه ابن جماعة كذلك[2] .

و جمع الغرناطي توجيه الإسكافي والكرماني وجوّزهما ،فذكر أنّ قوله "ما تعبدون" جملة تقدم فيها المفعول وهو "ما" الاستفهامية وهي في موضع نب بالفعل بعدها ،وقوله في الأخرى" ماذا" استفهام أيضا ركّب فيه "ما" مع اسم اشارة وجُع اسما واحدا في موضع نصب بالفعل بعدها ،ويمكن تركها على بابها من

---

[1] – الإسكافي، **الدرّة**، ص:229،230(بتصرف).

[2] – ينظر: الكرماني، **أسرار التكرار** ،ص:155(بتصرف).ابن جماعة، **كشف المعاني**،ص:280.

الاستفهام غير المركب ،وتكون "ذا" اسما موصولا في موضع رفع خبر للمبتدأ الذي هو "ما" والجملة "تعبدون" صلة ،والجملة من المبتدأ والخبر محكية بعد القول ،كأنه قال: أيشيء الذي تعبدونه؟ ،وحُذف الضمير الرابط لأنه ضمير نب منفصل وليس في الصلة ضمير غيره ،فحسن حذفه[1].

4- العطف على صلة الموصول مع حجزها:

- الشاهد قوله تعالى:﴿ **قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ...**﴾[فصلت:9،12]،وفي سورة الفرقان قال تعالى: ﴿ **الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ** ...﴾ [الفرقان: 59]،المتأمل في الآيات يلاحظ تعارضا في عدد الأيام التي خُلقت فيها الأرض والجبال والسموات ، فلآية الأولى ذكرت أنه عزّ وجل خلق الأرض في يومين ،وخلق الجبال وسائر مرافق الحياة في أربعة أيام ،وخلق السماوات في يومين ،فمجموعها ثمانية أيام ،وبالمقابل في الآية الأخرى ذكر أنه تعالى خلق السموات والأرض في ستة أيام.

- قبل توجيه هذا الشاهد عرض الإسكافي آراء المفسرين في حل هذا الاشكال، فذكر أنهم فسّروا معنى قوله تعالى: "**فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ**" ،أي في تتمة أربعة أيام ،ويكون خلق الأرض في يومين ،وخلق ما فيها من جبال وأقوات وشجر وغيرها في يومين ،فتكون الأربعة أيام المذكورة معها يوما خلق الأرض ،ومثلوا لذلك بقولنا: سرتُ من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام ،وسرتُ إلى الكوفة في خمسة عشر يوما ،وهو يعني :خمسة عشرة يوما وعشرة أيام السابقة محسوبة فيها ،وكذلك ضم اليومان في خلق الأرض لليومين في خلق الجبال للاتصال بينهما ، ثم طرح الإسكافي كعادته اشكالا هو :ما الذي أوجب ضم اليومان اللذان أرسيت فيهما الجبال وأخرجت فيهما من الأرض المياه إلى اليومين اللذين وقع فيهما خلق الأرض؟ لما لم يذكرا منفردين لكي لا يقع اللبس ؟

وقبل الاجابة عن هذا الاشكال أشار الإسكافي أن هذا الكلام من دقيق الكلام في الإعراب ،وقبله خطّأ المفسرين من ردهم المتشابه للمحكم وبنائهم توجيههم عليه ،ثم عرض توجيهه كمايلي:

- أنّ الاسم الموصول "الذي" و صلته "خلق الأرض" قد انقطع بالعطف على ما قبل الموصول وصلته بقوله: "**وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ".

---

[1] - الغرناطي ،**ملاك التأويل** ،مصدر سابق ،ص: 376،377(بتصرف).

- أنّ جملة "**وَتَجْعَلُونَ** " معطوفة على جملة "**لَتَكْفُرُونَ**".

- لا يصح العطف على فعل هو صلة "الذي" وقد حجز بينهما كلام أجنبي ،كقولنا: الذي خرج محمد وركب ؛لأن ركب معطوف على خرج ،وخرج صلة موصول قد انقطعت بمحمد ؛فلا يصح العطف على الصلة مع حجزه ،ويجوز قولنا: الذي خرج وركب محمد ؛وبناء على ذلك فتوجيه عطف جملة "**وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ**" على "**خَلَقَ الْأَرْضَ**" يمتنع ،والحل في أمرين:

- إمّا أن ننوي بجملة "**وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ**" التقديم حتى تعطف على جملة "**خَلَقَ الْأَرْضَ**" ،وتؤخر جملة "**خَلَقَ الْأَرْضَ**" ،وهذا مما يجوز في الشعر وهو قبيح.

- وإمّا أن يعطف على فعل مثل ما وقع في الصلة بدلالة الأول عليها ،فيصير :" **أَئِنَّكُم لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ** " "**وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ**" ،فيضم اليومان اللذان يقتضيهما خلق الأرض إل اليومين اللذين هما لخلق ما فيها للمعنى الداعي إلى إضمار قوله "**خَلَقَ الْأَرْضَ**" بعد قوله "**ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ** "،فهذا الذي أوجب من طريق اللفظ ،والمعنى: أن يتناول الخبر الثاني في المعطوف على الأول جملة الأيام التي وقع فيها خلق الأرض وما اتصل بها[1] .

- وفسّر الزمخشري الآية الأولى بلاغيا مكتفيا بأن ذلك يُعد من البلاغة والفصاحة في الكلام ، فذكر أنّ الله تعالى خلق السموات وما فيها في يومين : في يوم الخميس والجمعة ،وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة ،فخلق آدم وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة ،وفي هذا دليل من أنه لو قيل: في يومين في موضع أربعة أيام لم يعلم أنهما يومان كاملان أو ناقصان ،وإن قيل : خلق الأرض في يومين كاملين وقدّر فيها أقواتها في يومين كاملين ، أو قيل بعد ذكر اليومين تلك أربعة سواء لم يجز؛ لأن الذي أورده تعالى أخصر وأفص وأحسن طباقا لما عليه التنزيل ليتميز الفاضل من الناقص والمتقدم من الناقص[2] .

---

[1] – الإسكافي، **الدرّة**، ص:284،285(بتصرف).

[2] – الزمخشري، **الكشّاف** ، مصدر سابق ،ج5 ، ص:372،373(بتصرف).

المبحث الثالث: توجيهات نحوية مختلفة

سنُقسم هذا المبحث إلى مطلبين ،نُخصص المطلب الأول للتوكيد ،والثاني لمختلف التوجيهات النحوية، ثم نتعرف على كيفية توجيهها في كتاب "الدرّة"

المطلب الأول: الحذف والذكر في التوكيد

التوكيد من التوابع ،ويُراد به تأكيد وتثبيت الخبر في ذهن السامع ،و هو نوعان: توكيد لفظي ويكون بتكرار المؤكد بلفظه أو بمرادفه، وتوكيد معنوي ، ويكون بألفاظ مخصوصة مثل: العين ،النفس جميع ،كلا...الخ ،وسنورد فيمايلي نماذجا من المتشابهات اللفظية التي تضمنت التوكيد ووُجهت نحويا:

1- التوكيد بتكرار الاسم الموصول "مَن":

- الشاهد قوله تعالى:﴿ **أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[يونس:55]،وقال عزّ وجل في نفس السورة: ﴿ **أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ...** ﴾ [يونس:66]،فتكررت "من" في الآية الثانية ، ولم تتكرر "ما " في الآية الأولى.

ذكر الإسكافي أن المقصود من تكرار "مَن" أنه تعالى قادر على أن يكفي النبي صلى الله عليه وسلم أمره هو ومن في الأرض من الكفار الذين بعث إليهم وخوفوه أذاهم ، فقرن إلى ذكرهم ذكر من في السموات وهم أكبر شأنا وأعظم أمرا ،فإذا ملكوا كان من دونهم أدون، فإعادة "من" مع ذكر الأرض للتوكيد الذي اقتضاه القصد ذكرهم ،وأما حذف التوكيد في الآية الأولى وعدم تكرار "ما" فلأنها قد كررت سابق في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ...** ﴾ [يونس:54]،فكان ذكر ما في الأرض هناك ورجوع هذا إلى ذاك المعنى مثل ذكره في هذا الموضع فأغنى ذلك عن التكرير.

2- التوكيد ب"كُل":

- الشاهد قوله تعالى:﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾[البقرة:193]،وقال عزّ وجل : ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ**

لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال:39]،فأكدت الآية الثانية ب"كلّ" ،ولم تؤكد الآية الأولى.

– ردّ الإسكافي سبب ذلك لاختلاف المخاطبين وخصوصية المكان ،ذلك أن الآية نزلت في قتال أهل مكة بدليل قوله تعالى من قبل: ﴿**وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ**... ﴾[البقرة:191] ،ثم قال تعالى: ﴿ ...**وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**... ﴾[البقرة:191] ،فهذا أمر مختص بقتال قوم مخصوصين من أهل الشرك وهم نازلة الحرم ،فاقتصر على "الدين" من غير توكيد على المعنى ،والمعنى: حتى يكون الدّين حيث هؤلاء لا في كل مكان ،لأنه لا يحصل بقتل مشركي مكة الدّين في كل البلاد ،وأما الآية الثانية فالأمر فيها عاما في قتال كل الكافرين والدليل قوله تعالى من قبل: ﴿ **قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ**... ﴾ [الأنفال:38] ثم قال بعده: ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ**... ﴾ ،أي: لا يكون شرك وكفر ،لذلك اقتضى هنا قوله تعالى: ﴿**وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**﴾ ،فأمر بإبطال كل كفر قدروا عليه [1].

وقد أشار الكرماني لنفس التوجيه وباختصار بقوله:« ...لأن القتال في هذه السورة مع أهل مكة ،وفي الأنفال مع جميع الكفار ،فقيّده بقوله :"كله"»[2].

– وربط ابن جماعة سبب ذكر التوكيد بسبب النزول وقرنه بالرجاء، فذكر أن آية البقرة نزلت في أول سنة من الهجرة في سرية عبد الله بن جش لعمرو بن الحضرمي ،وكان صناديد مكة أحياء، فلم يكن للمسلمين رجاء في إسلامهم في تلك الحال، أما آية الأنفال فنزلت بعد وقعة بدر وقتل صناديد مكة ،فكان المسلمون بعد ذلك أرجى لإسلام أهل مكة عامة وغيرهم ،فأكّد الله تعالى رجاءهم بقوله: ﴿**وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**﴾،أي: لا يُعبدُ سواه[3].

---

[1] – الإسكافي، **الدرّة** ،ص: 36،37(بتصرف).

[2]– الكرماني ، **أسرار التكرار** ،مصدر سابق ،ص: 41.

[3] – ابن جماعة، **كشف المعاني** ،مصدر سابق،ص:113،114(بتصرف).

3- التوكيد بالضمير"نحن"

- الشاهد• قوله تعالى:﴿ **سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ...**﴾[الأنعام:148]،وقال عزّ وجل في سورة النحل: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ...** ﴾ [النحل:35]،فأكّد الكلام في سورة النحل بـ "نحن" ،ولم تتضمن سورة الأنعام ذلك.

انطلق الإسكافي في توجيه هذا الشاهد من قاعدة أنه كلما أُكّد معنى الفعل الموصول بفاعله (الفاعل يكون ضميرا متصلا بفعله) ،ولم تكثر الحواجز بينهما ،وكان هذا الفعل مسبوقا بنفي ،وأُكّد ذلك النفي ،فإن الفعل يكون مؤكدا لنفسه وبذلك النفي وضمنيا يكون ضميره مؤكدا كذلك ،وهذا هو سبب عدم توكيد الضمير المتصل في قوله تعالى في الآية الأولى: "**أَشْرَكْنَا**" بضمير آخر ،لأن الفعل هنا مسبوق بأداة النفي "ما" المؤكدة والمعطوفة بأداة نفي أخرى هي "لا": "**مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا**"، واعتبر الإسكافي ذلك مسوغا لعدم تكرار وتوكيد الضمير المتصل. أما الآية الثانية فلم تتوفر فيها ذات الشروط ومنها: أن الفعل ليس مؤكدا لنفسه بسبب الفصل بين الفعل بالمفعول به "**مِنْ شَيْءٍ** " (لأنّ ما: حرف نفي، عبدنا: فعل ماض ،ونون المتكلمين فاعل، من: حرف جر، دون: اسم مجرور ،وهو مضاف والهاء مضاف إليه، من :حرف جر زائد، شيء: مفعول به[1])،والتقدير: ما عبدنا غيره شيئا ،فيكون بمعنى الاستثناء وليس شيء من هذين مؤكدا لنفس الفعل ،فلما لم يؤكداها وجاءت :"**وَلَا آبَاؤُنَا**" وكانت "لا" مؤكدة إلا أنها لم تل علامة الضمير المعطوف عليها لفاصل بينهما بقوله : "**مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ**" ،والحواجز إذا كثرت وبعدت ما بين الكلمتين اختير إعادة العامل مع أن في المتقدم كفاية ،ومثاله قوله تعالى في سورة المؤمنون: ﴿ **أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ**﴾ [المؤمنون:35] ،فلما بعد الخبر "**مُخْرَجُونَ**" من: "**أَنَّكُمْ**" أعيدت الأولى ،كذلك الأمر في الشاهد لما طال الفصل

• - تضمن هذا الشاهد توجيها بلاغيا ذكر في بابه (الحذف والذكر).

[1] - محمد فهيم أبو عبيّة ، **معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم**، مكتبة لبنان ،لبنان،1997،ط1،ص:349.

بجارين ومجرورين بين علامة الضمير في "عبدنا" ،وبين "لا" المؤكدة التي تنفي الفعل الذي علامة الضمير في تضاعيفه كجزء من أجزائه وكحرف من حروفه احتاج الضمير في العطف عليه إل ما يؤكده ،فلذلك وظف "نحن" هنا[1]

- وقد وافق ابن جماعة هذا التوجيه وبإيجاز فذكر أن لما حال بين الضمير في "عبدنا" وبين ما عطف عليه حائل وهو "من دونه" أكّد بقوله "نحن" ،ولما لم يحل بين الضمير والمعطوف عليه في الآية الأولى بحائل لم تحتج لذلك[2].

- أما الكرماني فأرجع سبب عدم توكيد الفعل في الآية الأولى للتخفيف ؛ذلك أنها وردت بحذف "**مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ**" ، مرتين فتناسب معه حذف "نحن" لتطرد الآية في حكم التخفيف[3].

4- التوكيد بالضمير"هو"

سنورد في هذا النوع من التوكيد اللفظي ثلاثة شواهد :

1- الشاهد قوله تعالى:﴿ **إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ** ﴾[آل عمران: 51]،وقال في سورة مريم مثله (الآية: 36) ، و قول تعالى في سورة الزخرف:﴿ **إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ** ﴾ [الزخرف: 64]،فحذف التوكيد من سورتي آل عمران ومريم ،وذكر في سورة الزخرف بلفظ الضير "هو" واللفظ في الآيات الثلاث حكاية عن عيسى عليه السلام.

بنى الإسكافي توجيهه لهذا الشاهد على أساس أنّ الآيتان من سورة آل عمران و مريم قد تضمنتا أفعالا تدل على أنّ الله هو المستحق للعبادة وليس عيسى عليه السلام في آيات سابقة كثيرة ؛لذلك لم يحتج لتوكيده فيهما ،أما سورة الزخرف فلم تبن على ذلك ،فوجب توكيد لفظ الجلالة بالضمير "هو" ،وتفصيل ذلك أنّ الآيتان الأوليتان تضمنتا ودلتا على أنّ الله تعالى هو رب عيسى عليه السلام وأنه عبد من عباده ،فدلت تلك الأفعال التي أسندت لعيسى عليه السلام على ذلك ،وكذلك في سورة مريم مضت آيات كثيرة (عشرون آية) في قصة مريم عليها السلام ،ودلت بأنّ الله رب عيسى عليه السلام ،؛لذلك اكتفى بما طال من الكلام المؤكد لحاله عن توكيده ،أمّا سورة الزخرف فلم ترد بذات الشكل

[1]- الإسكافي، **الدرّة** ،ص:99،97(بتصرف).

[2] – ابن جماعة، **كشف المعاني** ،مصدر سابق،ص:168(بتصرف).

[3] – الكرماني، **أسرار التكرار** ،مصدر سابق ،ص: 168(بتصرف).

،وخلت من الآيات الكثيرة الدالة على أنه ربه وهو عبده ،فحُسن تأكيد الكلام فيه صرفا عمّا ادعوه من أنّه ابنه[1] .

وفصّل الإسكافي في معنى التوكيد(**"إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي"**) هنا ،وذكر أنّ له جهان:

1- إما أنه يريد أنه على الصفة التي جعلها خبرا عنه لا على غيرها ،كقولنا: إنّ زيدا هو أخوك :أي صديقك لا عدوك.

2- وإما أن يريد أنّ صاحب هذه الصفة التي جعلت خبرا عنه إنّما هو فلان لا غيره ،كقولنا: إنّه أخوك لا عمرو ،فكذلك في قوله تعالى: **"إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي"** يحتمل التوكيد :أنه هو خالقي والقائم مصالحي لا غيره من الآلهة ،وإما أنّه هو ربي لا أبي كما زعمت النصارى.

وافق ابن جماعة والكرماني الإسكافي في توجيه الشاهد على أساس أنّ التوكيد متضمن في الآيات السابقة لذلك حذف من السورتين ،ولم يك كذلك في سورة الزخرف فأكد ،وأضاف الكرماني أنّ التوكيد فيقوله تعالى: **"إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي"** اثبات الربوبية وقصرها عليه دون غيره ،ونفي الأبوة ،ومثّل لذلك بقولنا :زيد هو قائم ،المعنى فيه أن يكون تقديره: وعمرو قائم أيضا، فإذا قلنا: زيد هو القائم ،خصصنا القيام به ،فهو كذلك في آية الزخرف ،لأنّ "هو" يذكر في مثل هذه المواضع إعلاما أنّ المبتدأ مقصور على هذا الخبر ،وهذا الخبر مقصور عليه دون غيره[2]

2- الشاهد قوله تعالى:﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ** ﴾[الحج:62] ،وقال عزّ وجل في سورة لقمان: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ** ﴾ [النحل:35] ،فأكّد الكلام في سورة الحج بـ "هو" ،ولم يؤكد في سورة لقمان.

وجّه الإسكافي هذا التشابه على أساس التناسب اللفظي بين الآيات ،فذكر أن آية الحج وردت بعد ستة مواضع تضمنت توكيدات مترادفة ،هي: قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا**﴾[الحج:58] ،فأكدت الآية باللام النون في قله: **لَيَرْزُقَنَّهُمْ** ، وبعده قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾[الحج:58] ،فأكدت الآية باللام و"هو" ،وبعده قوله

[1] - الإسكافي ،**الدرة** ،ص:51،52(بتصرف).

[2] - ينظر: ابن جماعة ،**معاني القرآن**، ص:129،والكرماني، **أسرار التكرار**، ص:49(بتصرف).

تعالى:﴿**لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ**﴾[الحج:59]،و اللام والنون مؤكدين، وبعده: ﴿**وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ**﴾[الحج:59]،**فاللام في "لَعَلِيمٌ"**، ،وبعده قوله تعالى: ﴿ **لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ**﴾[الحج:60]، أكدت باللام ،فلما ترادفت التوكيدات ،وجاء في الشاهد وبعده خبر بين خبرين مؤكد وهو قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ**﴾[الحج:62] ،**وقوله تعالى**: ﴿**وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾[الحج:62] ،لذلك ورد الخبر الواقع بين هذين الخبرين وبعد الأخبار المؤكدة السابقة مؤكدا كذلك بـ "هو" فقال تعالى: ﴿**وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ**﴾[الحج:62]. أمّا الآية الثانية فلم تتضمن توكيدات سابقة لابد أن تستتبع فوردت بلا توكيد[1]

3- الشاهد قوله تعالى:﴿ **الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ** ﴾[الشعراء:78،81]،الشاهد توكيد الآيات الثلاثة الأولى بالضمير "هو" وعدم توكيد الآية الرابعة بالمثل.

أرجع الإسكافي سبب توكيد الإطعام والشفاء دون الحياة والموت لأن الخلق كثيرا ما ينسبون هذين الفعلين لأنفسهم ،فيقولون :فلان يطعم فلانا ،والطبيب يداوي ويشفي ،فكان إضافة هذين الفعلين لله تعالى محتاجة للتوكيد ،أما الموت والحياة فلا يدعي فعلهما لذلك لم تحتج لتوكيد[2]

- وقد ذهب الكرماني وابن جماعة لنفس التوجيه، وأضاف ابن جماعة توجيها آخر ،فذكر أنّ إضافة المحبوب والنعمة(الإطعام والشفاء) لله يعد من سلوك أدب مع الله تعالى ،والذي يحتم عدم إضافة المكروه من مرض وموت لنفسه بالتوكيد[3].

---

[1] - الإسكافي، **الدرّة**، ص:217،218(بتصرف).

[2] - نفسه ،ص:230(بتصرف).

[3] ينظر: الكرماني ،**أسرار التكرار** ،ص:155،وابن جماعة ،**كشف المعاني** ،ص: 280،281(بتصرف).

5- التوكيد بالضمير "هو" والتعريف :

- الشاهد قوله تعالى: ﴿**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[فصلت:36]،وقوله تعالى: ﴿**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[الأعراف:200]،فأكّدت الآية الأولى بالضمير "هو" وبتعريف الصفتين "السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" ،أما الآية الثانية فقد خلت من ذلك.

يرد الإسكافي سبب ذلك إلى السياق واختلافه بين السورتين ،ذلك أن الآية الأولى قد تضمنت تعظيما وحثا للأفعال اقة على الإنسان فعلها وهي دفع السيّئة بالحسنة ،ومقابلة غلظة العدو بالملاينة اسكفافا لشره ،ليعود صديقا قريبا ،وقد قال تعالى في ذلك : ﴿**وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾[فصلت:35] ،أي: ما يوفق لذلك إلا من ملك نفسه وصبر على احتمال الأذى من عدوه ،ومن له نصيب وافر من الإيمان ،والشيطان ينتهز الفرصة عليه ويبعث على عداوته لمن تجلب عداوته الضر ،فيوسوس للعصيان بالحمية والأنفة ،ويدعو للمعصية ،فالإنسان مأمور حينئذ بالاستعاذة بالله من ضرر الشيطان ،فلما كان الأمر شاقا وكما قال تعالى: ﴿**وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾ ،ولما كانت وسوسة الشيطان في مثل هذا الموقف أعظم كان الترغيب في مدافعته أبلغ وتقدير الله بما يلاقي من ذلك أوكد ،فقال تعالى لذلك: "**إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**" ،أي: لا سميعا عليما قديما إلا هو ،فهذا وجه التوكيد والتعريف هنا ،أما الآية الثانية فلم تعظم فيها الأفعال التي دعا الله إليها كما عظمت من قبل بل كان فيها بعثا على أحسن الأخلاق حيث قال تعالى : ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾[الأعراف:199]،ولم تخص نوعا من المشاق ،فلم تقع المبالغة في اللفظ ،واقتصر الخبر على الأصل ،فقال تعالى : "**إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**" ،أي: يسمع ما يكون منك ويعلمه مع كل مسموع ومعلوم ،فجعل اسم إن معرفة ،وخبرها نكرة ،وذلك الأصل قبل تأكيد الألفاظ لتأكد المعاني [1].

[1] - الإسكافي ،**الدرة** ،ص: 287،288(بتصرف).

6- التوكيد بذكر الفعل مع مصدره:

- الشاهد قوله تعالى:﴿...**فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (59) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا**﴾[مريم:59،60] ،وقوله تعالى: ﴿... **وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (69) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ...** ﴾[الفرقان:68،69،70]

وجّه الإسكافي هذا الشاهد كذلك وفق المناسبة اللفظية ،فذكر أن الآية محل الشاهد مبنية على الإيجاز في ذكر المعاصي(إضاعة الصلاة، اتباع الشهوات)، فبني وفق ذلك عند ذكر التوبة دون تأكيد ومع الإيجاز ،أما الآية الثانية فبنيت على التفصيل فذكر الكبائر وأن أولياء الله يجتنبونها ،وأن من أتاها يضاعف له العذاب إلا أن يتوب ويعمل عملا صالحا ،فكان الموضع موضع توكيد ،لأنه لم يعمل العمل الصالح بعد ارتكاب الكبائر التي عدها ،فلما أكّد الكلام هناك وجب تأكيده هنا ،أي عند محو السيئات المتقدمة بالحسنات المستأنفة[1].

وقد أشار الكرماني لنفس التوجيه باختصار فقال: «لأن في هذه السورة أوجز فيذكر المعاصي ،فأوجز في التوبة ،وأطال هناك فأطال »[2] .

8- التوكيد بلمّا الشرطية مقرونة ب "أن":

الشاهد قوله تعالى:﴿ **وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ...** ﴾[العنكبوت:33] ، وقال تعالى في سورة هود: ﴿ **وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ** ﴾[هود:77] ، فأُكّدت الآية الأولى بلما مقرونة ب "أن" ،ولم تؤكد الثانية.

يوّجه الإسكافي ذلك بأن ورود "أن" بعد "لما" الشرطية دلالة على التوكيد وبأن جواب شرط "لما" متصل به ما يكمله ،ويخلصه لتحقيق أو بطلان ،وهو قوله تعالى: "**سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا**"فاتصل جواب

[1] – نفسه ،ص:201،202(بتصرف).

[2] – الكرماني، **أسرار التكرار** ،مصدر سابق،ص:137.

"لما" بما يكمله لبطلان الذرع السابق إليه، ومثاله قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا** ﴾[يوسف:96] ،فجواب "لما" قوله تعالى:" **أَلْقَاهُ**" ،وقوله : "**فَارْتَدَّ بَصِيرًا**" تكملة للجواب ،ومثاله قول الشاعر شبيب بن عمرو بن كريب الطائي (من الوافر)•:

ولمّا أنْ رأيتُ بني سميط تجللت العصا

وعلمت أني رهين مجلس أن يدركوني

الشاهد :جواب الشرط في البيت الثاني "تجللتُ العصا" وتكملته "وعلمتُ أني رهين مخيّس"

فالبيت الثاني جواب للشرط في البيت الأول ،والبيت الثالث تكملة الجواب ،أما الآية الثانية فلما لم يتصل بجوابها ما يخلصه لتحقيق أو بطلان إلا قوله تعالى في الآية الخامسة ﴿**قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ** ﴾[هود:81] ،فلما بَعُد جواب الشرط ولم يتصل به ما يكون من تمامه لم يؤكد بـــ"أن"[1]

وقد وجّه الكرماني هذا الشاهد بنفس التوجيه السابق ،وذكر أنّ "لما" الشرطية لما تقترن بـ "أنْ" يدل جوابها على أنه وقع في الحال بلا تراخ مثل الآية الأولى ،والإسكافي سماه التكملة والتوضيح (الجملة التي تلي جواب الشرط في لما) ، أما سورة هود فاتصل بها كلام بعد كلام وطال لذلك لم يحسن دخول "أنْ" هنا ولم تدل على الحالية[2].

• لم ينسب أبو تمام هذا الشعر لشبيب فذكر أنه لبعض اللصوص من طيء ،وذكر التبريزي شارح ديوان أبي تمام نقلا عن أبي هلال بأنه شبيب بن عمرو بن كريب ،وقد كان يصيب الطريق في أيام علي كرّم الله وجهه، والبيتين كما ورد في الحماسة:

ولمّا رأيتُ ابنيْ شمَيطِ بسكّة طيء والبابُ دوني

تجلَّلتُ العصا وعلمتُ أنّي رهينُ مخَيّسٍ إن أدركوني

وكان أمير المؤمنين علي كرّم الله وجهه قد وجّه لابنيْ شميط في طلب شبيب ،فلما أحس بذلك ركب فرسه العصا ونجا به ، وقوله: "تجللتُ العصا" جواب "لما" أي: ركبته عل جلّه ولم أتلوّم لإسراجه خوفا على نفسي ،وعلما أنني إن توقفتُ أودعتُ السجن مرتهنا بما كسبت يدي ،ومخيّس :اسم سجن بناه علي كرّم الله وجهه ،ينظر: المرزوقي(ت 421هـ)، **شرح ديوان الحماسة لأبي تمام**، جمع تعليق غريد الشيخ وإبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ،بيروت، 2003،ط1،ص:447(بتصرف).

1 – الإسكافي، **الدرة**، ص:248،249(بتصرف).

2 – الكرماني، **أسرار التكرار**، ص:164(بتصرف).

وذهب الزمخشري لنفس التوجيه فذكر أنّ "أنْ" صلة أكّدت وجود الفعلين مترتبا أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين ، لا فاصل بينهما كأنهما وجدا في جزء واحد من الزمان ،والتقدير: كما أحسّ بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه ،وضاق بشأنهم وبتدبير أمرهم ذرعه أي طاقته[1] ، أي: زمن مجيئ الرسل وزمن الخوف عليهم وفقد الحيلة في إبعادهم عن قومه وقعا في وقت واحد.

[1] – الزمخشري، **الكشّاف**، مصدر سابق ،ج 4 ،ص:548(بتصرف).

المطلب الثاني: توجيهات نحوية مختلفة

سنضمنُ هذا المطلب مختلف التوجيهات النحوية غير ما ذكر سابقا ، لنتعرف على طريقة توجيهها من طرف الإسكافي

1- **الحذف والذكر بين الجمل:**

أ- ومثاله قوله تعالى :﴿ **قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ** ﴾[هود:81] ،وقوله عزمن قائل: ﴿ **فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ** ﴾[الحجر:65] ،تضمن هذا الشاهد حذف أداة الاستثناء والمستثنى في الآية الثانية في قوله: "**إِلَّا امْرَأَتَكَ**" ،وحذفا للجملة الفعلية في الآية الأولى: "**وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ**"

أجاب الإسكافي عن سبب حذف الاستثناء في سورة الحجر بأن الآيات السابقة قد ذكرت هذا الاستثناء في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ** ﴾[الحجر:60،58] ،فتفاديا لتكرار ذلك حُذف الاستثناء في الآية محل الشاهد ،أما سورة هود فلم تتضمن هذا الاستثناء من قبل فذكر لأجل ذلك.

أما عن سبب حذف الجملة الفعلية "**وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ**" من الجملة الأولى في سورة هود فذلك راجع إلى أن هذه الجملة متضمنة في قوله تعالى :" **إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ**" ،والمعنى: لن يصلوا إليك وإلى من تبعك من المؤمنين من أهلك ،ثم قيّد ذلك بأن أمروه بإخراج أهله من بين أظهرهم ليلا من غير أت يعرج أحد منهم على شيء خلفه يعوقه عن المضي حيث أُمر ،ولما أخبر الرسل سيدنا إبراهيم عليه السلام من قبل بقولهم: "**إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا امْرَأَتَهُ**" ،ولما كان الخطاب في الآية محل الشاهد لسيدنا لوط عليه السلام وتأكيدا على ما أخبروا به سيدنا إبراهيم من قبل ،أمر الرسل سيدنا لوط بأن يخرج مع أهله ليلا وأضافوا "**وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ**" ؛لتحقيق الانجاء لهم• ؛لأنه إذا ساقهم وكان من ورائهم تحقق ما أخبروا به [1] .

• يمكن ادراج هذا الجزء ضمن التوجيه البلاغي ،في باب الحذف والذكر ،ويكون الغرض البلاغي هنا زيادة في التأكيد و طمأنة لسيدنا لوط عليه السلام بنجاته مع أهله.

[1] - الإسكافي ،**الدرة**، ص: 163،162(بتصرف).

2- التناوب بين المبتدأ والاسم المعطوف "الصابئون والصابئين"• :

- الشاهد قوله تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[البقرة:62]،وقوله تعالى في سورة المائدة:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾[المائدة:69].
- ذكر الإسكافي أنّ الترتيب في سورة البقرة كان ترتيب كتب منزلة، أما في سورة المائدة فكان الترتيب ترتيب زمان ظهور هذه الطوائف، ورفع "الصابئون" ونوى به التأخير عن مكانه والتقدير إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون هذه حالهم أيضا على مذهب سيبويه لأنه لا يجوز عنده أن يقال: "إن زيدا وعمرو قائمان" وذكر الإسكافي الخلاف بين المدرستين البصرية والكوفية حول عمل إنّ ،حيث يرى البصريون أنها تنصب اسما وترفع خبرا ،بينما يرى الكوفيون أنها تنصب فقط ،فرجح الإسكافي مذهب سيبويه وقال أن هذه الآية تدل عليه لأنه قدم فيه "الصابئون" على نية التأخير ،وإنما قدم اللفظ وأخر النية لأن التقديم الحقيقي تقديم كتب الله المزلة، وفي هذه السورة تقديم زمان مع النية في التأخير والترتيب بالكتب المنزلة[1]

– لقد اختلف المفسرون والنحاة في اعراب كلمة "الصابئون" بسبب وقوعها مرفوعة بالواو مع أنها معطوفة على اسم إن المنصوب ،وقد اعتمد الإسكافي على مذهب سيبويه ،وكذلك ذهب الزجاج [2] ، والزمخشري[3]

- فجعلت كلمة "الصابئون "مرفوعة بالابتداء وخبرها محذوف على نية تأخيرها والتقدير إن الذين آمنوا والذين هادوا حكمهم كذا والصابئون والنصارى كذلك حكمهم كذا ،فعطفت جملة 'والصابئون والنصارى" على جملة "إن الذين آمنوا...".

• تضمن هذا الشاهد توجيها بلاغيا (التقديم والتأخير) ذُكر في بابه.

[1] – الإسكافي ،**الدرّة** ،ص:250،257.(بتصرف).

[2] – الزجاج ،**معاني القرآن وإعرابه** .،تح عبدالجليل عبده شلبي ،عالم الكتب،بيروت،1988،ط1، ج2 ،ص:193.

[3] - الزمخشري ،**الكشّاف** ،مصدر سابق ،ج2 ،ص:272،273.

3- التناوب بين الصفة والموصوف:

- الشاهد قوله تعالى في قصة هود عليه السلام:﴿ **وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ** ﴾[هود:60]،وقوله تعالى في نفس السورة في قصة موسى عليه السلام:﴿ **وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ** ﴾[هود:99].
- يقول الإسكافي في توجيه هذا الشاهد: «...الأولى أتى فيها بالموصوف والصفة جميعا ،وهو الأصل ،ثم الاكتفاء بالصفة عن الموصوف بعده لقيام الدلالة على الموصوف ،فيجوز لذلك حذفه وإقامة الصفة مقامه ،ولما جاءت الآيتان في سورة واحدة وُفّيت الأولى بها من الإجراء على الأصل ،والاتيان بالموصوف والوصف "الدنيا" ،واكتفى في الثانية لما قامت الدلالة على الموصوف بالصفة وحدها ،فقال تعالى: :" **وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً**"»[1].
- وقد وجّه الكرماني هذا الشاهد بنفس التوجيه السابق ،فذكر أن الآية الأولى اشتملت على الموصوف والصفة معا ،اقتصر في الثانية على الموصوف للعلم والاكتفاء بما قبله[2].
- أما الغرناطي فقد نحا في توجيه هذا الشاهد منحيين ،-ورجح الأول لأنه أنسب مراعاة للنظم- ،أولهما: أنّ قصة هود عليه السلام كانت أكثر استيفاء من قصة موسى عليه السلام بكثير ؛فناسب الطولُ الطولَ ،والايجاز الايجاز (ناسب الطول الآية الأولى فوردت على الأصل :صفة تتبع موصوفها، وناسب ايجاز الآية الثانية ،فحذفت الصفة وحل الموصوف مكانها)
- ثانيهما :أن قصة هود وردت على الأصل من الجمع بين التابع -نعتا أو عطف بيان — وبين متبوعه ،و تضمنت في الآية الثانية حذف الوصف للاكتفاء باسم الاشارة ،وكل فصيح فجيء بما هو في الأصل أولا ،ثم جيء بالثاني ،ولا يحسن العكس ؛لأن الأول كان بمثابة تفسير وبابه التقدم ،وما يحذف يكون لما يتقدم ما يدل عليه[3].
- يمكن الخروج بنتيجة مما سبق مفادها أن الحذف والذكر في الصفة والموصوف يرد بحسب النظم الذي ترد فيهما ،وبحسب طول وايجاز الكلام ، فيتم الحذف في التابع اكتفاء بذكره سابقا .

---

1 - الإسكافي ،**الدرّة** ،ص:159 (بتصرف).

2- الكرماني ،**أسرار التكرار** ،مصدر سابق ،ص: 108(بتصرف).

3 - الغرناطي ،**ملاك التأويل** ،مصدر سابق ،ص: 258(بتصرف).

4- حذف "إنا":

- الشاهد قوله تعالى بعد قصة نوح عليه السلام:﴿ **سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** ﴾[الصافات:79،80]،وقوله تعالى في نفس السورة بعد قصة موسى وهارون عليهما السلام:﴿ **وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآَخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** ﴾[الصافات:119،122] ، وقوله تعالى في نفس السورة بعد قصة إلياس عليهما السلام:﴿ **وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآَخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** ﴾[الصافات:129،131]، وقوله تعالى في نفس السورة في قصة إبراهيم عليهما السلام:﴿ **وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآَخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[الصافات:107،111]،فورد بعد نهاية كل قصة من قصص الأنبياء قوله تعالى:" **إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** "،إلا في قصة إبراهيم عليه السلام وردت بالحذف إنا" فقال تعالى: **"كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ"**
- وجّه الإسكافي هذا الشاهد بطريقتين:
- إحداهما :أن سبب الحذف كان اقتصارا بذكره من قبل في نفس قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام ،وهو قوله تعالى: ﴿ **قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾[الصافات:105].
- **ثانيهما:** يعود سبب الحذف لتجنب اللبس ؛فلما كانت هاته الآية متكررة فقط في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام ،ولأنها فاصلة وخاتمة لكل قصة من قصص الأنبياء ،حُذفت منها بعض أجزائها (إنّا) لكي يتجنب التكرار وفي نفس الوقت يبقى التناسب بين المقاطع بختامها بفاصلة واحدة في كل مرة[1].
- يمكن ارجاع سبب الحذف هنا لتجنب التكرار من جهة ولتحقيق التوازن في المقاطع من جهة أخرى

[1] - الإسكافي ،**الدرّة** ،ص:270،271(بتصرف).

4- التناوب بين الصفة والمضاف إليه:

- الشاهد قوله تعالى :﴿...وَلَدَارُ الْآَخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[يوسف:109]،وقوله تعالى: ﴿... وَالدَّارُ الْآَخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[الأعراف:169] ،حصُل الاختلاف بين "**الدَّارُ الْآَخِرَةُ**" ، بوصف الآخرة للدار وبين "**لَدَارُ الْآَخِرَةِ**" بإضافة الآخرة للدار.

وجّه الإسكافي هذا الشاهد اعتمادا على المشاكلة و تناسب وخصوصية النظم لكل آية ؛فذكر أنّ الآية الثانية سُبقت بقوله تعالى: ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى...** ﴾[الأعراف:169]،و المقصود بالأدنى هو الدار الدنيا فمقابلة ومشاكلة له ورد بعدها كذلك وصف الدار باخرة ،أمّا الآية الأولى من سورة يوسف فقد ورد قبلها قوله تعالى: ﴿ **أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً...** ﴾[يوسف:109]، والمقصود بالساعة هي الساعة الآخرة و هي يوم القيامة ، فلما ذُكرت الدر أُضيفت إليها ،والتقدير: ولدار الساعة الآخرة خير ؛ فلهذا تقدم كل آية ما كان المذكور بعدها أليق بها[1] .

- وقد وافق الكرماني وابن جماعة توجيه الإسكافي تماما[2]

- وفصّل الفرّاء (ت **207هـ**) سبب إضافة الآخرة للدار في الآية الثانية ؛لأن العرب تضيف الشيء إلى نفسه إذا اختلف لفظه ،كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ** ﴾[الواقعة:95]، و الحق هو اليقين ،ومثله :أتيتك بارحة الأولى ،وعام الأول وليلة الأولى ...فالأيام تُضاف إلى أنفسها لاختلاف لفظها [3].
- وأضاف ابن عطية بعدما أشار لتفسير الفرّاء للآية الأولى ،أنّ البصريين قدّروا إضافة الآخرة للدار على حذف المضاف ،وتقدير الكلام: ولدار الحياة أو المدة الآخرة، وأضاف أنّ هذه الأسماء التي هي للأجناس كالمسجد والثوب والحق والجبل ،إذا نُطق بها لم يدر ما المراد بها ؛فتضاف إلى معرف مخصص للمعنى المقصود ،وقد تُضاف إلى جنس آخر ،كقولنا: جبل أحد ،وتضاف للصفة ،كقولنا: مسجد الجامع وحق اليقين ،وقد تُضاف إلى اسم خاص كقولنا: جبل أحد ونحوه[4].

---

[1] - الإسكافي ،**الدرّة** ،ص:175،176(بتصرف).

[2]- ينظر: الكرماني ،**أسرار التكرار**، ص:113،وابن جماعة ،**كشف المعاني** ،ص:216،217.

[3] - الفرّاء ،**معاني القرآن**، مصدر سابق، ج2،ص:56(بتصرف).

[4]- ابن عطية ،**المحرر الوجيز**، مصدر سابق، ج3،ص:287(بتصرف).

- الحاصل في إضافة الآخرة للدار أو وصفها بها أن المعنى واحد في أنها الأفضل ،وأن الحكمة من هذا التناوب بين الصفة أو المضاف تتمثل في أنّ كليهما يتناسبان مع السياق الذي وردتا .

5- التناوب بين لام الجحود ولفظ الفعل وبين لام الجحود ولفظ الاسم:

- الشاهد• قوله تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ** ﴾[هود:117]،وقوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ** ﴾[القصص:59] ،حصُل الاختلاف بين صيغتي الفعل "**لِيُهْلِكَ**" ،وبين صيغة الاسم "**مُهْلِكِي**" المسبوقتين بلام الجحود.

قبل توجيه هذا التشابه فرّق الإسكافي بين لام الجحود ولام التعليل ،وسنورد أهم الفروق ضمن الجدول التالي:

لام الجحود	لام التعليل
تضمر "أن" بعدها ،فلا نقول: ما كنتُ لأن أفعل	يصح إظهار "أن" بعدها إذا قلنا: جئتُ لتكرمني
لا يصحُّ وقوع المصدر بعدها ،فلا نقول: ما كنتُ للإكرام	يصح أن نقول: جئتُ للإكرام ؛فيأتي المصدر بعدها
لا يجوز تعويضها ب"أن"؛لأنه لو ظهرت لوجب أن يصح الاسم مكانها،فلما ألزمت لفظة"كنتُ" وأكونُ وجب أن يكون النفي الداخل عليها خبرا أن كوني ينافي أن أفعل كذا، في المضارع والمستقبل	يجوز تعويضها ب "أن" ،كقولنا: جئتُ أن تكرمني ،لأن هذه اللام تدخل على ما هو عذر في إنشاء الفعل ،ويقصد به الماضي فقط،ولأن اللام شأنها يسد عن الفعل المنصوب طرق العوامل ،فكأنها أقيمت مقام "أن" ؛لأن اللام لا تدخل إلا على الاسم في المعنى ،فأبدلت ب "أن" لأنها ناصبة للأفعال
تدل على المبالغة في النفي المطلق في كل الأزمنة لفعلها وصاحبه(ماض،مضارع ،مستقبل)	لا تدل على ذلك المعنى

الجدول يوضح الفرق بين لام الجحود ولام التعليل حسب توجيه الإسكافي

بعد توضيح الإسكافي لأحكام لام الجحود ،وجّه الشاهد وفقا لذلك ،فذكر أنّ الآية الأولى تدل على النفي المطلق للظلم، بنفي القصد والفعل ،لأن العرب تستعمل ذلك في كلامها وتقصد به المبالغة في

• نوع هذا الشاهد هو التناوب بين الصيغ فيُظن أنه سيُدرج ضمن المبحث الصرفي ،ولكننا أدرجناه هنا لأن الإسكافي اعتمد في توجيهه على مباحث نحوية صرفة تتعلق بأحكام ومعاني لامي الجحود و التعليل والفرق بينهما .وبنى عليهما حكمه في الأخير.

النفي ،فتنفي القصد والفعل معا وفي كل الأزمنة رغم أن الفعل "كان" متصرف في الماضي في قوله تعالى:" **مَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ**" ،أما الآية الثانية فقد ورد اسم الفاعل مكان الفعل في قوله تعالى: "**وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ**" والذي يدل على نفي الظلم ولا يدل على زمن معين ،ووردت هذه الصيغة هنا لأن المقام لم يدل على صريح ظلم يُنسب له ،ولم يكن ملفوظا به من قبل فيؤتى باللفظ الأبلغ في نفسه[1].

– وجّه الغرناطي هذا الشاهد انطلاقا من خصوصية ودلالة كل صيغة ،فصيغة الفعل(ليهلك) تدل على استمرارية والتكرار ،ووردت الآية الأولى على هذه الصيغة لتفيد تكرار الجزاء بإهلاك كل أمة مشركة لم ينه أهلها هن الفساد أو يتناهون، وصيغة اسم الفاعل (مهلكي)تدل عل الثبات والاتصاف بالمعنى فناسب ذلك الآية الثانية التي دلت من قبل على تتابع التذكار وتعاقب الإنذار ،وقُصد فيها الاتصاف بالإهلاك جزاء لذلك ولم يقصد التكرار[2].

– يمكن الخروج بنتيجة من هذا التناوب بين الصيغتين مفاده أنّ صيغة الفعل المسندة للام الجحود مع فعل كان تدل على النفي القاطع للقصد وللفعل في كل الأزمنة ،أي هذا النفي متكرر بدلالة الصيغة ،والمعنى أن الله تعالى لن يهلك أية قرية وأهلها مصلحون ،أما صيغة اسم الفاعل فتدل على الثبات وعدم الاتصاف بالفعل بصفة عامة ،وكلا الصيغتين يدلان على معنى متكامل وهو تنزيه الله تعالى عن الظلم والاتصاف به وقصده بتاتا سبحانه في عُلاه.

6- أحكام إعرابية مختلفة:

سنورد هنا نماذجا من المتشابهات اللفظية التي تضمنت اختلافا في الحركة الإعرابية ،لنستشف طريقة توجيهها من طرف الإسكافي والحكمة من وراء ذلك:

أ- الشاهد قوله تعالى :﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾[المائدة:9]،وقوله تعالى: ﴿... **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** ﴾[الفتح:29] ،حصُل الاختلاف بين في الحركة الاعرابية ،فوردت لفظة "**مَغْفِرَةٌ**" مرفوعة مرة ومنصوبة مرة أخرى "**مَغْفِرَةً**".

[1] - الإسكافي ،**الدرّة** ،ص:166،168(بتصرف).

[2] - الغرناطي ،**ملاك التأويل** ،ص:264،265(بتصرف).

ذكر الإسكافي أن الآية الأولى لما تضمنت وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات بما هو حق لهم عُدل عن ذكر المفعول به هنا لجملة اسمية تضمنت معناه وجاءت في موضع المفرد (وهي لهم :خبر مقدم و مغفرة: مبتدأ مؤخر) ،والمعنى: وعد الله الذين آمنوا مغفرة، ومثّل لذلك بقول الشاعر•:

وجدنا الصالحين لهم جزاءً   وجنّات وعيناً سلسبيلا

والمعنى: وجدنا للصالحين جزاء ،وعطف على موضع وجنات وعينا ،و"اللام" في "لهم" داخلة على ضمير الصالحين فكأنها داخلة عليهم ،وكأنه قال: وجدنا للصالحين جزاء ،وعطف على موضع الجملة التي لهم جزاء منصوبا إذ كان موضع الجملة موضع النصب ،أما الآية الثانية فوردت على الأصل ونصب الفعل "وعد" مفعولين :"الذين" و "مغفرة"، ثم بيّن سبب اختصاص الأولى بأن جُعل فيها المفعول به جملة والثانية مفردا ؛بأن الأولى خطاب لقوم حثهم على توخي العدل في حكمهم ،وهو أعم من حث الصحابة في الآية الثانية الذين وصفهم وأثنى عليهم بالشدة على الكفار والرحمة بالمؤمنين وملازمة الركوع والسجود وابتغاء رضوان الله ،فخص الصحابة بصريح المغفرة ؛فكان اخبار عن وعد لهم فقط ،ثم أتى بخبر ثان (المغفرة) والمعنى: إن قاموا بذلك ولم يحبطوه بالسيئات فجوّز منهم هذا ،ولم يعلق المغفرة بوعد فيعزيه إليها ، وفي الآية الثانية حقق المغفرة لهم وعدى الفعل إليها ،وكان كالحكم بأنهم يوافون الآخرة بأعمالهم الصالحة ،وقد وعدهم تعالى عنها المغفرة والأجر العظيم ،فناسب كل آية اللفظ المخصوص لها[1]

– وورد في كتاب إعراب ألفاظ القرآن الكريم في إعراب الآية الأولى ما يوافق كلام الإسكافي بأنّ إعراب "لهم" جار ومجرور خبر مقدم ،ومغفرة: مبتدأ مؤخر ،و في الآية الثانية: منهم: جار ومجرور، ومغفرة: مفعول به ثان[2].

– يمكن الخروج بنتيجة مفادها أنّ المباحث النحوية هي أكثر المباحث توجيها في كتاب الدرة ، خاصة ما تعلق منها بحروف المعاني التي نالت الحصة الأكبر من التوجيهات ،وتليها الضمائر والأسماء الموصولة، إضافة لتوجيهات نحوية أخرى مختلفة قمنا بعرض بعضها : كالتناوب بين التوابع (الصفة ،العطف ...الخ)

• استدل السيرافي بهذا البيت نقلا عن سيبويه ونسبه لعبد العزيز الكلابي، والشاهد نصب جنات وكان الوجه الرفع عطفا على جزاء ،وإنما فعل ذلك لأنه حين قال: وجدنا الصالحين لهم جزاء ،دلت على أنه قد وجد الجزاء لهم ،فأضمر وجدنا ونصب جنّات بعدها ،ينظر :السيرافي، **شرح كتاب سيبويه** ،مصدر سابق، ج1،ص:250(بتصرف)، والشاعر هو عبد العزيز بن زرارة الكلابي ،عاصر معاوية بن أبي سفيان ووفد عليه ،استشهد سنة خمسين للهجرة في غزوة القسطنطينية ،ينظر: عبد الرحمان بن غنم و عبيد الله بن معمر ،**مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر** ،تح سكينة الشهابي، دار الفكر ،دمشق،1988،ط1، ج15،ص:137،138(بتصرف).

[1] - الإسكافي ،**الدرّة** ،ص:66،65(بتصرف).

[2] – محمد فهيم أبو عبيّة ،**معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم** ،مصدر سابق، ص: 137، وص:684.

و التوكيد (اللفظي والمعنوي) ، إضافة للمسائل إعرابية...الخ ، ما لاحظناه كذلك مدى تمكن الإسكافي واستيعابه لكل المسائل والقضايا النحوية والتي وظفها في توجيهاته ، وإلمامه بالمسائل النحوية لكلا المدرستين الكوفية والنحوية ،من خلال عرض آراء الكوفية وتخطيئها الانتصار لمدرسته البصرية التي جعلته يخطأ بها حتى أعلامها كالسيرافي كما رأينا من قبل ،كما أنه يؤلف كتاب يضم التوجيهات النحوية يستقى من كتاب الدرة ،وسيكون غنيا بالقضايا والمسائل النحوية والشواهد .

الفصل الخامس:

التوجيه البلاغي

للمتشابه اللفظي

في كتاب الدُرّة

يتناول هذا الفصل الدراسة التطبيقية للمتشابه اللفظي في كتاب "الدرة" على مستوى المقاربة التركيبية للآيات المتشابهات من خلال المستوى البلاغي ، والذي قسمناه إلى أربعة مباحث ،خصصنا المبحث الأول لتكرار المتشابهات اللفظية وأغراضه ،والثاني للاختلاف الفواصل وأغراضها ،والثالث للتقديم والتأخير وأغراضه المختلفة ، والرابع ضمّناه توجيهات بلاغية مختلفة ،وختمنا كل جزء بمحصلة ذكرنا فيها أهم النتائج؛ لنصل في الأخير بالتعرف عل المنهج العام في توجيه مثل هاته المتشابهات ،ونؤكد على أنها قد وُجهت كلها توجيها لغويا (بلاغيا).

– وكما أسلفنا سابقا فإن المتشابه اللفظي أنواع ،ومن أنواعه :التعريف والتنكير، التقديم والتأخير ،الحذف والذكر...،والمعروف أنها كذلك أساليب تندرج ضمن علم المعاني وتختلف أغراضها بحسب السياق أو المقام الذي وردت فيه ،وسنعتمد بعض هذه الأنواع في هذا الفصل كعناوين ونبوّبه وفقها ، ثم نستخرج السر والجمالية البلاغية في كل مرة ، ولن نتعرض للأنواع التي خرجت في توجيهها عن البلاغة بل ستبوَّب في الفصول الأخرى بحسب نوع التوجيه ،علما أننا لم نعتمد هذا التقسيم في الفصول الموالية رغم أن كل المتشابهات اللفظية في كتاب الدرة قد وردت وفق هذه الأنواع ،وقد قسمناها تقسيمات أخرى بحسب نوعية توجيهها لنعطي كل فصل خصوصيته كما سنرى لاحقا .

المبحث الأول: المتشابهات اللفظية المتكررة وأغراضها البلاغية

المطلب الأول: مفهوم التكرار ووظائفه

التكرار سمة لغوية تخص كل اللغات ،وهو يبدأ بالصوت (دلالة صوتية•) ،إلى الكلمة ،إلى الجملة ،ثم القطعة ككل، وقد تناول البلاغيون التكرار من ناحيتين ،إحداهما: التراكيب ، فإن كان التركيز في التكرار

• **الدلالة الصوتية** :هي التي تستمد من طبيعة بعض الأصوات، وهي المستفادة من الأصوات اللغوية الصادرة من جهاز النطق ،وما يترتب من هذه الأصوات من ألفاظ ،ثم ما يمكن لهذه الألفاظ من معان مكتسبة أو طبيعية ،فالأصوات تستعمل كل منها حسب الموقف ،فقالوا :قضم وقالوا خضم ،وكلا اللفظين يدلان على الأكل ، غير أنّ الأول يدل على الأكل اليابس والثاني على الرطب، ينظر: صالح سليم عبد القادر الفاخري، **الدلالة الصوتية في اللغة العربية** ، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية ،(د ت)، (د ط) ،ص:49(بتصرف).

على الجملة عامة فيدخل التكرار هنا ضمن أحد أنواع الإطناب• ، ثانيهما :المفردات فإن كان التركيز في التكرار على المفردات فيدخل التكرار هنا ضمن مباحث البديع اللفظية (كالجناس الناقص ،السجع..) أو المعنوية (المشاكلة ،الأرصاد ...).

والتكرار ظاهرة قرآنية بارزة تختلف أغراضها بحسب موقعها في السياق، وللتكرار علاقة وثيقة الصلة بالمتشابه اللفظي ،«فالمتشابه اللفظي تكرار إذا أخذنا الألفاظ المكررة ،ولكنه تكرار في بعض الكلمات ،إذن التكرار أعم من المتشابه اللفظي ؛لأن التكرار يشمل المتشابه اللفظي وغيره ؛أي أنه يشمل المتشابه اللفظي الذي يشمل ألفاظ مكررة وأخرى غير مكررة»[1] ،وقد ذكر الإسكافي في مقدمة كتابه تعريفا للمتشابه اللفظي ضمن سرده لدواعي تأليف لكتابه "الدرة" فقال: « ...في الآيات المتكررة بالكلمات المتفقة والمختلفة ،وحروفها المتشابهة المنغلقة والمنحرفة.... »[2] ،و قد عرّف الكرماني المتشابه اللفظي بأنه: «آيات متشابهات تكررت بألفاظها متفقة ،ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان ،أو تقديم أو تأخير ،أو ابدال حرف مكان حرف ،أو غير ذلك مما يوجب اختلافا بين الآيتين أو الآيات التي تكررت التي تغيرت من غير زيادة و لا نقصان»[3] ،وقد سمى الكرماني مؤلفه في المتشابه اللفظي :"أسرار التكرار المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ،وجعل من أهداف تأليفه تبيين السبب في تكرار هذه الآيات ،والفائدة في إعادتها [4] .

ويقع التكرار في القرآن الكريم على وجوه[5]:

• **الإطناب**: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة ،أو هو تأدية المعنى بعبارة زائدة عن متعارف الأوساط لفائدة تقويته وتوكيده ،فإن لم تكن في الزيادة فائدة يسمى تطويلا ،و إن كانت الزيادة متعينة يسمى حشوا ،ينظر: السيد أحمد الهاشمي، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، ضبط يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية ،بيروت ،(د ت) ، (د ط) ،ص:201(بتصرف).

[1] – ستانة محمد علي حمد، **المعاني البلاغية للتكرار**، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية اللغات ،مجلة العلوم والتقانة ،مجلة علمية محكمة ،ج 11(1) ،2010،ص:99 .

[2] – الإسكافي، **الدرة** ،مصدر سابق،ص:5.

[3] – الكرماني ،**أسرار التكرار** ،مصدر سابق، ص: 17،18(بتصرف).

[4] – نفسه ،ص:18

[5] – عبد العظيم المطعني، **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية** ،مكتبة وهبة ، القاهرة ،1992 ،ط1ج1،ص:321،323(بتصرف).

1- مرة يكون المكرر أداة تؤدي وظيفة في الجملة بعد أن تستوفي ركنيها الأساسيين، ومثالها تكرار "إنّ" في سورة النحل، قال تعالى:﴿ **ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [النحل:119].

2- ومرة تتكرر كلمة مع أختها لداع ،بحيث تفيد معنى لا يمكن الحصول عليه بدونها ،ومثاله تكرار "هم" في سرة النمل ،قال تعالى:﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ** ﴾ [النمل:5].

3- وقد تتكرر فاصلة في سورة واحدة على نمط واحد ،ومثالها تكرار" **فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** " في سورة الرحمن، فقد تكررت احدى وثلاثين مرة.

4- وقد تتكرر القصة في مواضع متعددة مع اختلاف في طرق الصياغة عرض الفكرة ،ومثالها قصة آدم في سورة البقرة ،الآيات من (38،3).

5- تكرار بعض الأوامر والنواهي والارشادات النصح بما يقرر كما شرعيا ،أو يحث على فضله ،أو ينهى عن رذيلة ،أو يرغب في خير ،أو ينفر من شر.

وللتكرار في القرآن الكريم عدة وظائف يمكن حصرها في [1]:

- وظيفة دينية (هداية الناس وإرشادهم) و أهم وظيفة التكرار هو تقرير المكرر وتوكيده وإظهار العناية به.
- وظيفة أدبية ،و يكون دور التكرار متعدد ويبقى الهدف الأساسي توكيد المعاني وتوضيحها.
- خاصية المشترك اللفظي ،حيث تدل الكلمة الواحدة على معان متعددة ،ومنه تخرج معان عدة.
- النغم القرآني ،ونجد هذا النغم الصوتي في الفواصل التي ميزت القرآن ،وساعدتها مجموعة من العوامل ،فواتح السور، الفواصل، المد والادغام...الخ
- القصص القرآني ،ويختص تكرار القصص بفوائد جمة.

[1] – ستانة محمد علي حمد، **المعاني البلاغية للتكرار**، مصدر سابق ،ص:114،112(بتصرف).

– وقد تطرّق البلاغيون للتكرار ضمن مبحث الاطناب ،وعدوه نوعا من أنواعه ،وذكروا أغراضه ومنهم القزويني(**ت739هـ**)،فقال:" ...وإما بالتكرير لنكتة كالتأكيد في قوله تعالى: ﴿ **كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴾ **[**التكاثر:3،4**]** ،وفي "ثم" دلالة على أنّ الانذار الثاني أبلغ وأشد .

وقد يُكرر اللفظ زيادة في التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول كقوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ**﴾ **[**غافر:38،39**]**.فتكررت لفظة "يا قوم" للتنبيه.

وقد يُكرر اللفظ لطول الكلام مثل قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ **[**النحل:119**]**.فتكررت "إنّ ربك" وورد تكرارها بعد طول الكلام.

وقد يُكرر اللفظ لتعدد المتعلق ،ومثاله تكرار قوله تعالى في سورة الرحمان: ﴿**فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ **[**الرحمان:13**]** ؛لأنه تعالى ذكر نعمة بعد نعمة ،وعقّب كل نعمة بهذا القول ،ومعلوم أن الغرض من ذكره عقيب نعمة غير الغرض من ذكره عقيب أخرى.

وقد يُكرر اللفظ للإيغال ،واختلف في معناه ،فقيل هو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها ،كزيادة المبالغة في قول الخنساء[1] (من البسيط):

وإنَّ صخراً لتأتمَّ الهُداةُ به   كأنّه علم في رأسه نار

فلم ترض بتشبيهه بالعلم وهو الجبل المرتفع المعروف بالهداية حتى جعلت في رأسه نارا[2].

وقد ذكر السيوطي التكرار في كتابه "الإتقان" ،و أنه يُعد أبلغ من التأكيد ،وهو من محاسن الفصاحة خلافا لبعض مَن غلط ،وله فوائد منها: التقرير ،وقيل " الكلام إذا تكرر تقرر" ، ومنها التأكيد ، ومنها

[1]– الخنساء، **ديوان الخنساء**، اعتنى به وشرحه حمدو طمّاس ،دار المعرفة ،بيروت،2004، ط2 ،ص:46.

[2] – القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع** ،وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين ،دار الكتب العلمية ،بيروت، 2003 ، ط1 ،ص:153،158(بتصرف).

زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول ،ومنها إذا طال الكلام وخفي تناسيه أعيد ثانيا تطرية له وتجديدا لعهده، ومنها التعظيم والتهويل ،ومنها تعدد المتعلق ...[1].

والتكرار هو ذكر الشيء مرتين أو أكثر لأغراض ،منها: التأكيد ،طول الكلام لئلا يجيئ مبتورا ،قصد الاستيعاب ،زيادة الترغيب في العفو ،استمالة المخاطب لقبول الخطاب، التنويه بشأن المخاطب، الترديد وهو تكرار اللفظ متعلقا بغير ما تعلق به أولا ،التلذذ بذكره ،الإرشاد ....الخ[2]

المطلب الثاني: الآيات المتشابهات المتكررة في كتاب "الدرة" وأغراضها

وقد ورد في كتاب "الدرة" هذا النوع من الآيات التي تشابهت بتكرارها ،وسنورد من خلال هذا المطلب نماذج من هاته الآيات لنخلص لسبب عدم اعتبار الإسكافي لمثل هذا التوع من المتشابهات تكرارا ونتعرف على الأغراض البلاغية في كل مرة.

1- تكرار "فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ" في سورة الرحمان:

تكررت هذه الآية إحدى وثلاثين مرة في سورة الرحمان ،وقد وجّه الإسكافي هذا التشابه كما يلي:

- سبع منها أفردها للتنبيه على نعم الدنيا المختلفة ،وذكر سبب جعلها سبعا وذلك أمهات النعم التي خلقها الله سبعا سبعا ،كالسموات والأرضين ،ومعظم الكواكب (وهي الآيات: 13،16،18،21،23،25،28).

وسبع الثانية وردت للترهيب والانذار والتخويف بالنار ،وذكر سبب جعلها سبعا وذلك لأنها قسمة أبواب جهنم ،وهي الآيات :(32،34،36،38،40،42،45)

- وأفردت ثمان منها فيوصف الجنتين الأولتين وأهلها على قسمة أبوابها الثمانية ،وهي الآيات: (47،49،51،53،55،57،59،61).

---

[1] – السيوطي ،**الاتقان في علوم القرآن** ،مصدر سابق،ج5،ص:1648،1650(بتصرف).

[2] – السيد أحمد الهاشمي، **جواهر البلاغة**، مصدر سابق ،ص: 201،202 (بتصرف).

- وأفردت الثمان الباقية لوصف الجنتين اللتين دون الجنتين الأوليتين وأهلها ،وهي الآيات: (77،75،73،71،69،67،65،63).
- فكان المجموع احدى وثلاثين آية (7+7+8+8).
- وقد أشار الإسكافي بعد توجيهه للآيات الواحدة والثلاثين لمجموعة من المسائل :
- أوّلها : سبب تسميته للسبع الثواني بالنعم رغم أنها تخص النار وأهوالها ،فذكر بأنّ الله تعالى مُنعم على عباده نعمتين :نعمة الدنيا والدِين ،وأعظمهما الثانية ؛لأنّ اجتهاد الإنسان ورهبته مما يؤلمه أكثر من اجتهاده ورغبته فيما يُنعّمه ؛ولأنّ الترهيب زجر على المعاصي وبعث على الطاعات ،وهو سبب النفع الدائم ،وأي نعمة أكبر من التخويف بالضرر المؤدي إلى أشرف النعم.
- ثانيها: أنّ السبع الأول عرفت منها ست منها نعمة الله علينا في البر والبحر ،والسابعة هي: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**﴾ [الرحمن:26] ،فأيّ نعمة في ذلك حتى تُعد من نعمة الدنيا، فذكر أنّ التسوية بين الصغير والكبير ،الأمير والمأمور، الظالم والمظلوم في الفناء المؤدي لدار البقاء ،ومجازاة كل منهم كل ذلك يُعد نعمة كبيرة فعلا.
- ثالثهما: السبب في ورود الجنتين بصيغة التثنية لاتصالهما ببعض ،فكلما كان الولي في جنة وصلت بأخرى ،فلا تنقطع عنه غرائب الجنان أبدا ،ومثله في قولنا "حنانيك" وهو دعاء وطلب للرحمة متصلين ،وقولنا "لبيك وسعديك" وسائر ما جاء مثنى .
- رابعهما: إذا كان المعنى في الجنتين واحد فما معنى ذكر الجنتين الأخريتين؟ ،فذكر أنّ المراد بالجنتين الأوليتين :جنتان خارج قصره ،والمعنى :كلما كان في جنة وصلت بثانية غريبة مستطرفة ،ثم إذا كان في الثانية كانت حالها في اتصال أخرى بها كحال الأولى، وعلى ذلك أبدا، ففي قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ**﴾ [الرحمن:62] المراد بهما على هذا الوجه أقرب من هاتين الجنتين جنات داخل قصره.
- وذكر توجيها ثانيا للمسألة الرابعة وهي أن تكون الجنان الأربع في الجهات الأربع :بين يديه وخلفه ويمينه وشماله ،وأقربها ما كان نصب عينيه فلا يحتاج للالتفات خلفه.

- وذكر كذلك توجيها آخر للمسألة الرابعة حسب الحسن ،بأنّ المراد بالجنتين الأوليتين للسابقين :وهم السابقون لاتباع الأنبياء ،ووهبوا لطاعة الله حرمة الآباء والأبناء ،وجاهدوا لتوطئة الإسلام ،وبذلوا أرواحهم في قتال الكفار ،فهم أعظم درجة وأعلى رتبة ، ومن دون جنتيهم جنتان للتابعين[1]

– وجّه الكرماني هذا التشابه بنفس توجيه الإسكافي وبشيء من الإيجاز فقال: كرر الآية إحدى وثلاثين مرة ،ثمانية منها ذكرت عقيب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه، ومبدأ الخلق ومعادهم ،ثم سبعة منها عقيب آيات فيها ذكر النار وشدائدها على أبواب جهنم، وحسن ذكر الآلاء عقيبها ؛لأن في صرفها ودفعها نعما توازي النعم المذكورة ؛أو لأنها حلت بالأعداء وذلك يُعد أكبر النعماء، وبعد هذه السبعة ثمانية فيوصف الجنان وأهلها على عدد أبواب الجنة، وثمانية أخرى بعدها للجنتين اللتين دونهما ،فمن اعتقد الثمانية الأولى وعمل بموجبها استحق كلتا الثمانيتين من الله ،ووقاه السبعة السابقة [2] .

– أمّا ابن جماعة فقد وجّه هذا التشابه بإيجاز و أرجع سبب تكرار هذه الآية تنبيها على شكر هذه النعم وتوكيدا لها[3] .

– وذهب الغرناطي في توجيهه إلى أنّ افتتاح سورة الرحمن بذكر ضروب النعم التي تدل للمعتبر بانفراده تعالى بالخلق والابداع كتعليم القرآن ،خلق الإنسان وتعليمه البيان ...الخ ولما كانت هاته النعم مشاهدة للخلائق و لاشك في نسبتها لغيره تعالى ،أتبع ذلك بتقرير الثقلين وتعجيز الفريقين فقال لهما عقب هذه الضروب الثمانية: "**فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**" ،وتكررت الآية بتكرر القضايا ،وكلها مما لا مطمع لأحد في ادعائه، فقامت الحجة بها ،وكانت سبعا جريا على سنة ما وقع التنبيه به من تحريك المعتبرين ،وهذا العدد مطرد في خلق السموات سبعا والأرض سبعا وغيرها ،ثم أعقبها بسبع قضايا وعيدية معقبا فيها كل قضية مقرّعا وقامعا للمعاندين ،ثم انصرفت الآي إلى فريق النجاة وتعداد عطايا الله لهم مختتمة كل منها

1– الإسكافي، **الدرة** ،ص:321،322(بتصرف).

2– الكرماني ،**أسرار التكرار** ،مصدر سابق، ص:198.

3 – ابن جماعة ، **كشف المعاني** ،مصدر سابق، ص:347(بتصرف).

في ثماني مرات في أعقاب ثماني قضايا بقوله: "**فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**" ،ووردت وفق أبواب الجنة الثمانية ،ويشهد لهذا القصد تعقيبها بمثلها عددا ،فكانت هذه الآية إيقاظ للغافلين وتنبيه للمؤمنين وتقريع وتوبيخ للغافلين[1] .

2- تكرار " إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا " في سورة الشرح:

الشاهد قوله تعالى: ﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** ﴾ [الشرح:5،6]

ذكر الإسكافي في تكرار هذه الآية بشارة بأن الله تعالى قد وعد عباده في عسر أن يعقبه بيسرين ،وأنّ مَن كان في شدة قطعها عنه إلى نعمة بعد نعمة ؛لهذا قال صلى الله عليه وسلم:" لن يغلب عسر يسرين"، وبررّ الإسكافي سر هذا التوجيه بأنّ العسر لما أعيد لفظه معرفا كالأول لم يكن إلا إياه، وبالمقابل فإن" لفظة "اليسر" لما أعيد لفظه نكرة كان غير الأول ،وإذا لم يكن ذاك لم يكن تكرارا[2]

- وذهب الكرماني لنفس التوجيه ، أكد أنّ هذا الشاهد لا يتضمن تكرارا ؛لأن الآية خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ، والمعنى: إنّ مع العسر الذي أنت فيه من مقاساة الكفار يسرا في العاجل، وإنّ مع العسر الذي أنت فيه من الكفار يسرا في الآجل، فالعسر واحد ،اليسر اثنان، وعن عمر رضي الله عنه:" لن يغلب عسر يسرين"[3].نلاحظ أن الكرماني اعتمد توجيه الإسكافي ،ولم يذكر علة لتوجيهه سوى حديث عمر رضي الله عنه ،كما ذكر أن الشاهد خاص بالرسول صلى الله عليه وسلم فقط ،أي أنه اعتمد على سبب نزول الآية (سياق حالي).

- أمّا الغرناطي فقد نحا منحا مغايرا وإن كان يشترك مع توجيه الإسكافي في بعض النقاط، وقد بنى توجيهه على السياق العام للسورة ،وأنها نزلت تأنيسا للرسول صلى الله عليه سلم مما لحقه من عداوة الكفار ،كما ذكر أنّ هذا الشاهد يعتبر تكرارا والهدف منه بعث الرجاء والتأنيس كذلك في قلوب المؤمنين ،فبعدما ذكرت السورة إنعامه تعالى على نبيه ،أتبع ذلك بمنة جليلة تشركه فيها أمته بتيسير ما

---

[1] – الغرناطي ،**ملاك التأويل** ،مصدر سابق، ص:347(بتصرف).

[2]– الإسكافي ،**الدرة**، ص:370(بتصرف).

[3] – الكرماني، **أسرار التكرار**، مصدر سابق،ص:221(بتصرف).

عرض فيه عسر للمؤمن في أمر دينه ودنياه ،فبشر عباده بأنّ العسر يتبعه اليسر ،وأكّد ذلك بإنّ المؤكدة للخبر ،وزيد تأكيدا بالتكرار وتوسيع التأنيس بالإشعار الحاصل من تنكير اليسر تعريف العسر ،ثم علل سبب توجيهه بأنّ العرب إذا أعادت الاسم بأداة العهد- الألف واللام- كان المذكور ثانيا هو المذكور أولا سواء أكان معرفا أم نكرة، نقول: ليقتُ رجلا فأكرمتُ الرجلَ ،إنما تريد الرجل الذي لقيته، فإن قالتَ: لقيتُ رجلا فأكرمتُ رجلا، كان الثاني غير الأول ،وقد قع اليسر في الآية مُنَكرا في الموضعين فأشعر بالتوسعة ،لهذا قيل:"لن يغلب عسر يسرين" ،فحصل من التكرير تنكير ما نكر توسعة .

3- تكرار " خَلَقَ " في سورة العلق:

الشاهد قوله تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** (1) **خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ**﴾ [العلق:1،2] ،فتكررت لفظة "خلق".

يرى الإسكافي أنّ لفظة "خلق" لفظة عامة في المخلوقات كلها سمائها وأرضها، ثم استأنف التنبيه على خلق المخاطبين أنفسهم ،فقال: "**خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ**" ،أي: اعرف انقلابه من حال الدم إلى ما يشاهد، لتعرف حاله الثانية التي ليست بأبعد في نفسك من هذه الناشئة[1] ،فلفظة "خلق" الأولى لفظة عامة في كل المخلوقات ،أمّا اللفظة الثانية خاصة وردت للتنبيه بأحد هذه المخلوقات وهي الانسان ،وللتنبيه على عجب خلقه الأول من دم ،وهذه الآية مشاهدة فيك يا إنسان وقريبة منك لتعتبر ،واستنتج الإسكافي أنه إذا كان معنى اللفظة الأولى عامة كما ذكر والثانية خاصة ،فهذا لا يعتبر تكرارا ،لأن كل لفظة حملت لفظا مغايرا وإن تعلقتا ببعض حسب السياق.

- اتجه الغرناطي نفس توجيه الإسكافي ورأى بأنه لا يوجد تكرار في الآيتين لأن كلّ لفظة تحمل معنا مغايرا ،والقصد كذلك مختلف فالمراد أولا خلق المخلوقات وشتى العوامل ،والمراد ثانيا تخصيص خلق الإنسان ،وأنه خلقه من علق[2].

[1]- الإسكافي ،**الدرة**، ص:371(بتصرف).

[2] - الغرناطي ،**ملاك التأويل** ،مصدر سابق، ص:509(بتصرف).

- وقد وافق ابن جماعة نفس توجيه السابقين[1].

-أمّا الزمخشري فقد رأى أنّ لفظة "خلق" الأولى والتي وردت بلا مفعول تفسر بوجهين:

- أحدهما: أن لا يقدّر لها مفعول ،والمعنى: الذي حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه.

- ثانيهما: يقدر لها مفعول ،والمعنى: خلق كل شيء ،فيتناول كل المخلوقات ،لأنه مطلق ،فليس بعض المخلوقات أولى بتقديره من بعض.

و رأى في اللفظة الثانية تخصيص للإنسان بالذكر من بين المخلوقات ،لأنّ التنزيل إليه وهو أشرف ما على الأرض.

فوردت حسبه لفظة "خلق" الأولى مبهمة ،ثم أعقبها بلفظة "خلق" الثانية تفسيرا لها بخلق الانسان تفخيما له ودلالة على عجيب فطرته[2].

4- تكرار " كَلَّا سَيَعْلَمُونَ " في سورة النبأ:

الشاهد قوله تعالى: ﴿ **كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (4) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ** ﴾ [العلق:4،5].

وجّه الإسكافي هذا الشاهد بطريقتين ؛ حيث أورد في التوجيه الأول رأيه وتفسيره ،فرأى بأنّ الآية الأولى وعيد بما يرونه في الدنيا عند فراقها ، أمّا الآية الثانية فهي وعيد بما يلقونه في الآخرة من عذاب ربهم ، ووجّه التوجيه الثاني اعتمادا على تفسير من سبقه من غير ذكر صاحبه ،فذكر أنّه قيل في الأولى: توعد بالقيامة وهولها ،والثانية توعد بما بعدها من النار وحرّها، وأكّد على أن هذا لا يُعدّ تكرارا[3].

---

[1] - ابن جماعة ، **كشف المعاني** ،مصدر سابق، ص:377،378.

[2] - الزمخشري، **الكشاف**، مصدر سابق،ج6،ص:403(بتصرف).

[3] - الإسكافي ،**الدرة**، ص:357(بتصرف).

- وكذلك اعتمد الكرماني على تفسير من سبقوه لم يذكر أصحابه ،وأورد عدة توجيهات :فذكر أنّ التكرار للتأكيد، وقيل :الأول للكفار ،الثاني للمؤمنين، وقيل: الأول عند النزع ،والثاني في القيامة ،وقيل :الأول ردع عن الاختلاف ،الثاني عن الكفر [1].

- ورأى الغرناطي أنّ تكرر التهديد بهذا الشاهد ورد على عادة العرب إذا همت بشيء وأرادته لتحققه وقرب وقوعه ،أو قصدت الدعاء عليه كررته توكيدا ،وكأنها تقيم تكرارها مكان القسم عليه والاجتهاد في الدعاء عليه، حيث يقصد الدعاء ،وقد نزل القرآن بلسانهم وبنفس أساليبهم لتستحكم الحجة عليهم في عجزهم عن معارضته ،وعلى هذا يجري ما ورد في هذا الوعيد ،ومثله كثير في القرآن[2].

- وذهب ابن عطيه إلى أنّ الآية الأولى تخص الكفار على جهة الوعيد ،والثانية تخص المؤمنين على جهة الوعد[3].

3- تكرار " فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ " :

الشاهد قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (17) كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (18) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (19) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (20) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (21) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾ [القمر:17،22]

قبل توجيه هذا المتشابه ،أورد الإسكافي تفسير بعض أهل النظر ،بأنه رأى أنّ الآية الأولى ليست تحقيقا لعاد ،والثانية لها ،وبهذا لا يكون هذا تكرارا، لأنه جعل الخبرين مختلفين، وقد ردّ الإسكافي عليه بأنه مخطئ وأورد حجته بأنّه قال: "**كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ**"فلا يصلح أن تدخل الفاء في قوله، فكان عقيب إخباره عن عاد بأنها كذّبت ،ثم يصرف عن أن تتعلق به تعلق الجزاء بالشرط هذا،ولم يتقدم في السورة سوى قصة نوح وقومه ،ثم استدرك الإسكافي يأنّ القول صحيح إن أراد به "**كَذَّبَتْ**

[1]- الكرماني، **أسرار التكرار**، مصدر سابق،ص:213(بتصرف).
[2] – الغرناطي ،**ملاك التأويل** ،مصدر سابق، ص:200(بتصرف).
[3] – ابن عطية ،**المحرر الوجيز** ،مصدر سابق،ص:424.

عَادٌ" ،فلم يعتبر: "**فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ**"،ولمن كذب قبلهم من قوم نوح ،يكن ذهابا عن الظاهر إلى إضمار لا دلالة عليه.

– وبعد عرض الإسكافي لرأي بعض المفسرين حجته ، أورد بعد ذلك توجيهه ،وذكر أنه في وجهين: أحدهما:

4– تكرار " وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ":

لقد تكررت هذه الآية عشر مرات في سورة المرسلات، ويؤكد الإسكافي أنّ هذا لا يُعدّ تكرارا ،لأنّ كل آية منها حملت معان مختلفة ،وقبل توجيهه لهذا التكرار ،ذكر السياق العام لسورة المرسلات وذلك أنها نزلت لإثبات البعث والحساب والثواب والعقاب وتخويف المكذبين ،وذلك أنّ كفار قريش كانوا ينكرون كل ذلك ،وقد تم توجيه الآيات العشر كما يلي:

1– بعدما أقسم تعالى بأنّ ما يوعدون واقع يوم الفصل احتج بقوله : " **وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ** " وبدأ بهد إيجاب الويل في الآخرة لمن كذب بها بذكر إهلاكه للأمم المكذبة السابقة كقوم نوح وعاد وثمود ،ثم لأتبعهم بالأخرين من بعدهم كقوم إبراهيم ولوط وفرعون ،ثم توعد المجرمين من أمة محمد صلى الله عليه وسل باللحاق بهم إن استمروا في تكذيبهم ،فكان ذلك زجرا بالغا لهم ،وتحذيرا لهم بأنّهم سيعذبون مثل من سبقهم.

2– ثم احتج عليهم بالحجة الثانية هي آية خلقهم من أهون شيء، هي النطفة التي أقرّها في الرحم ،ونقلها من حال لحال حتى التمام ،وأجرى هذا التقدير في سائر الحيوان ،فنبه على ابتداء النشأة بابتداء النشأة الثانية(تلميح بالبعث)،فقال ويل لمن كذّب بذلك بعد لزوم الحجة له.

3– ثم احتج عليهم في الثالثة بخلق الأرض التي تضم الأحياء والأموات وتخرج الأقوات ،وما أقام عليها من جبال (أوتاد الأرض)،وما أجرى فيها من مياه، وكل ذلك دليل على القدرة ،وأنه لم يخلق الناس عبثا ،وهو كما يبدي يعيد ليحق منه الوعد والوعيد.

4- ثم قصرت ثلاث آيات منها على تبكيت[1] الكفار يوم القيامة ،فيُأمرون بثلاث أوامر:

- بالانطلاق إلى ما كذبوا.
- بالانطلاق فلا عذر لهم ولا حجة ،لأنه قد تم تنبيههم في الدنيا
- بالانطلاق ليوم الفصل الذي يفصل فيه بين المطيع والعاصي ،المصدق والمكذّب فقد كنتم تسخطون لمخالفتكم ما أمركم به واليوم عجزتم عن أنفسكم.

5- ثم أردف أربعة منها كما يلي:

– في وصف أهل الجنة وأنهم مجازون بأعمالهم.

– خطاب لمن في عصر النبوة مبالغة في زجرهم ووصفهم بأنهم مجرمون ،لأنهم آثروا الحياة الدنيا ،وفي هذا الوصف رد للعجز على الصدر ،لأنه قال في مفتتح السورة .

– أخبر أنّ كفار قريش يكرهون التجبية وهي الركوع، واستدل الإسكافي عن ذلك بحكاية هند،بنت عتبة لما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح: "يا هند كيف ترين الإسلام" ،قالت: بأبي وأمي ما أحسنه، لولا ثلاث خصال، فقال: "وما هن"؟،قالت: التجبية ،والخمار ،ورقي هذا العبد الأسود فوق الكعبة ،قال :"أمّا التجبية فإنّه لا صلاة إلا بركوع ،وأمّا قولك الخمار ،فلا شيء أحسن ولا أستر من الخمار ،وأما قولك ورقي هذا العبد الأسود فوق الكعبة ،فنعم عبد الله هو".

– أنهم كذبوا بالقرآن المتضمن وجوب الصلاة وبذل غاية الخضوع بالسجود والركوع، فلم يصدقوا أنه من عند الله مع براهينه ،فبأي كلام يسمحون بعده بالإيمان ،بمعنى :اركعوا وصلوا ،فأردف بالفاصلة الأخيرة "ويل ..." ليدل على ما يجب تصديقه وترك التكذيب به ،وببذلك كانت المعاني مختلفة ،وسلمت السورة من التكرار.

– لقد وجّه الكرماني هذا الشاهد توجيها عاما وموجزا موافقا فيه توجيه الإسكافي ،فأكّد أنّ كل واحدة من الآيات المكررة قد ذكرت عقيب آية مختلفة ،لذلك لا يعد هذا تكرارا مستهجنا ،لو لم يكرر كان متوعدا على بعض دون البعض ،واستدل على رأيه بأنه من عادة العرب التكرار والإطناب

[1] – **تبكيت**: التقريع والتعنيف ،وبكّتَهُ بالحجة: أي غلبه ،ينظر: الجوهري، **الصحاح** ،مصدر سابق،ج1،ص:244(بكت).

،كما في عادتها الاقتصار والإيجاز ،ولأنّ بسط الكلام في الترغيب والترهيب أدعى إلا إدراك البغية من الإيجاز[1].

– فالكرماني عدّ هذا الشاهد ليس تكرارا ،لأنه حمل معان جديد عقيب كل آية ،كما أنه يندرج ضمن أساليب العرب في الكلام المعروفة ،إضافة لأنه (إن حُمل على أنه ترهيب)،فالغرض من تكراره توضيح المعنى ليدركه السامع

–أمّا الغرناطي فقد فصّل القول في توجيه هذا الشاهد على ثلاثة أقول وافق في بعضها توجيه الإسكافي وتقاطع معه في كثير من المعاني ،ونورد هذا التوجيه مختصرا؛ فقد ذكر أنّ هذه السورة قد استهلت بذكر أهوال يوم القيامة ،ثم أعقبت بتوبيخ المكذبين على غفلتهم وعن الاعتبار بإهلاك من تقدمهم من الأمم السابقة المكذبة ،ثم أردف بذكر أصل الخلقة وخلق الأرض وما بث فيها من نعم جليلة ،فحصل التذكير بضروب ثلاث وهي :إهلاك الأمم السابقة ،خلق الإنسان ،خلق الأرض ،ثم أعقب بتصوير حالهم يوم القيامة وما يشاهدونه مما يحل بهم ،ثم انتقل لتصوير حال المتقين ليكون محركا لندم المكذبين وتأنيسا للمؤمنين ،ثم رجع إلى الضرب الآخر من التوبيخ والتهديد بذكر حالهم الدنيوي في تنعمهم وأورد ذلك بصيغة الأمر تهكما "كلوا وتمتعوا..."بهم ثم نبّه على إبائهم الاستجابة للإيمان[2].

5– تكرار " إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ " في سورة الذاريات:

الشاهد قوله تعالى: ﴿**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾ [الذاريات:50،51].

وجّه الإسكافي هذا الشاهد اعتمادا على السياق القبلي للآية ،وهو قوله تعالى: ﴿ **وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ [الذاريات:49]،والمعنى :خلقنا من الحيوانات ذكرا وأنثى ومن غيرها الشيء وما يزاوجه وما يماثله أو يضاده فيقابله، لتذكروا أنّ خالقكم بعيد عن شبهكم ،وأنه لا نظير له يشاكله ،ولا ضد له يناصبه ويقابله ،فقال "ففروا" عمّا حذركم من معصيته إلى ما حثكم

[1] – الكرماني ،**أسرار التكرار** ،مصدر سابق،ص:213(بتصرف).

[2] – الغرناطي ،**ملاك التأويل** ،مصدر سابق،ص:498،499(بتصرف).

عليه من طاعته، فإني أنذركم ما تواعدكم به من عقوبته ،وهذا تحذير من المعاصي كلها ،وبعث على الطاعات جميعها ،ثم خصّ ما هو أعظم فقال:" ولا تجعلوا.." ،أي لا تتخذوا الأصنام آلهة تعبدونها مع الله ،فإني أحذركم أن تجعلوا له مثلا، فالنذارة الأولى متعلقة بترك الطاعة إلى المعصية ،والثانية متعلقة بالشرك الذي هو أعظم المعاصي ،وإذا كانت متعلقة بغير ما تعلقت به الأولى لم تكن ذلك تكرارا[1].

فتمّ توجيه هذا الشاهد بأن جعل النذارة الأولى عامة في كل المعاصي، والنذارة الثانية خاصة بمعصية واحدة وهي الشرك بالله ،وقد خصصت لعظمها.

- وقد وافق الكرماني توجيه الإسكافي تماما ،وأكّد أن هذا الشاهد لا يُعد تكرارا[2].

بعد عرض هذه النماذج من المتشابهات اللفظية التي اختلفت بسبب تكرارها اللفظي ،لاحظنا أن الإسكافي يؤكد في كل توجيه لها بأنّ هذا الاختلاف لا يُعد تكرارا ،لأن كل منها قد حمل معنا مغايرا ،وقصدا مختلفا ، وغرضا بلاغيا مختلفا تنوع إلى: البشارة ،النذارة ،التنبيه، الوعيد ،الترغيب والترهيب ...الخ

[1] - الإسكافي ،**الدرة**، ص:308،309(بتصرف).

[2] - الكرماني، **أسرار التكرار** ،مصدر سابق، ص:196.

المبحث الثاني: اختلاف الفواصل القرآنية وأغراضها

أشرنا لمفهوم الفاصلة القرآنية وأنواعها ضمن المبحث الصوتي للعلاقة الوطيدة بينهما وتفاديا للتكرار، وهذا لا ينفي ما لاختلاف الفواصل من صلة عميقة بالبلاغة ،إذ تُعد من صميم المعنى البلاغي للآية والمعنى العام للسورة القرآنية ككل ، لآنّ ذلك الاختلاف مرتبط حتما باختلاف الأغراض البلاغية ،و هذا ما سنورد في هذا المبحث بذكر بعض المتشابهات اللفظية التي اختلفت في فواصلها فاختلفت لذلك أغراضها البلاغية: من اختلاف للمخاطبين وأحوالهم وأزمانهم إلى الترغيب والترهيب والبشارة وغيرها من الأغراض البلاغية.

المطلب الأول: اختلاف الفواصل لغرض اختلاف نوع المخاطبين:

جمعنا في هذا المطلب الآيات التي تشابهات بتكرارها ،و بُني توجيهها بحسب اختلاف المخاطبين

1- الشاهد قوله تعالى:﴿... **فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ**﴾ [الأعراف:39]، الشاهد قوله تعالى:﴿... **فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾ [الأنفال:35]،فالخبر واحد في الآيتين عن الكفار ،ولكن اختلفت الفاصلتان.

- يرد الإسكافي سر هذا التشابه حسب اختلاف المخاطبين ،وذلك أن الآية الأولى تخص فئة من الكفار خبَّر الله عنهم قبل آية الأعراف بقوله: ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**... ﴾ [الأعراف:39] ،والمعنى ينالهم نصيبهم أي حظهم من العذاب المكتوب عليهم بقدر ما كسبوه من سيئات الأعمال ،حين يستوفونهم الملائكة ويسوقونهم حسب الحسن ،وأثناء هذا تحدث مجادلة ومحاججة بينهم حين تُحمّل أخراهم ذنب ظلالها للأولاهم ،وذلك لأنهم ضلوا وأضلوا غيرهم ،فيستحقون العذاب الضعف منهم حسبهم ، فترد أولاهم بأنهم متساوون في العذاب وحجتهم أنه لم يكن للأخرين فضل في ترك الضلال أو تقليله ،فيرد الله عليهم بقوله:﴿... **فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ**﴾ ،أي ذوقوا العذاب بقدر ما كنتم تكسبون ،فهذا موضع يقتضي ذكر الاكتساب وما يجب على قدره من العقاب ،أما سورة الأنفال فاختلف فيها نوع المخاطبين وهم كفار قريش لذلك اختلفت الفاصلة ،لأن الله تعالى قال من قبل:﴿**وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾[الأنفال:35] ،أي ما كانت صلاتهم إلا تصفيرا وتصفيقا لا تسبيحا

وخضوعا لله ،فيقال لهم في الآخرة ذوقوا العذاب بكفركم ،،ولأن الآية لم يتقدمها ما يوجب ذكر قدر العذاب دون قدر فيقال ذوقوا العذاب بقدر كسبكم له كما في الآية الأولى بل ذكر كفرهم لما قال: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (33) وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ...** ﴾ [الأنفال:33،34] ،فالحاصل أن اختلاف الفاصلتين كان لاختلاف المخاطبين :الكفار عامة ،كفار قريش خاصة[1].

- لقد وافق الغرناطي الإسكافي في توجيهه وأضاف وفصل القول في نوع المخاطبين في الآية الأولى فقال إنهم أخلاط من الأمم وأصناف من المكذبين تنوع كفرهم وافتراءهم على الله تعالى ،فلشتى مجترحاتهم واتساع مرتكباتهم ولأنهم ضلوا وأضلوا ناسب ما وقع جزاؤهم عليه ذكر الاكتساب ،أما الآية الثانية فتخص كفار قريش من أهل مكة وحالهم معلومة من عبادة الأوثان ،وكفرهم برسالة نبيينا صلى الله عليه وسلم فناسب جزاؤهم تخصيص اسم الكفر بهم[2].

2- الشاهد قوله تعالى:﴿ **أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [التوبة:19]، و قوله تعالى:﴿ **قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾[التوبة:24]، و قوله تعالى:﴿ **إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾[التوبة:37]،فختمت كل آية بفاصلة مختلفة: الظالمين الفاسقين ،الكافرين.

- يوجّه الإسكافي هذا التشابه حسب نوع المخاطبين ،حيث نسب الآية الأولى لمشركي العرب الذين قاموا بسقاية الحاج وأنفقوا على المسجد الحرام رجاء الثواب مع المقام على الكفر فوصفهم بالظالمين، لأنهم ظلموا أنفسهم بالكفر وبعملهم الذي يؤملون الانتفاع به مع مصاحبة الكفر ، وكل من وضع

[1] - الإسكافي ،**الدرة** ،ص:136،137(بتصرف).

[2] - الغرناطي ،**ملاك التأويل**، مصدر سابق، ص:181،180(بتصرف).

الشيء في غير موضعه يكون ظالما ،ويكون غير ظالم لنفسه حين ينفق في حال اسلامه على المسلمين من الحجاج دون الذين كانت صلاتهم مجرد تصفير وتصفيق.

– أما الآية الثانية فقد خصت فئة من المسلمين وكانت بمثابة التحذير لهم لإيثارهم آبائهم وإخوانهم وأبنائهم وكل من ورد ذكره في هذا الباب على الجهاد في سبيل الله ،فعدهم من جملة الفاسقين ،والله لا يهديهم لما أعده الله للمؤمنين من الثواب لتعرضهم لمخالفة أمره.

– أما الآية الثالثة فخصَّت طائفة من مشركي العرب كانت تحل بعض الأشهر الحرم وتُحرِّم بدله من الشهر الذي ليس بمحرم ليوفوا عدة الأربعة ،فيكون بذلك تحريم ما حلله الله تعالى وتحليل ما حرمه ،فأخبر تعالى أن ذلك يعد زيادة في كفرهم ،ثم عقبه بوصفهم بأنه لا يهديهم بهم ، وأحق الأوصاف المناسبة في هذا المقام لفظة "الكافرين"[1].

– لقد وافق الغرناطي الإسكافي في بعض توجيهاته وأضاف أن الآية الأولى تخص كفار قريش ممن ظل نفسه بالتقصير في النظر ،وظن أن عمله من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كاف ومخلص له ،وأن المؤمن بالله واليوم الآخر والمجاهد في سبيل الله ليس بأفضل حالا وعملا منه ،فردَّ الله ذلك بقوله" **لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ**" ،ومن ظن ذلك فهو ظالم لنفسه من حيث قصر نظره مع تنبيهه على النظر في وجه ما به خلاصه" **وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**" وهم الذين سبق علم الله أنهم ر يؤمنون بظلمهم أنفسهم ،أما الآية الثانية فغرضها كف ومنع المؤمنين عن ارتكاب ما ليس من شأنهم ،لأنهم نهوا سابقا عن ولاة من ذكر من آبائهم وإخوانهم إذا كانوا كفارا ،ثم أعقب أنكم إذا اتصفتم بهذه الصفة فقد خرجتم عن دينكم وفارقتم إيمانكم ولحقتم بمن كفر ،" **وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**" والفاسق الخارج ،أما الآية الثالثة فخصت قوما وصفوا بالكفر ولم يكن لهم إيمان من قبل ثم خرجوا منه بل حالهم التمادي على الكفر ،أنه من سوء أعمالهم ومما زينه الشيطان لهم فقال بعد هذا الوصف :" **وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**"[2].

– وقد أشار ابن جماعة(**ت 733هـ**) لنفس التفسيرين السابقين وبإيجاز فقال:" الآية الأولى نزلت في الذين فضلوا سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام على الايمان والجهاد ،فوضعوا الأفضل في غير موضعه وهو معنى الظلم ،أو نقصوا الايمان بترجيح الآخر عليه ،والظلم النقص أيضا ،أما الآية الثانية فنزلت في

[1] – الإسكافي ،الدرة ،ص:139،140(بتصرف).

[2]– الغرناطي ،**ملاك التأويل**، مصدر سابق، ص:228،227(بتصرف).

المؤمنين الذين اتخذوا أقاربهم الكفار أولياء ،وبعض الفسق لا ينافي الايمان ،وأما الثالثة فنزلت في الكفار الذين كانوا ينسئون الشهور فيحلون حرامها ويحرمون حلالها ،لذلك قال فيهم:" **زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ**"[1].

3- الشاهد[2] قوله تعالى:﴿ **وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[النحل:65،69]،فختمت كل آية ب:يسمعون ،يعقلون ،يتفكرون.

يكشف الإسكافي السر في اختلاف هذه الفواصل بأن الآية الأولى وردت توبيخا للمنكرين للبعث ،فكأنه قيل لهم إن ذلك قبل التدبر مقرر في أول العقل حتى إن من يسمعه يعترف به ،وهو أن الأرض الميتة يسقيها الله بماء السماء فتعود حية بنباتها ،فكذلك من يستنكر مجيء الخليقة بعد موتها .

- أما الآية الثانية فمرتبطة بقوله تعالى:" **وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا...** ﴾[النحل: 66]،وقد علمنا أنَّ الفرث[3]والدم لا ينعصر منه ا يسوغ للشارب ،وأن الدم أحمر فيحول بقدرة لبنا أبيضا طيبا بعد ما استحال عنه في اللون والطيب ،ففيه عبرة لمن اعتبر ،ولما قرن إليه ثمرات النخيل والأعناب وما يتحول من عصيرهما إلى ما يستلذ ويجلب ما يسر سوى طيب رطبها ويابسها احتاج كل ذلك لتدبر بعقل ،لذلك قال:" **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**".

- أما الآية الثالثة فقرنت بالتفكر لأنه استعمال الفكر حالا بعد حال ،وفي النحل عجائب من صنع الله عز وجل :من طاعتها لرئيسها ، ثم احكام بناء بيوتها بحيث يعجز الإنسان عن ذلك ،إلى ما يجتنيه من الرحيق الذي أرشدها الله إليه ،إلى تحول ما في جوفها عسلا ،كل ذلك يقتضي فكرا بعد فكر ،لذلك ختمت هذه الآية بقوله:

---

[1]- ابن جماعة ،**كشف المعاني** ، مصدر سابق ،ص:194(بتصرف).

[2] – هذا الشاهد يتضمن توجيها نحويا وصرفيا سيذكر كل في بابه

[3]- الفرث: ما في الكرش ،يقال فَرَثْتُ كَبِدَه :أي فَتَتُّها ،وأفْرَثَ فلان أصحابه :أوقعهم في بِلِيَّة جارية مَجرَى الفرث ،ينظر: الراغب الأصفهاني ،**مفردات ألفاظ القرآن** ، مصدر سابق، ص:628(مادة فرث).

"إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"[1].

وقد اختلف المفسرون في استخلاص الحكمة من وراء اختلاف الفواصل التي ختمت بها كل آية فنجد أن الغرناطي مثلا خالف توجيه الإسكافي لهذا التشابه ،فأسند ختام الآية الأولى بقوله "يسمعون" لأنه ذكر قبلها إنزال الكتاب وهو رحمة للعباد ،ثم ذكر إنزال الماء وهو كذلك رحمة ،ولا يحتاج كل ذلك لكبير تفكر ،بل التنبيه للاعتبار بأن إنزاله للكتاب وإحياء الأرض أوضح شهادة لإحياء الموتى ،،إنما تحصل ثمرة الكتاب المنزل بسماعه ،ولذلك نهى المعرضون عنه أتباعهم عن سماعه ، وهذا الالتحام أعقبه قوله "يسمعون" ،أما الآية الثانية فلأنه وقع فيها ذكر السَّكَر وذلك حكم لا يمكن الوصول إلى معرفة سببه ،ولا تعليله بطريق الحواس ،ولا يتوصل إليه بجهة تفكر أو اعتبار ،لأن الله تفرد بعلمه ،ويعجز البشر عن فهمه أعقبه بقوله "يعقلون"- لعل الغرناطي أخطأ هنا حين قال بأن هذه الآيات يعجز العقل والحواس عن إدراكها، وإن كان كذلك فلما ختمت بقوله تعالى "يعقلون" ، فالهدف من ذكر هذه النعم الاعتبار والشكر والتفكر ،ولكي يستقيم ذلك لابد للإنسان من ادراكها وفهمها ،والعلم الحديث يؤكد ذلك الآن بما توصل إليه من اختراعات-، أما الآية الثالثة فلم يعلل الغرناطي سبب ختامها بقوله تعالى "يتفكرون" بل وجهها توجيها عاما بغير تفصيل وذكر أنها مجال للتفكر والاعتبار فناسبه قوله "يتفكرون"[2]

- وورد أن سبب ختم الكلام بالفاصلة (يسمعون) لأن من خلق الأرض الميتة بعد أن سقاها بماء السماء حتى عادت حية بنباتها لا يستنكر أن يكون قادرا على إحياء الخليقة بعد موتها ،فمن يسمع ذلك يعترف به ،ويقر بوحدانية الله ،فذكر "يسمعون" توبيخا لمن يسمع ذلك ثم ينكر البعث ويستبعد الحياة الثانية ، فجاءت الفاصلة "يسمعون" ملائمة لما تقدم من الكلام ،أما الآية الثانية فختمت بالفاصلة "يعقلون" لأنه ذكر فيها ما يدل على قدرة الله تعالى وهو تحويل الدم الأحمر إلى لبن طيب سائغ للشاربين ،والمعروف أن الفرث لا ينعصر منه ما يسوغ للشارب إلا أنه بقدرته سبحانه أصبح شرابا سائغا ،وقد قرن ذلك بذكر ثمرات النخيل والأعناب وا يتحول من عصيرهما إل ما يستلذ فاحتاج ذلك إلى تدبر بالعقل ،فختم ب"يعقلون" ، في حين لما ذكر عجائب النحل وقدرتها على بناء بيوتها وجني أزاهير النبات والأشجار بما هداها الله إليه ،ثم تحويل ما جوفها عسلا احتاج كل ذلك إلى تفكر ونظر

[1]- الإسكافي ،**الدرة** ،ص:188،190(بتصرف).

[2] – الغرناطي ،**ملاك التأويل** ،مصدر سابق، ص:301،302(بتصرف).

فقال لذلك "يتفكرون" فنلحظ مما تقدم أن تلك الفواصل جاءت متمكنة مطمئنة في موضعها ،وأشار سياق الآيات إلى فواصلها إشارة لفظية جلية[1].

4- الشاهد قوله تعالى:﴿... **وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[المجادلة: 4]،وقال تعالى في نفس السورة: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾[المجادلة: 5].اختلفت الفاصلتان " **عَذَابٌ أَلِيمٌ**" و" **عَذَابٌ مُهِينٌ**"

يقول الإسكافي:« ...لما قال في الأولى : ﴿... **ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ** ... ﴾[المجادلة: 4]، ،أي يتبين ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله والحدود التي حدها لعباده ،ثم سمى من لم يؤمن كافرا باسمه ،وتوعده بالعذاب الموجع المبالغ فيه ،وهو ما يخوّف الله به عباده ،نعوذ بالله منه »[2].

ووجّه الآية الثانية بربطها بسياقها القبلي فقال:«..وأما قوله: ﴿**عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾ ،فلأن قبله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا**... ﴾، فضمّن معنى الفعلين الشرط والجزاء ،فجعل الكبت جزاء من آثر حزبا غير حزب الله ورسوله ،وحدا غير حدهما ،والكبت: الإذلال ،وقيل: الغلب والقهر والتخييب ،وكل ذلك متقارب ،فلما أخبر الله تعالى بالكبت عمن حاد الله ورسوله وجانبهما ،وصار في حد غير حدهما ،وصف العذاب الذي ينزل به الإذلال والاهانة ،وإن كان كل مؤلم مهينا ،وكل مهين مؤلما»[3].

- فكان اختلاف الفاصلتين للاختلاف الأغراض والسياق ،فالفاصلة الأولى "العذاب الأليم" وردت لتخويف من لم يؤمن بالله تعالى ولم يقف عند حدود الله التي سنها لعباده، أما الآية الثانية فغرضها إذلال من آثر غير حزب الله ورسوله ،وكلا العذابين موجع ،وكلاهما متساوي كما أورد الإسكافي ،لأن كل من كفر واتخذ غير حزب الله ورسوله سيعاقب بعذاب موجع ومذل.

- وقد أشار الكرماني إلى نفس توجيه الإسكافي وبشيء من الايجاز فقال: « لأن الأول متصل بضده وهو الايمان ،فتوعد على الكفر بالعذاب الأليم الذي هو جزاء الكافرين، والثاني متصل بقوله:﴿**كُبِتُوا**

---

[1] - أنسام خضير خليل المالكي ،**الإيقاع الموسيقي في الفاصل القرآنية** ،مصدر سابق ،ص:10،11(بتصرف).

[2] - الإسكافي ،**الدرة** ،ص:327.

[3] - نفسه ،ص:328.

كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ... ﴾، وهو الإذلال والإهانة فوصف العذاب بمثل العذاب فقال "مهين"»[1].

- وقال صاحب "صفوة التفاسير":«﴿... **وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾، أي وللجاحدين والمكذبين بهذه الحدود عذاب مؤلم موجع ،قال الألوسي :أطلق الكافر على متعدي الحدود تغليظا وزجرا...، **وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾،أي وللكافرين الذين جحدوها(الآيات البينات) ولم يعملوا بها عذاب شديد يهينهم ،ويذهب عزهم ،قال الصاوي: وقد نزلت هذه الآية في كفار مكة يوم الأحزاب...والمقصود بها تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وبشارة للمؤمنين بأن أعدائهم سيذلون »[2]

5- الشاهد قوله تعالى:﴿ **يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ** ﴾[البقرة: 276]،وقوله تعالى: ﴿...**إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (36) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ...** ﴾[النساء: 37،36]،وقوله تعالى في نفس السورة: ﴿ **وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا** ﴾[النساء: 107]، وقوله تعالى: ﴿...**وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ...** ﴾[الحديد: 24،23]،فحصُل الاختلاف في الفواصل بين:" **كَفَّارٍ أَثِيمٍ**" ،و" **مُخْتَالًا فَخُورًا**" ،و" **خَوَّانًا أَثِيمًا**" .

- وجّه الإسكافي هذا التشابه بين الفواصل حسب نوع المخَاطب ،فذكر أنّ الآية الأولى خاصة بمَن يستحلُ الرِّبا يجعله مثل البيع ،فوصفه تعالى بالكفَّار الأثيم على صيغة المبالغة تعظيما لكفرهم ،لأنّ كفَّار بعد كافر لمن هو مقيم على الكفر ،والكفر عادته ،كضَارب وضَرَّاب ،ثم أتبعه ب"أثيم" أي: مبالغ في اكتساب الإثم ،وأثيم أبلغ من آثم ،فإذا كفرَ كفراً بعد كفر ،و أقام عليه ،وهو وصف مَن أخبر عنه بالاستحلال للربا سماه كفّارا، فصار أثيما بذلك ،وسائر أبنية الأفعال التي تلحقها بالكفر.

- أمّا الآية الثانية فوردت بعد قوله تعالى:﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا....** ﴾[النساء: 36]، فأخبرهم تعالى بأنّهم عبيد ،والعبد لا يحسن منه الاختيال والفخر ،لأن الرّق والذل يخالفانه ،فلذلك عقبه بقوله: "**إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا**" ،فالله لا يحب العبد المختال الفخور البخيل.

---

[1] - الكرماني ،**أسرار التكرار** ،مصدر سابق،ص:202.

[2] - محمد علي الصابوني ،**صفوة التفاسير**، دار الصابوني ،المكتبة التوفيقية ،2012،ط10.،ج3،ص:317،318(بتصرف).

- أمّا الآية الثالثة فوردت الفاصلة فيها تناسبا مع تقدم وصف الذين يخونون أنفسهم ،لأنه ورد قبله قوله تعالى: ﴿**وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا**﴾[النساء: 107].

- وفي الآية الرابعة وردت الفاصلة بعد نهيه تعالى عن تمكين الحزن والأسى من النفس على ما يفوت من أحوال الدنيا ،ويفجع به الإنسان من مستفاد النعمى للعلم السابق بأنها عوار مرتجعة ،فكذلك إذا خوّل منه الكثير لا يمرح بحبه ولا يبطر فيه ،فذم الافراط في الجزع عند المصيبة والفجيعة والغلو في الفرح والمرح عند العطية وكثرة الشبعة ،حتى يخرج عن التواضع مما يحول إلى الكبرياء ،فيبطر ويمرح ويفتخر، فعقبه بقوله: " **وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**" [1]

- أما ابن جماعة فقد وافق الإسكافي في توجيه الآية الثانية ،أما الأولى فذكر أنها نلت في ثقيف وقريش لما أصرّوا على الربا ،وعارضوا حكم الله ،فهم كفّار بالدين ،آثمون بتعاطي الربا والإصرار عليه ،أمّا الآية الثالثة فنزلت في طعمة بن أبيرق لما سرق درع قتادة بن النعمان رضي الله عنه ،وحلف عليه ورمى به اليهود ،ثم ارتد ولحقَ بمكة ، فناسبه "خوّانا"[2]

- وفسّر الشعراوي الآية الأولى بنفس تفسير الإسكافي وبشيء من التفصيل ،فقال: « لماذا قال "أثيم" وليس مجرد "آثم" ؟ لأنه يريد أن يرد الحكم على الله ،ومادام يريد أن يرد الحكم على الله فقد كفر كفرين اثنين: كفر لأنه لم يعترف بهذه ،وكفر لأنه ردّ الحكم على الله ،وهو أثيم وليس مجرد آثم ،وفي ذلك صيغة المبالغة ،لنستدل على أنّ القضية التي نحن بصددها قضية عمرانية اجتماعية كونية ،إن لم تكن كما أرادها الله فسيزلزل أركان المجتمع كله »[3].

6- الشاهد قوله تعالى:﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا** ﴾[النساء: 48] ،وقال عزّ وجل في نفس السورة:﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا** ﴾[النساء: 116]،فكان الاختلاف بين الفواصل بين: "افترى إثما عظيما" و "ضل ضلالا بعيدا".

---

[1] - الإسكافي، **الدرة** ، ص:42،43 (بتصرف).

[2] - ابن جماعة ،**كشف المعاني**، مصدر سابق ،ص:121،122(بتصرف).

[3] - محمد متولي الشعراوي، **خواطر الشعراوي**، (د د ن) ، (د م) ،(د ت)، (د ط) ،ج2،ص:1198.

– وجّه الإسكافي هذا التشابه بناء على اختلاف المخاطبين ؛حيث ذكر أنّ الآية الأولى أريد بها قوم عرفوا صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي معهم ،فكذبوا وافتروا ما لم يكن عندهم ،فكان كفرهم من هذا الوجه الذي أضلوا به أتباعهم ،أمّا الآية الثانية فأريد بها مشركو العرب وهم لم يتعلقوا بما يهديهم ،ولا كتاب في أيديهم فيرجعوا إليه فيما يتشككوا فيه ،فقد بعدوا عن الرشد وضلوا أتم الضلال[1].

– وافق الكرماني توجيه الإسكافي بإيجاز: «...لأنّ الأول نزل في اليهود ،وهم الذين افتروا على الله ما ليس في كتابهم ،والثاني نزل في الكفار ،ولم يكن لهم كتاب ،فكان ضلالهم أشد»[2].

– وكذلك وجّه ابن جماعة هذا التشابه فذكر أنّ الآية الأولى نلت في اليهود وتحريفهم الكلم افتراء على الله وجعلهم عير ابن الله ،فناسب ختم الآية بذكر الافتراء العظيم ، أما الآية الثانية فنلت في العرب وعباد الأصنام بغير كتاب ،فهم في ضلال عن الحق بعيد[3].

7– الشاهد قوله تعالى:﴿ **أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا** ﴾[الإسراء: 68،69] ،وقال عزّوجل في نفس السورة: ﴿ **إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا**﴾[الإسراء: 75] ،وقال عزّ وجل بعدها: ﴿ ...**ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا** ﴾[الإسراء: 86] ،فحصل الاختلاف بين الفواصل في: وكيلا ،تبيعا،نصيرا.

وجّه الإسكافي هذا الشاهد بحسب اختلاف نوعية المخاطبين ،فذكر أنّ الآية الأولى خطاب لكل من نجّاه الله من ضر البحر الذي كان يظن أنه غير آمن وكان يخاف منه ،وظنّ أنّ البر أأمن ،فكان الرد والتهديد بأنهم غير مأمونيين كذلك في البر إذا أعرضوا عن الطاعة وكفروا بنعم الله ،فالذي خافوه في البحر من الغرق بإزائه الخسف وارسال الريح المحملة بالحصباء ،ثم لن تجدوا من يعصمكم من هذا ،لأنّ من أشرف على الهلاك أول من يطلبه النجاة ،فهذا توجيه الفاصلة الأولى "الوكيل"،وكان الخطاب الثاني لهم كذلك ولكن بالمعنى المقابل أي: إن عدتم للبحر فيغرقكم بكفركم ثم لن تجدوا من يتبعنا بمطالبة دمائكم أو انكار ما أنزلناه بكم من العذاب ،وهذا توجيه الفاصلة الثانية "تبيعا" ،أما الخطاب الموالي فهو

[1] – الإسكافي، **الدرة** ، ص:58،59 (بتصرف).

[2] – الكرماني، **أسرار التكرار**، مصدر سابق،ص:55.

[3] – ابن جماعة ،**كشف المعاني**، مصدر سابق ،ص:138،139(بتصرف).

للرسول صلى الله عليه وسلم ،فكان خطاب تخويف وتحذير من الركون للكفار بضعف العذاب في الدنيا والآخرة ،ثم لن يجد له عز يمتنع به مما يحل به وهذا معنى الفاصلة "نصيرا" ،وكان الخطاب الموالي للرسول صلى الله عليه وسلم كذلك وهو تحذير له كذلك بأنه إن استجاب لما عرضه عليه أهل الشرك لما قالوا له: لا نتركك تستلم الحجر حتى تلم بآلهتنا ،فقال في نفسه: ما عليّ أن أفعل ذلك والله يعلم ما في نفسي فأتمكن من استلام الحجر ،وقيل :إنهم قالوا له: اطرد عنك سقاط الناس ومواليهم والذين رائحتهم رائحة الضأن – لأنهم كانوا يلبسون الصوف- إن كنت قد أرسلت لنسمع منك ،فهمّ بالاستجابة لهم ،فكان هذا الرد له وهذا الوعيد بأنّه لو استجاب لهم لأنساه الله ومحى من قلبه القرآن ولن يجد من يتوكل برد شيء منه له[1].

فاختلفت الفواصل لاختلاف المخاطبين وأحوالهم في كل مرة ،وتناسبت مع السياق.

وقد فصّل الطاهر بن عاشور في تفسير هذا الشاهد وبيّن الفرق بين الفواصل ومناسبة كل فاصلة لموقعها، فذكر أنّ الاستفهام في قوله:" **أَفَأَمِنْتُمْ**" إنكاري توبيخي، وفي الآية الأولى تنبيه على أنّ البر والبحر في قدرة الله سيّان ،فعلى العاقل أن يستوي خوفه من الله في البر والبحر ،والخطاب فيها موجه لمن يأمن خوف الله في البر ظنا منه أنه موجود فقط في البحر ،فالسلامة في البر نعمة عظيمة ،وذكر أنّ الوكيل هو: الموكل إليه القيام بمهام موكله ،وهو المدافع عن حقوق موكله ،والمعنى بأمنكم في البر نستطيع خسفكم ونهلككم ولن تجدوا من قومكم من يثأر لكم، وذكر أنّ التبيع مبالغة في التابع ،وهو المتتبع غيره ،المطالب لاقتضاء شيء منه ،أي: لا تجدوا من يسعى ويطالب لكم بالثأر ،وذكر أنّ وصف التبيع يناسب حال الضر الذي يلحق الكفار في البحر ،لأن من يرمي الثأر يركب البحر ليتابع آثار من ألحق بهم الضر ،فلذلك قيل هنا تبيعا (في البحر)، وقيل قبلها (وكيلا) في البر، وفسّر النصير بأنه: المخلصُ من الغلبة أو الذي يثأر للمغلوب ،والخطاب في الآية الثالثة للرسول صلى الله عليه وسلم ،والمعنى: لا تجد لنفسك من ينتصر لك ،فيصدنا عن إلحاق ذلك بك ،أو يثأر لك منا ،وذكر أنّ الآية تشير إلى أنّ الذي منح العلم قادر على سلبه ،وخوطب النبي لأن علمه أعظم علم ،فإذا كان وجوده خاضعا لمشيئة الله فما الظن بعلم غيره، تعريضا لبقية العلماء ،فالكلام صريحه تحذير ،وهو كناية عن الامتنان ،وتعريض وتحدي لأهل العلم ،وفسّر الوكيل بأنه: من يُوكل إليه المهم ،والمراد به هنا المدافع عنك والشفيع لك، وقد بيّن الطاهر بن عاشور سر ايراد الفاصلتين بهذا الترتيب لأنّ معنى الوكيل كان على فرض سلب نعمة

---

[1] – الإسكافي ،**الدرة**، ص:193،194 (بتصرف).

الاصطفاء ولأنّ المطالبة بإرجاع النعمة شفاعة ووكالة عنه ،وأما ما قبلها فهي في فرض إلحاق عقوبة به ،فممانعة تلك العقوبة أو الثأر بها نصر[1]

فالطاهر بن عاشور قد فسّر الفاصلتين "وكيلا ،تبيعا" بنفس توجيه الإسكافي، ووافقه كذلك في معنى النصير والوكيل ،وأضاف أنّ الآية الثالثة تضمنت تعريض وتحذير للعلماء بقدرة الله تعالى على سلب هذه المنة إن كفر بها ،ولن يتجرأ أحد على منع ذلك ،وتنبيه للنبي صلى الله عليه وسلم وامتنان وتذكير له بنعمة الاصطفاء التي تميّز بها والتي قد تسلب ولن يرجعها سوى الوكيل والشفيع له.

وأضاف أحمد نوفل بعضا من الدروس المستخلصة من هذا الشاهد منها:

- أنّ للبشر مقاييسهم التي قد تكون خاطئة ،فهم يشعرون بالاطمئنان في البر من البحر والجو، علما بأن حوادث البر أضعاف حوادث كل من البحر والجو .
- يفعل الله ما يشاء ،ويقتص ممن يشاء ولا يحاسب على فعله أحد ،فمن انتصر لإهلاكه قوم صالح ؟
- الكل سواء أمام قانون السماء ،والخطاب للرسول تعليم لأمته ،وترسيخ لقاعدة المساءلة وأن لا أحد فوق المساءلة.
- لا ناصر إلا الله ولا ناصر من الله.
- الوحي لن يرفع وإنما جاءت الآية بهذا لتدل على طلاقة مشيئة الله ،وتأكيد فضله على رسوله [2]

8- الشاهد قوله تعالى في سورة المائدة:﴿... **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ **[**المائدة:44**]** ،وقال عز وجل في نفس السورة:﴿... **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾**[**المائدة:45**]**،وقال جل من قائل في نفس السورة كذلك:﴿... **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾**[**المائدة:47**]**.

يرى الإسكافي أن هذه الآيات المتشابهة نزلت في أهل الكتاب ،فلآية الأولى والثانية تخص اليهود ،ويكمن سر الاختلاف بينهما في أن الآية الأولى ختمت بلفظة (الكافرون) لأن اليهود كانوا يبيعون حكم الله بثمن قليل يرتشونه ،فيبدلون حكم الله باليسير الذي يأخذونه فهم يكفرون بذلك ،أما الآية الثانية فختمت بلفظة (الفاسقون) لأن اليهود خرجوا عن حكم الله كذلك في القصاص بين عباده في

---

[1]– الطاهر بن عاشور، **تفسيرالتحرير والتنوير**،مصدر سابق،ج15،ص:161،164،وص:177،وص:200،201(بتصرف).

[2]– أحمد نوفل، **تفسير سورة الاسراء دراسة تحليلية موضوعية** ،جمعية المحافظة على القرآن الكريم ،الأردن ،2014 ،ط1 ،ص:371،372،وص:386،وص:418(بتصرف).

قتل النفس وقطع أعضائها ،فهم مع كفرهم الذي تقدم ظالمون ،وكل كافر ظالم لنفسه إلا أنه قد يكون كافر غير ظالم لغيره ،فتضمنت هذه الآية معنى إضافيا على صفة الكفر وهي ظلم العباد بخروجهم في القصاص عن حكم الله ،أما الآية الثالثة فتخص النصارى وقد ختمت بلفظة (فاسقون) لأنهم لم يحكموا ويعملوا بما أمرهم الله به في الإنجيل فوصفوا بالفاسقين لذلك لخروجهم عن طاعة الله[1] .

– وقد خالف الكرماني الإسكافي في ذلك فذكر أنّ الآية الأولى نزلت في حكام المسلمين ،والثانية في حكام اليهود ،والثالثة في حكام النصارى.

– وأشار البيضاوي(**691هـ**) الى أن هذه الألفاظ الثلاث وردت بهذا الترتيب (الكفر ،الظلم ،الفسق) وذلك لأنهم لم يحكموا بما أنزل الله لإنكارهم وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم الخروج عنه، والخطاب في الآية

الأولى للمسلمين لأنّ الآية كانت تتحدث عنهم ،والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى[2].

– ويقول ابن جماعة أنّ المراد بالثلاثة: اليهود وهم كافرون ،وزادهم في الثانية الظلم لعدم اعطائهم القصاص لصاحبه ،وفي الثالثة الفسق لتعديهم حكم الله تعالى ،والمراد بالثالثة أنّ من ترك حكم الله تعالى عمدا مع اعتقاد الايمان به فهو فاسق[3].

9– الشاهد قوله تعالى في سورة الأعراف:﴿ **قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ** ﴾ **[**الأعراف:109**]** ،وقال عز وجل في سورة الشعراء﴿ **قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ** ﴾**[**الشعراء:34**]**،فأخبر في الأولى أن قائل ذلك الملأ من قومه ،وفي الثانية فرعون هو القائل ذلك لملئه .

– وجّه الإسكافي ذلك بأن قول الملأ فيما حكاه الله تعالى قول فرعون ورؤساء قومه أدوا عنه ما كان من قوله إلى عامة أصحابه ،والدليل على أن ذلك قوله وأنهم مؤدو رسالة عنه قول العامة في جوابه " **أَرْجِهْ وَأَخَاهُ**"**[**الأعراف:111**]** ،فكان هذا خطابا لفرعن ولم يكن للملأ ،إذ لو كان كذلك لقيل: أرجوه وأخاه ،وإذا كان التقدير كذلك فهذا لا يخالف ما ورد في سورة الشعراء من أنه قال للملأ حوله بل يكون هو البادي بذلك لمن حوله ليؤدوا إلى من بعد عنه قوله، ويعود سبب اختصاص سورة الأعراف

---

[1]– الإسكافي ،**الدرّة** ،ص:72،74(بتصرف).

[2] – البيضاوي ،**أنوار التنزيل** ،مصدر سابق ، ج2،ص:128(بتصرف).

[3] – ابن جماعة ، **كشف المعاني**، مصدر سابق ،ص:150.

بحكاية ما قال الملأ وسورة الشعراء بما قاله فرعون إلى أن أول من ردّ قول موسى عليه السلام فرعون ثم ما أداه عنه ملأه وهو ما حكاه تعالى في سورة الشعراء ، فاقتضى حاله حيث أخبر عنه بما قاله: ﴿**قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ**﴾[الشعراء:18]،إلى أن انتهت لذكر السحرة ،فقال فرعون للملأ حوله ما أدوه عنه إل غيرهم ،وفي سورة الأعراف أخبر عما أداه ملأه إلى الناس الذين أجابوه بأن أرجه وأخاه ،فكان قول فرعون للملأ حوله سابقا قول الملأ الذين أدوا إلى غيرهم ،فذكر حيث قوله قصد أول ما دعاه موسى عليه السلام إلى طاعة الله عزوجل[1].

الشاهد مما سبق أن آية الأعراف اختصت بحكاية رسالة ملأ فرعون عن فرعون ردا على معجزة موسى عليه السلام إذ كان هو الذي رد أولا ،أما آية الشعراء فحكت قول فرعون الأصلي ،ولا تعارض بين الآيتين ،لأن القصة هي قول فرعون بدء لملأه الذين حكوا ذلك لعامة الناس ،لذلك اختلف الخاطبين في كل آية.

- وقد وافق ابن جماعة توجيه الإسكافي ،وكان للكرماني رأي آخر ،فذكر أن كلمة "الملأ" تتضمن فرعون وقومه مع بعض ،لذلك حذف فرعون لاشتمال اللفظة عليه والدليل هو افراد الجواب:" أرجه.." والملأ هم المقول لهم ،إذ ليس في الآية مخاطبون غيرهم[2] ،فجعل المتكلم في الآيتين واحد وهو فرعون ،والمخاطبين ملأه ،وليسوا ناقلي الرسالة كما ذكر الإسكافي.

وكذلك ذهب الطاهر بن عاشور لنفس التوجيه ،فذكر أن الملأ هم قوم فرعون وهم أهل مجلسه ومستشاريه ،وقالوا هذا الكلام (في الآية الأولى) على وجه الشورى مع فرعون واستنباطا الاعتذار لأنفسهم ،والكلام بدء لفرعون[3] .

---

[1] – الإسكافي ،**الدرّة** ،ص:123،124(بتصرف).

[2] – ينظر: ابن جماعة ،**كشف المعاني**،ص:185، 186 ، والكرماني، **أسرار التكرار**،ص:88(بتصرف).

[3] – الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير** ،مصدر سابق، ج9،ص:41،42،وج19،ص:124(بتصرف).

المطلب الثاني: اختلاف الفواصل القرآنية لأغراض مختلفة:

1- الشاهد قوله تعالى:﴿ **وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا** ﴾ [النساء:130،132]، فاختلفت الفاصلتان: " **وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا**" و" **وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا**" مع تكرار الآية " **وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**" في كل مرة.

- وجّه الإسكافي هذا الشاهد بقوله:«...بعد قوله :" **وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ**" أي: اتقوه فإنه واسع النعمة والفضل والرحمة ،وقد أوسعكم منها ووصاكم ومن قبلكم بتقواه والاستجارة بطاعته من عقوبته ،فإنكم إن عصيتم وكفرتم لم يكن بالله حاجة إلى طاعتكم ،وإنما أنتم تحتاجون إليها ،والله غني حميد ،فوجب عليهم طاعته ،لأن له ما في السموات وما في الأرض ،وهو غني بنفسه حميد ،لأنه جاد بما استحمد به إلى خلقه من الإحسان إليهم والإنعام عليهم .....ولما ذكر أنه أوجب طاعته على من قبلهم وعليهم لأنه ملك السموات والأرض ،وأنعم عليهم من ذاك ما حقت به العبادة اقتضى ذاك أن يخبرهم عن دوام هذه القدرة له ،فكأنه قال: وله ذلك دائما وكفى به له حافظا ،أي: لا زيادة على كفايته في حفظ ما هو موكول إلى تدبيره ،والوكيل القيّم بمصالح الشيء ،وقيل: هو الحافظ وما قام الله بمصالحه ،فهو حافظه ... »[1].

- وقد ركز المفسرون على سر تكرار الآية الكريمة " **وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**" واختلاف الفاصلة في كل مرة، فاختلفت الأغراض البلاغية بذلك ،فمنها ما وافقت توجيه الإسكافي ،ومنها ما اختلفت ،و نجد منها: تفسير "ابن عطية": «..." **وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**" تنبيه على موضع الرجاء لهذين المفترقين ،ثم جاء "**وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** " تنبيها على استغنائه عن العباد ،ومقدمة بكونه غنيا حميدا ،وفي مقدمة للوعيد ... »[2].

- وقال أبو حيان الأندلسي نقلا عن الراغب والرازي : «...وقال الراغب :الأول للتسلية عما فات ،والثاني أن وصيته لرحمته لا لحاجته ،وأنهم إن كفروا لا يضروه شيئا ،والثالث دلالة على كونه

---

[1]- الإسكافي ،**الدرة** ، ص:60،61.

[2] – ابن عطية ،**المحرر الوجيز** ،مصدر سابق ،ج2،ص:121،122.

غنيا ،وقال أبو عبد الله الرازي :الأول تقرير كونه واسع الجود ،والثاني للتنزيه عن طاعة المطيعين ،والثالث لقدرته على الإفناء والإيجاد ،والغرض منه تقرير كونه قادرا على مدلولات كثيرة ،فيحسن أن يذكر ذلك الدليل على كل واحد من مدلولاته... »[1]

- نلاحظ اختلاف الأغراض لتغاير هاتان الفاصلتان من التنبيه والتنزيه له تعالى عن طاعة عباده ،إلى التقرير والتأكيد على قدرته ،إلى التهديد والوعيد...الخ.

2-الشاهد قوله تعالى:﴿ **ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ**﴾[الأنعام:131] ،وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ**﴾ [هود:117]،فاختلفت الفاصلتان: "غافلون" و" مصلحون".

- وجّه الإسكافي هذا التشابه اعتمادا على السياق القبلي بقوله: «إن ذلك إشارة إلى ما تقدم ذكره من العقاب في قوله : ﴿... **قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا**... ﴾ [الأنعام:128]،وبعده: ﴿**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا**... ﴾ [الأنعام:130]،يعني: العقاب في يوم القيامة ،لأنه لم يكن ربك ليفعله من قبل أن يحتج عليهم برسل يهدونهم وينذرونهم ما وراءهم من محذورهم ولا يتركونهم في غفلة من أمورهم ،فاقتضى هذا المكان أن يقال: لم يؤخذوا وهم غافلون بل كانوا منبهين بالأعذار والإنذار على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام ،أما الموضع الثاني الذي ذكر فيه: "**وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ** " فللبناء على ما تقدم وهو قوله تعالى:

﴿**فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ**﴾ [هود:116]،فدل على أن القوم كانوا مفسدين حتى نهاهم "**أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ**" ،وكان نقيض الفساد في الأرض الصلاح ،فقال: " **لَمْ يَكُنْ**" الله ليهلكهم وهم مصلحون ،فاقتضى ما تقدم في كل آية ما أتبعت من الغافلين والمصلحين»[2]

- فحصل الاختلاف بين الفاصلتين لاختلاف الغرض ؛ حيث كان الغرض من الفاصلة الأولى تنبيه الكفار من الإنس والجن أن الله سيعاقبهم يوم القيامة بعدما أقام عليهم الحجة بإرسال

[1] – أبو حيّان الأندلسي، **البحر المحيط**، مصدر سابق، ج3،ص:382،383.

[2] – الإسكافي ،**الدرة**، ص:95،96(بتصرف).

الرسل لتنبيههم وهدايتهم ،أما الفاصلة الثانية فوردت للتنبيه عن الفئة المصلحة التي كانت السبب في هداية قومها فلم يحصل العقاب لها يوم القيامة بفضل هذه الفئة المصلحة.

- وقد وجّه ابن جماعة هذا التشابه اعتمادا على تناسب الآيات ،فذكر أنّ الفاصلة "غافلون" وردت متناسبة مع معنى الآية قبلها ﴿... **أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ**... ﴾[الأنعام:130] ،مع الإنذار ،لأن المعنى أن الرسل يوقظوهم بالآيات من غفلاتهم ،،لأن الإنذار الإيقاظ من الغفلات ،أما الآية الثانية فوردت الفاصلة "مصلحون" تناسبا بمقابلها الفساد الذي ورد في الآية قبلها ﴿**فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ**.. ﴾ [هود:116][1]
- وأضاف "الطاهر بن عاشور" في تفسيره للآية" **وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ**" أنها تنبيه على أن هلاك القرى من جراء أفعال سكانها[2].

3- الشاهد• قوله تعالى: ﴿**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ**﴾[الأنبياء:83،84]، قوله تعالى: ﴿ **وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ** ﴾[ص:41،43].فاختلفت الفاصلتان: "**وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ**"، "**وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ**".

– أشار الإسكافي إلى أنّ مقام الآية الأول تضمن شيئا من الخصوصية ،فلمّا تلطّف أيوب عليه السلام في الدعاء ولم يصرّح اختصه تعالى بقدرته وحده بكشف البلاء عنه ،وختمت الآية بما يناسب هذا المعنى "**وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ**"،،أي: فعلنا به ما فعلنا رحمة له منّا ،وتذكرة لمن عبد الله وحده بإخلاص منه ،فلا يحول عن حمده وطاعته مع ما تصرف عليه من شدائد الدنيا ومصائبها التي ينزلها الله به، بل يثبت معها على إدامة العبادة وإمدادها بالزيادة كما فعله أيوب عليه السلام، و أمّا قوله تعالى: "**وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ**" ،فلأنّ أولي الألباب أعم من العابدين ،واستدفاع وساوس الشيطان أعم من الاستشفاء للأبدان ،فخصّ بكل آية ما اقتضاه صدر الكلام ،وتعرض أيوب عليه السلام بالسؤال[3].

---

[1] – ابن جماعة ،**كشف المعاني**، مصدر سابق ،ص:166،167(بتصرف).

[2] – الطاهر بن عاشور ،**التحرير والتنوير**، مصدر سابق، ج8،ص:81،82(بتصرف).

• هذا الشاهد تضمن توجيها معجميا "رحمة منّا" و"رحمة من عندنا" ذكر في مكانه.

[3]– الإسكافي ،**الدرة**، ص:210،211 (بتصرف).

– أمّا الغرناطي فقد بنى توجيهه لهذا التشابه على المقام كذلك ،ولكن ،فذكر أنّ ما ورد في سورة "الأنبياء" من قصص الأنبياء المذكورين قبل ذكر أيوب عليه السلام ورد في سياق إعلاء مقاماتهم ،فناسب كل ذلك ختمها بفاصلة تناسب ذلك "**وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ**"، أمّا سورة "ص" فقد تضمنت قبل قصة أيوب عليه السلام ذكر أنواع الفتن والابتلاءات على داوود وسليمان عليهما السلام ،وأعقبتها محنة سيدنا أيوب عليه السلام فناسبها "**وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ**"[1].

4- الشاهد قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ** ﴾[النور:10] وقوله تعالى في نفس السورة: ﴿ **وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾[النور:20]، فاختلفت الفاصلتان بين: "**تَوَّابٌ حَكِيمٌ**" ، و "**رَءُوفٌ رَحِيمٌ**".

وجّه الإسكافي هذا التشابه حسب سياق كل قصة ،فالفاصلة الأولى: "**تَوَّابٌ حَكِيمٌ**" مرتبطة بأول سورة النور ،ووردت بعد ذكر حد الزنا والقذف ،وحكم قذف الرجل امرأته ،فأمهلهم الله ليتوبوا ،ولم يعاجلهم بالعقوبة ،فمن الحكمة عدم تعجيل العقوبة عند وقوع الخطيئة ، ،وجواب الشرط محذوف ،وتقديره: لولا فضل الله عليكم لعجّل بإهلاككم ،ولكن من حكمته ورحمته إمهالهم ليتوبوا ؛وهذه الفاصلة مطلقة وغير محصورة على أقوام بأعيانهم ،أمّا الفاصلة الثانية فمخصوصة بأهل الإفك لعظم ذنبهم ،وانهم لم يهلكوا لرحمته تعالى بهم ،والمقصود بالشاهد :أنّه لولا أن الله أنعم عليهم ورحمهم ،وأجرى حكمه بأن يرحم أمثالهم لما أبقاكم على هذا الذنب الكبير والإفك العظيم ،فاختصت كل آية بما يناسبها[2].

- فكان الغرض من الفاصلة الأولى امهال الزاني والقاذف للتوبة ،وعدم تعجيل العقوبة وذلك من حكمته ورحمته بعباده ،وكان الغرض من الفاصلة الثانية تذكير أهل الإفك بجرمهم الذي لولا رحمته بهم لإهلاكهم به.
- ركّز الكرماني في توجيه هذا الشاهد على جواب الشرط المحذوف وبلاغة ذلك ،فقال: «... الجواب محذوف تقديره: لفضحكم ،وهو متصل ببيان حكم الزانين ،وحكم القاذف ،وحكم اللعان ،وجواب لولا محذوف أحسن منه ملفوظ به ،وهو المكان الذي يكون الإنسان فيه أفصح ما يكون إذا سكت.....وقوله: ﴿ **وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾

[1]– الغرناطي، **ملاك التأويل** ،مصدر سابق،ص:351(بتصرف).

[2] – الإسكافي ،**الدرة**، ص:224،225 (بتصرف).

،فحذف الجواب أيضا ،تقديره: لعجّل لكم العذاب ،وهو متصل بقصتها رضي الله عنها (أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها) وأبيها.... »[1].

- وقد أشار ابن جماعة لنفس توجيهات الإسكافي والكرماني ،ولكن بشيء من الايجاز ،فذكر أنّ الفاصلة الأولى تقدمها ذكر الزنا والجلد ،فناسب ختمه بالتوبة حثا عليها ،،أنها مقبولة من التائب ،وناسب أنه "حكيم" لأن الحكمة اقتضت ما قدمه من العقوبة لما فيه من الزجر عن الزنا وما يترتب عليه من المفاسد ،أما الفاصلة الثانية فذكرت بعدما وقع به أصحاب الإفك ،فبيّن أنه لولا رأفته ورحمته لعاجلهم بالعقوبة علة عظم ما أتوه من الإفك[2]،فكان الغرض من الفاصلة الأولى الحث على التوبة والزجر عن الزنا ،وكان الغرض من الفاصلة الثانية تذكير أهل الإفك بفضل الله عليهم ورحمته بهم لما لم يعجل لهم العقوبة.
- أمّا الغرناطي فقد كان له توجيه آخر ،فذكر أن الفاصلة الأولى مناسبة للآية التلاعن• التي ذكرت قبلها ،وفيها من الستر على المسلمين ممن امتحن بتلك البلية ،ومن إخفاء الحكمة في حكم التلاعن وشرعيته على ما استقر عليه أمره، ما يعجز عن فهمه كل معتبر ،فأعقبت بالصفتين المناسبتين لما ذكر مما هو غير خاف فقيل : **"تَوَّابٌ حَكِيمٌ"**، أمّا الفاصلة الثانية فقد تقدم الشاهد فيها قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آَمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ**... ﴾[النور:19]،وفي هذه الآية من الوعيد ما يخيف المؤمن ،لذلك أعقبه بصفتين لبعث الرجاء للمؤمنين مشعرتين بأنّ هذا العذاب إن نفذ الوعيد به ليس الخلود في النار ،ما لم يكن فاعله كافر، وأنه إن لم يكن من ذلك فلا مانع عن التوبة [3] ،فكان الغرض من الفاصلة الأولى الستر على المتلاعنين والإشارة إلى أن في ذلك حكمة ،أما الفاصلة الثانية فذكرت لبعث الرجاء في قلب المؤمن بأنه من رحمة الله به فلن يخلد في النار.

---

[1] – الكرماني، **أسرار التكرار**، مصدر سابق ،ص:150(بتصرف).

[2] – ابن جماعة ،**كشف المعاني**، مصدر سابق،ص:271(بتصرف).

• وهي الآيات 6،9 من سورة النور، وفيه حكم الرمي إن كان من الزوج لزوجته ،وتسمى آية اللعان، حيث شرع الله حكم الملاعنة أو اللعان خاصة لهذه الحالة التي يلاحظ فيها الزوج شيئا على أهله ،وقد يضع يده عليه ،لكن لا يستطيع أن يأتي عليه بشهود ليثبت هذه الحالة ،لذلك جعله الشارع الحكيم يقوم وحده بهذه الشهادة ،ويكررها أربع مرات بدل الشهداء الأربع ،ينظر: الشعراوي ،**خواطر الشعراوي**، مصدر سابق، ج16،ص:10207،10208(بتصرف).

[3] – الغرناطي، **ملاك التأويل** ،مصدر سابق،ص:372بتصرف).

- وقد أشار "الشعراوي"[1] للغرض من الفاصلة الأولى بعدما أشار للآية التلاعن والحكمة منها ،أنّ معنى الآية :لولا هذا لفضحتم ولتفاقمت بينكم العداواة ،لكن عصمكم فضل الله في هذا التشريع الحكيم المناسب لهذه الحالة.

- أمّأ في تفسيره للآية الثانية فقال: «...جواب لولا يفهم من السياق ،وتقديره لفضحكم ولهلكتم ، فحصل لكم كذا وكذا...وما منع عنكم هذا كله إلا فضل الله ورحمته»[2].

5- الشاهد قوله تعالى:﴿**فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[المؤمنون:41] ، وقوله تعالى:﴿**فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[المؤمنون:44] ،فاختلفت الفاصلتان: "للقوم الظالمين" بالتعريف ،و" لقوم لا يؤمنون" بالتنكير.

- يذكر الإسكافي أنّ الآية الأولى وردت فيها الفاصلة بالتعريف لأنه سبق التعريف بهؤلاء الظالمين من قبل ؛ حيث قال تعالى:﴿**ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ**...﴾[المؤمنون:31،32]،،فعُلم المراد بالرسول لما قال تعالى "أخذتهم الصيحة" وهو سيدنا صالح عليه السلام ،لذلك وردت الفاصلة معرّفة ،ووصف قومه بالظالمين من جهتين :ظلمهم لرسولهم لما نسبوه لما هو منزه عنه ،وظلمهم لأنفسهم لما منعوها من الثواب والأجر والإيمان .

- أما الآية الثانية فمتعلقة بقوله تعالى من قبل :﴿...**ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ**﴾[المؤمنون:42] ، فلما لم يبيّن المراد بهم كانوا منكورين للمسلمين ،وأمرهم بلفظ الدعاء عليهم نكّر اللفظ الخاص بهم فقال " **لقوم لا يؤمنون**" ،أي: أهلك الله كل قوم لا يؤمنون عند ظهور آيات الله لهم ،فأخبر خبرا عاما ،وأمر أن يدعى عليهم دعاء عاما [3].

فتضمنت الفاصلة الأولى معنى التخصيص لثمود ،ووصفوا بالظلم تعريضا بما رموا به رسولهم وأنفسهم ،وتضمنت الفاصلة الثانية التنكير وكانت خطابا عاما في كل من لم يؤمن بالله ولم يصدق بآياته ،وأُمر المسلمون بالدعاء عليهم فوق كل ذلك.

- أمّا الغرناطي فقد بنى توجيهه على مناسبة كل فاصلة لما قبلها ، فيستحيل بذلك أن تحل إحداهما مكان الأخرى ،وعلى الفرق بين "الظلم" و"عدم الإيمان" ،فذكر أنّ الآية الأولى تخص أمة معينة قد بّين حالها وقبيح مرتكبها ،وعُلم كفرهم وظلمهم لأنفسهم ،أمّا الآية الثانية فوردت بعد إجمال إخبار بطوائف

---

[1] - الشعراوي، **خواطر الشعراوي**، مصدر سابق، ج16،ص:10209(بتصرف).

[2] -- الشعراوي، **خواطر الشعراوي**، مصدر سابق ،ص:10222(بتصرف).

[3] - الإسكافي ،**الدرة** ،ص:220،221(بتصرف).

وأمم اجتمعوا في التكذيب ورد ما جاءتهم به رسلهم ،فأعقب بوصفٍ إذا وجد كان ما سواه من قول وعمل مناسبا له وهو "عدم الإيمان" ،ولم يكن وصفهم بالظلم ليعطي ذلك لوقوعه على الظلم بالكفر وعلى الظلم بالمعصية ،والمعصية ليست كفرا، لأنّ من اتصف بالظلم قد يكون مبقى عليه اسم الإيمان ،أمّا من اتصف بعدم الإيمان فلا فلاح معه ،فلما كان عدم الإيمان حاصلا لمن تقدم بما ذكر من تكذيبهم وأخذهم بالصيحة ،وجعلهم غثاء ،أعقب وصفهم بالزيادة على كفرهم ،إذ الكفر حاصل ،فلما لم يقع في ذكرهم تفصيل مرتكباتهم كما ورد فيمن تقدم فناسب إجمال الواقع من التكذيب إجمال الوصف بعدم الإيمان[1] .

- وافق "الطاهر بن عاشور" توجيه الإسكافي وأضاف: أنّ المراد بالظالمين في الآية الأولى: الكافرين ،واختير هذا الوصف هنا لأنّ ثمود ظلموا أنفسهم بالإشراك وظلموا رسولهم لما رموه بالكذب ،وربط الدعاء في الآية الثانية بوصف أنهم لا يؤمنون ليحصل من مجموع الدعوتين (بين الآيتين) التنبيه على مذمة الكفر وعلى مذمة عدم الإيمان بالرسل ،تعريضا بمشركي قريش ،على أنه يشمل كل قوم لا يؤمنون برسل الله [2].

المطلب الثاني :اختلاف الفواصل لأغراض مختلفة

سنورد ضمن هذا المطلب المتشابهات اللفظية المتكررة في كتاب "الدرة" ،والتي وُجهت بأغراض بلاغية مختلفة ،وسنستشف تلك الأغراض في كل مرة .

1- الشاهد قوله تعالى:﴿... **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا** ﴾[الطلاق:1،2] ، وقوله تعالى في نفس السورة:﴿...**وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا** ﴾[الطلاق:4]، وقوله تعالى في نفس السورة:﴿... **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا** ﴾[الطلاق:5]،نلاحظ اختلاف جواب الشرط في كل مرة :"يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب" ،"يجعل له من أمره يسرا" ،"يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا"، مع أن جملة الشرط واحدة وهي :"ومن يتق الله".

---

[1] - الغرناطي، **ملاك التأويل** ،مصدر سابق، ص:368،369بتصرف).

[2] - الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير** ،مصدر سابق،ج18،ص:60،63(بتصرف).

ربط الإسكافي توجيه هاته الشواهد بالسياق الكلي للسورة أولا ،ثم فصّل توجيه كل شاهد بربطه بما سبق، فقال: «إنّما اقترن بالطلاق والعدد هذا الوعظ ،لأنّ الطلاق رفض حال متمهدة وقطع آمال متأكدة ،والعدد باستيفائها يخلص النسب ويصح للزوج الثاني الولد ،ولو لم يكن هذا الحد الذي حده الله تعالى ،لكان الفساد متصلا إلى انقضاء الدنيا ،...وقال تعالى بعد ذكر الطلاق: ﴿... **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ** ... ﴾[الطلاق:2،1] ،أي: من تمسك بتقوى الله فيما يحل ويعقد ويصدر ويورد ،فإنّ الله يلقيه في شدته فرجا، ويجعل له مما يكرهه مخرجا ،ويوجه له رزقه من حيث لا يحتسب ،وفي ضمنه أنه إذا طلق لكراهة أحد القرينين لصاحبه وقارن ذلك تقوى الله ،فإنّ الله يسبب له القرينة الصالحة ولها القرين الصالح ،ويرزق أحدهما على يد الآخر من حيث لا يبلغه تقديره ،وهذا وعد منه في الدنيا، ويصح مثله في الآخرة..... "**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا**" ،أي: من لزم التقى سهّل الله عليه الصعب من أمره ،كما يجعل أمر الولادة سهلا إذا قامت الأم عن ولدها سرحا، ثم عقّب حال الدنيا بذكر ما يفعله في الآخرة من تكفير سيئاته وإعظام أجره ،فكل شرط من تقى الله قرن من الجزاء ما لاق بمكانه الذي ذكر فيه ،والأخير لما كان مقدما على أحوال ،احتاجت إلى غاية الترغيب ،وإلى المبالغة في الترهيب ،وعد عليه أفضل الجزاء ... »[1].

فخُصت الفاصلتان الأولى والثانية بالدنيا ؛حيث تضمنت الفاصلة الأولى الترغيب في التقوى في الحل والعقد... ليحصل الرزق وتبدل الأحوال ،وكان وعدا من الله بذلك، أما الفاصلة الثانية فقد ارتبطت كذلك بالتقوى ليسهل الصعب كما سهل الولادة عن أولات الأحمال ،وختم بالفاصلة الثالثة ،وتضمنت الترغيب في التقوى كذلك والترهيب عنها ليحصل ما هو أفضل في الآخرة من تكفير للذنوب.

– أشار الكرماني لنفس توجيه الإسكافي وبشيء من الايجاز ،فقال: «"**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا**" :أمر بالتقوى في أحكام الطلاق ثلاث مرات ،ووعد في كل مرة نوعا من الجزاء ،فقال أولا: "**يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا**" ،يخرجه مما دخل فيه وهو يكرهه، ويبيح له محبوبه من حيث لا يأمل ،وقال في الثاني :يُسهّل عليه الصعب من أمره ،ويُبيح به أخيرا من طلقها ،والثالث: وعد عليه أفضل الجزاء ،وهو ما يكون في الآخرة من النعماء »[2]

[1] – الإسكافي ،**الدرة**،ص:338،339(بتصرف).

[2]– الكرماني ،**أسرار التكرار**، مصدر سابق، ص:206،207.

- وأضاف "الطاهر بن عاشور" ،بأنّ الفاصلة الأولى وردت تعقيبا لما سبقها من الموعظة والترهيب ،وتضمنت بشارة وترغيبا ،ثم أخذ يفصّلُ ذلك: لما كان الطلاق حرج وغم شبهه بالمكان المغلق ،ووعد الله المتقين الواقفين عند حدوده بأن يجعل لهم مخرجا ،فشبه ما يمنحهم به من اللطف وإجراء الأمور على ما يلائم الأحوال بالمنفذ الذي يتخلص فيه من ذلك الضيق ،ولما كان من دواعي الفراق بين الزوجين ما هو من التقتير في الانفاق لضيق ذات اليد فكان الاحجام عن المراجعة عارضا كثيرا للناس بعد التطليق ،أتبع الوعد بجعل المخرج للمتقين بالوعد بمخرج خاص وهو مخرج التوسعة في الرزق[1] .

- أمّا في تفسيره للفاصلة الثانية والثالثة ،فذكر أن المقصود تحقيق الوعد باليسر فيما شأنه العسر لحث الأزواج على امتثال ما أمر الله به الزوج من الإنفاق في مدة العدة ومن المراجعة وترك المنزل ،وما أمر به المرأة من التربص وعدم الخروج ،فكان الكلام كله حث برعاية الأحكام المتقدمة والعمل بها ،وبعث الناس على التنافس في العلم بها ،وأعيد التحريض على العمل بما أمر الله بالوعد بما هو أعظم من الأرزاق والصعوبات في الدنيا وذلك هو تكفير السيئات وتوفير الأجور[2]

2- الشاهد قوله تعالى:﴿... **قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[الأعراف:73]،وقال عزّ وجل في سورة هود: ﴿ **وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ** ﴾[هود:64]، وقال عزّ وجل في سورة الشعراء: ﴿ **قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾[الشعراء:155،156]،نلاحظ أن القصة في الآيات الثلاث واحدة وهي قصة ثمود مع الناقة ،ولكن الفواصل التي تضمنت العقاب الذي حلّ بهم لما خالفوا أوامر رسولهم صالح عليه السلام مختلفة: فمرة "عذاب أليم" ،ومرة "عذاب قريب" ،ومرة "عذاب عظيم".

- يرد الإسكافي سبب اختلاف هاته الفواصل بحسب سياق وغرض كلّ آية : فالآية الأولى تضمنت تحذير للقوم على طريق العموم ،لأنها وردت في جمل ما كان من وعظ رسولهم لهم ،وبأنّ هذه الناقة ليست ملك لهم إنّما هي لله وأمارة على صدق نبيه ،وهذه المعاني المجملة زيدت بيانا في الآيتين محل الشاهد ،واختصت الآية الثانية ب"العذاب القريب" تناسبا مع ما بعدها ،وهي قوله تعالى: ﴿ **فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ...** ﴾[هود:65]،فذكر تعالى المدة التي بينهم وبين هلاكهم وقرب ما

[1] - الطاهر بن عاشور ،**التحرير والتنوير** ،مصدر سابق،ج28، ص:311،312(بتصرف).

[2]- نفسه ،ص:324 (بتصرف).

توعدهم به من العذاب ،والقريب ينافي الأليم بل هو أشد ألما ،إذ لم يكن بعد مهل ،فاختصت الآية الثانية ب"قريب" دون "أليم" لما ذكر قرب الميعاد المقرون ذكره إلى ذكره ،أمّا الآية الثالثة فاختصت بالعذاب العظيم لأنه ورد قبلها ذكر اليومين المقسومين بين الناقة وبينهم ،كأنه قال لهم: إن منعتموها يومها بعقر تنزلونه بها أخذكم عذاب يوم عظيم، فيوم تؤلمونها فيه فيكون به يوم يؤلمكم الله فيه بعذاب الاستئصال ،وهو يوم عظيم عليكم ،وكل ذلك بمعنى واحد ،وهو أنهم إن عقروها عوقبوا[1]

– فالفاصلة الأولى وردت بصيغة العموم وتناسبا مع ما وعظ به صالح عليه السلام قومه ،أمّا الفاصلة الثانية فوردت متناسبة مع ذكر المدة المحددة للعقاب بعدها ،وكلا العذابين واحد ،أمّا الآية الثالثة فكانت عبارة عن تهديد ووعيد لثمود بعدم إيذاء الناقة ،وأنّ إيذائهما مقرون بالعذاب العظيم.

– وافق الكرماني توجيه الإسكافي وبإيجاز فقال : «...لأنه في هذه السورة بالغ في الوعظ ،فبالغ في الوعيد ،فالق:" عذاب أليم" ،وفي هود لما اتصل بقوله "تمتعوا في دار ثلاثة أيام" ،وزاد في الشعراء ذكر اليوم لأن قبله "لها شرب ولكم شرب يوم معلوم" ،فالتقدير :لها شرب يوم معلوم ،فختم الآية بذكر اليوم فقال: "عذاب يوم عظيم"»[2]

– اعتمد الغرناطي توجيه الإسكافي بإيجاز ،فرأى أنه لا خلاف بين الفواصل ،لأنّ وصف العذاب بالإيلام لا ينافي وصفه بالقرب ،وإنّما وصف في سورة هود ليناسب مع ما بعده ،فجرى الوصف مراعاة لذلك ، ولا ينافي ذلك الإيلام ، وأمّا الوصف في سورة الشعراء بعظيم فمن صفة اليوم ،لما فيه من الأهوال لا من صفة العذاب[3].

– وكذلك ذهب السيوطي إلى أنّ الأوصاف الثلاثة واحدة والعذاب فيها أشد ،وفرّق بين العظيم والأليم ،فذكر أنّ الأليم ما قارنه وجع سواء كان له غاية أو لا ،والعظيم ما له غاية سواء كان معه ألم أ لا ،فبينهما عموم وخصوص من وجه ،أو يقال: كل عظيم أليم ولا عكس ،ويقال إنهما سواء ،والتكرير للتأكيد[4]

---

[1] – الإسكافي ،**الدرّة** ، ص:113،114(بتصرف).
[2] – الكرماني، **أسرار التكرار**، مصدر سابق، ص:84.
[3] – الغرناطي ،**ملاك التأويل** ،مصدر سابق، ص:200(بتصرف).
[4] – السيوطي، **قطف الأزهار** ، ج2،مصدر سابق، ص:1022(بتصرف).

- أمّا السامرائي فقد عرض تفسيره معتمدا على توجيه الإسكافي وغيره ،فذكر أنّ "العذاب الأليم" كان مناسبا لسورة الأعراف ،لأنه ورد فيها ذكر قوم صالح عليه السلام وكثرة تحديهم واستهزائهم وعتوهم ،ولم تتضمن السور الأخرى ذلك ،وفي سورة هود فقد وصف العذاب بالقرب لما ذكر قبله"**تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ**"،وفي "الشعراء" زاد ذكر اليوم لأن قبله:" **لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ**"،والتقدير: لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم ،فختم الآية بذكر اليوم ،فقال: عذاب يوم عظيم[1] .

3- الشاهد قوله تعالى: ﴿**تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ**﴾[الأعراف:101]،وقال عزّ وجل في سورة يونس: ﴿ **ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ**﴾[يونس:74]،فختمت الآية الأولى "الكافرين" ،و الثانية "المعتدين".

وجّه الإسكافي هذا التشابه حسب التناسب بين سابقه ولاحقه ،فذكر أن الآيات السابقة للآية الأولى مبنية على التصريح بصفات الكفر ،وأنّه لا يحذر عذاب الله ومجيئه بياتا أو ضحى إلا الكفار ،لذلك صرّح بلفظ الكافرين في النهاية ،أمّا سورة يونس فبنيت الآيات ما قبل الشاهد على وصف الكفار بالكناية عنهم ،فقال تعالى مثلا: ... **فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ**﴾[يونس:73]،وما كل منذر كافر، وكنى عن الكفار بعده بالمعتدين ،وما كل معتد كافر، فمخالفة كل واحدة من الآيتين للأخرى إنّما هي لموافقة ما قبل كل واحدة منهما من طرح الكلام وقصد الالتئام[2].

- لقد بنى الإسكافي توجيهه على المناسبة اللفظية (التصريح والكناية) ،وأشار إلى نقطة مهمة في ذلك وهي: فكرة الالتئام، وهي مبحث بلاغي ولساني مهم ،و تعد مبحث من مباحث علم لسانيات النص ،وله مفاهيمه وأدواته التي تحققه ،لعل هذا يشير للأسبقية علمائنا في تناول مباحث علم اللسانيات والتنظير لها منذ القدم.

---

[1] – السامرائي ،**التعبير القرآني**، مرجع سابق،ص:239،240(بتصرف).

[2] – الإسكافي، **الدرّة** ،ص:122،123(بتصرف)

4- الشاهد قوله تعالى:﴿ **وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾[النساء:**128**] ،وقوله تعالى في نفس السورة:﴿ **وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾[النساء:**129**].

- وجّه الإسكافي هذا الشاهد تناسبا مع السياق السابق فذكر أنه مخاطبة الأزواج بمجانبة القبيح وإيثار الحسنى في معاملتهن ،فحث على فعل الاحسان وختم الآية الأولى بأنه تعالى عالم ومجاز به ،أمّا الآية الثانية فتضمنت عذر الأزواج في بعض الميل لبعض الأزواج وهو ما لا يملكونه (لا يتحكمون فيه)، فحثهم على ما يطيقون فعله بالتوبة واستئناف ما يقدرون عليه من التسوية وسعة النفقة وحسن العشرة ،ثم نبههم في ختام الآية بأنّ الله يغفر لمن يقلع منهم عن قبائحه (بعدم التسوية) ويؤثر بعدها الحسنى من أفعاله[1].

5- الشاهد• قوله تعالى:﴿ **أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ...** ﴾[الواقعة:58،**59**] ،وقوله تعالى في نفس السورة:﴿ **أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ** ﴾[الواقعة:**63**] ،وقوله تعالى بعده: ﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ** ﴾[الواقعة:**68**]،وقوله عزّ من قائل بعده: ﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ** ﴾[الواقعة:**71**].فخُتمت الآيات الدالة على خلق الإنسان بقوله تعالى: ﴿...**فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ**﴾[الواقعة:**62**]،وخُتمت الآيات الدالة على نعمة الماء العذب بقوله تعالى: ﴿... **فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ**﴾[الواقعة:**70**].

وقد علّل الإسكافي سبب ذلك إلى أنّ الآيات الأولى تضمنت تنبيها على البعث والإعادة ،وهي النشأة الثانية كالنشأة الأولى ،وحمل على تذكر الأول وهو الأصل ليثت به الثاني وهو الفرع ،أما قوله تعالى:

---

[1] - الإسكافي، الدرّة، ص: 59،60(بتصرف).

• - تضمن هذا الشاهد توجيها بلاغيا آخر ذكر في بابه (التقديم والتأخير).

﴿... **فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ**﴾ فإنه ورد بعد قوله تعالى: ﴿ **لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا** ...﴾[الواقعة:**70**]،أي: شديد الملوحة، والتقدير: فهلا تشكرون أن جعله عذبا؟

6- الشاهد• قوله تعالى:﴿ **وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ** ﴾[آل عمران:126] ،وقوله تعالى:﴿ **وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾[الأنفال:**10**]، فوردت الفاصلة الأولى مورد الصفة من لفظ الجلالة "**الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**" ،ووردت في سورة الأنفال في موضع الخبر "**عَزِيزٌ حَكِيمٌ**" ذكر الإسكافي أنّ القصد من الآيتين إعلام المخاطبين بأنّ النصر ليس من قبل الملائكة ،ولا من جهة العدد والعدة ،ولكنه من عند القادر الذي لا يُغلب ولا يُمنع عمّا يُريد فعله، والحكيم الذي يضع النصر موضعه، ثم بيّن أن سورة الأنفال إنما هي في غزوة بدر ،وبيّن الله ذلك بلفظ جعله كالعلة لكون النصر بيده ،والتقدير: النصر ليس إلا من عند العزيز الذي لا يمنع عما يريد فعله ،والحكيم الذي يضع النصر موضعه ،والآية في سورة آل عمران هي في غزوة أحد وهو بعد بدر ،وكان هذا البيان قد حصل فيما جعل خبرا عن النصر في اليوم الأول ،فاقتصر من ذكر مثله في اليوم الثاني (غزوة أحد) على خبر واحد يجري عليه معنى الخبر الثاني جرى الوصف لاختصار المعنى عن البسط اعتمادا على ما فصّل في الخبر عن الأول ،فكان الاختصار في الثاني أليَق .[1]

ولما كانت أية الأنفال متقدمة في النزول في معركة بدر وآية آل عمران نزلت بعدها في وقعة أحد ،بيّن أولا أن النصر من عند الله لا بغيره، ثم علّله بعزته وقدرته وحكمته المقتضية للنصر ،وأحال في الآية الثانية على الأولى بالتعريف: "**الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**" ،فتم توجيه الآية الثانية لغويا بلاغيا (ورود الشاهد "**عَزِيزٌ حَكِيمٌ** " في موضع الخبر تأكيدا وتنبيها للمسلمين بأن النصر كان بقدرته وحكمته فقط)،أما آية آل عمران فتم توجيهها توجيها غير لغوي (حسب سبب النزول).

-بعد عرض هذه النماذج من الفواصل المختلفة وبعض أغراضها البلاغية التي توصل إليها الإسكافي ،وبعض المفسرين ،نخلص إلى أنّ هذه الأغراض البلاغية ليست الوحيدة لأن النص القرآني مفتوح الدلالة ،فقد تستخرج أغراض أخرى، كما لاحظنا أن هذه الأغراض مختلفة بين المفسرين وإن تقاربت أحيانا ،ونجزم أنها ليست الوحيدة فإنّ المتدبر للقرآن الكريم يستنتج أغراضا أخرى ،ليبقى هذا النص المعجز

• تضمن هذا الشاهد توجيها نحويا ذكر في بابه (التقديم والتأخير في الجار والمجرور "به")

[1] – الإسكافي، **الدرة** ،ص:53،55(بتصرف).

مفتوح الدلالة وقابل للقراءة في كل حين ،ولكننا توصلنا كما توصل السامرائي إلى أنّ: «القرآن الكريم لا يُعنى بالفاصلة على حساب المعنى ولا على حساب مقتضى الحال والسياق ،بل هو يحسب لكل ذلك حسابه ،فهو يختار الفاصلة مراع فيها المعنى والسياق والجرس ،ومراعى فيها خواتم الآي وجو السورة ،ومراعى فيها كل الأمور التعبيرية والفنية الأخرى ،بل مراعى فيها إلى جانب ذلك كله عموم التعبير القرآني وفواصله ،بحيث تدرك أنه اختار هذه الفاصلة في هذه السورة لسبب ما ،واختار غيرها أو شبيها بها في سورة أخرى لسبب دعا إليه، وجمع بين كل ذلك ونسّقه بطريقة فنية في غاية الروعة والجمال حتى كأنك تحس أنها جاءت بصورة طبيعية غير مقصودة ،مع أنها في أعلى درجات الفن والصياغة والجمال»[1].

[1]- السامرائي ،**التعبير القرآني**، مصدر سابق،ص:241(بتصرف).

المبحث الثالث: التقديم والتأخير في المتشابهات اللفظية وأغراضه البلاغية

سندرج ضمن هذا المبحث مختلف المتشابهات اللفظية التي وردت بأسلوب التقديم والتأخير ووجهت بلاغيا وفق مطلبين ،نخصصُ الأول للتعريف بأسلوب التقديم والتأخير وأغراضه البلاغية ،والثاني

المطلب الأول: مفهوم أسلوب التقديم والتأخير وأغراضه :

- التقديم والتأخير من أهم مباحث علم المعاني والذي يُشكل أحد علوم البلاغة، هو اصطلاح أطلق على" أحد أساليب العرب في كلامهم ومظهره زوال اللفظ عن مكانه، فيتقدم أو يتأخر، وهذا التعريف هو أسلوب في لغة العرب، أما من حيث هو أسلوب قرآني فيتسع تعريفه، إذا أطلق التقديم والتأخير في القرآن الكريم على القار في مكانه، كما أطلق على المزال، فاتسعت بذلك دائرة التقديم والتأخير في القرآن الكريم[1]. ويُعد سيبويه(ت180هـ) من أوائل النحاة الذين أدركوا بلاغة التقديم، فكشف عنها في كتابه بقوله: "هذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول، وذلك قولك: ضرب عبد الله زيدا فعبد الله ارتفع ههنا كما ارتفع في ذهب، وشغلت ضرب به كما شغلت به ذهب وانتصب زيد لأنه مفعول تعدى إليه فعل الفاعل، فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول، وذلك قولك: ضرب زيدا عبد الله، لأنك إنما أردت به مؤخرا كما أردت به مقدما، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه وإن كان مؤخرا في اللفظ، فمن ثم كان حد اللفظ أن يكون فيه مقدما وهو عربي جيد كثير ،كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كان جميعا يهمانهم ويعنيانهم[2].

ومن أبرز العلماء الذين أولوه اهتمامهم وكشفوا عن كثير من أسراره البلاغية الإمام عبد القاهر الجرجاني(ت**471هـ**) فهو عنده: " باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعه ويفضي إلى لطيفه...ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عنك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ من مكان إلى مكان ،ويكون التقديم والتأخير على وجهين:

1- تقديم يقال أنه على نية التأخير :وذلك في كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه ،كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ ،أو المفعول إذا قدمته على الفاعل :مطلق زيد ،وضرب عمراً زيدٌ .

---

[1]- خالد بن محمد العثيم ،**الأسرار البلاغية للتقديم والتأخير في سورة البقرة دراسة تطبيقية** ،رسالة ماجستير ،جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية ، قسم الدراسات العليا ،السعودية،1998،ص:37(بتصرف).

[2] - سيبويه ،**الكتاب** ،مصدر سابق ،ج1 ،ص:34 .

2- وتقديم على نية التأخير ولكن على أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم وتجعل له بابا غير بابه وإعرابا غير إعرابه وذلك أن تجيئ الى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ والآخر خبرا له فتقدم تارة هذا على ذاك مثل: زيد المنطلق ،المنطلق زيد "[1].

- وقد تحدث الجرجاني عن أهمية هذا الأسلوب في الكلام فقال: "واعلم أنا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئا يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام ،وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي القول إنه قدم للعناية لأن ذكره أهم من غير ذكر ،فمن أين أتت تلك العناية ؟ وبم كان أهم ؟و لنخيلهم ذلك قد صغر أمر التقديم والتأخير في نفوسهم وهوّنوا الخطب فيه حتى ترى أكثرهم يرى النظر فيه تكلفا ، وكذلك صنعوا في سائر الأبواب فجعلوا لا ينظرون في الحذف والتكرار والاظهار والاضمار والفصل والوصل ،وإن كانت هذه الأمور هينة فأين نظم من نظم وأين الاعجاز؟[2]

- إن مرتبة المسند إليه التقديم، وذلك لأن مدلوله هو الذي يخطر أولا في الذهن، لأنه المحكوم عليه، والمحكوم عليه سابق للحكم طبعا فلهذا تقدم وضعا، ولتقديمه دواع شتى منه: تعجيل المسرة أو المساءة، التشويق إلى المتأخر إذا كان المتقدم مشعرا بغرابة، التلذذ، التبرك، سلب العموم وعموم السلب، إفادة التخصيص قطعا إذا كان المسند إليه مسبوقا بنفي والمسند فعلا، كون المتقدم محط الإنكار والغرابة، مراعاة الترتيب الوجودي، ويؤخر المسند إليه إن اقتضى المقام تقديم المسند. فيقدم المسند إذا وجد باعث على تقديمه كأن يكون عاملا أو مما له الصدارة في الكلام، أو إذا أريد به غرض من الأغراض التالية: التخصيص بالمسند إليه، التشويق للمتأخر إذا كان في المتقدم ما يشوق لذكره، التفاؤل، إفادة قصر المسند إليه على المسند، المساءة، التعجب أو التعظيم أو المدح أو الذم أو الترحم أو الدعاء. ويؤخر المسند لأن تأخيره هو الأصل، وتقديم المسند إليه أهم[3].

[1] - عبد القاهر الجرجاني ،**دلائل الإعجاز** ،مصدر سابق ، ص:107،106(بتصرف).

[2] - عبد القاهر الجرجاني ،**دلائل الإعجاز** ،مصدر سابق ، ص:107،109(بتصرف).

[3] - السيد أحمد الهاشمي، **جواهر البلاغة** ، مصدر سابق ،ص:113 ،123(بتصرف).

المطلب الثاني: التقديم والتأخير في المتشابهات اللفظية وأغراضه البلاغية

سنعرض ضمن هذا المطلب نماذجا من المتشابهات اللفظية التي وردت بأسلوب التقديم والتأخير ،ثم نتعرف على مختلف الأغراض البلاغية المستخلصة من توجيهها

1- التقديم والتأخير بين الشفاعة والفدية:

الشاهد قوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ**﴾ [البقرة:48] ،وفي نفس السورة ورد قوله تعالى:﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ**﴾[البقرة:123].

- فحصل التقديم والتأخير بين "الشفاعة" و"العدل" و"القبول" و"النفع"

- وقد قال الإسكافي في توجيه ذلك: "قدم قبول الشفاعة على أخذ الفدية في الآية الأولى لما قال:﴿ **لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا**﴾ ولا يغني أحد عن أحد شيئا فيما يلزمه من العقاب ولا يكفر سيئاته ما له ثواب...هو كقوله تعالى في سورة لقمان:﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا** ﴾ [لقمان:33]،فهذه الأشياء التي ذكر في الآية امتناع وقوعها في الآخرة أربعة أنواع تتقى بها المكاره ...ألا ترى العرب إذا دفع أحدهم الى كريهة وارتهنت نفسه بعظيمة وحاولت أعزته دفاع ذلك عنه بدأت بما في نفوسها من مقتضى الحمية فذبت عنه.. فإن رأى من لا قبل له بممانعته ولا يد له بدافعته عاد بوجوه الضراعة وصنوف المسألة والشفاعة فحاول بالملاينة ،فإن لم تغن عنه الحالتان لم يبق بعدهما إلا فداء الشيء بمثله وفكه من الأسر بعدله إما بمال وإما بغيره.

- أما في الآية الثانية ،فكان فيها تقديم قبول الفدية على الشفاعة ،ودفعا لهذا التشابه قال الإسكافي: ﴿ **لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا**﴾ أعقبه بنفي الفداء ،لأن النفس تجزي عن النفس بفداء مؤقت يرتهن عنها مدة معلومة ولا يكون بعد ذلك فداء يفك الرهن ويخلصه من التبعات ،فكان معنى الآية لا تغني عنها بفداء محصور بوقت ولا بفداء يخلصه على وجه الدهر ،ويكون بعد ذلك، ولا تنفعها شفاعة معناه لا تخفف مسألة من عذابها و لا ينقص شفيع من عقابها"[1].

[1] - الإسكافي ،**الدرة** ، ص:229،226(بتصرف).

– لقد اختلف المعتنون بتوجيه المتشابه اللفظي وكذا المفسرين في توجيه واستنباط الحكمة من وراء هذا التقديم والتأخير فاختلفت بذلك الأغراض البلاغية المستنبطة في كل مرة ،وسنعرض بعض هذه التوجيهات:

– يقول الكرماني دفعا لهذا التشابه:" وإنما قدم الشفاعة قطعا لطمع من زعم أن آبائهم تشفع لهم وأن الأصنام شفعائهم عند الله ،وأخرها في الآية الأخرى لأن التقدير في الآيتين معا :لا يقبل منها شفاعة فتنفعها تلك الشفاعة ،لأن النفع بعد القبول ،وقدم العدل في الآية الأخرى ليكون لفظ القبول مقدما فيها[1].

– أما الغرناطي فبنى توجيهه على السياق القبلي للآية وذلك في قوله تعالى :﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ**... ﴾[البقرة:44] ،ووجه تعلقها أن المأمور بالبر (المدعو) قد يأخذ به فيهتدي فيسلم من العصيان ،و تكون في ذلك نجاته علما بأن الأمر بالبر والاهتداء الذي وقع قد صدرا عن هؤلاء الذين قيل لهم: ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ**... ﴾ الآية ومن ثم فقد أصبح عند هذا الفريق مظنة رجاء نفع أولئك الذين اهتدوا على أيديهم ،مع أن فعلهم لم يكن خالصا لله ، ولكن الهداية قد وقعت وهم يوم القيامة في أشد الحاجة إلى من يخلصهم مما هم فيه ويتحقق ذلك عند مشاهدة الجزاء الاحساني للمأمورين بالبر حين قبلوا وامتثلوا أخذا بظاهر حال الأمرين وإن كانوا يبطنون خلاف ما يظهرون وهذا جار على مألوف طمع اليهود ،ولتوهم هؤلاء إمكانية شفاعة أولئك الذين أمروا بالبر فاهتدوا وطمعهم في ذلك آكد شيء نفي الشفاعة لهم لا مكان توهمها ، ولم يتقدم ما في الآية الأخرى ما يستدعي هذا فقدم فيها ذكر الفئة التي هي أولى وأحرى في كمال التخلص على ما عهد في الدنيا لو أمكنت[2]

– و قال السيوطي(ت 911هـ):" قال صاحب المنجاة لما كانت عادة العرب تختلف في دفع المكاره ،فمنهم من يقدم الشفاعة على الفداء ، ومنهم من يقدم الفداء على الشفاعة لأن في نفسه زيادة إباء سلك في الأولى الآية الأولى وفي الثانية الآية الثانية ، أو يقال سلك فيهما مسلك العكس والتبديل وهو من محسنات الكلام ولو جعل الضمير في الآية الأولى للنفس الثانية المجزي عنها لكان وجها حسنا ويكون فيه لف ونشر مرتب[3]

[1] – الكرماني ،**أسرار التكرار**، مصدر سابق، ص:27(بتصرف).

[2] – الغرناطي ،**ملاك التأويل**، مصدر سابق، ص:32،33(بتصرف).

[3] – جلال الدين السيوطي ،**قطف الأزهار في كشف الأسرار** ،مصدر سابق ،ج1،ص:247،248(بتصرف).

– أما صاحب تفسير التحرير والتنوير فيرد سبب التقديم والتأخير للتفنن في الكلام الذي تنتفي به سآمة الاعادة ،وأضاف أنه يصحب هذا التفنن نكتة لطيفة لأن الشفاعة في الآية الأولى مستندة للمقبولية فقدمت على العدل بسبب نفي قبولها ، ونفي قبول الشفاعة لا يقضي نفي أخذ الفداء فعطف نفي أخذ الفداء للاحتراس ، أما الآية الثانية فقدم الفداء لأنه أسند إليه المقبولية ونفي القبول لا يقتضي نفي الشفاعة فعطف نفي الشفاعة على نفي قبول الفداء للاحتراس أيضا ،والحاصل أن الذي نفى عنه أن يكون مقبولا قد جعل في الآيتين أولا وذكر الآخر بعده ،وأما نفي القبول مرة عن الشفاعة ومرة عن العدل فلأن أحوال الأقوام في طلب الفكاك عن الجناة تختلف ، فمرة يقدمون الفداء فإذا لم يقبل قدموا الشفعاء والعكس[1].

– وأضاف مشهور بن مشاهرة بعدما عرض آراء بعض المفسرين مستخلصا:« والذي يبدو لي من أنّ الحديث إخبار عن فئتين من الناس: فئة اعتادت الشفاعة والواسطة في تسيير أمورها فهي لا تفكر إلا باللجوء إليه فرد الله عليها بالآية الأولى تبكيتا لها ،ولما كانت عادة هذه النفس في الدنيا اللجوء الى الفدية إن لم تنفع الشفاعة فقد أوصد الله تعالى دونها هذا الباب أيضا ، و الآية الثانية تخص فئة أخرى من بني إسرائيل ذات مال وعقار كانت معتادة في الدنيا على الخلاص من أي مكروه بما تملكه من مال وحسبت كذلك في يوم القيامة فأوصد الحق تعالى دونها هذا الباب ، فإن لم ينجها المال فتشت عمن يشفع لها من الناس ،فإلى كل من اعتاد الشفاعة والواسطة فإن لم يكم فالمال ومن اعتاد الفدية فإن لم تنج فالشفاعة الى هؤلاء جيعا يعظهم الله ويحذرهم مما هم فيه ويذكرهم أنّ القيامة لن تنفعهم هذه الأمور»[2]

– مما سبق نستنتج أن الإسكافي وجّه التقديم والتأخير بين الآيتين محل الشاهد وفق عرف وعادة العرب في دفع المكروه :الشفاعة ثم الفداء ،فوردت الآية الأولى مرتبة حسب المعهود والعرف ، أما الآية الثانية فخصت بتأكيد منع الفداء مهما كان نوعه تيئيسا لمن يظن أنه يستطيع تقديم الشفاعة أو الفدية لتخليص نفسه من العقاب يوم القيامة ، أما بقية المفسرين فاختلفت توجيهاتهم وبالتالي اختلفت الأغراض من مجرد تفنن في الكلام لدفع السآمة ،إلى الاستناد لعادات العرب في دفع المكروه إما بتقديم الشفاعة أو الفداء أو العكس ،إلى أنه نوع من المحسنات التي يوظف فيها التبديل أو العكس ،أو اللف والنشر ،للاحتراس ومنع كل وجوه التخليص.

---

[1] – الطاهر بن عاشور ،**التحرير والتنوير**، مصدر سابق، ج1،ص:698(بتصرف).

[2] – مشهور مشاهرة ،**المتشابه اللفظي في القرآن الكريم** ،مصدر سابق ،ص:204،205(بتصرف).

2- التقديم والتأخير في جملة" وَقُولُوا حِطَّةٌ":

الشاهد قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ**﴾[البقرة:58]،يقابلها قوله تعالى في سورة الأعراف:﴿**وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ**﴾[الأعراف:161]، فحصل التقديم والتأخير في جملة "وقولوا حطة"

– لقد بنى الإسكافي من خلال توجيه هذا الشاهد قاعدة عامة فحواها أن كل ما أخبر الله به من قصة موسى عليه السلام وبني إسرائيل وسائر الأنبياء وقصد فيه اقتصاص المعنى وليس اللفظ فيخير بأن يؤدي اللفظ كيفما أراد ،وسبب ذلك أن اللغة التي خوطبوا بها غير عربية ولأن حكاية اللفظ زائلة وتبقى حكاية المعنى ومثل لذلك بقوله:" لو قال قائل حاكيا عن غيره : قال فلان زيد وعمرو ذهبا وكان هذا لفظا محكيا ثم قال ثانيا قاصدا الى حكاية هذه اللفظة من كلامه :عمرو وزيد ذهبا لم يجز له ذلك لأنه غير قوله وأخر ما قدمه ،وإن قصد حكاية المعنى كان ذلك مرخصا له[1] .

– وأضاف الكرماني أن السر في تقديم الدخول في الآية الأولى هو تقدم قوله تعالى قبلها :﴿ **وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ...** ﴾ [البقرة:58] ،فبين كيفية الدخول واكتفى بذلك و وافقه أبو يحي الأنصاري[2].

– أما ابن جماعة فقد اعتمد في توجيهه على السياق القبلي لكل آية فقال :"لما افتتحت آية البقرة بذكر بني إسرائيل وتذكيرهم بنعم الله عليهم ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ...**﴾ [البقرة:47]ناسبه تقديم ﴿**وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ...** ﴾ الآية (أي لما ناسب التذكير بالنعم شكرها بالسجود) ،أما آية الأعراف فافتتحت بما فيه توبيخهم وهو قوله تعالى: ﴿...**قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ...** ﴾ [الأعراف:138]،ثم اتخاذهم العجل فناسبها تقديم ذكر المغفرة[3] .

---

1 – الإسكافي ،**الدرة** ،ص:238،239(بتصرف).

2 – ينظر: الكرماني ،**أسرار التكرار** ،ص:28، وأبو زكريا الأنصاري، **فتح الرحمان**،ص:26.

3 – ابن جماعة ،**كشف المعاني** ،مصدر سابق، ص:96،97(بتصرف).

- أما الغرناطي فقد نظر في خصوصية الواو فقال:" إن قولهم "حطة" دعاء أمروا به في سجودهم فلو ورد في السورتين على حد سواء لأوهم من حيث مقتضى الواو من الاحتمال أنهم أمروا بالسجود والقول منفصلين غير مساوق أحدهما للآخر على أحد محتلات الواو في عدم الرتبة ،فقدم وأخر في السورتين ليحرز المجموع وهو أن يكون في حال السجود لا قبله ولا بعده ،ويتعين بهذا معنى المعية من محتملات الواو ،وأن المراد ادخلوا الباب سجدا قائلين في سجودكم حطة ،فاكتفى بتقليب الورود عن الافصاح بمعنى المعية إيجازا جليلا وبلاغة عظيمة، وقدم الأمر بالسجود في البقرة لأن ابتداء السجود يتقدم ابتداء الدعاء ث يتساوق المطلوبان ،فجاء ذلك الترتيب الثابت في السورتين"[1].

- وأضاف المطعني بعدما استعراض آراء الزمخشري وأبي السعود والإسكافي: "المعروف أن السجود قد يكون شكرا على النعم والاستغفار طلبا للعفو من الذنوب ،والقوم في الموضعين منعم عليهم ومخطئون ،فتقديم السجود في البقرة على الاستغفار تغليب لجانب الشكر على الاستغفار ،وهذا التغليب مبعثه أمران :أحدهما أن الله حثهم صراحة على الشكر في معرض الحديث ،والثاني أن نعمة الله عليهم في البقرة أظهر وأكمل منها في الأعراف وذلك لاشتمال الحديث في البقرة على مبعثهم بعد الموت بالصاعقة وهذه نعمة جليلة ،كما وصف الأكل بالرغد وقد فسر الرغد بالسعة ولم يأت هذا الوصف في الأعراف"[2] .

- كان للسامرائي رأي آخر ربطه بسياق الآيتين ككل ،وربط تفسيره بخصوصية السياق القبلي فقال:" قدّم السجود في سورة البقرة على القول لسببين :الأول لأن السجود أشرف من القول لأنه أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فناسب مقام التكريم ،والثاني لأن السياق يقتضي ذلك ،فقد جاءت هذه القصة في عقب الأمر بالصلاة فناسب ههنا تقديم السجود لاتصاله بالصلاة والركوع ،وكلا الأمرين مرفوع في سورة الأعراف فأخرَّ السجود"[3].

---

[1] – الغرناطي ،**ملاك التأويل** ،مصدر سابق، ص:37(بتصرف).

[2]– عبد العظيم المطعني ،**خصائص التعبير القرآني** ،مصدر سابق ،ج2،ص:151،150(بتصرف).

[3] – فاضل صالح السامرائي ،**التعبير القرآني** ،مصدر سابق ،ص:319.

3- التقديم والتأخير بين :النصارى والصابئين وزيادة المجوس:

الشاهد قوله تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[البقرة:62]،وقوله تعالى في سورة المائدة:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾[المائدة:69] ،وقوله تعالى في سورة الحج:﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾[الحج:17].

– ورد في كتاب العين: "صبأ فلان أي دان بدين الصابئين وهم قوم دينهم شبيه بدين النصارى ،إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب حيال منتصف النهار ،يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام وهم كاذبون"[1]

– لقد وجّه الإسكافي هذا التشابه منطلقا من قاعدة أن أي لفظ تذكر في موضع من القرآن ثم يعاد ذكرها في موضع آخر وقد تغيرت عما كانت عليه فلابد من حكمة من وراء ذلك ،وعليه فالمعنى في سورة البقرة أن الذين آمنوا بكتب الله المتقدمة مثل صحف إبراهيم عليه السلام، والذين آمنوا بما نطقت به التوراة وهم اليهود ،والذين آمنوا بما أتى به الإنجيل وهم النصارى ،فهذا الترتيب على حسب ما ترتب عليه الله تعالى كتبه ،حسب بعث الرسالة ،ثم أتي في الأخير بالصابئين وهم من لا كتاب لهم عن أهل الكتاب، فكان الترتيب هنا ترتيب الكتب المنزلة على الأنبياء من الأقدم فالأحدث ،وأخر الصابئون على الرغم من أن زمنهم كان قبل النصارى على اعتبار أنه لا كتاب لهم .

أما في سورة المائدة كان الترتيب على حسب أزمنة هذه الطوائف بشكل عام، فقد بعث إبراهيم عليه السلام ،ثم كانت بعده بعثة موسى عليه السلام، ثم ظهر الصابئون الذيم كانوا يتنقلون من دين لدين ،ثم كانت بعثة عيسى عليه السلام .

أما سورة الحج فكان الترتيب فيها ترتيب أزمنة كذلك لا نية للتأخير فيه لأنه لم يقصد أهل الكتاب بل ركز على الفرق التي لا كتاب لها كالصابئين والمجوس وعبدة الأوثان(ثلاث فرق) في مقابل طائفتان من

[1] – الخليل بن أحمد الفراهيدي ،**كتاب العين** ،مصدر سابق،ص:373،374.

أهل الكتاب ،وجعل المشركين آخر رتبة وإن كانوا في كل زمان إلا أنهم كانوا أكثر في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فجعل زمنهم متأخر عن الفرق السابقة[1].

لقد اجتهد الإسكافي في توجيه هذه الآيات حسب أحوال المخاطبين ، فجعل الترتيب في الآية الأولى حسب زمن نزول الكتب على الأنبياء عليهم السلام وأخَّر من لا كتاب لهم ،وجعل الترتيب في سورة المائدة ترتيب زمني حقيقي ،وكان الترتيب في سورة الحج زمني كذلك مع التركيز على الفرق التي لا كتاب لها .

– وقد اجتهد المفسرون وأهل اللغة كل يدلي بدلوه في توجيه هذه الآيات، وقد وافق صاحب فتح الرحمان ما جاء به الإسكافي حيث جعل الرتيب في سورة البقرة ترتيب كتب منزلة وزاد على أنهم كذلك رتبوا ترتيب رتبة ،لذلك تأخر الصابئون ، كان الترتيب ترتيب أزمنة في سورة الحج، بينما جمعت سورة المائدة بين الترتيبين في سورتي البقرة والحج، فقدم لفظ الصابئون وأخروا في المعنى على تقدير "والصابئون كذلك"[2].

– وقد وافق الكرماني الإسكافي في هذا التوجيه بشيء من الايجاز وأضاف قائلا: "...لأن النصارى مقدمون على الصابئين في الرتبة لأنهم أهل كتاب فقدمهم في البقرة ،والصابئون مقدمون على النصارى في الزمان لأنهم كانوا قبلهم فقدمهم في الحج ،وراعى في المائدة بين المعنيين فقدمهم في اللفظ وأخرهم في التقدير ،لأن تقديره "والصابئون كذلك"[3].

– وقد وافق ابن جماعة التوجيهات السابقة وأضاف إليها قوله:" أن التقديم قد يكون بالفضل والشرف وقد يكون بالزمان ،فروعي في البقرة تقديم الشرف بالكتاب لأن الصابئين لا كتاب لهم وإن كانوا متقدمين في الزمان ، وأخر النصارى في بعضها لأن اليهود موحدون والنصارى مشركون ، ولذلك قرن

[1] – الإسكافي ،**الدرة** ،ص: 250،258(بتصرف).

[2]– أبو زكريا الأنصاري ،**فتح الرحمان** ،**مصدر سابق** ،ص:30،31(بتصرف).

[3]– الكرماني، **أسرار التكرار**، مصدر سابق، ص:31(بتصرف).

النصارى في الحج بالمجوس والمشركين فأخرهم لإشراكهم بمن بعدهم في الشرك ،وقدمت الصابئون عليهم في بعض الآيات لتقدم زمانهم عليهم "[1] .

- كلمة الفصل في سر هذا التشابه أوردها الدكتور عبد العزيز المطعني بعدما أورد رأي الإسكافي ورأي بعض المفسرين ووازن بينهم ليخرج في الأخير لنتيجة مفادها أن السر في كل ذلك يرجع لاختلافهم في تفسير معنى كلمة الصابئين ونوع الحكم الذي حكم به على هذه الفرق ،فالصابئون حسب بعض المفسرين ومنهم الزمخشري هم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة ،أما نوع الحكم المحكوم به على هذه الفرق وهو خبر إن فمختلف من موضع لآخر ،فهو في البقرة " **فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**" ،وفي المائدة:" **فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**" وقد تقدم على كل من الخبرين ما يمهد ويرشح له " **مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا**" وفي المائدة " **مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا**" فههنا دعوة الى الايمان وحث واغراء عليه ، وهذا لا يكون إلا في حال الحياة ،فقدم النصارى على الصابئين إذ لا يبعد أن يكون المراد بهم صابئي النصارى ،وقدموا لفظا على نية التأخير معنى ليشمل صابئي الملتين :اليهود والنصارى عليهم لأنهم أفضل إذ هم أهل كتاب ،ورأي المفسرين أقوى من الإسكافي بدليل نظمهم مع اليهود والنصارى والصابئين وغيرهم في سلك واحد (مع الذين أمنوا وهم المنافقون وقد تقدم ذكرهم لشرف التسمية لا لأنفسهم) جميعا مطالبون بتحقيق الايمان لعريهم منه ،أما الخبر في الحج فمختلف فكأن القرآن نظر فيسرد هذه الفرق الى السبق الزمني ،فاليهود وصابئوهم سابقون زمنا على النصارى لذلك قدم اليهود عاطفا عليهم صابئيهم ثم ذكر النصارى ولم يحتج لذكر صابئيهم اكتفاء بصابئي اليهود ، كما لم يذكر في آية البقرة صابئي اليهود اكتفاء بذكر صابئي النصارى ،وكانت آية المائدة وسطا بين التعبيرين ،أما تأخير المجوس والذين أشركوا عن هذه الفرق فلأنه ليسوا أهل كتاب [2].

---

[1] – ابن جماعة ،**كشف المعاني** ،مصدر سابق، ص:100،101(بتصرف).

[2] – عبد العظيم المطعني ،**خصائص التعبير القرآني**، مصدر سابق، ص:158،161(بتصرف).

4- التقديم والتأخير بين النفع والضرر:

- سنعرض ثلاثة شواهد في تقديم النفع على الضرر أو العكس ثم توجيههما اعتمادا على السياق القبلي وانسجاما مع الآيات السابقة كمايلي:

1- الشاهد قوله تعالى:﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ**...﴾[يونس:18] ،قوله تعالى:﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ**...﴾[الفرقان:55].

- لقد وجه الإسكافي هذا الشاهد مرتكزا على قاعدة أن العبادة تقام للمعبود خوفا من العقاب أولا ثم رجاء للثواب ثانيا ،ثم ربط معنى الآية محل الشاهد بالسياق القبلي فذكر أنه قد تقدم في هذا المكان ما أوجب تقديم الضر على النفع وهو قوله تعالى:﴿...**إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾[يونس:15]،والمعنى ويعبدون من دون الله ما لا يخافون ضررا في معصيته ولا يرجون نفعا في طاعته ،فحصل التقديم لذلك.

- أما الآية الثانية فقد حصل فيها تقديم النفع على الضرر لأنه تقدمتها آيات فيها الأفضل على الأدون وهي الآيات :54،53 من سورة يونس ،فقدم صلة النسب على صلة المصاهرة وقبلها قدم العذب من الماء على المالح ،فتناسبا مع هذه الآيات قدم النفع على الضرر[1].

- لقد وافق الكرماني الإسكافي في توجيهه وحصر المتشابهات اللفظية التي حصل فيها تقديم وتأخير بين النفع والضرر، فقال: أكثر ما جاء في القرآن من لفظي الضر والنفع معا جاء بتقديم لفظ الضر على النفع ،لأن العابد يعبد معبوده خوفا من عقابه أولا ،ثم طمعا في ثوابه ثانيا ،وحيث تقدم النفع على الضرر تقدم لسابقة لفظ تضمن نفعا[2] .

2 - الشاهد قوله تعالى:﴿... **قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (187) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ** ... ﴾[الأعراف:187،188] و قوله تعالى:﴿**وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (48) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ**﴾[يونس:48،49].

1- الإسكافي ،**الدرة** ، ص:733،734(بتصرف).

2- الكرماني ،**أسرار التكرار** ،مصدر سابق،ص:92(بتصرف).

– لقد وجه الإسكافي هذا الشاهد اعتمادا على السياق فقال أن الآية الأولى ورد قبلها قوله تعالى:﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي...**﴾[الأعراف: 187]،والمعنى لا أملك تعجيل ثواب ولا عقاب إلا ما ملكنيه الله ،ولو علمتُ الغيب لاستكثرتُ من العمل الصالح ،لأن من علم الغيب عرف الأفضل عند الله عزَّ وجل ولم يتركه إلى ما هو دونه ،فلذلك تقدم النفع على الضرر، أما الآية الثانية فقد تقدمتها آيات تستدعي تقديم الضر على النفع وهي استعجال الكفار عذاب الله وتوعد الله لهم بتعجيله لهم في الدنيا أو في الآخرة ،واللفظة التي تزاوج لفظة الضر هي النفع والمعنى أنه لا يملك إلا ما يُملِّك الله منه عباده .[1]

3– الشاهد قوله تعالى: ﴿**وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا** ﴾[الفرقان: 3] ،و قوله تعالى: ﴿ **قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا...** ﴾[الرعد: 16].

لقد وجه الإسكافي هذا الشاهد كذلك تناسبا مع السياق القبلي ،فذكر أن آية الرعد قدم فيه الأفضل على الأنقص ،ولأن اجتلاب النفع أشرف من استدفاع الضر وهو رتبة فوقه ،ومن فاته دفع الضر فهو على وجهه في الترتيب ،أما سورة الفرقان فقد قدم فيها النفي على الاثبات في قوله تعالى: ﴿ **لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ**﴾ ،فقدم النفي (لا يخلقون) على الاثبات(هم يخلقون)، فكذلك الضر منفيا والنفع اثباتا ،إذ النفع إثبات المصالح وإيجادها ،والضر نفيها ،فما تقدم فيما قبله ما نفي على ما أثبت حمل المعطوف عليه ليون مشاكلا له[2].

---

[1]– الإسكافي ،**الدرة** ، ص:282،285(بتصرف).

[2] – الإسكافي ،**الدرة** ، ص:957،958(بتصرف).

5- التقديم والتأخير بين الفاعل(رجل) وشبه الجملة(من أقصى المدينة):

الشاهد قوله تعالى:﴿**وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ**﴾ [يس:20] ،وقال تعالى في سورة القصص من قبل: ﴿**وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ**.... ﴾[القصص:20].فكان التقديم والتأخير بين الفاعل (رجل) وشيه الجملة(من أقصى المدينة).

- أوضح الإسكافي أن تقديم الجار والمجرور (من أقصى المدينة) في سورة يس ورد لغرض التعجب وتبكيت[1] القوم ،ذلك أن الآية وردت لتفيد المخاطب بأن يعلم أن الرجل جاء من مكان بعيد إلى مجتمع الناس في القرية ،وفيه إشارة إلى أنه لم يحضر القصة ولا موضع الدعوة ومشهد المعجزة ،وفوق كل ذلك جاء ناصحا للقوم رغم أنه لم يحضر جميع ما حضروه ولم يشاهد من كلام الأنبياء ما يشاهدونه ولكنه بعثهم رغم ذلك على اتباع الرسل وقبول دعوتهم .

- أما سورة القصص فوردت على الأصل ،حيث تقدم ما أصله التقديم عادة وهو الفاعل (رجل)،والمعنى جاء من لا يعرفه موسى عليه السلام من مكان لم يكن مجاورا لمكانه فأعلمه ما فيه الكفار من ائتمارهم به ،فاستوى حكم الفاعل والمكان الذي جاء منه ،فقدم الأصل[2].

- لقد وافق الغرناطي ما جاء به الإسكافي وأضاف أن تقديم الجار والمجرور في سورة يس يشير لبعد المسافة ورغم ذلك لم يضره بعد الدار وكفر من باشر الرسل وشافههم فلم ينتفع بقرب الدار ،وفيه تعريض بحال كفار قريش الذين كفروا بالرسالة رغم اتحاد النسب وقرب الدار وإيمان الأنصار بالرسالة رغم بعد الدار ،ولأن السورة افتتحت من قبل بذكر كفار قريش وكفرهم ،فحصل تقديم الجار والمجرور ليشير لمن بعد ولم يضره بعده ولمن قرب وشاهد المعجزات ولم ينفعه قربه ،ووردت الآية في سورة القصص على الأصل.[3]

- يرى السكاكي (**ت626هـ**) أن تقديم الجار والمجرور في آية يس لأنه تقدمها قصة الرسل وما تلقوه من سوء معاملة أصحاب القرية لهم ،وأنهم أصروا على تكذيبهم حتى يظن السامع أن المدينة كلها بهذه

---

[1] - بكتَ زيد عمرا تبكيتا عيَّره وقبَّح فعله ووبخه ،ينظر: الفيومي ،**المصباح المنير** ، مصدر سابق ،ص:23(مادة بكت).

[2] - الإسكافي ،**الدرة** ، ص:1085،1083(بتصرف).

[3] - الغرناطي ،**ملاك التأويل** ،مصدر سابق، ص:385(بتصرف).

الصفة لذلك قدَّم ما يدل على أنها لم تكن كلها بهذه الصفة ،فقدم الأهم عند المخاطب ،أما الآية في سورة القصص فقد جاءت على الأصل[1].

– تناول مشهور بن مشاهرة هذا الشاهد في كتابه بعد عرضه لبعض التوجيهات ومنها توجيه الإسكافي الذي يبدو أنه اعتمد عليه في تفسيره فقال أن الآية الأولى التي وردت بتقديم الجار والمجرور حصل ذلك لغرض البشارة والتبكيت والأمل ،فالتبكيت والتعجب فظاهر حين عارض وتحدى أصحاب القرية المرسلين رغم ما جاؤوا به من أدلة في حين آمن رجل من أطراف المدينة لم يشهد ما شاهدوه (وهو نفس توجيه الإسكافي) ،وفي التقديم دلالة كذلك على ما في أطراف المدن من خير إيماني وجب استثماره في الدعوة ،وقد قيل "الأطراف منازل الأشراف" ،أما البشارة فتكمن في نصرة الله لدينه وتجاوز القوانين البشرية إلى القوانين الربانية ،ففي العرف البشري أن التعزيز يوَّلد القبول والغلبة لذلك أراد الله التأكيد للدعاة وغيرهم أن الاستجابة منوطة بالهداية وأنهم مجرد وسائل فقط ،ودليل ذلك ايمان من جاء من أقصى المدينة من غير جهد بشري، وفي القصص جاء النظم القرآني وفقا للصل ودلالة على أن المقام مقام نصح واعلام ،وفيه التركيز على نصرة الله لأوليائه بغض النظر عن جهة القدوم ،وفيه توجيه رباني لوجوب تقديم النصح والمشورة لأوليائه عند احتمال الخطر.[2]

6– بين قوّامين لله وقوّامين بالقسط:

الشاهد قوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾[النساء:135]،و قوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾[المائدة: 8].

– وجّه الإسكافي هذا الشاهد والاختلاف فيه تقديما وتأخيرا بحسب اختلاف المخاطبين ووفقا للمناسبة اللفظية ،فجعل الآية الأولى عامة في كل إنسان ،وجعل الآية الثانية خاصة بالولاة ،و يفصل ذلك بقوله في تفسير الآية الأولى:" في الشهادة أمر الله من عنده أن يقوم بالحق ويشهد الله على كل من عنده حق لغيره يمنعه إياه حتى يصل إليه ،فقال قوموا " **بِالْقِسْطِ**" ،أي بالعدل في حال شهادتكم لله على كل ظالم

[1]– السكاكي ،**مفتاح العلوم** ،ضبط وتعليق نعيم زرزور ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1987 ،ط2،ص:238،239(بتصرف).

[2] – مشهور مشاهرة، **المتشابه اللفظي في القرآن الكريم** ،مصدر سابق،ص:223،224(بتصرف).

حتى يؤخذ الحق منه ،فقدم " **بِالْقِسْطِ**" لأنه من تمام " **قَوَّامِينَ**" لأن فعله يتعدى إلى مفعوله بالباء ،أما " **شُهَدَاءَ**" فإنها إذا كانت حالا من الضمير في " **قَوَّامِينَ**" فإن حقها المجيئ بعد تمام " **قَوَّامِينَ**" ،وكذلك إن كانت خبرا ثانيا ، وإن كانت صفة ل" **قَوَّامِينَ**" فإن حقها أن تجيئ بعدها ،أما قوله " **لِلَّهِ**" بعد" **شُهَدَاءَ**" فلتعلقه بالشهادة ،كأنه قال :كونوا شهداء لله لا للّهو والميل إلى ذوي القربى ،والدليل على ذلك قوله" **وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ**" ،وشهادة الإنسان على نفسه أن يقرَّ لخصمه أي افعلوا ذلك لله وإن كان عليكم أو على الوالدين وذوي القربى منكم .

– أما الآية الثانية فقد فصلها بقوله:" تدل على أنها للولاة فقال:" **كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ**" لا لنفع ،ويكون " **بِالْقِسْطِ**" متعلقا ب " **قَوَّامِينَ**" ،أي كونوا قوّامين لأجل طاعة الله بالعدل والحكم به حال كونكم " **شُهَدَاءَ**" أي وسائط بين الخالق والخلق ،فالقائم بتنفيذ أحكام الله بين خلقه إذا وفّى ما عليه من حقه فهو شهيد على من وَليه ،والدليل على أن الخطاب لولاة الأحكام قوله تعالى بعده :" **وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا**" وذلك عام في المخالفين من أهل الأديان والموافقين ممن حصلت لهم عداوة ،أي اعدلوا على الولي والعدو عدلا واحدا ،وقيل أيضا في تفسير الآية الثانية إنها في الشهادة في الحقوق ،وقيل في الشهادة لأمر الله بأنه حق ،وقيل معناه: قوموا في كل ما يلزمكم القيام فيه من الأمر بالمعروف والعمل به والنهي عن المنكر وتجنبه"[1] .

– لقد وافق الكرماني الإسكافي في توجيه هذا الشاهد وتبعه ابن زكريا الأنصاري ،أما الغرناطي فقد كان له رأي مخالف ،حيث بنى توجيهه على السياق القبلي العام لكلا السورتين ،فذكر أن الآيات المتصلة بآية النساء مبنية على الأمر بالعدل والقسط :للنساء واليتامى وغيرهم ،فناسبه تقديم القسط وهو العدل ،أما آية المائدة فلأن سورة المائدة افتتحت بأحكام تتعلق بالوفاء بالعهود والمواثيق ،وكذا الطهارة ثم تذكير الله عباده بنعمه والوقوف مع ما عهد به إلى عباده فناسبه "**كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ**" ثم أتبع بما في ذلك من الشهادة بالقسط [2] .

– لقد وافق صاحب تفسير البحر المحيط ما جاء به الإسكافي والبقية ولكنه أضاف إليها توجيهات أخرى فجعل التقديم والتأخير في هذا التشابه من باب التوسع في الكلام والتفنن في الفصاحة، لأن يلزم من كان قائما لله أن يكون شاهدا بالقسط ومن كان قائما بالقسط أن يكون قائما لله، وربط توجيهه

---

[1] – الإسكافي ،**الدرة** ، ص:424،419(بتصرف).

[2]– ينظر: الكرماني ،**أسرار التكرار** ،ص:58،أبي زكريا الأنصاري ،**فتح الرحمان** ،ص:125،126،الغرناطي، **ملاك التأويل** ،ص:111(بتصرف).

بالسياق الخاص بكل سورة فذكر أن الآية في سورة النساء جاءت في معرض الاعتراف على النفس وعلى الوالدين والقربين فبدئ فيها بالقسط الذي هو العدل والسواء من غير محاباة نفس ولا والد ولا قرابة ،وفي المائدة جاءت في معرض ترك العداوات فبدئ فيها بالقيام لله تعالى أولا لأنه أردع للمؤمنين ثم أردف بالشهادة بالعدل ،فالتي في معرض المحبة والمحاباة بدئ فيها بما هو آكد وهو القسط ،وفي معرض العداوة والشنآن[1] بدئ فيها بالقيام لله ،فناسب كل عرض بما جيء فيه به ،وأيضا فقد تقدم هناك(سورة النساء) حديث النشوز والاعراض فناسبه ذكر تقديم القسط ،وهنا تأخر ذكر العداوة فناسبه أن يجاوِرها ذكر القسط[2].

7- التقديم والتأخير في "لا إله إلا هو":

الشاهد قوله تعالى:﴿**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**﴾[الأنعام: 102] ،و قوله تعالى:﴿ **ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ** ﴾[غافر: 62]،فقدم في سورة الأنعام " **لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**" على " **خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**" ،وفي سورة غافر كان العكس.

- لقد وجّه الإسكافي هذا التشابه انطلاقا من السياق القبلي لكل آية فجعل تقديم جملة التوحيد" **لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**" في سورة الأنعام لتتناسب مع الآية قبلها الدالة على الشرك وهي قوله تعالى:﴿**وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ**﴾[الأنعام: 100]،فأتى بما يدفع قول من جعل لله شريكا فقال" **لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**" ثم قال "**خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**" ،وفي سورة غافر لما تقدمتها آيات تدل على تثبيت خلق الإنسان لا نفي الشريك وهي قوله تعالى: ﴿**لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[غافر: 57] ناسبها ذكر "**خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**"[3].

- لقد وافق الغرناطي الإسكافي في توجيهه ونقله عنه ،وكذلك فعل الكرماني ولكن بشيء من الايجاز فذكر عن الآية الأولى أنها سبقت بذكر الشركاء والبنين والبنات فدفع ذلك بقوله " **لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**"، وفي

---

[1] – شَنِئَ يَشْنأُ شَنْأَةً وشَنَآناً :أي أبغض ،ورجل شَنَاءةُ وشَنَائِيَةُ بوزن فعَالة وفَعالية أي سيئ الخلق ،ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي ،**العين** ،مصدر سابق،ص:358(مادة شَنَأَ).

[2] – أبو حيان الأندلسي ،**البحر المحيط** ،مصدر سابق ،ج2،ص:454،455(بتصرف).

[3]– الإسكافي ،**الدرة** ، ص:535،536(بتصرف).

المؤمن(غافر) ذكر قبله الخلق (الآية 57 من سورة غافر)فخرج الكلام على اثبات خلق الناس لا على نفي الشريك ،فقدم فيكل سورة ما يقتضيه ما قبله من الآيات [1] .

8- التقديم والتأخير بين الضمائر المتصلة والمنفصلة:

الشاهد قوله تعالى:﴿ **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**... ﴾[الأنعام: 151]، و قوله تعالى:﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ**... ﴾[الإسراء: 31]،فكان التقديم والتأخير بين " **نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**" و" **نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ**".

وجّه الإسكافي هذا التشابه بأن قدَّم بداية قاعدة في اتصال وانفصال الضمائر عند العرب ،فذكر أن " **نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**" هو الاختيار في كلام العرب من تقديم ضمير المخاطب على ضمير الغائب ،ومثَّل لذلك بقوله :أعطيتكَهُ ،وفي الآية الثانية من سورة الإسراء قدَّم فيها ضمير الغائب على المخاطب فكأنها بنيت على قولنا :أعطيتهوك (واختار محقق الكتاب أعطيتُهَكَ) ،ثم طرح الاشكال: ما الذي أوجب اختصاص الأول بتقديم ضمير المخاطب وأوجب اختصاص الثاني بضمير الغائب ؟ وأجاب بقوله "ليس الضميران إذا اتصلا بالفعل كالضميرين إذا انفصل أحدهما وعطف على الآخر "،و استدل بقوله:" لأن قولنا :أكرمته وإياك مثل قوله أكرمتك وإياه في أن كل واحد منهما مختار في مكانه الذي يوجب تقديم ما قدَّم وتأخير ما أخر بخلاف ما يختار إذا اتصلا بالفعل في مثل :أعطيتكه ،ثم انطلق في توجيه الشاهد وفقا لما بناه من قبل فذكر أن الآية الأولى" **نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**" وردت متناسبة مع ما قبلها "**وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ**" أي من أجل إملاق وانقطاع مال وزاد ،وهذا نهي عن قتلهم مع فقرهم وخوفهم على أنفسهم إذا لزمتهم مؤونة غيرهم ،فكأنه قال الذي يدعوكم إليه من حالكم في أنفسكم ثم في غيركم لا يجب أن تشفقوا منه فإني أرزقكم وإياهم ،وفي الآية الثانية "**خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ**" والاملاق غير واقع ،فكأنه قال :خوف الفقر على الأولاد وكان عقب هذا إزالة الخوف عنهم عن القاتلين ،أي لا تقتلوهم لما تخشون عليهم من الفقر ،فالله يرزقهم وإياكم ،فقدم في كل موضع ما اقتضى تقديمه ،فالحكمة من هذا التقديم والتأخير في الآية الأولى هو نهي عن قتل الأولاد في حال فقر الآباء (فالفقر هنا حاصل)،لأن الله يرزقهم مع أولادهم ،وفي الآية الثانية هو نهي عن قتل الأولاد خشية فقرهم(لم يحصل الفقر بعد) مستقبلا لأن الله يرزقهم وإياكم .

[1] – ينظر: الغرناطي ،**ملاك التأويل** ،ص:167،168،والكرماني ،**أسرار التكرار** ،ص:73(بتصرف).

– ذكر المطعني بعدما أشار للأن هذا التفسير استقاه من توجيه الإسكافي ونقله عن كتب التفسير والبلاغة أنه في سورة الأنعام قدَّم رزق المخاطبين على رزق أولادهم المدلول عليه بعطف ضميرهم عليه ،وفي سورة الإسراء قدَّم رزق الأولاد على رزق المخاطبين ،فالخطاب في سورة الأنعام مع قوم فقراء يهمهم رزقهم أولا ثم أولادهم ثانيا فقدَّم رزقهم لأنه عندهم أهم ، وفي سورة الإسراء الخطاب كان مع غير فقراء لكنهم يخشون وقوع الفقر في المستقبل فتجوع أطفالهم ،فرزق أولادهم أهم عندهم من رزقهم لأنهم حاصلون عليه ،فقدَّم رزق أولادهم على رزقهم لأنه أهم عندهم[1]

9- التقديم والتأخير بين "الليل والنهار":

الشاهد قوله تعالى:﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾[القصص:71،72]،فحصل تقديم نسخ الليل بالنهار وتأخير نسخ النهار بدخول الليل.

– يوجه الإسكافي هذا التشابه بناء على بلوغ المنفعة ،فجعل نسخ الليل بطلوع الشمس أكثر فائدة وأضمن للمصالح من نسخ النهار بدخول الليل ،وختم كل آية بفاصلة مخالفة لأخري ،وعلل سبب ذلك أن الجنة نهارها ذائم لا ليل معه ،لأن الليل في دار التكليف للاستراحة من المشاق والتعب ،ودار النعيم يستغنى فيها عن ذلك لأنها مقصورة على نيل المشتهى ،وفسر اختلاف الفاصلتين بناء على معنى كل آية ،فقوله تعالى " **أَفَلَا تَسْمَعُونَ**" معناها أفلا تسمعون سماع من يتدبر المسموع ليستدرك منه قصد القائل ،ويحيط أكثر ما جعل الله تعالى في النهار من المنافع؟ أم أنتم صم عن ذلك ،وقوله تعالى " **أَفَلَا تُبْصِرُونَ**" أي أفلا تستدركون من ذلك ما يجب استدراكه فإن عقيب السماع استدراك المراد بالمسموع ،إذا كان هناك تدبر وتفكر فيه[2].

– أما الغرناطي فقد خالف الإسكافي في المقدم والمؤخر وبالتالي اختلاف توجيهه، فقال أن الآية الأولى حصل فيها تقديم الليل على النهار ،وحصل العكس للآية الثانية ،وأرجع سبب تقديم الليل على النهار حسب ما ألفته العرب من حساب شهورها من تقديم الليل وجعل النهار تابعا له ،وفسر السبب في

---

[1]– عبد العظيم المطعني ، **خصائص التعبير القرآني** ،مصدر سابق ،ج2،،ص:**183**(بتصرف).

[2] – الإسكافي ،**الدرة** ، ص:993،994(بتصرف).

اختلاف الفواصل بناء على خصوصية كل من النهار والليل ،فالليل يناسبه السماع لأن الليل حائل دون المبصرات ،والمبصرات تدرك نهارا لا ليلا[1] .

أما السامرائي فقد ركز المناسبة المعنوية من اختلاف الفاصلتين والحكمة منه ،فذكر مستندا لتفسير الزركشي أن الفاصلة الأولى "يسمعون" جاءت مناسبة لما بين السماع والظرف الليلي الذي يصلح للاستماع ولا يصلح للإبصار، واقتضت البلاغة ذكر "تبصرون" لأن الظرف مضيئ صالح للإبصار وهذا من دقيق المناسبة المعنوية [2]

10- التقديم والتأخير بين "للنَّاس " و"في هذا القرآن":

الشاهد قوله تعالى:﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا**﴾[الإسراء:89] ،و قوله تعالى:﴿ **وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا**﴾[الكهف:54].

- وجّه الإسكافي هذا التشابه بأن ربط الآية الأولى بسياقها القبلي وقال بأنها وردت بعد أمثال ضربت للناس وتحذير للنبي صلى الله عليه وسلم فقدم الناس ،و جعل الغرض من تقديم الناس في الآية الأولى كذلك للتنبيههم ليهتموا ويُعنوا بتدبر القرآن فيقفوا عند أوامره وينتهوا عن نواهيه ،وكذلك كان التقديم وفقا لعادة العرب في أنها تقدم الأهم ،أما الآية الثانية فقد بنى توجيهه فيها على السياق القبلي كذلك لها ، فذكر أنه تقدمها ذكر أصحاب الكهف وسؤال النبي عن خبر موسى عليه السلام وذي القرنين وكان الجواب في أن كل ذلك متضمن في كتاب الله فقدم لذلك[3].

- وقد وافق الغرناطي الإسكافي في بعض من توجيهاته وخالفه في بعض فجعل تقديم الناس في سورة الإسراء بسبب ثلاثة أمور:

1- لكون الخطاب فيها خاصا بكفار العرب.
2- لأنها سبقت بحديث عن الثقلين (الجن والإنس) فقدم الإنس لتشريفهم عن الجن والاعتناء بالجنس الإنساني ،فقدمت لفظة الناس لذلك.

---

[1] - الغرناطي ،**ملاك التأويل** ،مصدر سابق ،ص:386(بتصرف).

[2] - فاضل صالح السامرائي ،**التعبير القرآني** ،مصدر سابق،،ص:226،225(بتصرف).

[3] - الإسكافي ،**الدرة**، ص:860،861(بتصرف).

3- لكراهة الاستثقال بتكرير لفظة الناس ،لأنه لو قيل :ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا "لكان فيها تكرار واستثقال.

أما الآية الثانية فلم يتكرر فيها لفظ "الناس" فيقع استثقال ،ولم يتقدمها ذكر الثقلين ،فقدم الأهم وهو ذكر القرآن الشافي لمعتبر ما صُرِّف فيه من الأمثال ،ولكون الخطاب فيها عاما لكل إنسان[1].

- وكذلك ربط السامرائي توجيهه بالسياق القبلي لكلتا السورتين ،فربط تقديم الناس في الآية الأولى لأنه تقدمها ذكر لنعم الله على الانسان ورحمته به نولم يتقدم مثل ذلك في الآية الثانية[2].

- أما الشثري فقد أثنى على توجيه الإسكافي لهذا الشاهد بعد عرضه له ولتوجيهات أخرى منتخبا توجيه الإسكافي فقال: "وفي توجيه الخطيب الإسكافي لهذا الموضع لفتة ينبغي الإشارة إليها وهي نظرته البعيدة في سياق النصوص ،فهو يرجع سر تقديم كلمة إلى سياق بعيد ،ولنا أن نتأمل توجيهه لآية الكهف وهي الآية الرابعة والخمسون ،فقد عاد لسياق أول السورة حيث قصة أصاب الكهف وما تبع ذلك من قصص وأخبار إلى هذه الآية ،وكذلك آية الإسراء فقد نظر إلى ما قبل الآي بما يزيد على عشر آيات ،ووافقه الكرماني والغرناطي ......إلى أنني أرى أن الأقرب توجيه الخطيب الإسكافي لأنه بنى على تأمل سياق السورة كاملة ،وهذا اتجاه في غاية الأهمية في الدرس البلاغي والأدبي"[3].

ومن ضمن الدروس المستفادة من الآية الأولى كذلك :أن القرآن معجز من كل وجه ،ومن ضمن أهم أوجه إعجازه الاعجاز البياني ،ومن ضمن أهم أوجه الإعجاز البياني تصريف المعاني ،وتنويع الأساليب ،وضرب الأمثال ،والتفنن في هذا الأمر ،وبشهدة الله تعالى فإن أكثر البشر كافرون بمنهج الله ،غير مصدقين بكتابه مع عظمته وروعته وحققته وعدله ،وتمام تحقيقه لكمال المصالح ،ومع هذا فإنه كلما زادت الميزات انحرفت الاتجاهات ،يجب دراسة منهجية القرآن وأساليبه ،وهذا أمر سوى التفسير المعتاد[4]

إذن يمكن الخروج بنتيجة من وراء هذا التشابه وتناسبا مع المضامين السابقة لكل آية بأنّ الغرض البلاغي يتمثل في التشريف للجنس البشر بمقابل الجن ، وكراهة الاستثقال ،وللعناية والاهتمام بتقديم القرآن.

---

1 - الغرناطي ،**ملاك التأويل** ،مصدر سابق ،ص:311،312(بتصرف).

2 - فاضل صالح السامرائي ،**التعبير القرآني** ،مصدر سابق ،ص:69(بتصرف).

3 - صالح بن عبد الله محمد الشثري ،**المتشابه اللفظي وأسراره البلاغية** ،مصدر سابق ،ص:429،430(بتصرف).

4- أحمد نوفل، **تفسير سورة الإسراء** ، مصدر سابق ،ص:425(بتصرف).

10- التقديم والتأخير بين "الأموال والأنفس " و"في سبيل الله ":

الشاهد قوله تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**...﴾[الأنفال:72]، و قوله تعالى:﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ**... ﴾[التوبة:20] ،فحصل لتقديم والتأخير بين "**بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ**" و" **فِي سَبِيلِ اللَّهِ**".

وجه الإسكافي هذا الشاهد اعتمادا على السياق القبلي ،فربط كل آية بحسب ما قبلها ،وبرّر سبب التقديم والتأخير بين شبه الجملتين اعتمادا على اختلاف المواضيع والسياق بين الآيتين ،فحصل تقديم شبه الجملة "**بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ**" ليتناسب مع ذكر المال(عرض الحياة الدنيا) في قوله تعالى:﴿**تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا** ... ﴾[الأنفال:67]،والمخاطب هم أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم لما أسروا المشركين ولم يقتلوهم طمعا في الفداء ،فورد بعده توبيخ لهم بدء بقوله تعالى:﴿ **لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[الأنفال:67] ،أي فيما أخذتم من هؤلاء الأسرى من الفداء ،ثم قال تعالى لما غفر لهم ما كان منهم من القتل إلى الأسرى:﴿ **فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[الأنفال:69]،أي استمتعوا بما نلتم من أموال المشركين وبما أخذتم من فدائهم ،فناسب ذلك تقديم الأموال والأنفس .

أما سورة التوبة فلم تتضمن ما ورد في سورة الأنفال بل كان لها موضوع مخالف وقد سبق فيها ذكر الجهاد ، فقال تعالى:﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ**.... ﴾[التوبة:16] ،ثم أورد إبطال ما أتى به المشركون من عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج و المقام على الكفر:﴿ **أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**.. ﴾[التوبة:19] ،فكان المندوب إليه بعد الايمان بالله الجهاد في سبيل الله ،فقال بعده مادحا لمن تلقى طاعته﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**.... ﴾ الآية ،فذكر الجهاد في سبيل الله الحقيقي[1] .

- لقد وافق الغرناطي بعضا من توجيهات الإسكافي وأضاف بأن آية الأنفال قد حصل فيها تقديم الأنفس والأموال بغرض التعظيم الواقع من فعل الإيمان والهجرة والجهاد بالأموال والأنفس ،وكذا تغبيط الصحابة بما منَّ الله عليهم ،فقدم الأموال والأنفس تنبيها بموقعها من النفوس ولأنهم بادروا بها على حبها

[1] - الإسكافي ،**الدرة** ، ص:696،698(بتصرف).

وشح الطباع ،فحصل التقديم لغرض الاعتناء بها واعظاما لفعلهم ،أما سورة التوبة فبُنيت على المفاضلة بين سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ،وبين من آمن بالله وهاجر وجاهد في سبيل الله ،بيَّن أن الثانية أعظم عند الله ،فلما لم يحصل هنا قصد التخصيص لم يحصل تقديم أو تأخير[1] .

11- التقديم والتأخير بين "اللعب " و"اللهو ":

والشاهد• قوله تعالى:﴿ **وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**﴾[الأنعام:70]،وقوله تعالى: ﴿ **قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (50) الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**....﴾[الأعراف:50،51]،وقال كذلك:﴿**وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ**... ﴾[العنكبوت:64]،وقال في سورة الحديد: ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ**.... ﴾[الحديد:20].

- يرى الإسكافي أنَّ الآية الأولى من سورة الأنعام نزلت في الكافرين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانوا إذا سعوا القرآن عبثوا ولعبوا بآياته وأجروها مجرى أفعال يستروح إليها ثم شغلوا بدنياهم عن تدبرها ،فأول أفعالهم لعب وثانيها لهو ،واللعب فعل في غاية الجهل تتعجل منه مسرة . واللهو قال فيه صاحب العين: "ما شغل الإنسان من هوى وطرب" ،فكان أول دينهم لعبا و ما بعده لهوا ،فلذلك قدّم "اللعب" على "اللهو".

- أما آية الأعراف فنزلت في عامة الكفار وغير مختص بمن سمع الآيات ، فقدم فعل أكثرهم على فعل أقلهم ،فهم الذين شغلتهم الحياة الدنيا وهذا هو اللهو ثم كانت أفعاله التي اقتدوا فيها بآبائهم لما طابت له ولم يجدوا في العاقبة نفعا عليهم كاللعب الذي ينطوي على أفعال تبطل في الآجل وإن سرَّت في العاجل وهذا بعد الأول وأكثر الكفار دأبهم اللهو ،وإن شغلهم الحال التي استصحبوها عن الفكر فيما يطرأ عليها ،فوجب هنا تقديم ذكر "اللهو" لوجهين:

أحدهما: لتقدمه على ما هو كاللعب

ثانيهما: لأنه فعل أكثرهم وبالمقابل فقد أريد ب"اللعب" في الآية الأولى فعل أقلهم.

[1]- الغرناطي ،**ملاك التأويل** ،مصدر سابق ،ص:225 (بتصرف).

• تضمن هذا الشاهد كذلك توجيها معجميا ذُكر في محله (الترادف).

- أمَّا آية الحديد فكان تقديم اللعب على اللهو ترتيبا حسب سن الانسان وحياته ؛ لأن الحياة الدنيا لن اشتغل بها ولم يتعب لغيرها من أعمال الآخرة مقسومة من الصبا ،وهو وقت اللعب ،وبعده لهو واللهو مرتبط بزمن الشباب ،والمفاخرة بالأشكال والمكاثرة بالأموال والأولاد ،فترتبت الحياة على هذه الأحوال ،فوجب تقديم حال "اللعب" على حال "اللهو"

- أما آية العنكبوت فورد فيها تقديم اللهو على اللعب للمبالغة في وصف قصر الحياة الدنيا مقارنة بالآخرة ،وقدم اللهو على اللعب لأن الأزمنة التي يقصرها اللهو أكثر من الأزمنة التي يقصرها اللعب ،لأن التشاغل به أكثر ،فلما كانت معظم ما يستقصر وجب تقديم ما يكثر على ما هو دونه في الكثرة ،لأن ذلك آخذ بالشبه وأبلغ في وصف المشبه ،ولا خلاف أن الناس أزمنتهم المشغولة باللهو أكثر من اللعب ،وأن طيبها لهم يخيل قصرها إليهم ،ويتفاوت طيبها على سب تفاوت ميل النفس إلى محبوبها [1] .

12- التقديم والتأخير بين خلق الإنسان ،ونعم الطعام :(الحرث ،الماء ،النار):

الشاهد قوله تعالى:﴿ **أَفَرَأَيْتُم مَا تُمْنُونَ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ...** ﴾[الواقعة:58،59] ،وقوله تعالى في نفس السورة:﴿ **أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ** ﴾[الواقعة:63].وقوله تعالى بعده: ﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ** ﴾[الواقعة:68]،وقوله عزّ من قائل بعده: ﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ** ﴾[الواقعة:71]. فلماذا ترتبت هذه النعم بهذا الشكل ؟

ذكر الإسكافي أنّ سبب هذا الترتيب يعود إلى أنها ترتّبت ترتيب الأشرف(خلق الإنسان) ،ثم ما به قوامه من فائدة المحراث وهو الطعام الذي لا يستغني عنه الجسد، وذاك الحَبّ الذي يختبز فيحتاج بعد حصوله إلى ما يُعجن به وهو الماء ،ثم إلى النار التي تعيده خبزا ، فحصل الترتيب بين نعم الطعام حسب الحاجة[2] .

- وقد وافق الكرماني وابن جماعة الإسكافي في توجيهه[3] .

- وقد وجّه الغرناطي هذا الشاهد قريبا من التوجيهات السابقة ،وإن اختلف في تفسير ترتيب بعض النعم، فذكر أنّ خلق الإنسان ذُكر أولا لأنّ ذكر المتنعم بالنعم متقدم في الرتبة على

[1] - الإسكافي ،**الدّرة**، ص:87،90(بتصرف).

[2] - نفسه ، ص:323 (بتصرف).

[3] - ينظر: الكرماني ،**أسرار التكرار** ،ص:199 ،وابن جماعة، **كشف المعاني**،ص:348،349 .

ذكـر الـنعم لأنها خُلقـت لـه، لـذلك ذكـره أولا، وعلـل سـبب تقـديم الأكـل علـى الشـرب بـأنّ الأخـير للاسـتمراء ولـيس أوليـا في الغـذاء ،ولا معتمـدا في الجسـوم الحيوانيـة للنمـاء ،واسـتدل بقولـه تعـالى في سـورة الطـور: ﴿**كُلُـوا وَاشْـرَبُوا...** ﴾[الطـور:**19**] ،وأمـا النـار فتتعـدد منافعهـا مـن الانضاج والاسخان والإضاءة ،فهي متممة وليست كالأكل والشرب مدعّمة[1] .

مـن خـلال مـا سـبق يمكـن القـول بـأنّ الترتيـب كمـا ذكـر الإسـكافي كـان ترتيـب الأشـرف فـالأدون ،وإن كان الأدون متعلق بالأشرف ،لأنه قوام حياته .

كانـت هـذه بعـض المتشـابهات اللفظيـة الـتي تضـمنت تقـديما وتـأخيرا بـين أجزائهـا ،ووُجهـت في كتاب"الدرة" بلاغيا؛ حيث رأينا اختلاف الأغراض البلاغية في كل مرة .

[1]– الغرناطي ،**ملاك التأويل** ،مصدر سابق ،ص:466 (بتصرف).

المبحث الرابع: توجيهات بلاغية مختلفة

سنورد ضمن هذا المبحث التوجيهات البلاغية التي اختلفت عما ذكر سابقا (التكرار، اختلاف الفواصل لاختلاف الأغراض، التقديم والتأخير) ، وسنقسمها إلى ثلاثة أنواع: التعريف والتنكير ،الحذف والذكر ، توجيهات بلاغية مختلفة.

المطلب الأول: التعريف والتنكير في المتشابه اللفظي

التعريف والتنكير من أساليب العرب القديمة، وينتمي إلى علم المعاني، يقول "الهاشمي": «من حق المسند إليه أن يكون معرفة ،لأن المحكوم عليه ينبغي أن يكون معلوما ليكون الحكم مفيدا ،ويكون تعريفه بالإضمار أو بالعلمية ،أو بالإضافة ،أو بالإشارة والنداء ،ويؤتى بالمسند إليه معرّفا بأل العهدية أو الجنسية لأغراض منها: تقديم الذكر صيحا ويسمى عهدا صريحا ،أو تقديم الذكر تلويحا ،وإما بحضوره بذاته ،وأل الجنسية وتسمى أل الحقيقة تدخل على المسند إليه لأغراض أربعة:

- للإشارة إلى الحقيقة بغض النظر عن عمومها وخصوصها.
- للإشارة إلى الحقيقة في ضمن فرد مبهم
- للإشارة لكل الأفراد التي يتناولها اللفظ بحسب اللغة
- للإشارة إن كان كل الأفراد مقيدا.
- ويؤتى بالمسند إليه نكرة لأغراض كثيرة منها: التكثير ، التقليل ،التعظيم ،التحقير ،إخفاء الأمر وغيره»[1]

وسنعرض فيما يلي شواهد من الآيات المتشابهات التي تضمنت تعريفا وتنكيرا في أجزائها ،ونستخلص الأغراض البلاغية المستفادة من توجيهها في كتاب "الدرة"

[1] – الهاشمي ،**جواهر اللغة** ،مصدر سابق،ص:108،117(بتصرف).

1- التناوب في تعريف وتنكير لفظ "الحق":

الشاهد قوله تعالى:﴿ .... **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ**... ﴾ [البقرة:61]،وقوله تعالى في سورة آل عمران ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ**... ﴾[آل عمران:21]،قوله تعالى في نفس السورة:﴿.... **وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ**..... ﴾ [آل عمران:112].

- يذكر الإسكافي إن الآية الأولى في "سورة البقرة" والتي وردت فيها اللفظة معرفة تخص قوما عُرفوا وعُرفت أفعالهم ومضت أزمنتهم وأحوالهم، فلما شُهروا شُهر فعلهم بوقوعه منهم، والحق أن يكون قتل النفس في أحد الأوجه المعلومة وهي القتل والردة والزنى ،وقد وقع منهم القتل في غير هذه الأوجه المعلومة(الحق) وزاد بأنهم كانوا يقتلون الأنبياء بغير ذلك الحق زيادة في التشهير بهذا الجرم.

أما الآية الثانية من سورة آل عمران والتي جاءت نكرة(حق) فقد كانت في قوم كانوا يرون قتل الأنبياء حق ويدينون به ،فهؤلاء قوم لم يمضوا ولم ينقرضوا فذلك قال " **فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**"[آلعمران:21]،وقال فيهم: "**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ**....".

والآية الثالثة تخص قوما كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم فقال:" **ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ**" وكان خبرا عن اعتقادهم لأنه لا يجوز أن يعاقبوا وتضرب عليهم الذلة والمسكنة بذنوب وقعت من آبائهم لا منهم فيصيرون مثل الأولين في تمييزهم عن قوم موسى عليه السلام[1].

- فالإسكافي علل سبب ورود لفظة "الحق" معرّفة في سورة البقرة بأنها تخص قوما كانوا في عصر موسى عليه السلام وهم اليهود ،أما آيتا سورة آل عمران فقد نزلتا في اليهود الذين كانوا عي عصر النبي صلى الله عليه وسلم ،فمع معرفتهم بصدق نبوته كانوا حريصين على قتله ،لهذا جاء اللفظ منكرا توبيخا لهم لشناعة فعلهم ،فأفاد اللفظ العموم واختلاف الزمن.
- وقد كان للكرماني رأي آخر في سبب التعريف والتنكير ؛حيث ذكر أنّ سر تعريف لفظة "الحق" فيه إشارة للحق الذي أذن الله أن تقتل النفس به ،وهو قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ**﴾[الأنعام:151]،فكان الأولى ذكره معرّفا، لأنه من الله تعالى، أما ما في سورتي : "آل عمران والنساء" فنكّر "الحق" ،لأنّ المعنى :بغير حق في معتقدهم ودينهم ،فكان هذا بالتنكير

[1] - الإسكافي ،**الدرّة** ،ص:14،15(بتصرف).

أولى[1]،فحصل التعريف لما عرف المراد بالحق وهو الحالات التي أذن الله أن تقتل فيها النفس فقط ، أمّا تنكير لفظة "الحق" فكان المراد به قتل النبيين بغير حق الموجب للقتل حسب دينهم ومعتقدهم .

- وقد وافق ابن جماعة توجيه الكرماني ،وأضاف أنّ الآية الأولى نزلت في قدماء اليهود ،والمراد "بغير الحق" الموجب للقتل عندهم بل قتلوهم (الأنبياء) ظلما وعدوانا، أمّا الآية الثانية فتخُص اليهود في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ،لأنهم كانوا حريصين على قتله صلى الله عليه وسلم ،فوردت اللفظة "الحق" نكرة ،لتكون أعم فتقوى الشناعة عليهم والتوبيخ لهم ،ومعنى "بغير حق" :ظلما وعدوانا[2].

- وكذلك ذهب ابن عطية في أن التعريف للفظة "الحق" فيه تعظيم للشنعة والذنب الذي اقترفوه ،فصُرّح بلفظ "الحق" معرفا لشنعة الذنب ووضوحه ،أمّا التنكير فورد توبيخا لليهود المعاصرين للنبي صلة الله عليه وسلم ومبالغة في التحرير للذنب وكرامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما نجاه الله منهم[3].

2- التناوب في تعريف وتنكير لفظ "القوم":

- الشاهد قوله تعالى:﴿**فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[المؤمنون:41] ، وقوله تعالى:﴿**فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾[المؤمنون:44] ،فاختلفت الفاصلتان: "للقوم الظالمين" بالتعريف ،و" لقوم لا يؤمنون" بالتنكير.

- يذكر الإسكافي أنّ الآية الأولى وردت فيها الفاصلة بالتعريف لأنه سبق التعريف بهؤلاء الظالمين من قبل ؛ حيث قال تعالى:﴿**ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (31) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ...**﴾[المؤمنون:31،32]،،فعُلم المراد بالرسول لما قال تعالى "أخذتهم الصيحة" وهو سيدنا صالح عليه السلام ،لذلك وردت الفاصلة معرّفة ،أما الآية الثانية فمتعلقة بقوله تعالى من قبل :﴿...**ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ**﴾[المؤمنون:42] ، فلما لم يُبيّن المراد بهم كانوا منكورين للمسلمين ،وأمرهم بلفظ الدعاء

[1] - الكرماني ،**أسرار التكرار** ،مصدر سابق ،ص:30،31(بتصرف).

[2] - ابن جماعة ،**كشف المعاني** ،مصدر سابق،ص:99،100(بتصرف).

[3] - ابن عطية ،**المحرر الوجيز**، مصدر سابق،ج1،ص:156،وص:414،415(بتصرف).

عليهم نكّر اللفظ الخاص بهم فقال " لقوم لا يؤمنون" ،أي: أهلك الله كل قوم لا يؤمنون عند ظهور آيات الله لهم ،فأخبر خبرا عاما ،وأمر أن يدعى عليهم دعاء عاما [1].

فعُرِّفت لفظة "القوم" لما عُلم المراد بها من السياق القبلي ،وهم ثمود قوم صالح عليه السلام ،ونكّرت لفظة "القوم" لما كان الخطاب عاما في كل من لم يؤمن بالله وآياته .

- وقد وافق الكرماني توجيه الإسكافي ، وكذلك أبو زكريا الأنصاري ،الذي أضاف أنّ الأولى معرفة تعريف عهد ،والثانية نكرة لخلوها من قرينة تقتضي تعريفها ،وموافقة لما لتنكير ما قبله وهو:"**قرونًا آخرين**" ،أما ابن جماعة فقد اختلف عنهم في تحديد المقصود من الخطاب في الآية الأولى ،فذكر أنهم قوم هود عليه السلام لأنه تعالى قال قبله: ﴿**ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ**﴾،وأول قرن بعد نوح عليه السلام قوم هود ،أما لفظ التنكير فورد لأنه صفة عامة لجميع من لم يؤمن[2] .
- وأضاف صاحب تفسير "التحرير والتنوير": «اللام في "للقوم" للتبيين ،وهي مبيّنة للمقصود بالدعاء زيادة في البيان ،كما في قولهم: سحقا لك وتبا له، فإنّه لو قيل :فبعدا لعُلم أنه دعاء عليه ،فبزيادة اللام يزيد بيان المدعو عليهم ،وهي متعلقة بمحذوف مستأنف للبيان،...ليحصل من مجموع الدعوتين التنبيه على مذمة الكفر وعدم الإيمان ،على أنه يشمل كل قوم لا يؤمنون برسل الله ؛لأنّ النكرة في سياق الدعاء تعم»[3].

3- التناوب في تعريف وتنكير لفظ "البلد":

– الشاهد قوله تعالى:﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا** ﴾[البقرة:126]،وقال تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا** ﴾[إبراهيم:35]،فحصُل التعريف والتنكير في لفظ "البلد".

يُوّجه الإسكافي هذا الشاهد بطرقتين:

أولاهما: أنّ الدعوة الأولى وقعت ولم يكن المكان قد جعل بلدا ،فكأنه قال: اجعل هذا الوادي بلدا آمنا، و بذلك ف"بلد" مفعول ثان ،و"هذا" مفعول أول ،والدعوة الثانية وقعت وقد جعلت بلدا ،فكأنه قال: اجعل هذا المكان الذي صيرته كما أردت ذا أمن ،فيكون "البلد" عطف بيان على

---

[1] – الإسكافي ،**الدرّة** ،ص:220،221(بتصرف).

[2] – ينظر: الكرماني ،**أسرار التكرار**،ص:149،أبو زكريا الأنصاري، **فتح الرحمان**،ص:390،ابن جماعة ،**كشف المعاني** ،مصدر سابق ،ص:267(بتصرف).

[3] – الطاهر بن عاشور ،**التحرير والتنوير** ،مصدر سابق، ج18،ص:60،وص:63(بتصرف).

مذهب "سيبويه" وصفة على مذهب المبرد ،و"آمنا" مفعولا ثانيا، فعرّف حين عرف بالبلدية ،ونكر حيث كان مكانا من الأمكنة غير مشهور بالتمييز عنها بخصوصية من عمارة وسكنى الناس.

ثانيهما: أن تكون الدعوتان واقعتين بعدما صار المكان بلدا ،وإنما طلب من الله أن يجعله آمنا ،وتوجيه ذلك :أنّ آية التنكير في سورة البقرة يحتمل أن يكون قبلها معرفة محذوفة والتقدير : اجعل هذا البلد بلدا آمنا ،فلم يطلب أن يجعل البلد بلدا إنّما أن يجعله آمنا ،ومثاله قولنا: كن ردلا سخيا ،فليس من المعقول أن نأمره أن يكون رجلا ،وإنّما نريد الصفة ،ومثاله كذلك: كان اليوم يوما حارا ،فنجعل يوما خبر كان ،وحارا صفة له ،ولم نقصد أن نخبر عن اليوم بأنّه كان حارا ،لأنه يصير خبرا غير مفيد ،وإنّما القصد أن نخبر عن اليوم الحار ،فكان الأصل أن نقول: كان اليوم حارا، وأعيد لفظ يوم لتجمع بين الصفة والموصوف ،فكأنك قلت: كان هذا اليوم من الأيام الحارة ،فالقصد الصفة دون الموصوف[1].

- تم توجيه الشاهد بطريقتين: إحداهما أن يكون المراد من تنكير "البلد" الواد غير ذي الزرع ،فنكر البلد ليشير إلى أنّه لم يصير كذلك بل كان مجرد واد وكانت الدعوة له ليصير آمنا، وأمّا التعريف للبلد فدل على أنه صار بلدا مأهولا فتمت الدعوة له بالأمن حينذاك.
- ثانيهما أن التعريف والتنكير يدلان على دعوة واحدة للبلد بعدما صار مأهولا ،ولكنها وردت بطريقتين مختلفتين في الكلام.
- وقد استفاض أصحاب كتب المتشابه اللفظي في توجيه هذا الشاهد ،وتقاربت توجيهاتهم مع توجيه الإسكافي ،ومنهم: الكرماني وابن زكريا الأنصاري و ابن جماعة[2].
- وقد وقف أبو السعود وقفة مطولة في تفسير هذا الشاهد ،وخرج بمجموعة من التوجيهات نوجزها فيمايلي:
- 1- أنّ الدعوة هناك(البقرة) البلدية والأمن معها ،وههنا الأمن فقط ،فجعل هذا المفعول الثاني للجعل ،وجعل البلد صفة للمفعول الأول .

2 إن حُمل المعنى على أنه تعداد سؤال ،فتوجيه ذلك :أنه عليه السلام سأل أولا كلا الأمرين فاستجيب له في أحدها وتأخر الآخر لحكمة ،ثم كرر السؤال كما هو معتاد في السؤال فأجيب.

3- أو كانت الدعوة الأولى مجرد الأمن المصحح للسكن كما في سائر البلاد ،وقد أجيب ،وثانيا الأمن المعهود .

---

[1] – الإسكافي، **الدرة** ،ص:23،24(بتصرف).

[2] **ينظر**: الكرماني، أسرار التكرار:ص:35،أبوزكريا الأنصاري ،فتح الرحمان،ص:39،ابن جماعة ،كشف المعاني،ص:105،106.

4- أو كان الأمن هو المسؤول فيهما وقد أجيب إليه أيضا ،لكن السؤال الثاني الاستدامة والاقتصار على ذلك ،لأنّه المقصود الأصلي.

5- أو لأنّ المعتاد في البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف الأمن ،ولأن نعمة الأمن أدخل في استجلاب الشكر ،فذكره بمقام تقريع للكفرة على إغفاله .[1]

- وأضاف "الطاهر بن عاشور بأنّ التعريف في سورة إبراهيم للعهد ،والتنكير في سورة البقرة تنكير نوعية، فهاهنا(سورة إبراهيم) دعا للبلد بأن يكون آمنا ،وفي سورة البقرة دعا للمشار إليه أن يجعله من نوع البلاد الآمنة ،فمآل المفادين متحد[2].
- ويبقى النص القرآني مفتوح الدلالة ،ويمكن استخراج أغراض بلاغية أخرى ،ويبقى أن نشير أنّ الغرض البلاغي من التعريف والتنكير للفظة "البلد" هو الدعاء للبلد الحرام بالبلدية والأمن ،أي أن المعنيين متحدين ،كما أن فيه إشارة وتنبيه لضرورة شكر الله وحمده المستمر على جعل هذا البلد مكان للعبادة وآمنا ليوم القيامة.

4- التناوب في تعريف وتنكير لفظ "خلائف":

- الشاهد قوله تعالى:﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ...** ﴾[فاطر:39] ،وقال تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ...** ﴾[الأنعام:165]، فنُكرت "خلائف" في سورة فاطر ،وعُرّفت بالإضافة في سورة الأنعام.

ربط الإسكافي توجيهه لهذا الشاهد بالسياق القبلي ،فذكر أن السياق القبلي لسورة الأنعام ورد معرفا ،فتضمنت خطابا بألفاظ معرفة ،فأتبع ما في هذه الآية من ذكرهم في موضع المعرفة كذلك ،لأنّ التقدير : وهو الذي جعل كل واحد منكم الخليفة في الأرض الي ورثها عمّن تقدمه ، فمنكم الأعلى ،ومنكم الأوسط، ومنكم الأسفل ،وليس كذلك الأمر في سورة فاطر ،لأنّه تقدمها ذكر أهل النار ،فأخرج "خلائف" مخرج النكرة تناسبا مع ذلك ،والتقدير: جعلكم خلفا لمن تقدمكم غير معلوم، إلا عند الله ما يكون من أمركم ،فأنتم مجهولون عند أشباهكم وأمثالكم ،فمن كفر منكم فضرر كفره عليه ،فكان التنكير أولى هنا ،لأنه لم يتقدمه من أسماء المضمرة التي للخطاب المعرفة بحكم الإضمار ما تقدم في سورة

---

[1] - أبو السعود ،**إرشاد العقل السليم**، مصدر سابق، ج3،ص:267(بتصرف).

[2] - الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير** ،مصدر سابق، ج13،ص:238(بتصرف).

الأنعام ،ثم نزلهم منزلة قوم مجهولين لا يتوقع ما يكون من أمرهم من إيمانهم أو كفرهم ،فلم يجعلوا في حكم الخطاب الأول في قوم بأعيانهم للانقسام الواقع عليهم [1] .

فاختلف غرض التعريف والتنكير للشاهد ،وتضمن معنى المعرفة :الخطاب بالمعرفة تناسبا مع ما تقدم ،وكان المقصود منه خطاب كل فرد برسالة مفادها تمليكه الخلافة في الأرض عمن سبقوه ،وترتيب منزلته في هذه الخلافة ،أمّا الغرض من التنكير في سورة فاطر فكان متناسبا مع التركيب السابق كذلك ،والمقصود بالتنكير أن المخاطبين مجهولون وغير متوقع ما يكون من إيمانهم وكفرهم .

– وكذلك ربط ابن جماعة توجيهه لهذا الشاهد بالسياق القبلي لكل سورة ،فذكر أنّ آية الأنعام تقدمها ما فيه سياق النعم عليهم ،فناسب الخطاب لهم في ذلك بلفظ التعريف الدال على أنهم خلفاؤها المالكون لها، وفيه من التفخيم لهم ما ليس في آية فاطر ،لأنه ورد نكرة ،فليس فيها من التمكن والتصرف ما في الأولى[2] .فاقترب توجيهه من توجيه الإسكافي ،لأنهما اعتمدا على سياق كل سورة وربطاه باستنباط الغرض.

– وقد رأى السيوطي أن آية الأنعام تعد من براعة الختام ،لأنها جمعت الأحوال الثلاث: المبدأ بقوله : "**جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ**"، وضمير الإشارة إلى الفراغ والانقضاء بلفظ "خلائف" لما فيه من الاشعار بذلك ،ثم المعاش الدنيوي، فاشتملت هذه الجملة على جميع المراتب بأنواعها: مالا ورزقا ،وصحة وقوة وحسنا وعلما وأضدادها ،وذكر العلة في ذلك : "**لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ**"[الأنعام:165]،،فتضمنت حال الإنسان في الحياة دينا ودنيا ،ثم خت بذكر البعث والذي يظهر فيه أثر الابتلاء بالعقاب والثواب[3].

– وافق الطاهر بن عاشور توجيه الإسكافي في آية "فاطر" وذكر أنّ المعنى: هو الذي أوجدكم في الأرض فكيف لا يعلم ما غاب في قلوبكم ،وبذلك يكون المقصود بضمير جماعة المخاطبين شاملا للمؤمنين وغيرهم ،ورأى في آية الأنعام بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم بأن" الله قدّر أن يكون المسلمون أهل سلطان في الأرض بعد أمم تداولت سيادة العالم ،ويُظهر بذلك دين الإسلام على الدين كله، والجملة الاسمية مفيدة تقوى الحكم الذي هو جعل الله المخاطبين خلائف في الأرض[4].

---

[1] – الإسكافي، **الدرّة** ،ص:267،266(بتصرف).

[2] – ابن جماعة ،**كشف المعاني** ،مصدر سابق،ص:303(بتصرف).

[3] – السيوطي، **قطف الأزهار** ،مصدر سابق،ص:970(بتصرف).

[4] – الطاهر بن عاشور ،**التحرير والتنوير**، مصدر سابق،ج22 ،ص:322(بتصرف).

5- التناوب في تعريف وتنكير لفظ "المعروف":

- الشاهد قوله تعالى:﴿ ...**فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾[البقرة:234]،وقال تعالى في نفس السورة : ﴿ ...**فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾[البقرة:240]، فعرفت لفظة "المعروف" في الآية الأولى ،و نُكّرت في الآية الثانية .

- يوّجه الإسكافي الآية الأولى بعد تعريفه للفظة المعروف• ،والمقصود بها: أمر الله المشهور وشرعه الذي حث عليه عباده ،والمعنى في الآية: يفعلنّ في أنفسهن بالوجه المعروف المشهور الذي أباحه الشرع ،دل الله عليه بلفظة "المعروف" ،وقُصد به :التزوج بعد انقضاء العدة ،ودلت الباء "بالمعروف" على الالصاق ،أمّا سبب تنكير لفظة "المعروف" للدلالة على وجه من وجوه الأفعال التي لهن فعلها من تزوج أو قعود، ودلت لفظة "مِن" على البعضية (من معروف).

- وذكر الطاهر بن عاشور الغرض البلاغي لتعريف لفظة "المعروف" تغليظا لمن يتحرج من فعل غيره ،كأنه يقول لو كانت المرأة ذات تعلق شديد بعهد زوجها المتوفي لكان داعي زيادة تربصها من نفسها ،فإذا لم يكن لها ذلك الداعي فلماذا التحرج مما تفعله في نفسها ،ثم بيّن الله ذلك وقيّده بأن يكون "بالمعروف" نهيا للمرأة أن تفعل ما ليس من المعروف شرعا وعادة :كالإفراط في الحزن المنكر شرعا ،أو التظاهر بترك التزوج بعد زوجها ،تغليظا للذين ينكرن على النساء تسرعهن للتزوج بعد العدة ،ورأى أنّ التعريف في لفظة "المعروف" تعريف الجنس ،وهو والنكرة سواء[1].

- نلاحظ أنّ تعريف لفظة "المعروف" قيّد دلالته ،وجعلها تدل على الزواج ،أما تنكيرها فوسّعها ودل على عدة أفعال ووجوه تستطيع الأرملة فعلها وكل ذلك في إطار الشرع والعادة كالتزوج ،أو القعود ،أو السفر...الخ.

• **المعروف**: اسم لكل فعل يُعرف بالعقل والشرع حسنه ،ينظر: السمين الحلبي(أحمد بن يوسف بن عبد الدايم (ت756هـ) ،**عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ** ،تح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية،بيروت،1996،ط1 ،ج3 ،ص:61(مادة ع ر ف).

[1] – الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج2 ،ص:446، وص:474(بتصرف).

المطلب الثاني: الحذف والذكر في المتشابه اللفظي

الحذف والذكر أحد أساليب العرب في الكلام، وهو يندرج تحت علم المعاني، وله طرق وكيفيات عديدة، ونجده كثيرا في القرآن الكريم وهو أحد أنواع المتشابه اللفظي كما أسلفنا الذكر، وتتبين أهميته حسب عبد القاهر الجرجاني في أنه " باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ ،عجيب الأمر ،شبيه بالسحر ،فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك ألطف ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"[1] ،وتتعد الأغراض البلاغية لهذا الأسلوب حسب السياق، وقصد المتكلم، وقد عدد الهاشمي بعضا من هذه الأغراض منها: المحافظة على السجع، اختبار تنبه السامع ،تكثير الفائدة ،اخفاء الأمر ...[2] ،وسنعرض في هذا المبحث بعضا من المتشابهات اللفظية التي تضمنت ذكرا وحذفا في بعض أجزائها وتم توجيهه بلاغيا ثم نستشف من خلالها مختلف الأغراض البلاغية.

1- التناوب في حذف وذكر لفظة "رغدا":

- الشاهد قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [البقرة:58]،يقابلها قوله تعالى في سورة الأعراف:﴿**وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ**﴾[الأعراف:161]،فحصل الحذف والذكر في لفظة "رغدا"

- يُرجع الإسكافي سبب هذا الذكر والحذف هو أنه لما أسند الفعل لله عز وجل أتى باللفظ الذي يليق بمقامه الأشرف فذكر معه الانعام الأجسم وهو أن يأكلوا رغدا(سعة العيش[3])،ولما لم يسند الفعل في سورة الأعراف لله عز وجل لم يذكر معه ما ذكر في سورة البقرة من الاكرام الأوفر.

فكان الحذف والذكر تناسبا مه نوع المسند إليه وقيمته ،فناسب ذكر اللفظ الأجسم والذي يدل على التكرم الوافر و المقام الرفيع لصاحبه لتعظيمه ،وناسب الحذف من هو دونه[4].

- وقد خالف الغرناطي الإسكافي حيث يرى أن الحذف في سورة الأعراف حصل لتضمنها معنى "الرغد" من خلال مفهوم السكنى وهو الملازمة والإقامة مع الأمر بالأكل ،مع انضمام معنى الامتنان

[1] - عبد القاهر الجرجاني ،**دلائل الاعجاز** ،مصدر سابق،ص:146.

[2] - السيد أحمد الهاشمي ،**جواهر البلاغة** ،مصدر سابق،ص:103،104(بتصرف).

[3] -الخليل بن أحمد الفراهيدي ،**كتاب العين** ،تح عبد الحميد هنداوي ،دار الكتب العلمية،بيروت،2003،ط1، ج2،ص:133.

[4] - الإسكافي ،**الدرّة** ، ص:10،11(بتصرف).

والإنعام المقصود في الآية وكل ذلك مشعر ومعرف بتمادي الأكل وقوة السياق مانعة من التحجير والاقتصار فحصل معنى الرغد ووقع الاكتفاء بهذا المفهوم الحاصل قطعا من سياق آية الأعراف ،ولو لم يرد في سورة البقرة لم يفهم من سياق الآية كفهمه من سياق آية الأعراف [1].

– إذن يرتبط الذكر والحذف حسب الإسكافي حسب قيمة ومكانته المنعم ، فناسب الذكر المقام الرفيع لتعظيمه ،وناسب الحذف من هو دون ،بينما يرى ابن الزبير أن حذف لفظة "رغدا" من سورة الأعراف راجع لأن سياق الآية يدل عليها ومتضمن لها ،ولأن سورة البقرة قبلها قد ذكرت فيها هذه اللفظة فكان هذا هو السبب في حذفها عل سبيل الاختصار ،وكلا التوجيهين وارد وجائز.

2– التناوب في حذف وذكر الجار والمجرور "منهم":

– الشاهد قوله تعالى: ﴿**فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ** ﴾[البقرة:59]،يقابلها قوله تعالى في سورة الأعراف:﴿**فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ**﴾[الأعراف:162]، فحصل الحذف والذكر في الجار والمجرور "منهم"

– يُرجع الإسكافي سبب هذا التشابه إلى اختلاف سياق السورتين ،حيث أن الخطاب في سورة البقرة عام وموجه لكل الظالمين الموصوفون بالتبديل لما قدِّم إليهم من القول لذلك حُذفت "من" الدالة على التخصيص ،أما في سورة الأعراف فلأنها مسبوقة بتخصيص نوع المخاطبين من قبل في قوله عزّ وجل:﴿**وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ** ..... ﴾[الأعراف:159]، أتي بلفظ يفيد تخصيص وتمييز هؤلاء الظالمين ،وهم فئة من قوم موسى عليه السلام بدلت ما قيل لها[2].

.فبلاغة الذكر والحذف هنا راجعة لاختلاف نوع المخاطبين ، كما وردت القصة في سورة البقرة على العموم للتقريع والتخويف ،أما سورة الأعراف فجاءت للتخصيص والتمييز.

وذهب كل من الغرناطي وابن جماعة إلى قريب من توجيه الإسكافي ،فذكرا أن "**الَّذِينَ ظَلَمُوا** " هو لفظ عام وزادت سورة الأعراف تخصيصا وتمييزا بما يعطيه لفظ "منهم" ،و أضاف ابن جماعة أن سورة الأعراف سبق تبعيض الهادين فيها بقوله تعالى: ﴿ **وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى**... ﴾[الأعراف:159] فناسبه تبعيض الظالمين منهم بقوله "**الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ**" ،و في سورة البقرة إشارة إلى سلامة غير الذين ظلموا

---

[1] – الغرناطي ،**ملاك التأويل** ،مصدر سابق ،ص:37(بتصرف)

[2] – الإسكافي ،**الدرّة** ،ص:14،13(بتصرف).

لهذا فورد التصريح فيها بالإنزال على المتصفين بالظلم ، والارسال أشد وقعا من الانزال ،فناسب سياق ذكر النعمة في البقرة وختمت ب"يفسقون" ولا يلزم منه الظلم ،والظلم يلزم منه الفسق فناسب كل لفظ سياقه [1] .

– لقد ورد في حاشية تفسير الكشاف لمحقق الكتاب نقلا عن عدة تفاسير أن زيادة "من" في آية الأعراف وذلك لأن مبنى القصة على التمييز بلفظة "من" (موافق لتوجيه الإسكافي) ،وأضاف أن سورة البقرة بناء القصة فيها مبني على التقريع والتخويف ،لهذا ورد التعبير للجميع ؛لأن الكل يتحمل تبعة البعض[2].

وكذلك فسّر الشعراوي دلالة لفظة "منهم" على التبعيض ،فقال: هذه الآية تدل على أنهم (بنو إسرائيل) افترقوا فرقتين ،لأن الحق سبحانه مادام قد قال "منهم" فهذا يعني أن بعضهم قالوا وفعلوا المطلوب ،وبعضهم ظلموا وبدلوا القول[3]

3– التناوب في حذف وذكر شبه الجملة "إلى أجل مسمى":

الشاهد قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ**﴾[فصلت:45] ،وقوله تعالى:﴿ **وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ** ﴾[الشورى:14]

– وجه الإسكافي الآية الأولى بقوله أنها تتضمن إخبار الله تعالى عمّا أتاه موسى من التوراة واختلاف اليهود فيها كاختلاف الكفار في عصر النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن فلولا أن الله قضى أن يوفي المطيع والعاصي حقه من الثواب أو العقاب في الآخرة لأنزل بكل منهم ما يجب عليه عند فعله في الدنيا ،فاخبر عن امهاله إياهم لما سبق من الحكم ،وقوله في تأخير المستحق من الثواب والعقاب إلى الآخرة ،وخُصت سورة الشورى ب" **أَجَلٍ مُسَمًّى** " لأنه ورد قبلها " ﴿ **وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ** ﴾فأخبر ببداية كفرهم وهو انكارهم الرسالة بعد مجيئ العلم أي القرآن ، ومن لابتداء الغاية وكان

---

[1]– ينظر: الغرناطي ،**ملاك التأويل** ،مصدر سابق ،ص:38،39،وابن جماعة ،كشف المعاني ،مصدر سابق،ص:98(بتصرف).

[2] – الزمخشري، **الكشّاف**، مصدر سابق، ج1،ص:273(هامش المحقق).

[3] – الشعراوي ،**خواطر الشعراوي** ،مصدر سابق،ج7،ص:4403.

ذلك ابتداء كفرهم ذكرت النهاية التي أمهلوا إليها لتكون ابتداء عقابهم فيكون الحد مع الحد بين الطرفين. أي أن آية فصلت لم تسبق بذكر الغاية أي انكار الرسالة بعد نزولها فلم تذكر الاحالة عليها ،وبالمقابل فإن الآية في سورة الشورى قد سبقت بذكر الغاية والأجل وهي انكار الرسالة بعد نزولها فناسبها الاحالة عليها بذكر الأجل المسمى[1] .

- وذهب الغرناطي إلى نفس توجيه الإسكافي فذكر أن آية الشورى سُبقت بذكر الغاية والأجل وهو قوله تعالى:﴿ **وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ** ﴾[الشورى:7]،فهذا هو الوقت الموعود والأجل المسمى، فلما تقدم وافقت الاحالة عليه " **أَجَلٍ مُسَمًّى** " ،ولم تتضمن آية فصلت ذلك[2].

فتم توجيه هذا الحذف تناسبا مع تركيب كل سورة ،وبحسب اختلاف المخاطبين ومحتوى الخطاب وخصوصيته لكل طرف .

4- التناوب في حذف وذكر جملة "ولا في السماء":

الشاهد قوله تعالى : ﴿ **وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ** ﴾[العنكبوت:22]،وقوله تعالى:﴿ وَمَا **أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (31) وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ** ﴾[الشورى:31،32] .

وجّه الإسكافي هذا التشابه بحسب اختلاف أحوال المخاطبين ،فلآية الأولى خطاب ووعيد لقوم إبراهيم عليه السلام وعلى رأسهم النمرود الذي رام الصعود للسماء كما أراده فعون لما أمر هامان ببناء الصرح ،فردّ عليهم إبراهيم عليه السلام وتوعدهم بأن العذاب ينالهم في الأرض والسماء، أما الآية الثانية والتي تضمنت الحذف فلدلالة على عموم المصائب وخصوص المخاطبين ،وهم المسلمين الذين تصيبهم المصائب ليس لجرم منهم ،وكذلك من لم يبلغ حد التكليف ،فيجب عقابه على ذنب يكون منه ،وذكر أنه يمكن أن يكون اللفظ عاما والمعنى خاصا كمثل هذا الموضع ،واستدل على أن الخطاب يخص المسلمين بقوله تعالى من قبل: ﴿...وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾[الشورى:30] ،فيتجاوز عن الذنوب ولا يكون ذلك للكفار ،ثم أتبعه بقوله: "وَمَا **أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا**

[1] - الإسكافي، **الدرة** ،ص:288(بتصرف).

[2] - الغرناطي ،**ملاك التأويل**،ص:435(بتصرف).

نَصِيرٍ" ،وعُلم هنا أنه وعيد لهم ،ومعناه لا تسلكون مسلكا تلتجئون إليه من عقاب الله إذا وجب عليكم .

وأشار الإسكافي للآراء أخرى في توجيه الآية الأولى فذكر أن معناها لا تفوتون من في الأرض من الإنس والجن ولا في السماء من الملائكة ،وهم خلق الله ،فكيف تعجزون الخالق تعالى عن ذلك.

وقيل معناها لا تفوتون أنفسكم ما يحق من عقاب الله عليكم إن هربتم في الأرض كل مهرب ،وإن صعدتم في السماء كل مصعد لو استطعتموه[1].

- بنى الغرناطي توجيهه لهذا الشاهد على السياق القبلي ،فذكر أنه تعالى قال في مستهل السورة: ﴿ **وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾[العنكبوت:4]،ذكر أن هذا يعد من أشد الوعيد ،معناه أنه لا يفوته سبحانه أحد ولا مهرب منه تعالى إلا إليه ،فناسبه قوله : "**وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ**" ،ولما لم تتضمن آية الشورى هذا الوعيد الشديد ولا كان فيها ما يستدعي في هذا التعميم والاستيفاء الوعيدي ،فوردت السورة مناسبة لذلك[2].

وأضاف السامرائي أن الكلام في سورة العنكبوت هو على الكفار وتهديدهم وتوعدهم ،لأن جو السورة إنما هو في ذكر الأمم الكافرة وموقفهم من رسلهم وعقوباتهم ،فذكر قوم نوح وإبراهيم ولوط...الخ فناسب ذلك شدة التهديد والتحذير فيها ،ولم يذكر شيئا من ذلك في الشورى [3].

باستقراء الآراء السابقة نخلص أن ذكر "ولا في السماء" كان لغرض تشديد التهديد والتحذير والتيئيس من العقوبة وخُص بهذا الخطاب الكفار ،أما حذفها فدل على عموم الخطاب.

---

[1]- الإسكافي ،**الدرة** ،ص:241،242(بتصرف).

[2]- الغرناطي ،**ملاك التأويل** ،مصدر سابق ،ص: 389،390(بتصرف).

[3]- السامرائي ،**أسئلة بيانية في القرآن الكريم** ،مكتبة الصحابة ،الشارقة الامارات العربية المتحدة ، 2008، ط1 ،ص: 142(بتصرف).

5- التناوب في حذف وذكر جملة "سوف تعلمون":

– الشاهد قوله تعالى:﴿ ...**فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ**... ﴾[الأعراف: 123،124]، وقال عز وجل في سورة طه :﴿ ...**إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ**... ﴾[طه:71]،وقال في سورة الشعراء: ﴿ ... **إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ**... ﴾[الشعراء:49]، فوردت " **فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**" ،و "**لأقطعن**" في سورة الأعراف ب"الفاء" في "**سَوْفَ**" ،وبحذفها في "**لَأُقَطِّعَنَّ**"، وحُذفت " **فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**" بالكامل في سورة طه ، وأُضيفت "الفاء" في "**لأقطعن**" ، وأُضيفت "اللام" **في** "**فَسَوْفَ**" في سورة الشعراء .

وجّه الإسكافي هذا التشابه بحسب النظم الذي نُسِجت به كل سورة ، فذكر أنّ سورة الشعراء هي الأكثر اقتصاصا لأحوال موسى عليه السلام في بعثه وابتداء أمره وانتهاء حاله مع عدوه ؛ لذلك تم الجمع فيها من خلال هذا الشاهد بين لفظ الوعيد المبهم (في " **فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**") مع اللفظ المقرب له المحقق لوقوعه ، وذلك يفهم من دلالة حرف "اللام" الدالة على الحال و "سوف" الدالة على الاستقبال ،فالجمع بينهما يفيد تحقيق الفعل وإدنائه من الوقوع ، إلى اللفظ المفصح بمعناه المستفاد من قوله "**لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ**".

أمّا سورة الأعراف فتضمنت معنى التعريض بالوعيد المبهم في قوله "**فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ** "،وهذا النوع من الوعيد أبلغ من الإفصاح ،ولكنه قرن إليه بيانه وهو: "**لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ**" ؛ وبذلك جمعت الآية بين التعريض بالوعيد والإفصاح بالتهديد معا .

أمّا سورة طه فقد اقتصرت على الافصاح والتصريح بالوعيد ،وورد بدل حذف التعريض في "**فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ** "ما يقاربه في قوله تعالى: ﴿...**وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى**﴾[طه:71]،فدلت "اللام" و"النون" في "**لَتَعْلَمُنَّ**" وهي للقسم على تحقيق الفعل وتوكيده بمقابل توظيف "اللام" في سورة الشعراء في :"**فَلَسَوْفَ**"
التي دلت على إدناءِ الفعل وتقريبه[1] .

فتقاربت الأغراض البلاغية بين السور الثلاث ذات القصة الواحدة ؛ودلت على التعريض بالوعيد والإفصاح عنه وتقريب وقوعه ، و حقق ذلك التناوب في ذكر وحذف بعض الألفاظ (الفاء، اللام، سوف ،القسم) ،وورد كل ذلك متناسقا ومتناسبا مع نظم كل سورة وبنائها العام .

---

[1]- الإسكافي ،**الدرّة**، ص:131،132(بتصرف).

6- التناوب في حذف وذكر حرف التوكيد "اللام ":

سنورد في هذا الجزء بعضا من الشواهد التي تضمنت ذكرا وحذفا في حرف التوكيد اللام ،لنتعرف على أغراضها البلاغية في كل مرة:

1- الشاهد قوله تعالى:﴿ **إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾[غافر:59] ،وقوله تعالى :﴿ **إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا**﴾[طه:15].

- ذكر الإسكافي أن اللام التي تقع في خبر إنّ أو اسمها إذا حلّت محل الخبر تؤكد الكلام ،وأن العرب تحرض على التوكيد في موضعه ،وتركه في غير موضعه ،ولما كان الخطاب في الآية الأولى لقوم كفار ينكرون قيام الساعة ،ولما قال تعالى من قبل: ﴿**لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[غافر:57] ،والمعنى: أن القادر على خلق السموات والأرض قادر على خلق الناس ،ومن قدر على خلق الناس أولا قادر على خلقهم ثانيا ،وهذان مواضع التوكيد ،وتحقيق الخبر أنّ الساعة حق و أنها آتية لا ريب في ذلك لذلك أكد الكلام ،أما الآية الثانية فهي خطاب لمن لا ينكر البعث ،وهي ضمن كلامه تعالى لموسى عليه السلام ،فلم يكن موسى عليه السلام ممن ينكر البعث فيؤكد له الكلام ،والمعنى هنا تحميل موسى عليه السلام هذا الخبر (قيام الساعة والبعث) ليعلم قومه به لذلك لم يؤكد الكلام هنا [1] .

فاختلفت الآيتان باختلاف المخاطبين ،فلما كان المخاطبون في الآية الأولى منكرون للبعث وقيام الساعة تطلب ذلك توكيد الخبر ،فوظفت "اللام" هنا ،ولما كان المخاطب في الآية الثانية ممن لا ينكر ذلك لم يؤكد الخبر .

2- الشاهد قوله تعالى:﴿ ...**وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ** ﴾[الزخرف:13،14] ،وقوله تعالى في سورة الشعراء:﴿ **قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ** ﴾[الشعراء:50].فأكّد خبر إنّ باللام في الآية الأولى" **لَمُنْقَلِبُونَ**" ،ولم يؤكد في الآية الثانية "**مُنْقَلِبُونَ**".

قال الإسكافي:« إن معنى قوله تعالى: "**وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا**" إلى آخر الآية لتذكروا إنعام الله عليكم وتشكروه وتخالفوا الكفار بأن تقرّوا بما أنكروه ،فتؤمنوا بالبعث والحياة بعد الموت ،وهذا خطاب لكل من كان في ذلك العصر ،ومن يكون بعدهم إلى انقضاء الدهر ،فالتوكيد لمثله لازم ،وفي

[1] - الإسكافي ،**الدرة**، ص:281،282(بتصرف).

الكلام الذي للتأييد واجب ، والذي في سورة الشعراء إنما هو خبر عن السحرة لما آمنوا ووصفوا حالهم واستهانتهم بما خوفوا أن ينالهم من عقوبة فرعون ، إذ كان منقلبهم إلى ربهم وكانوا مجازين على إيمانهم وصدقهم وصبرهم ،فلم يحتج من التوكيد إلى ما احتاج إليه ما هو على التأييد»[1] .

إذا فلما كان الخطاب يخص فئة من المؤمنين الذين لا ينكرون البعث لم يحتج السياق لذكر التوكيد ،فحُذفت "اللام" ،ولما كان الخطاب يخص كل الناس لقيام الساعة ،تطلب ذلك ذكر التوكيد (توظيف اللام) لشكر النعم ومخالفة الكفار في الايمان بالبعث والنشور.

3- الشاهد قوله تعالى:﴿ **وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** ﴾[الشورى:43]،وقال عزّ وجل: ﴿ **يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** ﴾ [لقمان:17]،فأكّدت الآية في سورة الشورى باللام ،وخلت سورة لقمان من ذلك.

وجّه الإسكافي كل آية بحسب سياقها والمعنى المقصود منها، فقد تضمنت الآية الأولى من سورة الشورى حثا وتحضيضا وترغيبا على فعل يشق على الانسان فعله في العادة وهو الصبر على من جنى عليه وظلمه جراء المنافع الكثيرة المتحصلة من ذلك ومنها جزيل الثواب وإصلاح ما بين عشيرة المظلوم والظالم ، وهذا يُعد من أصعب الأمور وأشق ما يتحمله الإنسان لذلك أكّد الله تعالى ثواب من يفعل ذلك ،ولما كان المعنى في الآية الثانية عاما ولم يختص بالصبر على ظلم يلحقه ترغيب في العفو ،ولما كان الأمر في مختلف الشدائد التي تصيب الانسان ولا يمكن الانصار فيها ولا تدعو دواعي فيها للانتقام لها من الرزايا في الأنفس والأموال لم تحتج لتوكيد الكلام، وبذلك لما كان الموضع الذي أبيح فيه الاتصاف بالصبر فيه أحق وكظم الغيظ معه أشد احتاج فيه الكلام للتوكيد ، فالصبر على من قتل له بعض أحبته رغبة فيما وعده الله من الثواب ليس كالصبر على من مات له بعض أحبته ،فاحتاج الموضع الأول للتوكيد ولم يحتج له الثاني[2].

- وجّه الكرماني هذا الشاهد بنفس توجيه الإسكافي وبإيجاز ،فقال: لأن الصبر على وجهين: صبر على مكروه ينال الانسان ظلما ،كمن قتل بعض أعزّته ،وصبر على مكروه ينال الإنسان ليس بظلم ،كمن

---

[1] - الإسكافي ،**الدرة** ،ص:295.

[2] - نفسه ،ص: 291،292(بتصرف).

مات بعض أعزته ،فالصبر الأول أشد والعزم عليه أوكد ،- فأكد باللام لما تضمنت سورة الشورى النوع الأول، وفي لقمان النوع الثاني فلم يؤكده[1].

4-الشاهد قوله تعالى:﴿ **قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ** ﴾[الشعراء:50]،وقال عزّ وجل: ﴿... **وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ** ﴾ [الزخرف:13،14]،فأكّدت الآية في سورة الزخرف باللام ،وخلت سورة الشعراء من ذلك.

ردّ الإسكافي علة ذلك للاختلاف نوع الخطاب وأطرافه ؛حيث وردت الآية الثانية عامة ،وخُصّ الخطاب فيها لمن كان في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ،ومن يكون بعدهم إلى قيام الساعة ، ومعناها: لتذكروا إنعام الله عليكم وتشكروه وتخالفوا الكفار بأن تقرّوا بما أنكروه ،فتؤمنوا بالبعث والحياة بعد الموت ،فالتوكيد هنا لازم ،أما الآية الثانية فتخص السحرة لما آمنوا ووصفوا حالهم واستهانتهم بما خوّفهم به فرعون ،بأن منقلبهم لربهم وهم مجازين على إيمانهم ،فلم يحتج هذا الموضع للتوكيد[2] .

وافق الكرماني التوجيه السابق واختلف في بعض التفاصيل ،فذكر أن الآية الثانية عام لمن ركب سفينة أو دابة ،ومعناه منقلبون إلى ربنا على مركب آخر وهو الجنازة ،فحسن إدخال اللام على الخبر للعموم ،وما في الشعراء كلام السحرة ولم يكن فيه عموم[3] .

7- التناوب في حذف وذكر شبه جملة " مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ":

- الشاهد قوله تعالى:﴿ **سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ...**﴾[الأنعام:148]،وقال عزّ وجل في سورة النحل: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ...** ﴾ [النحل:35]،فذكر "**مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ**" في سورة النحل ،خلت سورة الأنعام من ذلك.

ردّ الإسكافي سبب ذلك لاختلاف دلالة اللفظتين: الشرك والعبادة،،فالإشراك يدل على إثبات شريك لا يجوز إثباته ،والعبادة لا تدل على إثبات معبود لا يجوز إثباته ،لأنها تدل على معبود هو مثبت لا

---

[1]- الكرماني، **أسرار التكرار** ،مصدر سابق ،ص:190(بتصرف).

[2] – الإسكافي، **الدرّة** ،ص:295،296(بتصرف).

[3] – الكرماني، **أسرار التكرار** ،مصدر سابق ،ص:192(بتصرف).

يصح نفيه ،فقوله:"**مَا عَبَدْنَا**" غير مستنكر أن يعبدوا غير الله شيئا ،فكان تمام المعنى بذكر :" **مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ**" ، لم يحتج بعد قوله: "**مَا أَشْرَكْنَا**" ،لأن الاشراك دال على أن صاحبه يحرم شيئا دون الله ولا يدل "**عَبَدْنَا**" على ذلك[1].

- لاحظنا من خلال هذا الفصل كثرة التوجيهات البلاغية المبثوثة في كتاب الدرة، و أكثرها مبحث التكرار ،وكان الإسكافي في كل مرّة يوجد الغرض البلاغي المناسب، ويليه مباشرة من حيث الكم مبحث اختلاف الفواصل والمقاطع لاختلاف الأغراض البلاغية ،وكذلك يُعد هذا المبحث من أثر المباحث البلاغية الموّجهة في كتاب الدرة، وقد عرضنا نماذجا لبعضها فقط لنتبيّن المنهج ونخرج بحكم عام على كيفية توجيهها كما رأينا ،ولا يخلو كتاب الدرة من التوجيهات البلاغية الأخرى كالحذف والذكر والتعريف والتنكير ،فالتوجيهات البلاغية متنوعة وغزيرة المادة في كتاب الدرة ،ونستطيع كذلك إفراد مؤلف خاص بها فقط يتسع لمئات الصفحات .

[1] – الإسكافي، **الدرة** ،ص: 97،98(بتصرف).

خاتمـــــــــــة

تم بحمد الله تعالى وفضله هذا العمل الموسوم: **التوجيه اللغوي للمتشابه اللفظي في القرآن الكريم " كتاب درة التنزيل وغرة التأويل للإسكافي نموذجا"**، والذي بحثنا في ثناياه على وحدات العنوان (**التّوجيه، المتشابه اللفظي، الإسكافي وكتابه**)، ثم عرّجنا على منهج الإسكافي في التّوجيه، وعلى الأدوات والطرق الموظفة في ذلك، وقد توصلنا إلى النتائج التالية:

- أظهر البحث مدى فعالية المنهج المتبع في توجيه المتشابهات اللفظية، والذي كان له الأثر الفعال في تحديد وترتيب واستنباط الحِكم والأسرار من وراء تلك المتشابهات، حيث كان الإسكافي بعدما يحُدد الآيات المتشابهات يمُهد بمقدمة يشرح فيها الاختلاف، ثم يُذيّله بتساؤل يثير انتباه القارئ تشويقا لمعرفة الجواب؛ ليجعل القارئ مُشاركا له في الوصول إلى الحكمة من التشابه بطريقة مُرتبة وتدريجية سلسة تفضي في النهاية للجواب المقنع الشافي .

- أحصينا المتشابهات اللفظية في كتاب "الدُرّة " والتي بلغت أربعا وسبعين ومائتين(274) آية متشابهة، وُجهت كُلّها توجيها لغويا، إمّا نحويا، أو صرفيّا، أو بلاغيّا...الخ إلا ثلاث متشابهات فقط ،فقد وُجّهت توجيها غير لغوي، وهي :

- الآيات: 80-83 من سورة الأعراف بمقابل الآيات: 54-58 من سورة النمل ،بمقابل الآيات:28-30 من سورة العنكبوت والتي وُجّهت بحسب ترتيب السور في المصحف وبحسب ترتيب النزول فقط.

- والآية الخامسة من سورة السجدة بمقابل الآية الرابعة من سورة المعارج ،والتي وُجهت بحسب تقدير الإسكافي، فلم يُعتمد في توجيهها على شيء من المستويات اللغوية إلا شرحه للمعنى العام فقط .

- والآيتان:16-17 من سورة الجاثية في مقابل الآية: 93 من سورة يونس، وُجّه هذا الشاهد بحسب الاختصار والايجاز، وذلك بمقارنة الآيتين مع بعض من حيث عدد الألفاظ ،ومع غيرهما من الآيات التي تضمنت نفس القصة .
- الآيتان:10-11 من سورة النمل بمقابل الآيتان 31-32 من سورة القصص، فقد اقتصر في توجيهها على قاعدة أنّ الحكايات ليس يُشترط فيها إذا أُديت معانيها دون ألفاظها استيعاب جميعها في مكان واحد ؛ بل يجوز التفريق في أماكن كثيرة، وقد اقتصر كذلك في توجيهها على شرح بعض العبارات والجمل فقط.
- وكذلك الأمر بالنسبة للآيتين: 12-13 من سورة الأعراف في مقابل الآيات: 32-34 من سورة الحِجر فقد اقتصر فيهما الإسكافي بالقول من أنّ اقتصاص ما مضى إذا لم يُقصد به أداء الألفاظ بأعيانها ،وإنما المقصود ذكر المعاني ،فإن الألفاظ إذا اختلفت وأفادت المعنى المقصود كان اختلافها واتفاقها سواء، فيُفهم من خلال هذا التوجيه أنه اعتمد على القصدية ،إذ يمكنُ اعتباره مبحثا غير لغوي من باب تركيزه على سياق المقام، ومن جهة أخرى يمكن النّظرُ إليه على أنه مبحث لغوي ؛كون القصدية من أهم مباحث علم التداولية ،وهو علم لغوي مستحدث، فهذه خمسة شواهد وُجّهت توجيها غير لغوي ، أما باقي المتشابهات فقد وُجّهت كلّها لغويا كما رأينا.
- استخلصنا من خلال البحث أن الإسكافي ينتمي لفئة العلماء المنكرين لوجود الترادف في القرآن الكريم؛ وذلك بتناوله لأكثر من أربع وعشرين مفردة وُظّفت في سياق الترادف، نزعمُ أنها مُترادفة، ولكن الإسكافي أوجد لها فروقا دقيقة مختلفة المعنى؛ فاختلفت بذلك عن نظيرتها ،وحَملت معان جديدة وإن كان السياق العام يجمعهما دائما.

- تضمن كتاب "الدُرّة" خمسة متشابهات لفظية فقط تنتمي للمشترك اللفظي ،وقد تنوعت معانيها ،وهي :الناس، الميزان، التقدير، البلد ،القمر ،ولاحظنا رغم أن معناها واحد أنّ الإسكافي يُصرُّ على عدم تطابقها في المعنى انتصارا لمذهبه الرافض لوجود التكرار في القرآن الكريم.

- ومن مباحث علم الصوت المتناولة في كتاب "الدُرّة": الادغام، الحذف ، الانسجام الصوتي بتناسب الفواصل ،انسجام الصوت من خلال تغاير الصيغ، الخصوصية النطقية لبعض حروف الهجاء :كالظاء والقاف، وقد وظف الإسكافي أثناء توجيه مثل هذه المتشابهات مصطلحات صوتية وعروضية: كالردف، التخفيف، الثقل، الادغام ،الاسكان ،حروف الصلة والمد ،طول الكلام ،المكرر، المعاد...الخ.

- ومن المباحث الصرفية المتضمنة في كتاب "الدُرّة" وهي من أكثر الشواهد :أنواع الجموع ،التناوب بين أنواع الجموع ،الجمع والإفراد، التذكير والتأنيث، تناوب الصيغ المختلفة(اسم الفاعل ، صيغ المبالغة، صيغة الفعل...)، الممنوع من الصرف، البناء للمعلوم والبناء للمجهول.

- ومن المباحث النحوية الموجّهة من طرف الإسكافي تناوب حروف المعاني والتي تُعد من أكثر المسائل الموجهة في كتاب "الدرة" ،وتمثلت في حروف الجر ،العطف، والجر بخاصة ،وبعض الحروف الأخرى ،ثم يليه مباشرة من حيث الكم مبحث تناوب الضمائر ،وفيه وجّه الإسكافي السبب في الإضمار والإظهار وبيّن العلة في تغاير وحذف بعض الضمائر ،وبعده يأتي مبحث الأسماء الموصولة ،ثم مباحث نحوية مختلفة تتعلق بالإعراب، الصفة والموصوف ،الاضافة...الخ.

- ومن المباحث البلاغية الموجهة في كتاب "الدرّة" اختلاف الأغراض البلاغية لاختلاف فواصل الآيات ومقاطعها ،وهذا المبحث هو أكثر المسائل البلاغية التي وُجهت من طرف الإسكافي ،ثم يليه التقديم والتأخير ،ثم التكرار ،الذي أنكر الإسكافي وجوده في القرآن الكريم، فوجّه كل آية وجد فيها تكرارا توجيها معينا؛ بحيث ينفي عنها هذا التكرار، ويُذيِّل كل توجيه بقوله "سلم من التكرار" أو "لم يكن تكرارا"، ويُؤكد ذلك بأنّ الكلام إذا أعيد لأسباب مختلفة لا يُسمى تكرارا ،و يلي التكرار من ناحية الكم مبحثي: التعريف والتنكير والذكر والحذف ،ومباحث بلاغية متنوعة أخرى.
- وألفينا كذلك -من خلال الدراسة- أنّ أكثر المباحث اللغوية المتناولة في كتاب "الدُرّة" :المسائل النحوية والبلاغية؛ حيث نالت حصة الأسد من التّوجيه، ثم تليها مباشرة المسائل المعجمية المتعلقة بالترادف والمشترك اللفظي ،ثم المباحث الصرفية ،فالصوتية.
- شكّل السياق ظاهرة لغوية أساسية في توجيه المتشابه اللفظي في كتاب الدُرّة ، لأن القرآن الكريم نسيج محكم ومتناسق ؛ فاعتمد الإسكافي كثيرا على ربط الشاهد (المتشابه اللفظي) بما قبله وما بعده من الآيات ضمن السياق العام للسورة عامة؛ ليخرج في الأخير بالحكم والتوجيه الذي يُفسر سرَّ هذا التشابه؛ فلم يُوجِّه أية آية من دون ربطها بسياقها القبلي أو البعدي، أو بالسياق الكلي، أو بسياق المقام (أسباب النزول، القصدية..)وهو قليل، وأدى ذلك لإبراز التماسك النصي للآيات والذي تمثل في التماسك اللفظي من خلال وظيفة الروابط اللغوية كالحروف والأسماء ،والتماسك الدلالي الذي حققته الضمائر والموضوع والقصة الواحدة.

- لاحظنا كذلك مدى تمكن الإسكافي من المادة العلمية، فهو-رحمه الله- وكما ذكرنا في ثنايا البحث- عالم موسوعي وصاحب مصنفات في فنون وعلوم لغوية مختلفة من: نحو ،معجم ،أدب ،خطابة ،تفسير...الخ؛ وهذا التمكن أضفى على كتابه "الدرّة" سمة البحث العلمي من خلال العمق في التحليل والدقة في الاستنباط والحكم والاقناع.

- لاحظنا أن توجيهات الإسكافي مبثوثة في كل المؤلفات الخاصة بتوجيه المتشابهات اللفظية :كأسرار التكرار للكرماني ،وفتح الرحمان لابن زكريا الأنصاري، وكشف المعاني لابن جماعة وملاك التأويل للغرناطي ،وكذا التفاسير الحديثة كتفسير الطاهر بن عاشور ولمسات بيانية للسامرائي وغيرها —وإن كانت الدراسة ليست مقارنة بين هذه المؤلفات- ولكننا صادفناها من خلال البحث ورأينا أنها تستعمل نفس توجيهاته و لا تحيل إليه إلا نادرا.

- مفهوم القصدية كثيرا ما تكرر في توجيهات الإسكافي ،وبنى عليه أكثر أحكامه ،هذا يُشير للأسبقية علمائنا لتناول الدرس التداولي وتمكنهم منه، على المستوى التطبيقي بخاصة، كما أنه يفتح مجالا آخر كذلك لتناول القضايا التداولية في كتاب "الدرة"(السياق، القصدية ،التماسك النصي(اللفظي والدلالي)...) .

- كثيرا ما أشار الإسكافي إلى إنّ الإخبار بما مضى من حوادث إذا لم يُقصد به أداء الألفاظ بأعيانها ،وإنّما كان المقصود ذكر المعاني ،فإنّ الألفاظ إذا اختلفت وأفادت المعنى المقصود ؛كان اختلافها واتفاقها سواء ،فهو يشير هنا لقضية لغوية مهمة هي قضية التفاضل بين الألفاظ والمعاني ومزية كل واحدة منهما على الأخرى.

- أخيرا يمكن أن نخلص إلى أن كتاب "الدرة" يُعتبر تفسيرا لغويا بحتا ،لأن أغلب آياته موجهة اعتمادا على المستويات اللغوية كما رأينا، ويمكن الحكم عليه بأنه تفسير لغوي متخصص في توجيه المتشابهات اللفظية.
- أثار الإسكافي في كتابه "الدرة" قضايا لغوية مهمة ،تتطلب بحثا منفصلا وتحليلا عميقا ، وتوسع آفاق البحث ؛وتأسيسا عليها فإنا هذا البحث يرصد آفاقا ومواضيع أخرى توسع البحث للمهتمين منها:
- القضايا النحوية في كتاب "الدرة" لإسكافي .
- التوجيه البلاغي للمتشابه اللفظي في كتاب "الدرة"
- الترادف في القرآن الكريم "كتاب الدرة" نموذجا
- دراسة مقارنة بين كتب المتشابهات القرآنية عند الإسكافي، الكرماني، ابن جماعة، الغرناطي، أبي زكريا الأنصاري.
- هذه مجمل النتائج التي وصلت إليها الدراسة، والتي نرجو أننا وفَّيناها حقها من الدراسة .
- وفي خاتمة القول نسأل الله العظيم التوفيق و الرشاد، و أن يكون عملنا هذا خالصا لوجهه تعالى. ﴿ **وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** ﴾ [سورة هود، الآية: 88].

✓ **سليمــــــــــــــة**

فهرس المصادر

والمراجع

1- القرآن الكريم برواية حفص.

2- أبو حيّان الأندلسي محمد بن يوسف ، **تفسير البحر المحيط** ، تح عادل أحمد عبد المجود وآخرون ، دار الكتب العلمية ،بيروت،1993، ط1.

3- أبو السعود محمد بن محمد العمادي ، **تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** ،،تح عبد القادر أحمد عطا ، مكتبة الرياض الحديثة ،الرياض ،(د ت) ، (د ط).

4- أحمد نوفل، **تفسير سورة الاسراء دراسة تحليلية موضوعية** ،جمعية المحافظة على القرآن الكريم ،الأردن ،2014 ،ط1 .

5- الإسكافي محمد بن عبد الله ،**مبادئ اللغة** ،تح عبد المجيد دياب ،دار الفضيلة ،القاهرة ، 2014،ط1.

6- الإسكافي محمد بن عبد الله ،**كتاب المجالس** ،تح غانم قدوري ،دار عمار ،عمان ،2002 ، ط1 .

7- الإسكافي محمد بن عبد الله، **درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز** ،اعتنى به خليل مأمون شيحا ،دار المعرفة ، بيروت، ط2،2012.

8- الإسكافي محمد بن عبد الله ،**كتاب لطف التدبير** ،تح أحمد عبد الباقي ، دار الكتب العلمية ،لبنان ،1979 ، ط2.

9-الإسكافي محمد بن عبد الله ،**مختصر كتاب العين**، تح هادي حسن حمودي ،المطابع الذهبية ،سلطنة عمان ، 1998، ط1.

10- الإسكافي محمد بن عبد الله ،**كتاب خلق الإنسان** ،تح خضر عواد العكل ، دار عمار ،عمان ،دار الجيل ،بيروت ،1991 ، ط1 .

11- الألوسي شهاب الدين محمد ، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ، دار إحياء التراث ،بيروت ،(د ت) ،(د ط).

12- الأنصاري زكريا بن محمد ، **فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن** ،تح محمد علي الصابوني ، مكتبة رحاب ،الجزائر ،1988،ط2.

13- البخاري محمد بن إسماعيل ،**الجامع الصحيح**،(كتاب فضائل القرآن ،باب كيفية نزول الوحي) ،اعتنى به محمد زهير بن ناصر الناصر، مجلد3 ،دار طوق النجاة ،بيروت ،2001 ،ط1 .

14- ابن الأنباري عبد الرحمان بن أبي الوفاء ، **أسرار العربية**، تح محمد بهجة البيطار، المجمع العلمي العربي،دمشق،1957،(د ط)

15- ابن باديس عبد الحميد ،**تفسير ابن باديس** ، مؤسسة المعارف ،والمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر،1991،(د ط).

16- ابن الجوزي ،**المدهش** ،تح مروان قباني ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،2005 ،ط2.

17- ابن عاشور محمد الطاهر ،**التحرير والتنوير** ،الدار التونسية للنشر ، تونس ،1984،(د ط).

18- ابن عاشور محمد الطاهر ، **تحقيق ديوان بشار بن برد** ، وزارة الثقافة ،الجزائر،2007، (د ط) .

19- ابن عرفة محمد بن محمد ،**تفسير ابن عرفة** ،تح جلال الأسيوطي ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،2008،ط1.

20- ابن عطية عبد الحق بن غالب ،**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ،تح عبد السلام عبد الشافي محمد ،دار الكتب العلمية ،بيروت،**2001**،ط1.

21-ابن فارس ،معجم مقاييس اللغة ، تح عبد السلام هارون ،دار الفكر ،(د ب)،**1979**.

22- ابن المنادي، **متشابه القرآن العظيم** ،تح عبد الله بن محمد الغنيمان ،مكتبة لينة ،مصر ،1993،(د ط).

23- ابن منظور جمال الدين ،**لسان العرب**، دار صادر، بيروت، (د ت)، (د ط).

24- ابن النديم ،**الفهرست** ،دار احياء التراث بيروت،(د ط)،(د ت).

25- ابن يعيش موفق الدين يعيش بن علي ، **شرح المفصل**، مطبعة المنيرية ،مصر،(د ت)،(د ط).

26- بكري شيخ أمين ،**التعبير الفني في القرآن** ،دار الشروق، بيروت ، 1980 ،ط4.

27- البيضاوي ناصر الدين ، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي** ،تقديم محمد عبد الرحمان المرعشلي، دار إحياء التراث، بيروت ،(د ت)،(د ط).

28-الجوهري إسماعيل بن حماد ،**الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية** ،تح عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ،بيروت، 2008،ط1.

29 - الجرجاني عبد القاهر ، **دلائل الإعجاز**، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت ، 2004، ط1.

30- الجرجاني علي بن محمد ،**معجم التعريفات** ،تح محمد صديق المنشاوي ،دار الفضيلة ، القاهرة ،(د ت) ، (د ط).

31- الخطيب التبريزي زكريا بن يحي (ت502هـ) ،**شرح ديوان الحماسة لأبي تمام** ،اعتنى به غريد الشيخ وأحمد شمس الدين ،دار الكتب العلمية ،بيروت،2000، ط1.

32- الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، **الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع** ،وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين ،دار الكتب العلمية ،بيروت، 2003 ، ط1.

33- الخنساء، **ديوان الخنساء**، اعتنى به وشرحه حمدو طمّاس ،دار المعرفة ،بيروت،2004، ط2 .

34- الراغب الأصفهاني ،مفردات ألفاظ القرآن ،تح صفوان عدنان داوودي ،دار القلم ،الدار الشامية ،دمشق ،2009،ط4.

35- الزجاجي عبد الرحمن بن اسحاق ،**اشتقاق أسماء الله** ،تح عبد الحسين المبارك ،مؤسسة الرسالة، سوريا ،1986، ط2.

36- الزجاجي عبد الرحمن بن اسحاق ،**حروف المعاني** ،تح علي توفيق الحمد ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،دار الأمل ،الأردن ،1986 ،ط2.

37- الزجّاجي عبد الرحمن بن اسحاق ،**كتاب اللامات** ،تح مازن المبارك ،دار الفكر، دمشق ،1985،ط2 ، ص:143(بتصرف).

38- الزجاج ،**معاني القرآن وإعرابه** .،تح عبدالجليل عبده شلبي ،عالم الكتب،بيروت،1988،ط1.

39- الزرقاني محمد عبد العظيم ،**مناهل العرفان في علوم القرآن** ،تح فوّاز أحمد زمرلي ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،1995،ط1.

40- الزرقاني محمد عبد العظيم ،**مناهل العرفان في علوم القرآن** ،مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د ب)،1943،ط7.

41- الزركشي بدر الدين ،**البرهان في علوم القرآن** ،تح أبي الفضل الدمياطي ،دار الحديث ،القاهرة ،(د ط) ،2006 .

42- الزركلي خير الدين ،الأعلام ، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002.

43- الزمخشري جار الله محمد بن عمر ،**الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ، تح عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ،مكتبة العبيكان ،الرياض ،1998،ط1.

44- السامرائي فاضل صالح ،**على طريق التفسير البياني** ،كلية الآداب والعلوم ،قسم اللغة العربية وآدابها ،جامعة الشارقة ، 2002 ،(د ط) .

45- السامرائي فاضل صالح ،**لمسات بيانية** ،دار عمان ،عمان ،2003،ط3.

46- السامرائي فاضل صالح ،**بلاغة الكلمة في التعبير القرآني** ،شركة العاتك لصناعة الكتب ، القاهرة ،2006،ط2.

47- السامرائي فاضل صالح ، **معاني النحو**، دار الفكر، عمان،2000،ط1.

48- السامرائي فاضل صالح ،**التعبير القرآني** ،دار عمار ،عمان 2006 ، ط4.

49- السامرائي فاضل صالح ،**أسئلة بيانية في القرآن الكريم** ،مكتبة الصحابة ،الشارقة الامارات العربية المتحدة ، 2008، ط1.

50- السمين الحلبي أحمد بن يوسف ، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ معجم لغوي للألفاظ القرآن الكريم**، تح محمد باسل عيون السود ،دار الكتب العلمية،بيروت،1996،ط1.

51- السكاكي سراج الدين يوسف بن أبي بكر ،**مفتاح العلوم** ،ضبط وتعليق نعيم زرزور ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1987 ،ط2.

52- السيد بدر الدين العلوي ،**تحقيق ديوان بشار بن برد** ، دار الثقافة ،بيروت،1981 ،(د ط).

53- سيبويه عمرو بن عثمان ،**الكتاب** ،تح عبد السلام محمد هارون ،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،1988،ط3.

54- السيرافي الحسن بن عبد الله ، **شرح كتاب سيبويه**، تح أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي ،دار الكتب العلمية ،لبنان،2008،ط2.

55- السيد أحمد الهاشمي، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، ضبط يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية ،بيروت ،(د ت) ، (د ط) .

56- السيوطي جلال الدين ،**الإتقان في علوم القرآن** ،تح مركز الدراسات القرآنية ،وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد ،السعودية،(د ط) ،2004 .

57-السيوطي جلال الدين ،**بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** ،تح محمد أبو الفضل ابراهيم ،مطبعة عيسى البابي وشركاه، مصر، 1964،ط4.

58- السيوطي جلال الدين ،**قطف الأزهار في كشف الأسرار** ،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،قطر،1994،ط1.

59- صالح سليم عبد القادر الفاخري، **الدلالة الصوتية في اللغة العربية** ، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية ،(د ت)، (د ط) .

60- عائشة حسين فريد ،**من بلاغة سورة المؤمنون** ،دار قباء ،القاهرة،2000،(د ط).

61- عادل نويهض ،**معجم المفسرين** ،مؤسسة نويهض الثقافية ،بيروت،1988،ط1.

62- عبد الرحمان حسن حنبكة ،**معارج التفكر ودقائق التدبر** ،دار القلم ،دمشق،2014،ط2.

63- عبد الرحمان بن غنم و عبيد الله بن معمر ،**مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر** ،تح سكينة الشهابي، دار الفكر ،دمشق،1988،ط1.

64- عبد العظيم المطعني، **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية** ،مكتبة وهبة ، القاهرة ،1992 ،ط1.

65- عبد الهادي الفضلي ، **اللامات دراسة نحوية شاملة في ضوء القراءات القرآنية** ،دار القلم ،بيروت،1980،ط1

66- العجلان سامي بن عبد العزيز ، **الوحدة السياقية للسورة في الدراسات القرآنية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين دراسة بلاغية في التراث العربي**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية ،2009،ط1.

67- العسكري الحسن بن علي ،**الفروق اللغوية** ،تح محمد إبراهيم سليم ،دار العلم والثقافة ،القاهرة ،1997،(د ط).

68- عمر رضا كحالة ،**معجم المؤلفين** ،دار احياء التراث العرب ،بيروت،(د ت) ،(د ط).

69- علي اليمني دردير ،**أسرار الترادف في القرآن الكريم** ،دار حنظل ،مصر ،1985، (د ط).

70- الغرناطي ،ابن الزبير ،**ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل** ،تعليق عبد الغني محمد علي الفاسي ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،(د ت) ،(د ط) .

71- الفراهيدي الخليل بن أحمد ،كتاب العين ،تح عبد الحميد هنداوي ،دار الكتب العلمية ،بيروت، 2008،ط1.

72- الفرّاء يحي بن زكريا ،**معاني القرآن** ،عالم الكتب ،بيروت ،1983 ،ط3.

73- الكرماني محمود بن حمزة ،**أسرار التكرار في القرآن** ،تح عبد القادر أحمد عطا ،دار بوسلامة ،تونس ،1983،ط1.

74- الفيومي ،**المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، تح عبد العظيم الشناوي ، دار المعارف، القاهرة ، (د ت)، ط2.

75- الكفوي ،أبو البقاء ،**الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية** ،مؤسسة الرسالة،لبنان،1998،ط2.

76- المبرد أبي العباس محمد بن يزيد ،**الكامل في اللغة والأدب** ،تح عبد الحميد هنداوي ،وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد ،السعودية ،(د ت) ،(د ط).

77- مجدي وهبة ،كامل المهندس ،**معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب** ،مكتبة لبنان ،بيروت،1984، ط2 .

78- مجمع اللغة العربية ،**المعجم الوسيط** ، مكتبة الشروق الدولية ،مصر ،2004،ط4.

79- محمد الأمين الخضري ،**الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ ،دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن** ،مطبعة الحسين الإسلامية ،مصر ،1993، ط1.

80- محمد حسن حسن جبل ،**المعجم الاشتقاقي المؤصل للألفاظ القرآن الكريم** – مؤصل بين العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها ومعانيها ،مكتبة الآداب ،القاهرة ،2010، ط1.

81- محمد علي الصابوني ، **صفوة التفاسير** ، دار الصابوني ،المكتبة التوفيقية ،2012،ط10.

82- محمد فهيم أبو عبيّة ، **معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم**، مكتبة لبنان ،لبنان،1997،ط1.

83- محمد متولي الشعراوي، **خواطر الشعراوي** ،(د د ن) ،(دت) ،(دط) .

84- محمد نور الدين المنجِّد ،**الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق** ،دار الفكر ،دمشق ،1997،ط1.

85- محمد جبّار المعيبد ،**ديوان عدي بن زيد العبادي** ،وزارة الثقافة والارشاد ،بغداد ،1965،(د ط).

86- محمد عبد الله دراز ،**النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن** ،دار القلم ،الكويت ،1984 ،(د ط).

87- المرادي الحسن بن القاسم ، **الجنى الداني في حروف المعاني**، تح فخر الدين قباوه و محمد نديم فاضل ،دار الكتب العلمية، لبنان، 1992،ط1.

88- المرزوقي أبي علي أحمد بن محمد، **شرح ديوان الحماسة لأبي تمام**، جمع تعليق غريد الشيخ وإبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ،بيروت، 2003،ط1.

89- مساعد بن سليمان الطيار ، التفسير اللغوي للقرآن الكريم ، دار ابن الجوزي ، الرياض ،2002،ط1.

90- مشهور موسى مشهور مشاهرة ،**المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة نقدية بلاغية** ،عالم الكتب الحديث ،الأردن ،2010،ط1.

91- **الموسوعة العالمية** ،مؤسس أعمال الموسوعة ،السعودية،1999 ،ط2 .

92- موسوعة النابلسي السيرة الذاتية للنابلسي بتاريخ: 2018/8/8).

93- ناظر الجيش محمد بن يوسف ، **شرح التسهيل المسمى تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد** ،تح علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام، مصر، 2007،ط1 .

94- نذير حمدان ،**الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم** ،دار المنارة ،السعودية ،1991،ط1.

95- ياقوت الحموي شهاب الدين ،**معجم الأدباء إرشاد الأريب الى معرفة الأديب** ،تح إحسان عباس ،دار الغرب الاسلامي، لبنان،1993 ،ط1.

96- ياقوت الحموي شهاب الدين ،**معجم البلدان**،،دار صادر ،بيروت،(د ت)، (د ط) .

الرسائل الجامعية:

1- أحمد ياسوف ،**جمالية المفردة القرآنية** ،رسالة ماجستير مطبوعة ،إشراف نور الدين عثراء ،قسم الدراسات الأدبية، دار المكتبي ،دمشق ،1994، ط2

2- تماني بنت سالم، **أثر دلالة السياق في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني دراسة نظرية تطبيقية على آيات قصص نوح و هود و صالح و شعيب عليهم السلام**، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، الرياض، السعودية، 2007.

3 - خالد بن محمد العثيم ،**الأسرار البلاغية للتقديم والتأخير في سورة البقرة دراسة تطبيقية** ،رسالة ماجستير ،إشراف صالح بن سعيد الزهراني ،جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية ، قسم الدراسات العليا السعودية،1998.

4- صالح الشثري ،**المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية** ،رسالة دكتوراه ،إشراف محمد محمد أبو موسى ،جامعة أم القرى ،كلية اللغة العربية ،قسم الدراسات العليا ،السعودية ،2001.

5- فهد بن شتوي، **دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام دراسة نظرية تطبيقية**، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 2005م.

6- -عبد العزيز الحربي ،**توجيه مشكل القراءات العشرية لغة وتفسيرا وإعرابا** ،رسالة ماجستير ،جامعة أم القرى ،1996.

7- محمد رجائي الجبالي، **توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين أحمد الغرناطي وفاضل السامرائي** ،أطروحة دكتوراه ،كلية الدراسات الاسلامية ، قسم القرآن والحديث ،جامعة مالايا، كوالامبور، 2012.

8- مصطفى آيدين ،**درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي دراسة وتحقيق** ،أطروحة دكتوراه ،إشراف عبد الستار فتح الله سعيد ،جامعة أم القرى ، كلية الدعوة وأصول الدين ،قسم الكتاب والسنة ،السعودية ، 2001.

المقالات:

1- أنسام خضير خليل المالكي ،**الإيقاع الموسيقي في الفاصل القرآنية** ،مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد ،العدد الثاني،2006.

2- ستانة محمد علي حمد، **المعاني البلاغية للتكرار**، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية اللغات ،مجلة العلوم والتقانة ،مجلة علمية محكمة ،ج 11(1) ،2010.

3- السندي عبد القيوم بن عبد الغفور ،**منظومتان في متشابه القرآن** ،**هداية المرتاب للإمام السخاوي وكفاية القارئ للإمام الحارثي التثوي** ،مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ،العدد 32،الجزء 17 ،1425هـ.

4- علي حداد، **مخطوطة لطف التدبير للخطيب الإسكافي**، مجلة التراث العلمي العربي ،جامعة بغداد ،العدد الأول ،2015.

المواقع والبرامج التلفزيونية :

1- السامرائي ، **برنامج لمسات بيانية** ،قناة الشارقة الفضائية ،بثت بتاريخ:2018/12/12 (you tube).

2- محمد راتب النابلسي ،**برنامج أسماء الله الحسنى** ،قناة الرسالة الفضائية ،الحلقة: 175 ، بتاريخ :2019/8/18 (you tube) .

3- النابلسي، **موسوعة النابلسي للعلوم الاسلامية** ،المحاضرة رقم: 12 بتاريخ 2018/1/12 ، (**www.nabulsi.com)**.

4- شرف علوي بن عبد القادر السقاف، **الدرر السّنيّة الموسوعة العقدية** ،2019/3/26، سا:20:30، (www.dorar.net) .

5-www.tafsir.net.

6-.**www.wikipedia.net.**

7- **www.alukah.net**

فهرس المحتويات

- **إهــــــداء**
- **شكــــــر وعرفـــان**
- **الملخــــص**
- **مقدمـــــــــة:...7**
- **التمهيـــــــد:..13**
- **الفصل الأول: التوجيه اللغوي ،المتشابه اللفظي، الإسكافي وكتابه "الدرة"...........15**

التوجيه والمتشابه اللفظي...**16**

الإسكافي وكتابه الدرة...**38**

الفصل الثاني: التوجيه المعجمي والصوتي...**52**

الترادف والمشترك اللفظي...**53**

التوجيه الصوتي..**100**

الفصل الثالث: التوجيه الصرفي..126

التناوب بين الجمع والإفراد...**127**

التذكير والتأنيث، الممنوع من الصرف، المبني للمعلوم والمجهول.......................**141**

التناوب بين الصيغ المختلفة...**151**

الفصل الرابع: التوجيه النحوي 161

التناوب بين حروف المعاني...**162**

التناوب بين الضمائر والأسماء الموصولة..**209**

توجيهات نحوية مختلفة..**231**

الفصل الخامس: التوجيه البلاغي...250

المتشابهات اللفظية المتكررة 251
اختلاف الفواصل القرآنية وأغراضها..266
التقديم والتأخير...293
توجيهات بلاغية مختلفة..316
الخاتمـــة...**335**
فهرس المصادر المراجع...**342**
فهرس المحتويات..**352**

تم بحمد الله تعالى

ومنّه